

الواقفون علي خط النار

بقلم: القمص فيلوثاوس فرج



الواقفون علي خط النار

بقلم: القمص فيلوثاوس فرج

الفهرس

المقدمات

****

المقالات تباعاً

****

المقدمات

١ـ نذر يسير عن الكاتب والكتاب

هذه تقدمة قصيرة عاجزة عن تعريف الكاتب " المحيط" (وهــذا هــو جهد المقل الضعيف)..
ومعذرة للقراء الكرام، لأنه من عرف قدر الكاتــب عــرف الكتــاب، لأن (المسك يعطيك شذى وعطراً) ، (والنحل والأزهار تعطيك عسلا مصفى لذة للشاربين وفيه شفاء للناس) ، (ولا يستقرب الشيء مــن معدنــه والإناء بما فيه ينضح) وعليه:

- فى الطفولة كنا قرويين نخاف من " القسيس" من لبسه الأسود ولحيته الطويلة ، وكنا نجرى ونهرب ونختفى تحت " العنقريب" أو خلف البــاب إلى أن يذهب " القسيس" حتى نخرج للشارع..
- وعندما كبرنا وإجتزنا مراحل التعليم التى أوصلتنا للخرطوم وتفتحــت أعيننا على الأضواء الكهربائية والمبانى الشاهقة والمساجد والكنــائس العامرة بالناس، وكنا نرى الرجال والنساء يدخلون الكنيسة ويخرجــون كل يوم أحد سالمين، وفى عقولنا الصغيرة كنــا نعتبرهــا هــى بيــت " القسيس" ونرى الناس يدخلون ويخرجون مهللين بالتراتيــل والأهــازيج فرحين مستبشرين، وبعد فترات أصبحنا نرى" القسيس" عن قرب، وبدأت الشقة تضيق حتى وضحت لنا الرؤية وتم القرب والإطمئنــان للقــسيس فوجدناه مع الناس فى بيوت الأفراح وفى الأعراس فــى الأعيــاد وفــى المناسبات السعيدة والمناسبات الوطنية السعيدة، وأصبحنا نجــده معنــا وبيننا كذلك فى الأتراح وفى الوفيات وفى المقابر وفى رفــع الفــراش، فشعرنا بأن هناك جاذبية تشدنا إليه ومحبة ومودة تقربنا منه حتــى تــم التلاحم والتلاصق وتجاوبت المشاعر والأفكار وقــوى التعــارف حتــى

أصبحت صداقة ومودة ووئام.. وكان أول " قسيس" بالنسبة لى كان هـو الأب الكريم" القمص فيلوثاوس فرج"..

المجلس الوطنى الإنتقالى: شاءت الأقـدار أن التقـى بـالأب القمـص فيلوثاوس فرج حيث تم إختيارنا ضمن ثلاثمائة عضواً بالمجلس الوطنى من شتى أنحاء السودان مسلمين ومسيحيين ، شماليين وجنوبيين، وعند الإفتتاح تلاقى الجمع الحاشد فى بشر وترحاب ملأ ساحة البرلمان وسلام بالأحضان ، وساد الهرج والمرج فرحاً بلقاء الأحبة ثم تحلق الناس حول رجل يكاد يعرف الجميع فرداً فرداً ويعرفونه تماماً،المـسلمين يعانقونـه بالأحضان والمسيحيين يقبلون أياديه ويتبركون ويشع النور والضياء من الفرح الطاغى حقاً..

وكان الأب القمص فيلوثاوس فرج نجماً ساطعاً وقمراً منيـراً بـين الجميع، وظللنا نلتقى يومياً على مدى أربع سنوات وتواصلت الجلـسات ودارت النقاشات فى شتى الموضوعات الوطنية الهامة وقضايا الـوطن العصيبة والصعبة، حروب فى الجنوب، وحروب فى الغـرب، وحـروب بالشرق، هـذا بجانـب الفياضـانات والـسيول المـدمرة، والـضغوط الإستعمارية، والحصار الإقتصادى ، وسوء الأحوال الموروثة من إنعدام الخبز، وإنعدام البترول، وإنفراط الأمن، والمحن والإحـن، والـصراعات الدائرة من بعض الدول المجاورة والمدفوعة دفعاً لتضييق الخناق علـى السودان حتى يركع الوطن تحت أقدام المستعمرين..

وكان النقاش والمعالجات فى تجـرد وإخـلاص والجميـع يبتغـون رضوان الله والضمير الإنسانى ويبتغون رفعـة الـوطن، لا حزبيـة ولا طائفية ولا هوى ولا غرض خاص، وحقاً كان مجلساً فعالا أرسى دعـائم الإستقرار والعمل على إحلال السلام، وكنا نناقش بحماس وإنفعـال فـى كثير من الأحيان ونتحدث طويلا طويلا، وكان " الأب القمص فيلوثـاوس فرج" يتحدث قليلا ودائماً فى الأخر فى هدوء وإيجـاز، ولكنـه حـديث كالمروق البارد الذى يشفى الصدور ويغسل القلوب وينير الطريق بروح التدين ومكارم الأخلاق، ملىء بالحكم والأمثال، ملىء بعطـر التـاريخ،

ملىء بالأدب القديم والحديث، ويخرج الجميع بالنتائج المرضية، (والآن مضابط المجلس وأشرطة التسجيل حافلة بالإنجازات العظيمة تؤرخ لتلك الحقبة من الزمان..)
زيارة ودية للمعايدة: زرت الأب فيلوثاوس فرج بمنزله العامر فوجدته يعج ويضج بالأصدقاء المهنئين بعيد" الكريسماس" عند الشرقيين، وكان الضيوف من شتى الألوان الفكرية والسياسية والأدبية والإجتماعية ورجال الدين وكبار الأعيان والغنى والفقير،" البيت عبارة عن هيئة" أمم متحدة" وكان هو بينهم فى بشر وترحاب يوزع الطرائف والملح ويلتفون حوله إلتفاف النحل على الأزهار فى واحة العبير ليمتص من رحيقها العطر لتعطينا شراباً مستساقاً لذة للشاربين، وهو أيضا يطوف عليهم جميعهم فى منازلهم فى مناسباتهم الحبيبة كالفراشة تحوم حول الأزهار الندية متعددة الألوان دون فرق بين غنى وفقير، بقيت جالساً بعيداً أستمع فقط إلى أن تفرق الجمع بعد تناول ما لذ وطاب من مأكل ومشرب من الحلو والحلال وشرب البارد الزلال والكعك الشامى والحلويات الشرقية التى كانت من صنع كريماته الحسناوات خلقاً وأخلاقاً للتربية المروية بتعاليم الأديان السمحة حفظهن الله جميعاً وأسبغ عليهم دوام الصحة والسعادة، وهنا دنوت منه وأعدنا السلام بشوق ومحبة وتحنان إلى أن خرجت علينا حرمه المصون وسلمت علىّ سلام معرفة لأنها سمعتنى فى الإذاعة وشاهدتنى فى التلفاز فى برنامج (علم نفسك) الموجه كثقافة فنية للأسر بالمنازل، وقرأت بعض كتاباتى فى الصحف، وسمعت كلامى فى البرلمان ، وحدثها أبونا عنى فقلت لها: ياسيدة حياك الله كيف تحتملين هذا الشيخ المتعب بضيوفه الكرام والعديدين خدمة ليل نهار وصباح ومساء، وأنتم على الدوام فى تعب مستمر طوال اليوم دون راحة ؟.. وقالت: الراحة فى خدمة الأحباب والأصدقاء فقد تعودنا على ذلك ونحن سعداء به وبهم والله يديم المحبة والمودة بين الناس جميعاً ، فقلت لها: والله إنت الأم (رحيمة ذاتها) والأم رحيمة هذه هى زوجة " سيدنا أيوب" التى قاسمته وشاركته على تحمل المحن والإحن وكل

الإبتلاءات التى صبرا عليها صبراً جميلا وأيوب هــذا كتــب عنــه الأب فيلوثاوس فرج كثيراً وفى هذا السفر العظيم كتاب (الواقفون على خــط النار) الذى نقدمه للقراء والأدباء وكل المثقفين الــذين ينقبــون عــن المعرفة فى أغوار وظلمات التاريخ والباحثين عن الأدب الرفيــع قديمــه وحديثه والجادون فى أخذ العظات والعبر عبر الدهور، القمص فيلوثاوس فرج منزله أصبح قبلة ومحجة لكل رواد الفكر وطلاب المعرفة والعلم..

قبلة فى بيت عزاء: حضرت ذات مساء إلى منزل فقيــد الــبلاد الراحــل المقيم عالم الإقتصاد الفذ الأمير الدكتور " مأمون بحيرى " حفيد السلطان البطل على دينار بن زكريا بدارفور وبعد وصولى وتقديم العزاء لأفــراد الأسرة المكلومة، وكان الجمع حاشداً إمتلأت بهم باحات المنزل العــامر حتى الشوارع المحيطة بالمنزل، ووسط هذا الجمع الكبيــر رأيــت الأب القمص فيلوثاوس فرج " جالساً حزيناً فذهبت إليه وحييته وتلقــى منــى عبارات العزاء والمؤاساة كأحد أفراد الأسرة ، وجلست بجــواره نجتــر مآسر الفقيد وأعماله الجليلة نحو القارة الإفريقية عامة ، ونحو وطنــه السودان خاصة إذ كان الفقيد رئيساً للبنك الإفريقى ثــم وزيــراً للماليــة بالسودان ومرجعاً للإقتصاد، وبهذا نال تقدير الجميع بعلمه واســع فــى مجالات عالم الإقتصاد رحمه الله رحمة واسعة وألهم أسرته والــسودان بكامله الصبر والسلوان..

وفى هذه الأثناء حضر شخص سودانى مسلم فسلم على الأب القمص فيلوثاوس فرج سلاماً حاراً ويبدو إنه سلام معرفة وصداقة وقبــل يــده وبعد هذا إنصرف الرجل، فلاحظت بعض الحضور بجوارى يتهامــسون وتشجع أحدهم وسألنى قائلا: بالله ده مسلم ولا مسيحى ؟ فقلت: بلاشــك مسلم.. فقال: لماذا يقبل يد البابا ؟ فقلت له: هذه القبلة ليست لــشخص البابا كبشر من لحم ودم ولكنها إحترام وتقدير لعلوم الدين التى يحملهــا بين حناياه وللفكر والثقافة الواسعة التى يحملهــا فــى عقلــه ولحــسن التعامل ومكارم الأخلاق التى إمتاز بها هذا الرجــل وللمحبــة والمــودة والسلام التى يحملها فى قلبه الكبير العامر بالإيمان وبحب الخير للنــاس

جميعاً دون تمييز لأحد بسبب الدين أو اللون أو العرض، وعنده النـــاس سواسية كأسنان المشط، وها هو الرجل يجلس الآن بيننا مسلمون وجاء معزياً فى وفاة مسلم ، أليس هذا وحده يكفى ؟ وصمت الرجل ثم واصلت الحديث ونحن كمسلمين ديننا يحملنا على أن نـــؤمن بالـــسيد المـــسيح كرسول من عند رب العالمين، ومن لا يؤمن به فإسلامه ناقص، ولم يكن مرضياً عنه وجاء فى القرآن الكريم:

{ آمن الرسول بما انزل إليه من ربه والمؤمنـــون كـــل آمـــن بـــالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رســـله، وقـــالوا ســـمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير } صدق الله العظيم.. فـــسكت الرجـــل برهة وقال: والله رأى وكمان فلسفة..

وبعد مدة بدأ الجميع فى الإنصراف وقمنا والقمـــص ممـــسكاً بيـــدى ودعانى لزيارة مكتبه داخل الكنيسة التى كانت بقرب منـــزل المرحـــوم، فلبيت الدعوى بزيارة مكتبه، وكانت أول مرة لـــى أن أدخـــل كنيـــسة ، ودلفنا نحو باب المكتب وقبل الدخول تقاطرت نحوه جماعـــات الـــشباب والشابات وإنكبو تقبيلا على يده تبركاً وتأدبـــاً وطاعـــة ووفـــاء وولاء، ودخلت المكتب وراعنى ما شاهدته من فاخر الأثاث المنظم بصورة دقيقة تنم عن الذوق السليم وعن الفن الأصيل، وشد ما راعنى أن رأيت صور الأب القمص فيلوثاوس فرج مع جميع قواد الـــوطن وأعيانـــه وكبرائـــه ووزرائه ورجال الدين ورجال الطرق الصوفية والحفلات والتجمعات فى المناسبات الوطنية كلها، وصفت الصور الفتوغرافية فى تسلسل تاريخى وكلها فى أطر مذهبة ، صورته مع الإمام عبد الرحمن المهدى طيب الله ثراه، ومع السيد على الميرغنى رحمه الله، ومع الزعيم الرئيس الراحل الخالد الأستاذ إسماعيل الأزهرى، ومع الرئيس الأسبق الفريق إبـــراهيم عبود، ومع الرئيس المشير سوار الدهب، ومع الرئيس المـــشير جعفـــر محمد نميرى..

أما مع الرئيس المشير عمر حسن أحمد البشيرله صـــور عديـــدة لأن فترة البشير ظلت نشطة فى المسار الـــدينى والتـــسامح بـــين الأديـــان،

وعقدت عدة مؤتمرات للأديان والتى شاركت فيها عديد من الدول المختلفة مسلمين ومسيحيين وكان فى هذه الفترة التحرك نحو الأديان بصورة لم تحدث من قبل لتأليف القلوب وغسلها بماء المحبة والسلام ، وتناسى مآسى الماضى البغيض وتضميضاً للجراحات وتطييباً للخواطر وإجراء المصالحات بين الأفراد والجماعات الأمر الذى سهل كثيراً وساعد أكثر فى معالجة مشاكل الإخوة الجنوبيين وتلطيف الجو حتى هدأت مشاعر الغضب..

وهل السلام فى مؤتمر " نيفاشا" وفى الشرق فى " أسمرا " وفى الغرب " فى أبوجا "، وبين القبائل المتصارعة وبالأديان بدأت البلاد تخطو خطوات واسعة نحو التقدم والتنمية والرقى والإزدهار ؟.. وكان فى كل هذه التحركات الدينية تجد أن الأب القمص فيلوثاوس فرج حاملا ورافعاً راية المحبة والمودة والسلام، وهو دائماً " الدينمو " المحرك لكل اللقاءات والجماعات الخيرة ، ينشر بينهم عبير وشذى المحبة والسلام، وهو كريم الخصال، رفيه الجنان، ينطبق عليه قول مالك بن الريب فى أخيه متمم حين قال عنه :

{ لا يضمر الفحشاء تحت ردائه ، حلو الشمائل ، عفيف المئزر.. }

الأب فيلوثاوس فرج كريم جواد كثير الدعوات لكل المعارف والأصدقاء، فكان أول الدعاة لإقامة إفطار رمضان الكريم الذى ضم كبار قادة البلاد والأعيان ورجال الأديان الذى أقامته الكنيسة الشرقية للمسلمين فى هذه المناسبة الإسلامية العظيمة، وتناقلته القنوات الفضائية للعالم، وكان هو فى مقدمة المستقبلين للضيوف بالبشر والترحاب، بجانب كبار المطارنة وقواد ورعاة الكنيسة..

وهذا يؤكد مسيرة التعايش الدينى فى قوة ومضاء كما دعى المجلس الوطنى الإنتقالى بكامله لإفطار رمضان سابق على حسابه الخاص بمزرعته العامرة بأشجار البان الباسقة وهى مزرعة فريدة فى نوعها ففيها تشجير للمنطقة ودحر للجفاف والتصحر وترطيب للجو، وثمارها جنى خشب البناء بجانب ما تحتها، وفى ظلالها الوارفة كانت تسرح

وتمرح الأنعام مثل الضأن والغزلان والأرانب ودجاج الوادى والدجاج البلدى بأنواعه وتشكيلة من أنواع البط النادرة وبجانبه أنواع الحمام الزاجل وبينهما الحمام الزاجلذو التاريخ الناصع فى نقل الرسائل، وملأ دواوين الشعراء فى نقله لرسائل المحبين والعاشقين والحمام هو رمز السلام وإتخذوه رسول سلام من عهد سيدنا نوح زمن الطوفان عندما بقى الناس زمناً طويلا فى لجة الماء وفقد الناس الأمل فى الوصول إلى اليابسة وكل المخلوقات المحمولة على سفينة نوح ظلت فى ضيق مما حل بهم من عذاب فجاءتهم الحمامة تحمل غصن الزيتون فى منقارها مبشرة بالسلامة والوصول إلى الأرض اليابسة، ومن تلك اللحظة إتخذها الإنسان رمزاً للسلام وبالسلام والمحبة عمرت المزرعة بالحمائم البيضاء الجميلة ترقص فرحاً وطرباً حول الجداول الرقراقة ، وتناولنا ما لذ وطاب بعد يوم رمضانى شديد الحرارة ، وطاب لنا السمر من الفطور حتى السحور وتفرق الجمع شاكرين ومقدرين فيض كرمه وينطبق عليه قول الشاعر :

{هو البحر من أى النواحى أتيته عجز البيت فلجته الجود والمعروف ساحله صدر البيت تراه إذا ما جئته متهللا صدر البيت كانك تعطيه الذى أنت سائله..}

حقاً إن الأب فيلوثاوس فرج هو نسيج فريد، ونسخة متفردة يندر أن تجد أمثاله ووقاه الله من شر حاسد إذا حسد.. وحفظه وأسرته الكريمة من كل سوء وأمد الله فى عمره ومتعه بالصحة والسعادة.. وأخيراً أقول وبكل صدق إنى عاجز كل العجز أن أوفيه معشار ما يستحقه من كريم القول، لأن المحيط من أمثاله لا تستطيع أن تعبره العصافير من أمثالى..

حفظه الله ورعاه..

مالك الزاكى صالح

٢ـ الكتاب الفريد

أولا: من عرف مقام الكاتب وقدراته وعلمه الغزير وثقافته الرفيعة الثرة ومعارفه الواسعة الشاسعة يكون قد عرف الكتاب وقيمه تماماً.. وللحقيقة أقول: إن هذا السفر العظيم والفريد حقاً فى نوعه درة وجوهرة ثمينة تزين كل مكتبه خاصة وعامة وإمتاز هذا الكتاب بتنوع موضوعاته الثرة وبمعارفه الغنية، وهو عبارة عن زهرة نضرة قطفت من كل بستان نضير، ويكفى القارىء الكريم أن يلم فقط برؤوس الموضوعات ، فهى ثقافة رفيعة وبتبويب مؤسس على فكر وتصفحه أول مرة يزود القارىء الكريم بمعلومات لم يكن ملماً بها من قبل..

وجاء الكتاب محتوياً على مائة باب، وكل باب يشع بنور العلم والضياء كالمنارة التى يهتدى بها الهداة، وكل باب تجد فيه روح المحبة والسلام، وتجد فيه الحكم والمواعظ، وتجد فيه سير الأقدمين والمحدثين، وتجد فيه الأدب نثراً وشعراً ، وتجد فيه عبق التاريخ، وتجد جميع مكارم الأديان التى تنزلت لتهذيب وتشذيب البشر لعمارة الأرض، وليعيش الكون كله والناس جميعاً فى آمن وسلام بعيدين عن الإقتتال وبعيدين عن الخراب والدمار، يعملون كلهم لدنياهم كأنهم يعيشون أبداً ويعملون لآخرتهم كأنهم يموتون غداً..

يبدأ الكتاب القيم بالموضوع رقم "١": تحت عنوان (أيوب يهزم الآلام) ، وسيدنا أيوب هذا أصبح رمزاً للصبر على المكاره والإبتلاءات بالرضاء بالقضاء وبالقدر، وفى هذا الباب قصص لم تخطر على بال بشر وإستمرت سيرة أيوب لثمانية أبواب بالعناوين التالية: (كتاب قصيدة أيوب) ، النثر والشعر فى سفر أيوب، (هل كان أيوب عربياً؟)، (أيوب الشاعر العربى) ، (ملحمة أيوب) ، (أيوب يدرك كنه الأحداث)، وهذه الأبواب الثمانية وحدها تكفى ثقافة ثرة قبل الدخول فى المتون، وذكر أيوب هذا والسؤال : هل كان عربياً؟ ذكرنى أيضا بأن السيدة العذراء أم السيد المسيح عليه السلام هى أيضا عربية كما حدثنى الشيخ الجليل

الدكتور حسن عبدالله الترابى رئيس المجلس الوطنى، وقبل ذلك كنت أحسبها إنها (خواجية) إذ اليهود هم عرب وإن صحّ هذا فلماذا هذا الإقتتال مع أبناء عمومتهم الفلسطينيين ؟ وتذكرت إنى أمتلك شريطاً للفيديو سجلته من قناة الجزيرة الفيحاء من برنامج " أرض الرسالات" وكانت الحلقة العلمية الممتعة عن سيدنا أيوب وهو مسجى فى ضريحه " بمدينة أصفهان" بجمهورية إيران الإسلامية، وترقد بجواره زوجته الأم " رحيمة" التى قاسمته ألوان من العذاب والإبتلاءات، هذا هو الباب الأول من الكتاب..

أما الباب الآخير رقم " ١٠٠" كان بعنوان" قضايا مكافحة المخدرات" وهو موضوع إجتماعى هام وحيوى يستحق الوقوف عنده فى تأمل وتفكر وتدبر، وكما هو معروف علمياً أن المخدرات سم قاتل للبشر ومدمر لحياة الشباب رجالا ونساءً، وخراب وفساد وإفساد للمجتمع، واصبحت هى وباء العصر الحديث كالإيدز والأبيولاء والسرطانات والإشعاعات الذرية، وكل هذه المصائب الضارة سوف تقود إلى نهاية العالم وخرابه ودماره، ولكى لا أفسد على القارىء الكريم متعة القراءة لهذه الأبواب الغنية بالمعلومات النادرة والنافعة، وأتركه ليتخير ما يشاء من قطوف هذه الحديقة الغناء، وبين هذه الأبواب من الرقم " ١- ١٠٠" أبواب ورد فيها ذكر السلام والمودة والبهجة والسعادة والمسرة ، ففى عنوان الباب رقم " ١٠" (الضحك موسيقى الروح) وفى الرقم "١٤" (الضحك أيسر أنواع الراحة) وفى الباب" ١٦" (سر الإبتسامة) وفى الرقم "٢٨" (بالمحبة يتوحد العالم) وفى الرقم" ٣١" (دعوة للسلام) وفى الرقم " ٣٢" (المؤمنون وثقافة السلام)..

أما فى جانب الفلسفة والمرح جاء فى الباب رقم " ١٣" (حمار الحكيم يصبح حكيماً) وفى الباب رقم "١٥"(شاعر فى بلاط الملك) وفى الباب رقم "١٨" (عندما تكلم الحمار) وفى الباب رقم "١٩" (عالم الحمير عند توفيق الحكيم) وفى الباب رقم "٢٣" (جحا يهمس فى أذن حماره) وفى الباب رقم"٦٦" (كلام القصير).. وإلى هنا أتوقف وأترك القارىء الكريم

أن يختار الباب الذى يروق له ليدخل منه إلى خزانة الكنوز الثمينة فى هذا السفر القيم (الوقفون على خط النار) وما تركته أقيم بكثير مما ذكرت، والكتاب بكامله موسوعة لا غنى عنها فى كل مكتب وفى كل بيت علم ودين..

وبالله التوفيق ...

مالك الزاكى صالح
عضو المجلس الوطنى
وزير الشئون الإجتماعية والثقافية بالفاشر

٣ـ علمتنى كلمات المؤلف ما لم أكن أعرف

هذا سفر جليل عميق، "الواقفون على خط النار"، بقدر ما فيه من هيبة ورهبة، فإن هنالك حلاوة خاصة تأتلق بين حروفه التى أحكمت صياغتها بياناً رفيعاً، يد عالم فنان شف فكره وضفت روحه، وإنعتق من كل ممسكات الأداء فتدفق وأفاض وأوفى وأبان، قرأته مرة ثانية مخالفاً ما درجت عليه وما تعودته فى مسألة القراءة تحديداً ، فقد أحسست أننى أتعلم منه، وتلك غاية الغايات عندى، بحيث أنسى فى سبيلها طبعى وعادتى وأزهو وأدل وأنا أخالفها وأتجاوز حرصى ومواقفى السابقة أمام ما أجده عندها من فتح وكشف..

الواقفون على خط النار – السفر الجديد للصديق القديم الأب القمص فيلوثاوس فرج، أننى عندما أقرأ سفراً جديداً للصديق أعلن إننى قد تهيبت كثيراً مجرد الإقتراب منه، ناهيك عن الغوص فى تفاصيل أنسجته المتوهجة المتوضعة فى عمق المسائل والأشياء والظواهر، لأبشر به وأفتح للآخرين طاقة نحو أبعاد رؤاه ومنطلقاته وأهدافه ومراميه، وتهيبى وترددى يرجعان إلى كل هذا الكم من الذكاء الباهر المخيف الذى ينقدح من بين أطراف الكلمات، ويتفجر وسط الجمل، ويتنزل بين

العبارات ليؤكد إن الذكاء الحاد فى هذه الحياة- الآن- هو فقط من أجل إنتصار الإنسان.. من أجل أن يتعلم ويعرف ويعبر إلى الضفة الأخرى، حيث الحقيقة والموقف، والحياة..

تهيبت فى البدء غير إنى تماسكت ودخلت إلى غرف الدهشة والجمال فتعلمت، وكيف لى ألا أتعلم وأعتبر، وأنا أعانق راضياً منتشياً منتبهاً لهب مائة تجربة وجودية.. كل تجربة منها كانت أمام موقف، وأمام قضية، وأمام مخلوق، وأمام خيار بين.. وبين.. ؟ كيف لى وهذه تجارب الواقفين على خط النار؟ يحكيها ويحللها ويستشف عبرتها هذا القلم المخلص حقاً لرجل كبير القلب، عامر النفس، يعرف كيف يستخلص الحكمة ويصوغها ويهيىء ويبيح حلاوة عرضها ومشاهدتها لمن يريد أن يعرف.. والذين يريدون أن يعرفوا فى هذا الزمان هم الأندر والأقل والأبعد أنفاساً فى الركض، لأن المضمار وعر وخشن وملىء بالمفاجآت..

أيها الصديق.. الأب فيلوثاوس فرج.. لقد علمتنى كلماتك الجديدة هذه، وأنا على أعتاب السبعين شيئاً لم أكن أعرف كيف فات علىّ تعلمه عبر مسيرة طويلة مجهدة حافلة بالنار واللهب والجمر.. علمتنى كيف أتماسك لكى أستحق أن أكون إنساناً.. علمتنى أن أثبت وأن أركز، وأن أغادر محطات (الجرسة) الكثيرة التى كنت أقف فوق رماد مشاعلها المنطفئة لأتحسر على شىء كان عرضاً زائلا فاتنى، أو على نازلة وهمتنى لسوء تقدير منى أو لعدم ضبط قرون إستشعار الزمن فى التعامل مع أهل الجحود من الناس.. وعلمتنى غير ذلك وغيره وغيره..

وأنا الآن مندهش تماماً أمام هذا السفر الضخم – الواقفون على خط النار- لماذا ؟.. لأننى ببساطة شديدة أرى إننى واحد منهم.. وقد أكدّ لى حديثك عن (فيض التعزيات) هذه الحقيقة، وذكرتنى أبيات توفيق صالح جبريل التى إستشهدت بها :

يانفسى عوذى بالذى أبقاك فى أمن وحرز..
حمداً لمن أنجى ضميراً مرهقاً من شر وخز..

وإن العفاف مع التمسك بالمبادىء خير كنــز..

ذكرتنى بالدهليز وصاحبه المناضل الشاعر الذى عاش كل حياته وهو واقف على خط النار.. خط الجهاد فى سبيل الوطن والإبداع والمبادىء.. أما (طيور الأخبار الحسنة) التى تبشر بالسلام فقد أكدت لــى الهــاجس الذى كان يرن فى توترات الداخل عن أن رجال الدين المسيحى هم أيضاً من أهل الهم التعبيرى فى بساط الشعر ورؤاه وأخيلته ولغتــه الخاصــة ذات الطابع السرى والخفاء البوحى، والصور الغريبة.. ولذلك فإنه ليس من المحال أن نكتشف نحن بقرون إستشعار ذائقة الإبداع لدينا، إن هــذا الأب الذى يتسربل زهو السواد الطقسى، هو شاعر متخف، ومستتر فــى ثياب راهب وقور..

وما الشعر إلا كشف لبيان الوضوح فى حالة إستتار رمزى، به مــن جمال التعبير ما يثير المفارقة وما يخلع.. ومثلها كثير لا يحصى فى هذا السفر الجامع (طيور الأخبار الحسنة) هــذه.. فهنالــك التفاحــة التــى يكسرها الحبيبان ويعدان بذورها لمعرفة عدد الأولاد القادمين.. وهنــاك القلبان المنقوشان على إنحناءة (ملعقة) كدليل على أن الحب هو قــوت ومفتاح القلوب..و..و.. إلى آخر هذه الصور الجمالية الحارة المكتنــزة بدفء العاطفة والشعر..وسوف تستمر المحبة، ولا يقدر أحد ولا يستطيع أن يوقف مسيرة المحبة.. فذلك هو قدر الإنسان والمخلوقات فــى هــذه الدنيا، وسوف يستمر صديقنا المبدع الأب فيلوثاوس فــرج فــى إبــداع الكتاب وسوف نستمر فى تلقى ما يكتب ويبدع بلهفة وحب..

مصطفى سند

جريدة الحياة، ٢٤ ديسمبر ٢٠٠١م

٤ـ هذه إشراقات يتلاحق وميضها

بقلم القمص فيلوثاوس إشراقات يتلاحق وميضها فهو راهب تبتل فى صومعة الجمال والجلال وحب الله وعبادة المؤمنين.. من فوهة يراعه تنثال قطرات يرشها على صحائف الحياة.. فتزدهى برونق الفكر، ورشاقة العبارة، وجمال الروح..

فى هذا السفر.. سفر الوقوف على خط النار.. فلسفة جديدة للتأمل فى التجارب، والإبتلاءات، والمواعظ، والعبر.. حيث يكون الوقوف على خط النار هو الحد الفاصل بين الهدى والضلال.. والسكون والطمأنينة.. والأنفلات والتمرد.. والأمل والتفاؤل.. والنجاح والنصر.. والتشاؤوم والإحباط والهزيمة.. هذا الخط الرفيع.. مدار الروح فى فلك الرحمن وفلتها من ربق الشياطين التى تريد أن تقود أزمة النفوس إلى مهاوى الجحيم..

هنا نظرات إيكولوجية عميقة فى الكون والإنسان والحياة.. تسمو بنا إلى عالم الحقيقة المطلقة.. ومعنى الوجود الحقيقى.. وتقول لنا فى هذا العالم الذى تجتاحه موجات التطرف الدينى.. والغلو السياسى، والإفراط فى إستخدام القوة المادية.. ويقوم الإشتباه والظن فيه مقام اليقين.. تقول لنا : " قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فإن ثولوا مقولوا أشهدو بأنا مسلمون "..

هنا حيث تسكن النفوس.. وتطمئن فى كنف الملك الديان.. ملا رب هذا الكون إلا هو سبحانه ولا حول ولا قوة إلا به.. فهو الواحد الأحد فى زمن القطبية الأحادية وفى كل زمان.. " الواقفون على خط النار" .. المحبون.. المخلصون.. الذين فتئت ذواتهم.. وإحترقت وتوهجت.. فى مجامر العشق الإلهى حتى تكاد تسمع همسات قلوبهم ونبضاتهم تردد مع الشيخ العارف الله محى الدين بن عمرى:

شمس الهوى فى النفوس لاحت
فأشرقت عندها القلوبُ
الحب أشهى إلىّ مما يقوله العارف اللبيبُ
بحبّ مولاى لا تولّ عنى فالعيش لا يطيبُ
لا انس يصفو للقلب إلا إذا تجلى له الحبيبُ

هكذا يصفو الأنس فى حضرة الحبيب الأعظم مالك القلوب ومقلبها كيف يشاء.. هنا يقول الله لنار الواقفين على خط النار حبه، يانار كونى برداً وسلاماً على الواقفين على جمرات محبتى .. ويقول الواقف: ياربنا أفرغ علينا صبراً جميلا، وصفحاً نبيلا، إذا أخطأنا أو نسينا..

هنا بين ثنايا هذا الكتاب صفحات من حياة أهل السودان، وصورة من صور التعايش بين المسيحيين (الأقباط على وجه الخصوص) والمسلمين، ولدينا رصيد هائل من هؤلاء.. لا تخطىء عين، ولا ينسى أحد أعلامهم من أبناء السودان الذين إنخرطوا فى حياتنا، فلا نكاد نفرق بين مسلم ومسيحى إلا فى مواقيت الصلاة وشعائر العبادة..

نذكر شعراءنا جوزيف لطيف صباغ (أحد أقطاب حزب الأمة) شاعر الجمال، وأيقونة الإبداع، والشاعر عزيز التوم، وصالح بطرس، الذين يتشاطرون المسلمين مناسباتهم ، كالعام الهجرى، والمولد النبوى الشريف، وكذلك الشاعر المبدع عزيز أندراوس، صاحب الشاطىء المهجور، وسامى يوسف الذى إخترق حباً وفنيت روحه، فكانت سيرة حياته مفعمة بالحزن والأسى (نمو تحت قطرات الدم)، ولا أنسى صبية شاطرونا مراتع الصبا.. لم نكن نعرف أنهم مسيحيون ولا يعرفون إننا مسلمون.. يستشهدون معنا ختمات القرآن بخلوتنا بالمسالمة..

كما لا تفوتنا مناسباتهم فى أعيادهم.. وللدين فى حياتنا بعد يتجاوز المذهبية المتعصبة إلى رحاب الإنسانية.. أذكر إن عمنا لوذ رحمه كان يأتى إلى جدنا يطلب منه الرقية لصداع ألمّ به.. فيقرأ له تعاويذ وأدعية ورقى.. ولا يفوتنى هنا أن أذكر الواقفين على خط النار الأول مثل العم بولس الذى أنشأ خلوة بأبى روف لتحفيظ القرآن الكريم.. وظل يتعهدها

ويصرف عليها من ماله، وكذلم العم جورج مشرقى الذى جمع تراث الحقيبة وكانت دكانته فى السوق قبلة الأدباء والشعراء والسياسيين، فهو من أعلام أم درمان كذلك..

وأذكر هنا عمنا إسكندر رحمه الله، صاحب مكتبة مروى بالخرطوم، حيث كانت مكتبته منتدى يؤمه الوزراء والعلماء والكتاب، وكان يقدم لك إبتسامة مشرقة مع فنجان شاى له نكهة خاصة.. كل هؤلاء وغيرهم ضربوا لنا مثلا فى التعايش والإخاء.. فالمسيحية السودانية تختلف عن تلك التى ترد إلينا على أيدى المبشرين الفرنسيين الذين يحملون أجندة إستعمارية لينالوا من وحدتنا..

نعم أقول المسيحية السودانية.. منذ فجرها ودخولها السودان حيث أوفدت الملكة الكنداكة وزيرها إلى بيت لحم يحمل النذور والبشائر بميلاد المسيح ، وذكرت بعض الأسفار هذه الحادثة، حيث توجد الآن لوحة فى الكنيسة القديمة للسيدة مريم العذراء فى هيئة ..... سودانى ، وفيها نرى ملامح وتقاطيع سودانية للسيدة مريم وخادمتها وكذلك السيد المسيح، هذه اللوحة ترمز إلى التفرد والأصالة فى تلقى الدعوة المسيحية وصبغها بالثقافة السودانية..

ولا ننسى أيضا ملك المقرة عند دخول الإسلام فى السودان بموجب إتفاقية البقط ٦٤١-٣١هـ ، حيث نصّت الإتفاقية على أن ترعى الدولة المسيحية المسجد القائم بدنقلا، وأن يؤدى فيه المسلمون شعائرهم دون الإطاحة بعرش الدولة المسيحية.. وظل الحال على ما هو عليه لأكثر من ثلاث قرون تم خلالها إحلال للحكم عبر حوار ثقافى وتصاهر بين المسلمين والمسيحيين ، ورث بموجبه المسلمون العرش..

هكذا دخلت المسيحية وسادت فى السودان ، وكذلك دخل الإسلام، وساد دون عراك أو قتال، ودون تصفية عرقية.. وددت بهذه الكلمات أن يستجلى القارىء بعض المعانى لهذا الكتاب، ليس بالضرورة الموضوعات بعينها.. وإنما روح الحوار والمسئولية التى نريدها أن تسود بين نخبنا المسيحية والإسلامية، وخاصة فى هذه الأيام نحن فى

حاجة إلى مثل هذا الحوار لبناء السلام.. وتحقيق الوئام الإجتماعى.. فلا مكان للضو والتطرف، ولا مكان للعمالة الفكرية أو إستغلال الدين لتحقيق مكاسب رخيصة.. ولا مكان لمن أراد أن يشوه هذه اللوحة التى رسمها تاريخنا العريق وحظت حروفها حضارتنا وثقافتنا.. وصدحت بها مآذننا " لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين" (سورة ...... آية ٨).. وكذلك رنت عليها أجراس كنائسنا.. " المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة "..

والله الموفق

صديق المجتبى
وزير الدولة للثقافة سابقاً

٥ـ المؤلف يقف فى مكان الجسر الذى يحمل المحبة والسلام

بين يدى الآن سفر عظيم أرجو أن يكون متاحاً لكم قريباً هو كتاب الأب القمص فيلوثاوس فرج " الواقفون على خط النار" ، ولقد كرمنى أبونا بالإطلاع على هذا السفر قبل نشره، ثم شرفنى بأن أكون بين الذين يقدمون الكتاب، ورغم إن الكاتب والكتاب لا يحتاج أحدهما لتقديمى، ولكنه فضل أبونا فيلوثاوس وكرمه علىّ وعلى الناس جميعاً ، وهو رجل سيرته كلها عطاء بلا منّ ولا أخذى وهى سيرة وضعته فى مكان متقدم فى سجل " الواقفون على خط النار" وأكبر إمتحان يتعرض له القمص فيلوثاوس فرج ليل نهار ولسنين طويلة إنه يقف فى مكان الجسر الذى يحمل المحبة والسلام بين أبناء السودان وأهل الأديان، ولأن " أبونا" مثل

البئر فإن نار الإمتلاء تزيده بريقاً ولمعاناً فتضىء سيرته وتزداد بهاء على أيام الملمات والإحن..

فعندما تطير شرارة توشك أن توقر فتنة بإسم الدين والوطن يكون القمص فيلوثاوس فرج أول من يسكب عليها ماء مغلى من الدم ليطفئها حتى لا يسيل دماء الشقاء، فمنذ سنين عدداً كان من أبرز الناشطين فى حوار الأديان ولم تقم دعوة لوحدة الصف ولم الشمل إلا وكان فرج أحد مفاتيحها وأدواتها، وأشهد إنه دائماً ما يكون أكثر الناس سعياً، وأجلهم صبراً ، ولا زلت أذكر اليوم الذى حدد لنا فيه لقاء برئيس الجمهورية فى الهيئة الشعبية للحوار الوطنى والسلام، وذهبنا إلى القصر ، ودرنا فى حلقة مُفرغة أدارت رؤوسنا جميعاً، إلا القمص ظل صابراً متحسباً ذلك إنه بعلم (إنه واقف على خط النار)..

وما أعان أبونا على الوقوف على خط النار بصبر وجلد شديدين إنه قارىء للتاريخ ، ودارس لقصص السابقين من الأنبياء والمرسلين وسيرهم، فعلم صبرهم ومثابلاتهم وهو يجعل من قصة نبى الله أيوب عظة وعبرة، وإفتتح بها سفره العظيم عبر جملة من المقالات المتأملة (أيوب يهزم الآلام).. كتاب قصيدة أيوب (النثر والشعر فى سفر أيوب)..(وملحمة أيوب).. خمس محطات فى قصة أيوب (أيوب يدرك كنه الأحداث).. وغيرها من المقالات ذات العظات والعبر، وهى بعض عصارة دراسة وتمحيص ومعايشة لرجل إصطلى بنيران التمجيص، فزادت نوره نوراً ..

وما أحوجنا فى وطننا الصغير السودان ، وفى وطننا العربى الكبير للمرابطة مع الواقفين على خط النار، لأن النار تكاد تشتمل فى كل جزء من أجزائنا، ويأتى بعض الحريق بسبب ما إقترفت أيدينا، وبعضه يأتينا كبيراً من أعدائنا، وكيد العدو أهون من ضعف النفس وهوانها.. وقد بلينا بهما معاً وزادنا تعساً إننا صدنا شيعاً وطرائف بذيف بعضنا بعضاً بأساً وأذى..

ولمثل هذه الظروف التى نعيشها والإبتلاءات العظام التى نتعرض لها جميعاً، تجىء قيمة الكتاب (الواقفون على خط النار) وهى قيمة لابد أن يدركها كل من وقف على بعض ما جاء بالسفر العظيم، فلم يقف صاحبه عند محطة واحدة ، ولم يميل إلى جهة دون أخرى، وإنما ظل دائماً ينشد الحق والطريق القويم الذى يمكن أن يجمع الناس علـى كلمـة سـواء، ومعلوم عن " أبونا" إنه رجل وسطى لدرجة جعلته مقبولا عند كـل مـن يلقاه، فعلى الرغم من إنه علم فى مسيحيته التى يعتنقها، وهو علم بعلم وعمله فى دينه، ومع ذلك فحب المسلمين له وتواصله مهم يعلمه الجميع والكثر من ذلك إنه يشارك الصوفية الوجدان الصافى، والمحبة، ويشترك مع السلفيين فى الحجة والبرهان.. ورغم إنه لا يعلـم أحـد مـن أهـل السودان إنتماء سياسياً للقمص فيلوثاوس فرج، فهو مقبول لدى فرقـاء السياسة السودانية كلهم، ولا يكتمل شمل إلا بوجوده وحتى شـكله فيـه شىء من كل شىء، إنه نسيج وحده ، لا نجد مكاناً نضعه فيه غير مـع (الواقفون على خط النار)..

جمال عنقرة
صحفى عتيق وسياسى مخضرم

٦ـ مقدمـة المؤلف

بإسم الآب والإبن والروح القدس الإله الواحد آمين

كلنا معاً: نحن كلنا معاً فى هذه الحياة واقفون على خط النار.. والنار إما أن تكون مُطهرة، وإما أن تكون مدمرة.. ونحن هنا نقصد النار المُطهرة.. ونحن نمشى على النار ونقترب من خطوط النار.. فالحياة التى نحياها تمتلىء بالتجارب والضيقات والمصاعب وكلها تؤكد خطوط

النار، فالتجربة نار.. والذهب يصفى بالنار.. والله يسمح بالتجارب لكى يكون المؤمن مصفى ومزكى أمام الله الذى لا يتركنا نحتمل فوق ما ينبغى ، والذى يجربنا ولكن وفق نار متزنة لا تلتهب فتدمرنا، ولا تضعف فتجعلنا فاترين..

والحياة كلها نار مشتعلة ، والمؤمن يدخل إلى آتون النار المتقدة ، ولكنه يرى الله معه.. لقد دخل ثلاثة فتية من نار فى الإيمان إلى نار حميت سبعة أضعاف، وعندما أحصوهم وجدوهم أربعة.. والرابع كان جميل الهيئة، كان شبيهاً بإبن الآلهة كما قال إمبراطور بابل: إنه رمز أن يكون معنا فى التجربة.. ويعطى التجربة ومعها المنفذ.. ونجتاز نحن النار والماء: جزنا فى النار والماء وأخرجتنا إلى الراحة..

وسوف نظل نجاهد على خط النار، ولن نستريح إلا بعد أن تقف أنفاسنا ونعبر إلى الأبدية، هناك نجد الراحة، ونجد الإنصاف.. هناك لا حزن ولا بكاء ولا دموع، لأن الله يمسح كل دمعة من عيوننا.. لقد رأى أشعياء مجد الرب العظيم.. رأى كرسى عرش الله تحمله أعظم الملائكة سيرافيم لهم ستة أجنحة.. وأخذ أحد السيرافيم جمرة نار من على مذبح الرب ومس بها شفتى أشعياء النبى والديب والشاعر وقال له: قد مست شفتيك وإنتزع إثمك وكفر عن خطيئتك..

وبعد أن تطهر أشعياء بالنار بدأ رسالته الروحية وتكلم عن ظلمة الحياة بعيداً عن الله.. وملأ قلوب المؤمنين بالله بأعظم التعزيات..لا تخف لأنى فديتك.. دعوتك بإسمك أنت لى.. إذا إجتزت فى المياه فأنا معك.. وفى النهار فلا تغمرك.. إذا مشيت فى النار لا تلدغ واللهيب لا يحرقك (أشعياء٤٣).. وبعدها صار كل الواقفين على خط النار يثقون فى مراحم الله ويترجون خلاصه الذى يجعل فى البرية طريقاً وفى القفر أنهاراً ويصنع لنا أمراً جديداً ومجيداً..

الرب هو الرب: وعندما نقف على خط النار نمسك بيدى مريح التعابى.. نسمعه يقول : تعالوا إلىّ أيها المتعبين وثقيلى الأحمال وأنا أريحكم، من يقبل إلىّ لا أخرجه خارجاً .. لأنى أسكب ماء على العطشان.. وسيولا

على اليابسة.. أسكب روحى على نسلك وبركتى على ذريتك فينبتون بين العشب مثل الصفصاف على مجارى المياه.. أنا الأول وأنا الآخر ولا إله غيرى.. أما أعلمتك منذ القديم وأخبرتك ، فأنتم شهودى.. هل يوجد إله غيرى ؟.. ولا صخرة ولا أعلم بها.. أنت عبدى.. قد جبلتك عبد لى أنت.. لا تنسى منى.. قد محوت كغيم ذنوبك.. وكسحابة خطاياك.. إرجع إلىّ لأنى فديتك..

ترنمى أيتها السموات لأن الرب فعل.. إهتفى يا أسافل الأرض.. أشيدى أيتها الجبال ترنماً.. الوعر وكل شجرة فيه لأن الرب قد فعل.. أنا الرب صانع كل شىء.. ناشر السموات وحدى ، باسط الأرض من معى ؟.. معطل آيات المخادعين ، ومحمّق العرافين.. مرّجع الحكماء إلى الوراء، مجّهل معرفتهم.. أنا أسير قدامك والهضاب أمّهد .. أكسر مصراعى النحاس ومغاليق الحديد أقصف، وأعطيك ذخائر الظلمة وكنوز المخابىء.. أنا الرب وليس آخر.. نطقتك وأنت لم تعرفنى.. بالرب يتبرر ويفتخر كل نسلك..

نحن حقاً واقفون على خط النار، ولكن الرب معنا" وإن كان الرب معنا فمن علينا" .. لقد وقف أيوب على خط النار وإجتاز أعسر إمتحان، ومرّ من أقسى تجربة، وكثيرون مثله.. ونحن أيضاً كلنا على خط النار ولكننا به غالبين، منتصرين، لأنه يعطى المعيى قوة، ويشدد الركب المخلّعة.. ويثبت الأيادى المرتجفة.. قصبة مرضوضة لا يقصف، وفتيلة مدخنة لا يطفىء.. إنه الله وكيل الغافلين وحسبنا الله ونعم الوكيل..

قالوا عن المؤلف

١ – بعد غربة دامت طويلا عن الوطن ، عدت للحى الشعبى الذى ترعرعت فيه ، تغير الحى، ليس من حيث المبانى فقط، فقد رحل عنه بعض من ولد فيه وجاء إليه أناس جدد، كان من الطبيعى أن أسأل عن السكان الجدد وأحاول التعرف والإختلاط بهم.. وفى ذات مرة قيل لى إن قسيساً سكن هنا، هكذا كانوا يدعونه " القسيس" ويشيرون إلى منزله " بيت القسيس"..

بحكم عملى السابق كنت مداوماً على قراءة الصحف اليومية، ولفت نظرى مقالات فى بعض الصحف بقلم : الأب فيلوثاوس فرج" وإكتشفت إنه جارنا " القسيس ، وبدأت أتعرف عليه عبر مقالاته، كان بدء المعرفة الشخصية عندما كتب شقيقى كتاباً عن الخرطوم، حملت الكتاب وذهبت إليه فى منزله ، وكل ما أعرفه عنه، من خلال كتاباته، إنه أديب واسع الإطلاع ولا يبخل بنشر المعلومة كفائدة قرائه، قابلنى بكل ترحاب وإبتسام، وبعد أيام قليلة كتب عن هذا الكتاب فى إحدى الصحف وقدم النصح فى ما رأى إنه تقصير من المؤلف..

جاء عيد الفطر، وإذا به يزورنى مهنئاً بالعيد السعيد، وعندما ذكرت ذلك لبعض الصحاب قالوا: وما الغرابة فى هذا ؟ إنها عادته يزور أهل الحى مشاركاً فى أفراحهم ومواسياً فى أتراحهم، بعد ذلك توثقت صلتى بالأب الأديب المحب للناس وللمعرفة وللسلام.. لقد وصفه حمدى رزق الصحفى جريدة وطنى المصرية بوصف أستعيره منه، ولقد أجاد الوصف إذ قال : إنه من رهط المسيحيين الحنفاء مضىء فى عالم شاحب الضوء، محب فى عالم يحتاج إلى المحبة، كريم معطاء، بشوش بسّام عند اللقاء، حليم وحكيم، مثقف وحصيف، وأديب لبيب..

فيصل محمد أحمد
صحفى سابق وأحد سكان
الديوم الشرقية

٢- إهداء إلى أبينا الحبيب القمص فيلوثاوس فرج

قصيدة بعنوان:

رجل السلام

إن كانت الحكمـة بنـت بيتهـا — فأنـت لهـا أرضـاً وسمـاء
وإن كـان للكلمـات قامـوس — فأنـت لهـا نعمـم ولاء
فكثيرة هـى النجوم فـى البسماء — ولكـن نجمـك يفوقهـم بـاء
حكمـة الحكمـاء تخشـاك — ينصـت لأقوالـك العقـلاء
فالتـاج الـذى علـى رأسـك — (العمامة) له عزة وشـرف ووفاء
لنـا فيـك إفتخـار كنيستنـا — فـى كـل المحافـل والنـداء
رأينـاك للسـلام تتـوج — فـى محفـل مـن الشرفـاء
قليلـة هـى الكلمـات التـى — يوصـف فيـه، وصفـك العلماء
لـم أكتـب فيـك مجامـلاً — سـواء قطـرات مـن نبـع ماء
فلـك منـى تقبيـل الأيـادى — وخضـوع البنـوة والدعـاء
ندعـو لـك بمـا أعطى لسليمان — مـن حكمة ومعرفة وطول البقاء
أبانـا أذكرنـا فـى صلواتـك — فصلواتـك للـداء دواء
وشكـراً لـك بمـا كتبته عنـى — فمنـك نتعلـم مـن الألف للياء

إبنـك
سامـى منصـور
حاللنى أخطأت
٢٠٠٦/٦/٤ م

٣- تشدنى جداً كتابات " أخونا" أو " أبونا" الكريم فيلوثـاوس فـرج، وعندما أبدأ فى مطالعة كتبه أزداد علماً وثقافة، وأضيف إلـى جعبتـى معرفة جديدة، ما كنت أجدها بسهولة لولا حسن حظى وسعدى بـالرزق الذى ساقه الله إلىّ من غير تدبير منى، إن المواطن الـسودانى مولـع

بالقراءة وذكى فى تخيره للكتاب، والأب القمص فيلوثاوس فرج علـيم بذوق المواطن السودانى والقارىء العربى بصفة عامة، لهذا فهو يتخير لطائف الكلم كما يتخير أطايب الرطب..

إن مكتبتنا السودانية فيهـا المجلـدات الطـوال، وهـذا يرضـى المتخصصين، أما السواد الغالب من الناس الذى لا يجد أمامه متسعاً من الوقت للخوض فى غمارها يريد كتاباً سهلا لا تعقيد فيه، يجمع مواضيع جمة قصيرة ذات صلة بأصل الموضوع، ولقد أفلح الكاتب فى هذا، فـإن تطرّق إلى حادثة معينة، أو إذا ذكـر رمـزاً مـن الرمـوز الثقافيـة أو السياسية، فإنما يرده إلى أصل الموضوع، وتشمل كتابـات أبونـا آراء جريئة فى التاريخ والثقافة والدين مما يستفز القـارىء علـى البحـث المتقصى لمعرفة صدق الرواية..

محمد الأمين خليفة

رئيس المجلس الوطنى الإنتقالى

٤- الأب القمص فيلوثاوس يحب دوماً في كتاباته أن يعرج علي التاريخ يستخرج منه درراً ، وهو لا يهمل إسهامات الأدباء المسيحيين السودانيين و أثرهم علي الثقافة السودانية كالشاعر عزيز التوم، وعزيز أندراوس و سعد ميخائيل.

يريد أخونا القمص فيلوثاوس فرج أن يرشدنا كيف نقرأ و نتأمل الكتب المنزلة بسيكولوجية التفكر الداعي لتركيز التلاقي الودي بين الديانتين و هو ليس ذلك الباحث عن تعابير و تفاسير الخلاف اللغوي فيما يتعلق بالتثليث والتوحيد والتحريف و الأبوة القدسية فالقرآن لا يخالف الإنجيل بل جاء داعماً له ، و ليكن ديدننا أن الديانتين السماويتين تتوافقان و لا تتطابقان و هذه حكمة الله، فما أحوجنا إلى تعميق هذا المفهوم في بلادنا و نحن نتجه إلى التعايش الديني و قبول الآخر فعلاً لا قولاً.

أخي فيلوثاوس مرحباً بك بيننا في وطنك السودان فكراً و قلماً مجاهداً لتحقيق هذه الأهداف السامية، و إذا كنت تدعو الناس أن يداوموا على حبك فقد سبقتك في هذا الإتجاه العاطفي ، إذ قلتُ في أغنيةٍ لي غناها الفنان الكبير عثمان حسين أطال الله في عمره داوم علي حبي و اسأل عن قلبي ما تفكر تنساني و أنا أحبــك و لا أنســـــاك

بروفسور تاج السر دوليب
جائزة الدولة للابداع الفني الشعبي

٥- عندما تقرأ للأب فيلوثاوس تشعر أنه يقدم لك مرآة صادقة فيها الفن والذوق الأدبي الرفيع و فيها مائدة تحوي السلام والحب و الأخاء و فيها جسر من المودة و التسامح، و فيها حكمة الشيخ و حيوية الشباب و فيها العمل والبحث و الجدية والتواصل المتأصل، يتملكك شعور و أنت تقرأ بأن الكاتب ليس غريباً عنك بل هو قريب منك ... و كفي و لهذا وجب على أن أحيى هذا الكاتب الوقور المكافح النشط الأب فيلوثاوس و هو يرسي دعائم المحبة والسلام و يرسم لوحة فنية صادقة في إمتداد مساحات الود والإحترام بين المسيحية والإسلام و كتاباته هي لوحة تؤصل و تؤرخ للتوادد و المحبة وتبني جسوراً من الثقة والأمل بين أهل السودان جميعاً،

بروفسور عبد الهادي محمد عمر تميم
خبير أول معهد الخرطوم الدولي
للغــــــــة العربيـــــــــة

٦- مرحباً بالأب فيلوثاوس فرج في منتدي حوار المتدينيين و حوار الأديان و حوار الحياة و حوار النُخب و العقول و بالحوار تكسب المعرفة و يتقدم الإنسان و يتحقق مقصد كرامة الإنسان، و هو في كتاباته يخرج

عن الأدب المألوف فحوار المتدينيين حوار قائم على الألفة و الجيرة و العيش المشترك و عبادة الرب الواحد الله جل جلاله إلي حوار أصعب و أشد مراساً يدخل إلى عالم اللاهوت بما فيه من مصطلحاتٍ ومعانٍ و خطابٍ متشابه بجمال اوجهه في محاولة لإيجاد مقارنة ما بين التوحيـــــد والتثلـــيث مستخدماً بعض آيات القرآن و الكتاب المقدس و الفلسفة وعلم اللاهوت ، و مما يبدو لي أن لكــــــل كتاب و لكل دين شخصيته التي قوامها النص و النقل و تراث هذا الدين ، و كما يقوم الإسلام علي التوحيد فإن المسيحية تقوم علي توحيد تثليثي (الأقانيم) في مقارنة لجعل الأقنوم أشبه بالصفات عند المسلمين أو أسماؤه الحسني، و يعجبك سعي الأب فرج وسط آيات القرآن و معرفته بهذا الديــــــن ؟ و لم لا ؟ و هو المسيحي عقيدةً و مصيراً والمسلم ثقافة و تواصلاً و إجتماعاً.

بروفسور دكتورحسن مكي
أستاذ كرسي البحوث و الدراسات الافريقية
جامعة افريقيا العالمية

٧- إن للأب فيلوثـــاوس خصوصيته ككاتب و هـــو (ماشاء الله) الناشــــط دينـــياً و ثقافـــياً و سياسيـــاً و اجتماعياً و هو يحظي بموقع مرموق في ديانته المسيحية الأرثوذكسية القبطية و يتمتع بموقع القمص و الأب والكاهن كما له موقعه في حوار الأديان في بلده السودان و في فيدرالية السلام العالمية التي خلعت عليه في لقائها الجامع في العاصمة الكينية نيروبي في منتصف نوفمبر تشرين الأول ٢٠٠٥م و عن إستحقاق لقب " السفير العالمي للسلام " و من خصوصيات الأخ الكاتب الأب فيلوثاوس التي تُضاف إلي ذلك خصوصيته الثقافية التي جعلت منه كاتباً صحفياً يلاحق بقلمه شتي الموضوعات و عبر السنوات مما أتاح له فرصة إصدار عدد من الكتب و ذلك إلى جانب حضوره السياسي و

التشريعي في المجتمع فقد كان عضواً في المجلس الوطني (البرلمان) لمرتين في الفترة الأخيرة.

علي أن خصوصيته و حضوره الإجتماعيين أضافا لشخصيته و سيرته بعداً آخر عمق و رسخ في ذاكرة كُل من يعرف الأبعاد الأخري – حفظه الله – و أحسب أن كل هذا الكل المركب في شخصية الكاتب هو الذي يجعله مؤلفاً واقعياً في وطن متعايش و من صور ذلك التعايش أن السوداني المسلم لم يكن ليفرق بين أن يرسل إبنه في مقتبل العمر أو بنته لمدرسة الراهبات او الكومبوني أو اليونيتي و هي مدارس ذات طبيعة و خلفية تبشيرية كنسية – والسوداني المسيحي في غرب السودان في أن يبعث بإبنه لخلوة من خلاوي القرآن الكريم .

موسي يعقوب

صحفـــــي مخضـــــرم

و مؤلف صنديد

١. أيوب يهزم الآلام

آلام أيوب: كانت آلام أيوب كثيرة وعديدة فقد تعددت علة الإبتلاءات وتكاثرت ، بدأت التجارب بأن فقد كل ما يملك فى يوم واحد.. ثم ضرب بقرح ردىء من باطن قدمه إلى هامته حتى إنه أخذ لنفسه شقفة حجر ليحتك بها وهو جالس فى وسط الرماد لعله يشفى.. وبداية التجارب كانت تتوالى رسلا يحملون إليه أخبار النكبات وتفاصيل المصائب، البقر كانت تحرث والأتن ترعى بجانبها وفجأة هجم اللصوص عليهم وقتلوا الرعاة بحد السيف ونهبوا الثروة وتركوا واحداً لكى يبلغ..

وجاء رسول آخر وقال نار الله سقطت من السماء وأحرقت الغنم والغلمان وأكلتهم ونجوت أنا وحدى لأخبرك.. وجاء ثالث وقال: الكلدانيون فى ثلاثة فرق هجموا على الجمال وضربوا الغلمان وأردوهم مقتولين وبقيت أنا وحدى لأخبرك.. أما الرسول الآخير ففجر خبراً قاسياً لأن كل شىء من الثروات يمكن أن تعوض ، لقد أتى بجهاد أيوب وذكاء إدارته ويمكن أن يعود ، ولكن قسوة الخبر الآخير فى أن ما فقد لا يمكن أن يعوض ، فلقد كان أبناؤه وبناته ، وكلهم عشرة فى بيت أخيهم الأكبر، وإذا ريح شديدة جاءت من عبر القفر وصدمت زوايا البيت الأربع وسقط البيت على كل نسل أيوب وماتوا جميعاً ولم ينج أحد سوى رسول الأخبار..

ولما كانت المأساة قاسية ، فإن أيوب مزق جبته وحلق شعر رأسه وخرّ على الأرض ساجداً يستدر مراحم الله الذى لا إعتراض على أحكامه ، وقال : عرياناً خرجت من بطن أمى وعرياناً أعود إلى هناك.. الرب أعطى والرب أخذ فليكن إسم الرب مباركاً.. فى كل هذا لم يخطىء أيوب ، ولم ينسب لله جهالة..

هزيمة الآلام : نحن كثيراً ما تهزمنا الآلام ولكن أيوب هو الذى هزم الآلام، رغم أن الأصدقاء الثلاثة وبعدهم الصديق الرابع كانوا يعتقدون إن أيوب هزمته الآلام ، لقد كان فى مأساة.. ولقد إنتظر المواساة.. ولكن العزاء كان ضعيفاً حتى قال أيوب معزون متعبون كلكم.. ومرة أخرى أطباء متعبون كلكم..

وهنا ربط بين العزاء والطب، وهنا وضع أيوب الأسس الأولى لعلم جديد هو طب العزاء.. لقد هزم أيوب الألم ، ولكنه كان يتساءل لماذا حدث هذا ؟... والسؤال ليس محرماً عليه.. من فينا فى موضعه لا يسأل ؟.. والأطفال لا يكلون من السؤال ولا يملون من علامة الإستفهام ، لماذا وهذا السؤال يصبح مريراً كلما تقدمت بنا الأيام ، الأطفال يستغربون من كل شىء.. ويسألون عن كل شىء.. وأحياناً يسألون

دون أن يعطوا لأنفسهم فرصة سماع الإجابة ، لأن سؤالا آخر بل أكثر في الإنتظار..

والبالغون يسألون عن معنى الألم.. ويتعامل كثيرون مع العلة والمعلول ، السبب والنتيجة ، ومع ذلك هناك بعض النتائج التي لا نستطيع أن نجد لها سبباً واضحاً.. وكذلك بعض الأسباب التي لا تؤدي إلى النتائج المنتظرة.. عندما تتعرف على مركز أيوب الإقتصادي ومكانة الثروة وحجمها عنده ، تعتقد إن هذا يؤدي إلى حياة سعيدة ، ولكن رغم إن هذا حدث ، فلقد كان لبعض الوقت.. ولكن ما عاناه أيوب من خسارة وألم ليس سبباً في صدمته هو ، بل في صدمتنا نحن.. أي شيء من الخير لم يصنعه أيوب الذي كان يقدم المحرقات ذبائح سرور أمام الله ويقول : ربما أخطأ بني وجدفوا على الله في قلوبهم.. إن أيوب لا يعرف ما في القلوب ، ولكنه يخشى على أولاده من خطايا القلب.. لقد كان أيوب فعلاً كما قال عيناً للأعمى ، ورجلا للأعرج ، ومعاوناً للمعدمين ، ومعزياً للمعذبين .. ومسانداً للناس، مشبعاً لجياع ، مالئاً فراغ البطون من خلال ثروته وفراغ القلوب من إيمانه ونقائه ..

وعندما قال وهو ساجد : الرب أعطى والرب أخذ ليكن إسم الرب مباركاً ، كان يعني ما يقول .. وكان قد سلم حياته للرب ، وهذا لا يمنع أن يكون أيوب قد تعلم دراسة أخرى.. لقد تعلم في جامعة الحياة.. والألم هو دراسات فوق الجامعية.. دراسات عليا ، فالألم تزكية وتنقية وتطهير من كل تلوث روحي ، ودخول إلى مستوى التأمل والإنسكاب امام الله.. ونحن نحتاج إلى أن نهزم الألم بدلا من أن يهزمنا الألم ، لأننا في عصر السرعة في كل شيء ، فقدنا القدرة على الإنتظار وأعتقدنا إننا نقدر أن نتعلم الصبر بسرعة العصر..

ويفوتنا هنا التناقض بين الصبر والتعجل ، ويأتي الألم على رأس قائمة ما نحتاج اليوم ، فنحن نريد علاجاً سريعاً لكل شيء.. من ألم الأسنان إلى الأزمات القلبية.. ورغم إن أوجاعاً كثيرة عند الإنسان تحقق لها الشفاء ، فلم تزل هناك أوجاعاً أخرى.. المهم هنا أن نفهم معنى الألم.. وأن لا نترك الألم يهزمنا بل نهزم الألم مثل أيوب في الأمل برجاء قوي في إله عظيم ، لا يتركنا لنجرب فوق ما نستطيع ، بل يعطي التجربة ومعها المنفذ..

٢ . كتاب أيوب قصيدة شعر

كتاب أيوب : يسجل سفر أيوب قصة أيوب ، وهى قصة حقيقية متماسكة متصلة، تتوفر فيها كل عناصر الحبكة القصصية ، وإنسجام الشخصيات مع سياق القصة ، والسفر كله يقدم لنا إطاراً أدبياً رائعاً. وهو فى أسلوبه وتركيبه ليس نافعاً للتعليم الروحى فحسب ، ولكنه قطعة بليغة متكاملة من الفن الأدبى، وهو سفر يعود إلى عصر الآدباء الأولين أو العصر البطريركى ، فيما يقترب إلى عشرين قرناً قبل ميلاد السيد المسيح.. ووقعت أحداث القصة فى منطقة عوص التى تقع على الجنوب الشرقى من فلسطين.. والتى يؤكد البعض إنها سلطنة عمان الان.. وهذه البقعة هى مكان خلوى مكشوف بين الجبال والأودية والذراعى والقرى ، حيث العلاقات بين الإنسان وأخيه الإنسان ، علاقات بدائية وبسيطة وتلقائية ، وحيث يرق الحس الإنسانى ويتسامى بوجود الله أكثر وضوحاً منه فى حياة المدن والدول.. وفى عصر الآباء كانت العائلة هى الوحدة الإجتماعية المتآلفة المترابطة ، ويظهر ذلك فى شكل العبادة وعناصرها الأولى والطقوس الدينية فى أبسط صورها، حيث كان رأس العائلة هو الكاهن ، فلقد كان أيوب يقدم ذبائح عن أولاده السبعة.. فلقد كان أعظم بنى المشرق وكانت عظمته فى محاولاته اليومية لإرضاء الله..

وكان أولاده سبعة بعدد أيام الإسبوع، وكل يوم تُعد وليمة يدعى فيها كل الأولاد والبنات الثلاث.. وكان أيوب كلما دارت أيام الوليمة ، يرسل ويقدسهم ويبكر فى الغد ويصعد محرقات عشر على عدد أولاده العشر ويقول : ربما أخطأ بنى وجدفوا على الله فى قلوبهم ..

وهكذا كان يفعل أيوب كل الأيام.. وتقع أحداث القصة خارج منطقة أورشليم.. خارج حدود بلاده ، ويمتد الكاتب بفكره خارج حدود البلاد، وهذا إن كان الكاتب عبرانياً حسبما يفترض البعض ، بينما يرى آخرون إنه عربى الأصل من واقع إسمه ، والذى يعنى الأداب أو التائب..

وعلى العموم فإن الشيطان المذكور فى مقدمة قصة أيوب ، والذى عندما مثل أمام الرب عائداً من الجولان فى الأرض والتمشى فيها ، دخل فى حوار جرىء مع الله ، بأن أيوب لا يحيا فى خشوع العابدين مجاناً ، بل لأنه يتمتع بميزات متعددة من الله ، وسمح للشيطان أن يجرب أيوب فيما يملك ، ويرى هل سوف يظل الرجل صامداً صابراً..

ويوصف الشيطان هنا ببراعة ليس على إنه المجرب الخبيث المعادى للجنس البشرى ، بل إنه روح من التشكيك الصفيق، السخيف الذى يقيس كل شىء

بمقياس المنفعة الشخصية ، بل إن زوجة أيوب بتصرفها القاسى فى أن تجعل من بلواه قضية شخصية مع الله ، لم تكن فى ذلك غريبة عما هو معروف عن العنصر النسائى..

وفوق كل هذا تتجلى شخصية ايوب بكل التغيرات العاصفة فى مزاجه ، وبكل هذه السلسلة من التوكيد والإعتراض وتزايد القناعات الجديدة ، تظل هى ، نفس الشخصية دون أى تغيير ، ولا يمكن أن تتغاضى عن الجرأة الرشيدة فى تقديم كلمات الله بمثل هذه الطريقة الرائعة فى عبارات دقيقة عميقة ، تسمو فوق كل أفكار ومقاييس البشر.. وسفر أيوب ، سفر نفيس، يمتلىء بالعظات البليغة من خلال مأساته الشخصية..

قصيدة شعرية : وسفر أيوب هو اول الأسفار الشعرية فى العهد القديم.. والسفر كله قصيدة شعر باللغة العبرية ، ويرى جورج زيدان إنه فى الأصل شعر عربى، عندما إندثر حفظه الشعر العبرانى.. وكلمات السفر كلمات شعر عميقة معبرة تتجنب سكون الهدوء وترقص طرباً حتى فى وصف الألم ، حيث يختبىء وراء الألم إله قدير ، يشاركنا فى ضيقاتنا ويمسح كل دمعة من عيوننا..

والأدب الرفيع ليس فى كلمات أيوب فحسب ، إنما فى تعزيات الأصدقاء الثلاثة الحكماء المثقفون الذين طالبوه أن يشكر الرب لأنه تجرب.. وغبطوه لأن الرب هو الذى جربه ، وهنا نذكر فى الإصحاح الخامس من أيوب القطعة الأدبية التى قالها صديقه أليفاز التيمانى والتى تعد حتى الأن قصيدة شعر تطالب كل مؤمن أن لا يعترض على الإبتلاء ، حيث يقول : هوذا طوبى لرجل يؤدبه الله ، فلا ترفض تأديب القدير لأنه هو يجرح ويعصب يسحق ويداه تشفيان ، فى ست شدائد ينجيك، وفى سبع لا يمسك سؤ.. فى الجوع يفديك من الموت، وفى الحرب من حد السيف.. من سوط اللسان تختبأ ، فلا تخاف الخراب إذا جاء.. تضحك على الخراب والمحل.. ولا تخشى وحوش الأرض.. لأنه مع حجارة الحقل عهدك ، ووحوش البرية تسالمك.. فتعلم إن خيمتك آمنة ، وتتعهد مريضك ولا تفقد شيئاً.. وتعلم إن زرعك كثير وذريتك كعشب الأرض ، تدخل المدفن فى شيخوخة كرفع الكدس فى آوانه.. ها أنّ ذا قد بحثنا عنه.. كذا هو .. فأسمعه وأعلم أنت لنفسك..

٣.النثر والشعر فى سفر أيوب

سفر أيوب: يأخذ سفر أيوب مكانة فى الكتاب المقدس فى أول الأسفار الشعرية أى صيغت من شعر وكتبها شعراء.. والأسفار الشعرية فى الكتاب المقدس هى بعد سفر أيوب : المزامير والأمثال والجامعة ونشيد الأنشاد..

وأريد أن أضم إليها سفر أشعياء.. لأن أشعياء هو شاعر عبرى ، تغنى أهل كوش بشعره الجميل ، وهناك علاقة أدبية ما بين الكوشى الأسود بعنخى مؤسس المملكة المتحدة فى مصر والسودان وبين أشعياء صاحب العبارات التى ترفع المعنويات ..

وفى الأسفار الشعرية توجد قطع كتبت نثراً.. والشاعر عندما يكتب نثراً يرى الأعمى بيوت شعره ، معنى ومبنى ، وتسمع نبرات الشعر من به صمماً ، وبالنسبة لسفر أيوب فإن مقدمة السفر الإصحاحان الأول والثانى ، وبعض الأعداد القليلة من الإصحاح الثانى والثلاثين ، الأعداد الستة الأولى ، وخاتمة السفر كلها كتابات نثرية..

ولكن يبقى باقى الكتاب نسيج شعرى مثلما أمثال سليمان وسلسلة من الأبيات المتصلة ذات الشطرتين.. وقد نظمت بطريقة رائعة تناسب هذه المفاهيم الرفيعة والأقوال الملتهبة .. وإذا لم يكن الشعر ملتهباً فكيف يعبر عن مشاعر الإنسان ؟..

إن الشعر فى سفر أيوب ليس فى كلمات أيوب فقط ، إنما فى كلمات الأصدقاء ، والسبب إن هؤلاء الأصدقاء كانوا شعراء أو لديهم ثقافة شعر عميق.. هذا وعندما نعلم أن أيوب هو الذى كتب سفره ، وهو الذى كتب كلامه مع كلام الرفاق ، فقد صاغ الكل شعراً.. وبنفس قامة الشاعر الرقيق تحمل أيوب زوجته التى طلبت منه أن يسلم القضية الإيمانية وينكر إيمانه بالله ، وطلبت منه أن : بارك الله ومت.. ولكنه فى كل هذا حتى لم يجرح مشاعر إمرأته ، إلا إنه قال لها : تتكلمين كإحدى الجاهلات ، الخير من عند الرب نقبل والشر لا نقبل ؟..

ولأن الشاعر حساس يفهم أبعاد الكلمات ، ويفتش أعماق النبرات ، فإنه فى كل هذا لم يخطىء أيوب ولم ينسب لله جهالة ، غير إنه كان يعاتب الله ويسأله قائلا له: لا تستذنبنى ، فهمنى لماذا تخاصمنى ؟ (أيوب ١٠ : ٢)..

قطع نثرية : والنثر فى سفر أيوب له روعة الشعر وجمال كلماته ، وهذه بعض القطع التى كتبت نثراً :

١. وكان ذات يوم أن جاء بنو الله ليمثلوا أمام الرب ، وجاء الشيطان أيضا فى وسطهم.. فقال الرب للشيطان : من أين جئت ؟. فأجاب الشيطان الرب وقال : من

الجولان فى الأرض والتمشى فيها .. فقال الرب للشيطان : هل جعلت قلبـك علـى عبدى أيوب ؟.. لأنه ليس مثله فى الأرض رجل كامل ومستقيم ، يتقى الله ويحيـد عن الشر؟ .. فأجاب الشيطان الرب وقال : هل مجاناً يتقى أيوب الرب ؟ أليس لأنك سيجت حوله وحول ماله من كل ناحية ؟.. باركت أعمال يديه فإنتشرت مواشيه فى الأرض ، ولكن أبسط يدك الأن ومس كل ماله فإنه فى وجهك يجدف عليك.. فقـال الرب للشيطان : هوذا كل ماله فى يدك وإنما إليه لا تمد يدك.. ثم خرج الـشيطان من أمام وجه الرب..

٢. وكان ذات يوم إنه جاء بنو الله ليمثلوا أمام الرب ، وجاء الشيطان أيـضا فـى وسطهم ليمثل امام الرب ، فقال الرب للشيطان : من أين جئت ؟.. فأجاب الشيطان الرب وقال : من الجولان فى الأرض ومن التمشى فيها ، فقال الرب للـشيطان : هل جعلت قلبك على عبدى أيوب لانه ليس مثله فى الأرض رجل كامـل ومـستقيم يتقى الله ويحيد عن الشر ، وإلى الأن هو متمسك بكماله ، وقـد هيجتنـى عليـه لأبتلعه بلا سبب.. فأجاب الشيطان الرب وقال: جلد بجلد وكل ما للإنـسان يعطيـه لأجل نفسه ولكن أبسط الآن يدك ومس عظمه ولحمه فإنه فى وجهك يجدف عليك.. فقال الرب للشيطان : ها هو فى يدك ولكن إحفظ نفسه..

٣. فكف هؤلاء الرجال الثلاثة عن مجاوبة أيوب لكونه باراً فى عينى نفسه ، فحمى غضب أليهو على أيوب وعلى أصدقائه الثلاثة لأنهم لم يجدوا جوابـاً وإسـتذنبوا أيوب وقال : أنا صغير فى الأيام وأنتم شيوخ لأجل ذلك خفت وخشيت أن أبدى لكم رأيي ، ولكن ليس الكثير والأيام حكماء ، ولا الشيوخ يفهمون الحق..

٤. فأجاب أيوب وقال للرب : علمت إنك تستطيع كل شىء ولا يعثر عليـك أمـر.. بسمع الأذن قد سمعت عنك والآن رأتك عينى.. وقال الرب لأليفاز التيمـانى : قـد إحتمى غضبى عليك ، وعلى كلا صاحبيك لأنكم لم تقولوا فـىّ الـصواب كعبـدى أيوب.. ورد الرب سبى أيوب لما صلى لأجل أصحابه ، وزاد الرب على كل ما كان لأيوب ضعفاً ، وبارك آخرة أيوب أكثر من أولاه.. ورزق من جديد سبع بنين وثلاث بنات ، لم توجد نساء جميلات مثلهن ، وعاش أيوب بعد التجربة مائـة وأربعـين عاماً أخرى..

٤.هل كان أيوب عربياً ؟

أيوب الصابر: يأتى سفر أيوب فى الكتاب المقدس مثلا للصابرين الذين عندما تدق التجربة أبواب حياتهم لا يرتبكون ، وإنما ينتظرون بهدوء عمل الرب.. وقصة أيوب هى قصة واقعية ،ورغم إن البعض قال : إنها من أساطير الشعوب وخيالهم ، ولكنها واقع أروع من الخيال..

وقد ذكر أيوب فى سفر حزقيال ١٤:١٤، ٢٠ على إنه شخصية حقيقية كما إن يعقوب رسول الكلمة فى العهد الجديد طالب أبناء المسيحية أن يقتدوا بأيوب وبصبره طالباً منهم أن يتأنوا دون أن يئنوا ، لا يئن بعضكم على بعض أيها الإخوة لئلا تدانوا.. هوذا الديان واقف قدام الباب ، خذوا يا إخوتى مثالا لإحتمال المشقات والآناة ، الأنبياء الذين تكلموا بإسم الرب .. ها نحن نطوّب الصابرين ، قد سمعتم بصبر أيوب ورأيتم عاقبة الرب ، لأن الرب كثير الرحمة ورؤوف (يعقوب ٥)..

أما عن إسم أيوب نفسه فقد قال البعض : إنه إسم عبرى يعنى هدف العداوة ، بينما يرى باحثون إن أيوب هو إسم من أصل عربى من آب يؤوب بمعنى التائب الراجع إلى الله.. وهذا ما يؤكد كلامنا عن إن أيوب كان شاعراً عربياً بل إن أيوب كان يسكن فى أرض عوص التى هى الأن سلطنة عمان..

وعندئذ أجاب : بأن قبر أيوب موجود حتى الأن فى سلطنة عمان وإنه يتميز بأنه قبر طويل وعريض وهذا يعنى إنه كان رجلا عملاقاً، ويعنى أيضاً إن أهله عندما دفنوه لم يضيقوا عليه المكان وإكتفوا بالضيقة الكبيرة التى تضايق بها أيوب عندما فقد فى يوم واحد كل ما يملك من ثروة..وقد كان ثرياً. وكل أفراد أسرته.. وقد كان له سبعة أولاد وثلاث بنات..

ويومها قلت للسفير : بأن ضخامة القبر لها سببها الحقيقى وهو إن الناس زمان قبل الميلاد كانوا عمالقة لهم أجسام ضخمة ، ولم يكن هناك سبب يدعو إلى تخفيض الأوزان.. فقد كان الإنسان ضخماً والحيوان ديناصوراً ولكن تراجع الأمر وحصل تخفيض كبير فى حجم الحيوان والإنسان ، حتى وصلنا الأن إلى أحجام صغيرة عند بعض الأجناس ، تجعل السرير الواحد يحتمل أكثر من واحد..

وأيوب له مكان كبير فى الكتاب المقدس وقد وضع ضمن ثالوث قوى له دالته عند الله ، وقد كانت كلمة الرب إلى حزقيال قائلة : ياإبن آدم إن أخطأت إلى أرض وخانت خيانة فمددت يدى عليها وكسرت لها قوام الخبز وأرسلت عليها الجوع وقطعت منها الإنسان والحيوان ، وكان فيها هؤلاء الرجال الثلاثة : نوح ودانيال وأيوب.. فإنهم إنما يخلصون أنفسهم ببرهم يقول السيد الرب..

ويستمر قول الرب إنه إن عبرت وحوش رديئة وصيرت أرضاً ما خراباً ، وأثكلوها وفى وسطها هؤلاء الثلاثة فإنهم لا يخلصون بنين وبنات بل هم وحدهم يخلصون.. وتعنى رسالة الرب إلى حزقيال فى الرابع عشر من سفره : إنه رغم مكانة هؤلاء الثلاثة ، فإن الشر سوف يدمر الأرض ، والثلاثة رجال الأبرار لن يضاروا ولن تلمسهم أذية ، إنما لن تقبل شفاعتهم..

عروبة أيوب: ويطرح الأديب جورجى زيدان أو جرجس زيدان طرحاً جديداً فى كتابه " تاريخ آداب اللغة العربية " المجلد الأول الصادر عن منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت ١٨٨٣.. وعند حديثه عن آداب اللغة قبل الإسلام بل قبل التاريخ ، وهو يرى أن العرب هم من أسبق الأمم إلى المدنية والعلم ، وهم أقدم من وصلت إلينا شرائعهم وقوانينهم ، ويؤكد ذلك بما وصل إلينا من شريعة حمورابى عملاق العراق ..

وبهذا يقول : إن العرب هم أسبق أمم الأرض إلى سن الشرائع وتنظيم العلم وتنشيطه وإشعال نار قوته ، وإنهم بلغوا فى نظام الإجتماع ما لم يبلغه إليه معاصروهم ، ثم يتحدث سفر أيوب ويقول : إنه مما يُعد من قبيل آداب العرب فى العصور القديمة ، سفر أيوب ، ويرى إن صاحب هذا السفر فى التوراة عربى الأصل ويقول : إن هذا هو رأى أهل التحقيق ..

وإن سفر أيوب هو كتاب عربى مبين كتب شعراء فى نحو القرن العشرين قبل الميلاد ، على أثر نزوح الحمورابيين من بين النهرين ، ثم ترجم إلى العبرانية وعدّ من الأسفار المقدسة وضاع أصله العربى ، كما ضاع أصل كليلة ودمنة الفارسى .. وإذا ثبت عربية سفر أيوب كان العرب أسبق الأم إلى قرض الشعر لأنه نظم قبل إلياذة هوميروس بألف سنة ، وقبل مها بهارته الهند بعدة قرون..

٥. أيوب الشاعر العربى

جورج زيدان : لقد صرت ميالا إلى رأى الأديب جورج زيدان وهو عربى أكثر من العرب ولم يضارعه فى الإعتزاز بعروبته إلا قداسة البابا الأنبا شنودة الثالث ، الذى رفض أن يدخل القدس إلا مع العرب..

ورأى جورج زيدان يقول : إن أيوب هو شاعر عربى ، وإن سفر أيوب كتب أولا باللغة العربية.. ويتغزل زيدان فى محبوبته اللغة العربية ويرى إنها أجمل لغات

العالم ، ولو كان زيدان بيننا الأن وسمع البنات الجميلات المذيعات وهـن يلـوين ذراع الكلمات ، وتضيع التشكيلات اللغوية ، فلا رفع لمبتـدأ ولا نـصب لخبـر ، لإعترض على هذا وأوقف معركة البنات الجميلات مع لغتنا الجميلة ، وإنتصر للغة العربية ، وطلب من الجميلات المذيعات ، بل لطلب من المذيعين ومن أهل الإعـلام أن يترفقوا باللغة العربية التى تألم من أجلها بروفسور عبد الله الطيب وقـال : إن للغة العربية إله يحميها ويحافظ عليها على مستوى إنا أنزلنـا الـذكر، وإنـا لـه لحافظون.. وأرجو أن أقول : إن الذكر لا يقصد به فقط القرآن الكريم ، إنما أيـضا التوراة والإنجيل ، وهما دوماً فى حفظ الله..

وهنا يُعد من يتهم أحدهما أو كلاهما بالتحريف أو التزوير.. إنما يتكلم ضد حفظ الله وعنايته وضد ضابط الكل الذى لا يسمح لمخلوق أن يتجنى على حق كلمة الله.. وتحدث جورج زيدان عن اللغة العربية وعن خلفية أبنائها وحضارتهم والتى تظهر فى أمثالهم وعباراتهم ونثرهم وشعرهم وأحاجيهم وفنـونهم العقليـة والأدبيـة ، وإرتقاء أذهانهم وسمو مداركهم ..

وإن من بينهم من قال بمذهب الاإرادية والتى تعنى أن تفسيرهم للأمور هو لا أدرى إيماناً بأن هناك قوة عظمى لم يتم إكتشافها حيث يقول جندب بن عمرو : إن للخلق خالقاً لا أعلم من هو ؟.. هذا فى عهد الوثنية .. أما فى العـصر المـسيحى للعرب فإن الأعشى يقول : أستأثر الله بالوفاء وبالعدل وولى الملامة الرجلا ، وهو كلام يحاول أن يرفع التبعة عن الإنسان..

ويرى زيدان : إن العرب البدو شركاء البيادى الفسيحة وعشراء الجمال ، وسكنة الصخور والرمال ، هم أساس التمدن الحديث، وإن العرب فى جاهليتهم أعطوا ألقاباً للنابغين ، فالنابغ فى الشعر شاعر.. والنابغ فى الحديث إلى الناس خطيباً ، والـذى يتميز بفك الإشتباكات وفض النزاعات حكماً.. وصاحب الفضائل كاملا.. والمـتعلم علامّة.. والمتبحر فى الفلسفة بحراً أو يصغر إلى بحيرة.. والحكيم فيلسوفاً.. ولهذا يرفض زيدان الإستخفاف بعرب الجاهلية أو الإستعلاء عليهم..

أيوب الشاعر : وكان أيوب والذى يرجع إلى القرن العشرين قبل الميلاد ، أديبـاً لبيباً.. كانت كلماته شعراً عربياً منظم القوافى ، جيد الصياغة .. ولقد صاغ أيـوب كشاعر مشاعر الألم فى حياته ، وقال كلمات قصائد شـعر عربيـة ، وإهـتم بهـا العبرانيون ، وجعلوها أبيات شعر عبرية.. وبيت الشعر هو مكان حلو آمن ، يسكن إليه الإنسان وسط تيه هذا الزمان ويقيه حر الصيف ، وبرد الشتاء ويعطيـه دفئـاً روحياً ناعماً.. وحلماً رقيقاً حتى يتحمل الألم.. ويفهم معناه ويعلم أن مدرسة الألـم هى نفسها مدرسة الأمل..

وإن الألم ليس دوماً عقاباً على الخطيئة.. وليس النجاح مكافأة للصلاح ، وإن الذين يحبون الله لا يأخذون تميزاً خاصاً ، ولا يتم إعفاؤهم من المتاعب .. وإن الألم يقود إلى التعمق فى معرفة الله.. وإن الشيطان لو حاول أن يضع أسفيناً بيننا وبين الله ، فإن الله لا ينسانا.. ولا يتركنا لهجمات الشيطان المتمرد الذى يتخطى الحدود التى وضعها الله له..

ونحن وإذا كنا لا نستطيع أن نتحكم فى كيفية هجوم الشيطان فإننا نتحكم فى ردود الفعل علينا ، لأننا لا نشك فى صلاح الله.. وفى شعر أيوب حديث عن الله يفيض نعمة وعذوبة فهو يقول : أسأل البهائم فتعلمك ، وطيور السماء فتخبرك ، وكلم الأرض فتعلمك.. ويحدثك سمك البحر.. من لا يعلم من كل هؤلاء إن يد الرب صنعت هذا ؟.. الذى بيده نفس كل حى ، وروح كل البشر.. أفليست الأذن تمتحن الأقوال ؟ كما ان الحنك يستطعم طعامه ؟..

عند الشيب حكمة وطول الأيام فهم.. عنده الحكمة والقدرة ، له المشورة والفطنة.. يكشف العمائق من الظلام ، ويخرج ظل الموت إلى النور (أيوب ١٢).. وطبعاً لكم أن تستخرجوا من هذا الشعر ، البلاغة والكناية والتشبيه.. والجناس والطباق.. وروعة الكلمات.. وأرجو ان تتذكروا إنه قال هذا فى أقسى وقت مرّ به، عندما فقد كل شىء، ولكنه لم يفقد صداقته مع الله الحكيم القدير المشير الفطين..

٦. ملحمة أيوب

دراما أم ملحمة : وردت قصة أيوب فى الأدب العبرى .. ويقولون إن القصة قد كتبت شعراً عربياً رصيناً فى العصر الذى إتهموه ، وقالوا العصر الجاهلى ، وبحسب رأى طه حسين وجرجس زيدان لا يوجد ما يسمى العصر الجاهلى ، أو إنه على الأقل لم يكن العصر الجاهلى جاهلياً، إنما له خلفية عميقة ، لأن العرب أصل البيداء.. والبيداء مركز التأمل والتعمق..

وكانوا يعملون بالرعى .. وكان بين الرعاة من يقرضون الشعر، وينشدون الأناشيد.. ولقد ترنم داوُد النبى فى تأملات عذبة ، صارت كتاباً فيما هو الزابور سفر المزامير.. وكلمة ملحمة ودراما هى فى الأدب اليونانى .. وترى دائرة المعارف الكتابية إن سفر أيوب فى تركيبته التى أمامنا لا يمكن أن يسمى دراما حقيقة ، لأنه نوع من المناظرات التى لا تصلح تماماً للعرض الدرامى ..

ولكن يمكن أن يسمى سفر أيوب " ملحمة الحياة الداخلية ".. ويعتبر السفر قصة متصلة ، يتخلل ثناياها الحوار الشعرى الذى وإن كان يطغى على الأحداث إلا إنه رغم ذلك فيه حركة الأحداث الواقعية واهميتها.. إنه مخطط موجز للأحداث، إنه إختبار داخلى لإنسان واحد وهو ينهض من أعماق الظلمة الروحية والشك إلى آفاق متسعة جديدة من الإستنارة والإيمان.. الشخصية القوية الواقعية المحورية فى سفر أيوب هى شخصية أيوب والباقى شخصيات ثانوية ذات أدوار هامشية ..

لقد خرج أيوب من ملحمة أيوب بفوائد روحية أهمها حتى وإن كان لا يجد الإجابة عن لماذا تألم ؟.. ولكنه يعلم ويتأكد إن الله معه ولم يتخلى عنه فى تجربته، بل هو الذى سمح بها ليؤكد إن أيوب رجل دين متدين قوى متحمل.. وإنه كان يعبد الرب لأجل الرب ، وليس لأجل عطايا الرب ، كما إحتج عليه الشيطان .. ولقد إنتهى المر بأن صار أيوب شفيعاً للرفاق.. وصارت تعزيات الرفاق ليست كما يليق لأنهم ضيقوا الخناق..

الرفاق ضيقوا الخناق على أيوب.. والرب لم يترك أيوب، لأن السفر ينتهى بأن الرب نفسه تحدث مع أيوب من العاصفة ، وقدم له عدة اسئلة وقال له : الآن أشدد حقويك كرجل.. وهنا إشتدت حقوى أيوب وتقوى بكلمة الرب ووقف وله أذنان للسمع ، وسمع كلام الرب الذى سأل أيوب : أين كنت يا أيوب حين أسست الأرض؟.. عندما ترنمت كواكب الصبح معها وهتف جميع بنى الله ؟.. هل فى أيامك أمرت الصبح ؟.. هل عرفت الفجر موضوعه ؟.. هل إنتهيت إلى ينابيع البحر أو فى مقصورة الغمر تمشيت ؟.. هل إنكشفت لك أبواب الموت أو عاينت أبواب ظل الموت ؟.. هل أدركت عرض الأرض أخبر إن عرفته كله..

ملحمة الإنتصار: لقد كانت ملحمة أيوب ولم تزل ملحمة إنتصار.. معركة حربية قوية مع الشيطان الملتوى، ومع الأصدقاء المحبين الذين لم يفهموا التقنية، ولكنهم أصدروا حكماً فيها.. لم يختلف أيوب فى نظرته إلى الحياة مع أصدقائه الثلاثة ، ولكنه لم يستطع أن يفهم لماذا تألم هكذا وهو لم يصنع شيئاً يوجب هذه الآلام ؟.. الصديق الرابع أليهو قدم تفسيراً آخر للألم، بأن الله يمكن أن يكون قد سمح به لتنقية أيوب لكى يزكيه ، ويصفيه صفاء، وينقيه نقاء..

ولكن لم يكن فى هذا سوى تخفيف جزئى، بل إن الله نفسه لم يقدم لأيوب جواباً بل عوضاً عن ذلك أكد فكرة إن معرفة الله أفضل من معرفة الأجوبة.. إن الألم فى ملحمة أيوب إرتبط برغبة أيوب فى التوبة، والألم هنا يؤهلنا لخدمة الاخرين ، ومن الممكن أن يكون سببه هجوم الشيطان علينا بلا سبب سوى إننا نحب الله..

وعندما لا نعلم لماذا نتألم ينبغى أن نكون على إستعداد للإتكال على الله ، بالرغم من الأسئلة التى تظل بلا إجابة ، وهذه هى المحطة الوحيدة التى تشبه فيها نقاء الأطفال ، فهم يسألون ويلحون ويكررون السؤال ويبدو إنه لا يهمهم أن يسمعوا الإجابة ، المهم أن يسألوا فقط..

ولقد إنتصر أيوب على التجربة.. وإنتصر على تعليقات الأصدقاء الثلاثة التى لم تكن سوى ضغط عليه وعتاب شديد ، ولصق لتهمة الكبرياء به.. وإنتصر أيوب بحديث الله معه.. الله الذى يعتنى بنا.. ويعتنى بالثور الوحشى وحمار الوحش والفراء واللبوة والغراب.. الله الذى يعتنى ببيض النعام وفراخها ، وبينما النعامة تترك بيضها وتحميه فى التراب وتنسى أن الرجل ، رجل النعامة نفسها تضغطه.. وحيوان البر يدوسه.. وتقسو النعامة على أولادها كأنها ليست لها..

ولكن الله هو الذى يعتنى ويتم بهذه العناية تكاثر النعام .. ولهذا تضع الكنيسة القبطية بيض النعام على حجاب الهيكل تأكيداً لعناية الله بمن لا يُعتنى بهم.. إن ملحمة أيوب هى ملحمة إنتصار النفس المؤمنة بالله على الألم فى الحياة ، حتى تهزم الألم ونرسم دروب الإنتصار الروحى..

٧. خمس محطات فى قصة أيوب

دائرة المعارف: تعرض دائرة المعارف الكتابية حديثاً شيقاً عن سفر أيوب ، ذلك السفر الذى يتصدر كتب الشعر فى الكتاب المقدس.. والذى يقدم بالشعر كل المشاعر الروحية التى لأيوب وأصدقاء أيوب، ولإله أيوب العظيم الذى هو مبارك فى كل شىء.. مبارك عندما يعطى ومبارك عندما يأخذ.. ورغم إن الناس فى هذا الزمان يعتبر البعض فيهم إنه مجرّب أكثر من أيوب وواقع تحت إبتلاءات هذا الزمان الذى حبس نفسه فى الأحزان ، وصارت أخباره متفجرات تتفجر كل يوم نراها فى التلفاز ، وتقشعر لها الأبدان ..

لهذا الإنسان الذى صار فى بحر النسيان.. ونعتقد إننا صبرنا أكثر من أيوب، وإن أيوب يتعلم منا الصبر ولكن أعتقد إننا نحن المحتاجون أن نتعلم من صبر أيوب وأن نرى عاقبة الرب معه، وكيف أن الرب رؤوف ورحوم.. إن دائرة المعارف تضع خمس محطات لقصة أيوب :

١. البركة واللعنة : أيوب إنسان ثرى وناجح.. هو أعظم بنى المشرق.. قلبه من الداخل نقى ، حياته من الخارج مستقيمة طاهرة.. إنه يتقى الله.. يحيد عن الشر..

حياته مثال للبركات النموذجية.. غنى.. كرامة..صحة.. أسرة ممتدة.. زوجة أنجبت له عشرة أبناء.. وكان أيوب رجلا متديناً يخاف على أولاده لئلا يكونوا قد أخطأوا ويقدم عنهم الذبائح.. كان رضا الله والشركة مع الله جناحان يرفرفان على خيمة أيوب الآمنة.. كانت حياته فى رضى الله الذى غسل خطواته باللبن ، وسكب له من الصخر جداول زيت.. وقال أيوب عن نفسه : الأذن سمعت فطوبتنى، والعين رأت فشهدت لى ، لأنى أنقذت المسكين والمستغيث واليتيم ، ولا معين له ، بركة الهالك وقعت علىّ.. وجعلت قلب الأرملة يُسر.. لبست البر فكسانى كجبة.. كعمامة كان عدلى.. أصلى كان منبسطاً على المياه والطل بات على أغصانى ، كنت عيوناً للعمى وأرجلا للعرج.. أبٌ أنا للفقراء.. هشمت أضراس الظالم ومن بين أسنانه خطفت الفريسة ، كنت أختار طريق العظماء وأجلس رأساً وأسلك كملك فى جيش ، كمن يعزى النائحين.. ولكن أيوب هذا الآمن المطمئن ، تعرض لتجربة قاسية ، هى ريح عاتية هزت أركان بيته الأربع ، أركان البيت إهتزت ، ولكن هو نفسه لم يهتز.. ولم ينسب لله حماقة.. ولم يتحدث عن الله إلا مباركاً إسمه ، عندما أعطى وعندما أخذ.. وبينما بارك الله سبّ يومه.. يوم أيوب ، يوم ولادته..

٢. رهان فى السماء : والمحطة الثانية كانت رهان فى السماء.. الله بنفسه يراهن على أيوب لأنه يضمن أيوب ويعلم أكيداً بمقتضى إنه يعلم كل شىء وليس شىء عريان ومكشوف إلا أمامه ، بأن أيوب لم يحبه رغبة فى الخير ولا طمعاً فى عطايا الدنيا ، بل كان يحبه حباً قوياً حتى وإن زالت عنه كل خيرات العالم من مال وبنون..فإنه يظل يحبه ولا يلجأ لسواه ويلبس المسوح طالباً منه أن يتعطف عليه ويفهمه لماذا خاصمه ؟.. لقد تعرض أيوب لأقسى إمتحان.. وكان هذا إقتراحاً من الشيطان، ويذكر هذا سفر أيوب فى مشهدين فى محضر الله.. لم يرهما القارىء.. وايوب وكل سكان الأرض لا يدرون بهذين المشهدين.. مشهد لتقارير من الملائكة ومن الشيطان الذى يجد فى كل مكان منفذاً.. ويتحاور مع الله عن أيوب.. الله متأكد من كمال أيوب ولكن الشيطان يقول : إن كمال أيوب هو صفقة رابحة ، هو كامل لأن الله يسيج حوله بسياج.. هو لا يعبد ولا يتقى مجاناً.. إن الشيطان يرى إن هناك علاقة بين البر والكسب، وينكر وجود فضيلة فى الإنسان ، إنما حساب ربح وخسارة.. ويتحدى الشيطان الله.. ويتحدى ايوب الشيطان ويلتزم بكماله ، وعندما ترفع عنه الخيرات وتموت الثروة.. ويفقد المال والبنون يظل ملتزماً بكماله..

٣. الأصدقاء الصامتون: وفى المحطة الثالثة الأصدقاء الصامتون الذين أتوا لتعزية أيوب.. لقد تلاقوا معاً وقرروا أن يأتوا إلى أيوب يحملون العزاء.. وكانت التقاليد تقتضى بأن يحكى أيوب بلواه ، ثم يتحدث المعزون ، ولكن أيوب صمت ، وصمتوا

هم معه لمدة سبعة أيام كاملة.. وهنا تظهر فلسفة الحكمة فى سفر أيـوب.. فيمـا تحدث به الأصدقاء الثلاثة..

٤. تنامى إحتجاج أيوب: وأمام حديث الأصدقاء تنامى إحتجـاج أيـوب، وإرتفعـت نبراته وكانت كلماته هى مشاعر أسف رقيقة.. وإذا كان الدمار للأشرار ، والنجاح للأبرار ، وهم كانوا من الأبرار فلماذا الدمار ؟..

٥. محطة الإنتصار: فى المحطة الآخيرة كان إنتصار أيوب.. وكان حديث الرب إليه من العاصفة.. وقد شعر صديق أيوب الرابع بهذا.. وكان المهم هو الصوت الذى جاء من العاصفة.. القدير يتكلم مرتان إلى أيوب من خلال العاصفة.. ومحطة الإنتصار، هى محطة الإنسان الذى يتمسك بكمال الله، وعندما يصبر منتظراً خلاص الرب يسمع صوت الرب من وسط عاصفة هذا الزمان.. العاصفة التى لا يمكن أن تعصف بنا إذا كنا متمسكين بكمالنا فى الله وتقوانا فى الحياة معه..

٨. أيوب يدرك كنه الأحداث

تجربة أيوب: كان أيوب يحيا فى أمان وإطمئنان.. وقد إبتسمت له الدنيا وسالمته الليالى.. وعند صفو الليالى حدث الكدر.. وكان الكدر ألماً شديداً وتجربة قاسـية.. فى وقت واحد بل فى لحظة واحدة جاءته الأخبار تحمل الخسائر المتعددة فى ثروته الحيوانية.. وإختتمت بخسارة كبيرة فى الأبناء.. فلقد فقد كل الأبناء العشرة عندما وقع عليهم البيت أثر رياح عاتية هزت أركان البيت الأربع ، وهنا لم يقدر أن يقـل إن ما جاء فى الريش بقشيش.. أو إن جاتك فى مالك سامحتك.. لقد قست التجربة عليه.. وبعد ذلك وعندما كان جالساً على كومة من تراب فى ثوب ممـزق أصـيب بقروح فى كل جسمه جعلته منعزلا عن الناس ..

ورغم إن قصته لم يذكر فيها إنه ضايق زوجته ، فإن زوجته قـد تغيـرت بعـد التجربة وفكرت بجهل وطلبت منه أن يبارك الله ويموت ، وقـالوا : أن بـارك الله ومت ، هنا التى قالتها زوجة أيوب تعنى ألعن الله ومت ولا داعى لأن تتمسك بعـد بكمالك ولكن أيوب كانت له المقدرة على إدراك كنه الأحداث لأنه يؤمن إن الله هـو سيد التاريخ..

كنه الأحداث : لقد تعمق أيوب فى التجربة وأدرك ماذا تعنـى هـذه الأحـداث ؟ ووصل فى إيمانه إلى حالة ثابتة ونهائية.. بدأ بالتسليم لأمر الـرب الـذى أعطـى

والذى أخذ والذى هو مبارك فى كل شىء.. ثم أعلن : إنه له ولياً حياً .. وإن هذا الولى الحى هو الله.. وكيل الغافلين الذى لن يتخلى عنه.. كان قلبه كله رجاء وإذا كان للشجرة رجاء فكيف يفقد هو هذا الرجاء ؟..

وإن كان الإنسان مولود المرأة ، قليل الأيام وشبعان تعباً يخرج كالزهر وينحسم كالظل.. ولا يقف فإن الرجاء موجود.. لأن للشجرة رجاء إن قطعت تخلف أيضا ولا تعدم خراعيبها.. ولو قدم فى الأرض أصلها ومات فى التراب جذعها ، فمن رائحة الماء تفرخ وتنبت فروعاً كالغرس..

لقد وصلت رائحة الماء ليتنفس أيوب ويجتاز النار والماء.. ويخرج إلى الراحة.. لقد حمل أصدقاء أيوب نظرية ضد أيوب تحمّله مسئولية التجربة ويتهمونه بالخطأ الذى قاد إلى هذا الخراب .. ولكن أيوب وبإدراكه لحقيقة الأشياء هدم هذه النظرية وأثبت إن هذه التجارب هى طريق تزكية نحو الصفاء والنقاء..

لقد كان السبب الحقيقى لفزع أيوب إن الحقائق الواضحة فى الحياة وترتيب أمور العالم ، تثبت بطل كل ما يدعى الأصدقاء.. لقد حاولوا تبرير الله ولا مانع من هذا.. ولكنهم أسندوا الخطيئة إلى أيوب التى لولاها لِمَ حدثت الكارثة.. وقدم أيوب حلاً إيجابياً للأمور، وبدأ عندما صمت الأصدقاء ، وتحدث عن الله الحى قائلا: حى هو الله الذى نزع حقى والقدير الذى أمّر نفسى، أى وضعها فى المر.. إنه ما دامت فى نسمته .. ونفخة الله فى أنفه.. لن تتكلم شفتاى إثماً ، ولا يلفظ لسانى بغش..

حاشا لى أن أبرركم حتى أسلم الروح.. لا أعزل كمالى عنى.. تمسكتُ ببرى ولا أرخيه.. قلبى لا يغير يوماً من أيامى.. ليكن عدوى كالشرير ومعاندى ..لأنه ما هو رجاء الفاجر عندما يقطعه، عندما يسلب الله نفسه ؟.. ويستمر أيوب ليؤكد إن التجربة هنا هى للتمحيص ثم يتحدث عن الحكمة، وإنها أعظم من ذهب السودان..

وعند تزكية التجربة يقول : لأنه يوجد للفضة معدن ، وموضع للذهب، حيث يمحصونه.. الحديد مستخرج من التراب، والحجر يسكب نحاساً، أما الحكمة فأين توجد؟ وأين هو مكان الفهم ؟.. لا يعرف الإنسان قيمتها.. ولا توجد فى أرض الأحياء.. لا يُعطى ذهب خالص بدلها.. ولا توزن فضة ثمناً لها.. لا توزن بذهب أوفير أو بجذع الكريم ، أو الياقوت الأزرق.. لا يذكر المرجان أو البلور وتحصيل الحكمة خير من اللآلىء ، لا يعادلها ياقوت كوش الأصفر ، ولا توزن بالذهب الخالص..

لقد حاول الصديق الرابع أليهو أن يوضح الأمور متداخلا كشاب دم جديد إلى أولئك الكبار المغترين بأنفسهم ، وقال : إن الله عظيم.. وهوذا الله عظيم ولا تعرفه.. وعندما كان أليهو يتكلم كلام التعزية لأيوب .. وعندما كان أيوب قد أدرك

كنه الأشياء ، إهتز أليهو للعاصفة.. وتحدث الله مع أيوب ليؤكد إن الله يهتم بكل شيء في الحياة..

وقال أيوب للرب : ها أنا حقير فماذا أجاوبك ؟.. وضعت يدى على فمى ، وفى صمت أيوب تحدث الله ورد سبى أيوب ، وتغيرت الحال وعادت إلى أسعد مما كانت عليه سابقاً.. ونحن نحتاج إلى أن ندرك كنه الأشياء..

٩. الواقفون على خط النار

خط النار: يرى البعض أن خط النار فى الحياة الروحية هو الصلاة.. والتى هى إنفتاح على قوة الله الفعالة ، ودخول إلى منطقة النار الإلهية ، النار التى تطهر ولا تدمر.. النار التى تشتعل فينا حباً نحو الله ، ورغبة فى الحديث معه..

وعندما نقف أمام الله لا نخرج بدون تغيير.. النار الإلهية تطهر ماضينا، وتعطينا الإحساس الروحى بضمان وعد المسيح.. ويدركنا سر التغيير الذى لا يجعل صلواتنا عبارات تردد أو ركعات تتعدد سجوداً وقعوداً.. إنما نتغير من الداخل، ونخرج من الصلاة وقد إمتلأ القلب بمحبة الله، ومحبة الآخر..

والذى يصبر لله ويداوم على تسليم نفسه له ، يأخذ فى النهاية أكثر مما يشتهى، وأكثر مما يستحق.. وتتكون لديه فى النهاية حصيلة هائلة من الثقة بالله ، تبلغ حد اليقين.. لأن النفس تتشبع بالله فى كل كيانها، حتى إلى الأعماق ، فيحس الإنسان بالله إحساساً يقينياً يبلغ حد القوة ، حتى يشعر بنفسه إنها أصبحت أكثر مما هى وأقوى مما هى ، وثيق بوجود آخر أعلى من وجوده الزمنى ، وفى نفس الوقت لا يجهل ضعفه ولا يمكن أن ينسى نقائصه..

وهذا الإحساس ينشىء داخل النفس إتساعاً فى مجال الإدراكات والحقائق الإلهية، وإتساعاً فى القدرة على التمييز والرؤيا ، وهكذا ومن خلال الصلاة كمنطقة نار إلهية ، تشهد النفس فى داخلها ميلاداً جديداً لآفق جديد ، لعالم جديد ، هو عالم الله الذى يصدر عن الله.. وليس عن الحواس والذات..

وترتقى النفس إلى عالم النور الحقيقى الذى فى داخلها ، وتتوافق مع الله بالصلاة الدائمة ، وتفقد كل إنقسام داخلى، وكل شك ، وكل قلق.. وتنصهر الخبرات الماضية والحاضرة فى حرارة المحبة الإلهية..

وكما إن النار تقهر الحديد الصلب ، هكذا النار الإلهية تلقى كل تحيز للذات ، وكل مخاوف ، وكل أنانية ، وأخطاء الأنانية نفسها ، من قلق وشكوك.. وهنا تشيد

الروح ويصبح الواحد منا دوماً على إتصال بالصلاة ، بمنطقة النار الإلهيـة يأخـذ منها له.. وربما يقدر أن يعطى الآخرين..

وبينما يرى البعض إن السماء هى دخول فى منطقة النار الإلهية ووقوف علـى خط النار ، فإن آخرون يؤكدون أن التجارب والإبتلاءات توقف الإنسان على خـط النار.. وإن الله يهدف من نار التجربة أن نخرج أنقياء كالذهب.. وهـذا مـا قالـه أيوب عن الرب: لأنه يعرف طريقى إذا جربنى أخرج كالذهب.. بخطواته إستمسكت رجلى ، حفظت طريقه ولم أحد من وصية شفتيه لم أبرح (أيوب ٢٣)..

شركاء فى الآلام: ونحن شركاء فى الآلام ، كلنا كبشر شركاء فى الآلام.. وتتعدد الآلام ولكنها رغم تعددها هى مجال للشركة الحقيقة ، عندما يشعر الإنسان بـآلام الآخرين ، عندما يقصد أن يخفف هذه الآلام ، وعندما سأل تلاميذ الـسيد المـسيح عن المولود أعمى : هل أخطأ هذا أم أبواه حتى ولد أعمى ؟.. كانوا يمثلون البشر الذين يعاينون آلام الناس دون أن يحركوها بأصابعهم ، وكانت إجابة واضـحة : لا هذا أخطأ ولا أبواه ، ولكن لكى تظهر أعمال الله فيه.. وبولس الرسول يطالبنـا أن نكون شركاء فى آلام السيد المسيح : لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه متـشبهاً بموته ، لعلى أبلغ إلى قيامة الأموات (فيلبى ٣:١٠)..

وكما تكثر آلام السيد المسيح فينا ، لذلك بالمسيح تكثر تعزيتنا ، ونحـن شـركاء فى الآلام نحن أيضا شركاء فى إستقبال التعزيات من الله.. وذات مرة كانت الفتـاة فرانسيس تحت مخدر بعد عملية كبيرة قالت لها الطبيبة : تشددى يافتاتى إن هـى إلا بضع ساعات تتحررين بعدها من الآلام..

قالت الفتاة : إن الأمر يقتصر على إننى أشعر بأن آلاف الناس فى العالم يطحـنهم الألم.. كيف أحب إلهاً يسمح بهذه الآلام ؟.. وربما تقولين إن النـاس هـم الـذين يجلبون الألم على أنفسهم بسبب خطاياهم.. ولكننى أعلم إن الله قـادر علـى كـل شئ.. قالت الطبيبة : أنا أعلم ذلك وليس لدى تفسير له ..

ولكن هناك فتاة شابة فقيرة على مقربة منك ، وقد تعرضت لمرض خطير وهـى تقاوم بروح معنوية عالية ، وتشتاق إلى رؤياك ، لأننى ذكرت لا كيف إنك تحملـت الآلام ولولا قصتك لِما إجتازت الفتاة الفقيرة آلام المرض.. تأثرت فتاتنـا ورأت أن ترسل إليها باقة زهور فقالت الطبيبة : سوف أقول لها إنكما تقفان معاً على خـط النار.. إن خط النار هو التجربة عندما نحتملها ، وبها ندخل إلـى منطقـة النـار الإلهية ، بحديثنا مع الله فى الصلاة..

١٠. الضحك موسيقى الروح

معنيان للضحك : ترد كلمة ضحك بمعنى السخرية والإستهزاء.. كما تأتى بمعنى الفرح والتهليل.. وأيوب يرى إنه صار مضحكة للناس ، وقال فى التجربة : إن الأحوال إنقلبت ، فبعد أن كان يجلس رأساً وقائداً لكل جلسة ، حدث تغيير قال فيه : وأما الأن فقد ضحك علىّ أصاغرى أياماً أنا الذى كنت أستنكف من أن أجعل آباءهم مع كلاب غنمى (أيوب ٣٠ :١)..

ورغم إن هذا تعبير صعب ولكنه يعبر عن ألمه الشديد ، فلقد صار أغنيتهم ، وأصبح لهم مثلاً.. وفى سفر مراثى أرميا إنه عندما إنحرفت أورشليم وعاشت أيام مذلتها لأن الله أذلها بسبب كثرة ذنوبها ، صارت مضحكة رأتها الأعداء، ضحكوا على هلاكها.. وأيضا عندما قال ضيوف أبرام له : إن سارة سوف تلد إبناً ، ضحكت سارة فى باطنها وكأنها تقول : إن هذا أمر مضحك كيف تلد وهى متقدمة فى الأيام.. وقد إنتهى بها الركب منفردة دون نسل ، وعندما ولدت سمى إبنها " الضاحك" وهو معنى إسم إسحق. وقالت سارة : قد صنع لى الله ضحكاً ، كل من يسمع يضحك لى .. وقالت : من قال لإبراهيم سارة ترضع بنين حتى ولدت إبناً فى شيخوخته..

ويذكر الكتاب المقدس إن الله يضحك عندما يسخر الناس بوجوده العجيب .. وهذا ما تصوره داؤد فى المزمور الثانى : لماذا إرتجت الأمم وفكرّ الشعوب بالباطل ؟.. الساكن فى السموات يضحك ، الرب يستهزىء بهم.. الشرير يتفكر ضد الصديق ويحرق عليه أسنانه ، الرب يضحك به لأنه رأى أن يومه آت (مزمور ٣٧ :١٣)..

ويرى داؤد إن أعداءه الذين يبقون بأفواههم.. وسيوف شفاههم ، ويتكلمون بالشر عليه ، أما الله فإنه يستهزىء بهم ، أما أنت يارب فتضحك بهم (مزمور ٥٩ :٨).. وفى أول إصحاح فى سفر الأمثال تأتى كلمة ضحك ، وهكذا فى آخر إصحاح فيه.. فى الأول يصور الحكمة وهى تنادى فى الخارج ، ولكن لا أحد يسمع النداء، ولا يقبل التوبيخ ..

ولهذا فإن الحكمة تقول : أنا أضحك عند بليتكم، أشمت عند مجيء خوفكم.. وفى آخر إصحاح يتحدث عن المرأة الفاضلة والتى تضحك على الزمن الآتى لأنها بكفاحها أعدت نفسها للمستقبل ، وبدلا من أن يضحك عليها الزمن الآتى ، تضحك هى عليه..

ويرى سليمان الحكيم : إن للبكاء وقت ، وللضحك وقت ، ولكن هناك فرح يُعبر عن سعادة الإنسان ، فلقد ذكر إن السيد المسيح بعد نجاح الرسل السبعين تهلل بالروح فرحاً.. وداؤد فى المزمور يقول : عظم الرب العمل فصرنا فرحين ، حينئذ إمتلأت أفواهنا ضحكاً ، وألسنتنا ترنماً (مزمور ١٢٦)..

موسيقى الروح: وكتب أنيس منصور عن ضحك الفرح والتهليل كتاباً عنوانه" لعلك تضحك" وكلمة أولى فى مقدمته يقول فيها: مقياس حضارة الشعوب قدرتها على أن تضحك .. الحظ يضحك على من يضحك على نفسه كثيراً.. إذا لم تضحك على نفسك كثيراً أعطيت للآخرين هذه الفرصة السانحة.. غلط أن تضحك دقيقة وتبكى ساعة..

المرأة التى تضحك لنكت زوجها، إما أن النكت مضحكة فعلا، وإما إنها زوجة مخلصة.. من يضحك كثيراً لنكت رؤسائه ليس مجاملا ، وإنما هو إنسان عملى جداً.. الضحك مع الناس وليس عليهم.. الضحك ملح الطعام... يوم لم أضحك فيه، يوم من عمرى ضاع.. الضحك موسيقى الروح..

من يضحك يجد الناس حوله ، ومن يفكر يجد نفسه وحيداً.. كان العالم المصرى أحمد زكى يقول : إضحك ترقص معدتك أى إن الضحك يقضى على التوتر والتقلصات.. وكلها تساعد العقل أن يستريح والمعدة أن تهضم.. وكل الذين يشكون من إضطرابات المعدة هم العصبيون .. هم الذين لم يعرفوا كيف يكون الضحك ، وعلى أى شئ..

وكما يتكلم الناس بدرجات مختلفة ، فكذلك هم يضحكون.. يقهقهون.. يقفزون.. يصرخون.. يرقصون.. وكلها محاولات لإطلاق طاقات مكتومة.. وفك مؤثرات عضلية.. وتقلصات عصبية.. وفى النهاية يكون لهم الإسترخاء الذى هو دليل على الهدوء التام.. والراحة الشاملة..

وهى حالة تشبه حالة الشفاء من كل داء أو حالة تفكك كل العقد ، فلو حدث ذلك كل يوم أو كل أسبوع ، كان ذلك أحسن وأرخص وأكبر دواء لكل داء.. وأنصحكم بالضحك لكى تصحوا، وأنصح الذين يقولون النكات أن يختاروا منها ما يجعلنا نغرق فى الضحك ، ولن نموت من الضحك ، بل سوف نحيا بدون توترات..

١١. العفاف تحرير من الإيدز

السيدات الأول: تمكنت سيدة السودان الأولى زوجة الرئيس الفريق عمر البشير أن تكون رابطة قوية ضد مرض الإيدز.. وفي اللقاء الرابع للسيدات الأول الأفريقيات في يناير ٢٠٠٦م توجهت الأضواء إلي إمكانية الوقوف معاً ضد مرض فقدان المناعة وفي المؤتمر كان الحديث عن أن أفريقيا وعلى الأخص الشباب فيها وهو كثير ينتشر فيها مرض الإيدز متزامناً مع مشاكل القارة من هجرة يضطرون إليها، وتشريد خارج الأوطان وفقر وجوع يجعل المرض يجد طريقه إلي المجتمع.. وينتشر بين النازحين واللاجئين وأطفال الشوارع ، وبائعات الهوى وبائعات الشاي..

وقدمت مؤسسة سند التي ترأسها زوجة الرئيس ورقة عن الإيدز في السودان قالت فيها: إن حوالي ثلاثة مليون ونصف مواطن معرضون للإيدز، خاصة وأن السودان محاط بما يُعرف بحزام الإيدز. وتقول تقارير الأمم المتحدة : إن السودان من البلاد التي بها وباء الإيدز العام..

وإن إنتشار المرض بالدولة يبلغ ٢٦ في الألف ويتفاوت بحسب المناطق الجغرافية حيث تبلغ النسبة في الجنوب من صفر إلي ٧% وتصل إلي ١٠% وسط بعض المجموعات.. بل إنه من المتوقع بعد إتفاقية السلام أن تزيد حركة السكان من الدول المجاورة للسودان خاصة مع فتح المعابر التجارية والطرق وعملية نزع السلاح من الكثير من القوات وعودة النازحين مما قد يزيد من فرص الإصابة بالمرض.

ويحكى إن أول حالة إصابة بالأيدز كانت عام ١٩٨٦م في مستشفي جوبا التعليمي وقدر عدد المصابين بالإيدز في عام ٢٠٠٢ م بحوالي ستمائة ألف حالة ، ولكن نسبة التسجيل قد تصل إلي ٢٥% من المرض والشرائح المستهدفة تبدأ بالشباب والنساء والأطفال ..

ولقد كانت هناك إستجابة قومية ضد الإيدز بدأت بتكوين اللجنة القومية لمكافحة الإيدز وبعد هذا تم وضع خطة للفترة من ٢٠٠٣ م إلي ٢٠٠٧ م ، بمعاونة برنامج الأمم المتحدة لمكافحة الإيدز متضمنة تحليل الوضع تحليل الإستجابة وخطة العمل.. وتكونت آليات لتنفيذ الخطة على مستوى كل ولايات السودان.

وأعلنت السيدة الأولى التحالف النسوي تحت شعار" نساء السودان ضد الإيدز" وإفتتحت مصحات للفحص الطوعى والإرشاد النفسي وأنتجت المواد الإعلامية والتنفيذية.. وإهتمت مؤسسات العمل ضد الإيدز بالمعالجة السريرية ومحاولة دعم

بنوك الدم الذي ينقل الإيدز كما ينقل أمراض الكبد الوبائية.. وصار موضوع الإيدز مهماً ومتواجداً في أنشطة الدورة المدرسية ومراكز التدريب داخل أروقة الجامعات وداخل القوات النظامية.. وكان هناك تجاوب كبير إلى حد ما مع برنامج الحرب ضد الإيدز..

العفاف هو الطريق: وأعتقد إن طريق النجاح يتمثل في تبني فضيلة العفاف.. أن يحيا الإنسان طاهراً أمام الله، وهذه قيم روحية يحملها إلينا الدين ، وعندنا أمثلة ذكرها الإنجيل المقدس والقرآن الكريم ونذكر هنا أول ما نذكر: يوسف الصديق الذي عرضت إليه الخطيئة من سيدة هي صاحبة الكلمة عليه. وكانت زوجة فوطيفار تملكه.. كان ملكاً لها.. عبداً عليه أن يطيع ولكنه رفض.. أمانته أبت أن يصنع هذا وقال : كيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطيء إلي الله. وهو لم يتنازل عن طهارته وعفافه رغم إنه كان يمكن أن يجد أسباباً للإعتذار.. وكان هذا سبباً في إيداعه السجن سجيناً ...

كان عبداً وكان سجيناً ولكنه كان حراً مع نفسه.. لم يقدر أحد أن يستعبد إرادته، وعلى مستوى التأمل الروحي كتب قداسة البابا شنودة الثالث خواطر على فم يوسف تحت عنوان " ذلك الثوب" معتقداً إن أفكار قصيدته كانت تجول بذهن يوسف أو تتواثب على شفتيه .. تخيل البابا إن إمراة فوطيفار تمسك بالثوب وإن يوسف الصديق يقول:

هوذا الثوب خذيه ... إن قلبي ليس فيه
أنا لا أملك هذا الثوب ... بل لا أدعيه
هو من مالك أنت ... لك أن تسترجعيه
إنما قلبي لقد أقسمت ... أن لا تدخليه
أنا لا أملك قلبي وكذا ... لن تملكيه
إنه ملك لربي ... وقد إستودعنيه
عبساً قربك منه ... هو ذا قلبي إساليه
كيف أعصي الله منقاداً ... لذاك الشر الكريه
هوذا الثوب خذيه ... إن قلبي ليس فيه

وعلى مستوى الاستشهاد كان الشهداء يخافون على عفافهم وطاهرتهم وحاول المضطهدين لهم أن يجبروهم على خطية الزواج خارج إطار الزواج فرفضوا .. ويذكر تاريخ الشهداء شهداء العفة أحدهم حبسته إمراة لعوب.. ولكنه قطع لسانه

في وجهها فهربت.. آخر دخل لينقذ فتاة مستحية وأعطاها أن تلبس ملابسه وتخرج..

وعندما علم الحاكم بالمؤامرة أمر بقتله فأتت هي تقول : لقد وافقت أن تحفظ عفتي ولكن لا أقبل أن تموت بدلاً مني.. وهكذا الفتاة فيرونيا التي حاول الجند أن يعتدوا عليها فقالت لهم : إن بالدير زيت ، عندما ندهن به لا يسري السيف في الرقاب وقالت :جربوا فيّ أولاً ومدت رقبتها لكي تموت ولا تفقد عفافها. . الحل والوقاية العفاف والطهارة.

١٢ـ الفيتوري الفقير المحترم

الشاعر الفيتوري: إلتقيت بالشاعر الرقيق المذهب محمد الفيتوري في هيلتون السودان وعرفني عليه إبنه الصوفي المحترم تاج الدين ، وقد أسعدني التعرف على شاعر سوداني بقامة الفيتوري وعمق معانيه ومشاعره الرقيقة.. تكلم معي وكأنه يتحدث شعراً فهو في نظري رجل أقوى من الآلام وهو شاعر يحتاج إلي أن تدخل إلى عمق بحور شعره تغوص اللآليء سوف تجدها نقية كمطر السماء لامعة كالبللور..

وعندما تحصل عليها سوف تحيا معها سعيداً بها .. وقد أهداني إبن الفيتوري دواوين الفيتوري وهو يحفظ قصائد أبيه ، وقلما وجدت في هذا الزمان إبن هو سر أبيه.. لأن عظماء الأدباء لا يخلفون أبناء أدباء ..ويأكل الحث مكتباتهم في البيوت وهؤلاء الأبناء لا يقرآون ولا يعطون فرصة للغير أن يقرأ ..

وعندما ذهبت إلي إبنه الصوفي لأقدم تهاني عيد الأضحي المبارك وهو دوماً يعطر بيتي بأحاديثه العذبة ، في كل عيد مسيحي جلست إليه وتحدثت مع أمه، أم إيهاب زوجة الشاعر العملاق الفيتوري وتجاذبنا معاً أطراف الحديث.. وحكت لي قصص حلة الأملاك وموطن إقامة أسرة الطواحين.. مقار سيدهم ..عازر مقار .. مكرم ميساك نسيب إسطفانوس .. إنصاف مقار .. وتحدثت عن كيف أكرموها وإحترموها.. وساندوا دورها التربوي في حضانتها المميزة .. وكيف عن إنها غابت عن جنازة خالتها لتحضر جنازة أحد هؤلاء الأقباط وقالت: إنه في إعتزازهم بها كانوا يسمونها القبطية السوداء..

وكانت هذه الأسرة القبطية رمسيس منقريوس ومقدس منقريوس لهما خير الأخوان ، وفي كل صباح كانت تشرب معهم فنجان الشاي واللقيمات.. وجميل الونسة وحلو الكلمات وعذب السير عند الأحباء .. وقد سعدت جداً بها ..

وبعد هذا وفي خلوتي بدأت أسعد جداً بزوجها.. محمد الفيتوري ذلك الشاعر.. المغني الهمجي .. المهرج الحزين.. ذلك الذي بصبغه الجلال والذهول .. كلما إنحنى على جراحه وراح يقرع الطبول .. وهذا ما كتبه عنه الدكتور سيف موسى وهو يقدم المجلد الثاني للأعمال الشعرية لشاعرنا العظيم..

والحقيقة إنني رأيت في الفيتوري الجلال ولكني لم ألحظ الذهول .. يبدو إن الفيتوري نفسه هو الذي كان يتحدث عن نفسه هكذا.. ولقد قال ذات مرة عن الناس: دائماً تحاصرني عيونهم .. تتابعني حينما أسير .. إنهم يسخرون مني.. لقد فضضت سر اللغز، سر مأساتى إنني فقير وأسود ودميم.. هذا ما قاله عن نفسه.. ولكن صدقوني إنني لم أر مثلما يرى هو .. لقد رأيته عملاقاً .. وسواده هو جماله.. مثل عذراء نشيد الأنشاد التي هي سوداء وجميلة..

وهو ليس دميم الخلقة إطلاقاً.. ولكنه يقول عن نفسه هذا .. فقير أجل .. ودميم دميم .. بلون الشتاء بلون الغيوم.. يسير فتسخر منه الوجوه.. وتسخر حتى وجوه الهموم.. فيحمل أحقاده في جنون .. ويحضن أحزانه في وجوم .. ولكنه أبداً حالم.. وفي قلبه يقظات النجوم .. (وأشكر هنا ولكن).. لأن لكن هنا هي الأمل المشرق .. في العالم سيكون لكم ضيق ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم..

ويتحدث عن إنه فقير .. ولكن رأيته غنياً بالكلمة ،بالأدب ، بالتعبيرات المعبرة بالشعر الذي يتغني به الناس .. وهو قامته لصقت بالتراب.. وإن هزئت روحه بالقمم. . ويعزى الدكتور سيف الأمر إن محمد الفتيوري عاش في مصر في العهد الملكي البائد مع أسر الباشوات.. وهؤلاء جميعاً لم يعرفوا الوجه الأسود إلا خادماً ذليلاً ..ولو عاش في قلب أفريقيا لتغير الأمر..

الفقير المحترم: وقال الفيتوري عن نفسه . . لم نكن فقراء جداً . . لم نكن فقراء بالمعني الإنساني المهين.. كنا فقراء محترمين.. يجد الأب ما يقتات به الأبناء والأم ورثت عن أبيها على سعيد بيتاً نتآوى فيه.. وهذا الفقير المحترم هو الغني السعيد.. لأنه يملك إرادته ويملك نفسه.. ويملك الكلمة العظيمة التي يكتبها شعراً.. وتحدث بولس الرسول عن معني الفقر والغني وقال : كيف كان يخدم في لطف.. في الروح القدس.. في محبة بلا رياء كمجهولين ونحن معروفون كحزاني ونحن دائماً فرحون كفقراء ونحن نغني كثيرين كأن لا شئ لنا ونحن نملك كل شئ (كورنثوس الثانية ٦) ..

وماذا فعل الأغنياء ألم يقل الفيتوري لأحدهم أخائف أنت.. تنام يا مولاي مهموماً.. وتصحو متعبساً ؟.. واعجبا . . تلبس تاجاً من الذهب ، وجبة من الحرير والقصب .. وحولك الحجاب والحراس بالآلاف..ثم تخاف.. أهذه خاتمة المطاف ؟..

لقد عاش الفيتوري خارج الوطن لأنه أحب أبناء الوطن وبسبب مرثيته لعبد الخالق محجوب حجبت عنه السودان ..ومنعوه من دخول السودان.. ولكنه كان يحمل السودان ليس في لون بشرته ، إنما في عمق قلبه ونبض وجدانه وهو حتى الآن يكتب ويكتب.. وكلمته تهز عروشاً وتؤثر في قلوب الناس ، من كل بلادنا العربية ، عاشقة الأدب ، والشعر الرقيق الجميل، في دنيا لا يملكها من يملكها .. أغني أهليها سادتها الفقراء..

١٣. حمار الحكيم يصبح حكيماً

عام الحمير: كنت أظن إن الحمار غبياً ولكن أشعياء الشاعر يقول: الثور يعرف قانية والحمار معلف صاحبه .. فالجمار هنا أفضل من الإنسان لأن الحمار يعرف بيته وإذا أخذت حماراً من أحد.. أو إذا كان الحمار لك وتركته في السوق أو في أي مكان آخر فإنك تضمن رجوعه إلي البيت لأنه يعرف الطريق إلي البيت .. بينما يضل بعض الناس الطريق إلي بيت الله ..

وقبل أن نتحدث عن حمار توفيق الحكيم وإعجاب توفيق الحكيم بالحمير فإنني أذكر إنني دعيت لحضور مؤتمر عن الرضاعة الطبيعية وقدمت ورقة أمام هذا المؤتمر وقلت : إنه لا بديل للرضاعة الطبيعية غير الرضاعة الطبيعية.. وإن المرضعات لهن مكان ومكانة في مواكب الأعياد وفي آيات الكتاب المقدس ..

وإن الناس زمان كانوا يستبدلون الأم .. بأم أخرى ترضع الطفل.. ولقد قبلت أم موسى بأن تكون مرضعة لإبنها بالأجر.. ولم يكن قصر فرعون يعلم إنها أمه.. ولكن علماء الطب في مؤتمر الرضاعة الطبيعية تحدثوا عن إن أقرب لبن إلي لبن الأم.. هو لبن الحمير..

تحدثوا عن لبن الحمار وعظم القيمة الغذائية فيه ، وهذا جعلهم يتغزلون في الحمار ويتكلمون عنه كلاماً لم يتكلمه أحد عن الحمير.. لقد جعلوا للحمار مكاناً وذكاء وقيمة ومكانة.. وقلت للأطباء لقد أسعدني أن تحبوا الحمير هكذا .. فلقد كنت أنفعل عندما يقول أحد عن طبيب إنه حمار.. وأتالم كيف بعد أن يدرس كل

هذه الدراسة ويعاني كل هذا العناء ينعت بأنه حمار ؟.. الحمد لله إن هذا الوصف الشعبي للطبيب أحبه اليوم الأطباء العلماء ...

وأذكر ذات مرة إنني كنت في الشارع مع بعض أصدقائي ومر بنا حمار ينهق بصوت عال.. سأل أحدنا : لماذا يصرخ الحمار نهيقاً هكذا ..؟! فأجاب زميل آخر: يبدو إنه وهو في الطريق قال له أحد : إذهب يا حمار .. وأذكر هنا قصة طريفة ذكرها بستان الرهبان .. ذكرها الأنبا مقاريوس عن نفسه قال فيها : ضجرت وقتاً وأنا فى القلاية وخرجت إلى البرية وعزمت أن أسأل أي شخص أقابله من أجل المنفعة.. وإذا بي أقابل صبياً يرعى بقراً فقلت له: ماذا أفعل أيها الولد فإني جائع؟ فقال لي :كل .. فقلت أكلت.. ولكننى جائع أيضاً ، فقال لى : كل دفعة ثانية.. فقلت له : إنى قد أكلت دفعات كثيرة ولكني لازلت جائعاً ..

فقال الصبي: لستُ أشك في إنك حمار يا راهب ، لأنك تحب أن تأكل دائماً.. فإنصرفت مندفعاً ولم أرد له جواباً.. ولم أرد له جوابًا .. ولا شك إن القديس الكبير مقاريوس والذي هو كوكب من كواكب الرهبنة المسيحية في القرن الرابع إنتشرت قصته مع الصبي الذي شبه كبير النساك بالحمار، وهو نفسه القديس شعر إن الكلام ، كلام منفعة .. وعندما بارك يعقوب بنيه في لحظاته الآخيرة قال عن يساكر أحد أسباطه ، يساكر حمار جسيم رابض بين الحظائر، فرأي المحل إنه حسن والأرض إنها نزهة فأحني كتفه للحمل وصار للجزية عبداً (تكوين ٤٩: ١٤) ..

وهذا يعني إن يساكر أحب بإرادته أن يكون حمار شغل كما يتحدثون عن الناس الصبورين في العمل بأنهم حمير شغل.. والسيد المسيح له المجد عندما دخل إلي أورشليم دخل راكباً على حمار ، لكى يؤكد وداعته وإنه رجل سلام .. لم يمتط جواداً إنما حماراً .. وتمت نبوة (زكريا ٩:٩) إبتهجي جداً يا إبنة صهيون إهتفي يا بنت أورشليم هوذا ملكك يأتي إليك ، هو عادل ومنصور وديع وراكب على حمار وعلى جحش بن آتان...

حمار الحكيم: وفي إدب توفيق الحكيم ثلاثة كتب عن الحمير.. أولها " حمارى قال لي" وهى مقالات كتبت سنة ١٩٣٨ م .. وثانيها رواية" حمار الحكيم "، ألفها ١٩٤٠.. وبعدها لمدة طويلة لم يكتب عن الحمير إلا عام ١٩٧٥م في مسرحية تحتوي على أربعة مشاهد الحمار يفكر .. الحمار يؤلف ... سوق الحمير .. حصحص الحبّوب.. ويبدو إن الظروف السياسية هي التي إضطرته لتلك المسرحية..

حاول نشرها في الأهرام ، ولكن رئيس التحرير حبسها في مكتبه حبساً طويلاً دون أن يرى إنه من الممكن نشرها على الإطلاق .. وهو يرى إن مصر حاكمت

الديمقراطية المزيفة ، ولكنها لم تحارب الإشتراكية المنحرفة والتي أدت في نظره إلي هزيمة ١٩٦٧م.. ويبدو إن توفيق الحكيم حاول أن يهرب من الرقابة ويكتب عن الحمير ولكنها تابعته.. وهو فى "حماري قال لي" جعل الحمار يتحدث وينتقد كبار الشخصيات العالمية ، وإذا سأل أحد الحكيم ، لماذا هذا .. سوف يقول : هذا ليس كلامى ، ولكنه كلام الحمار .. أما هو حمار ؟.. ونحن لا ينبغي أن نستهين بالحمار، وعالم الحمير لأن عندنا حمار نطق متكلماً لأنه كان يرى ما لا يرى أستاذه وصاحبه .. وهو حمار بلعام...

١٤. الضحك أيسر أنواع الراحة

أهمية الضحك: هناك كتب كثيرة جداً تتحدث عن الضحك.. وعلى الأخص كتب علم النفس.. والضحك هنا علاج لكل الأمراض.. وتخفيف للتوترات.. وقد يحدث أن تكون فى جلسة كلها جد فى جد.. ويحدث تصرف ما يجعل الجميع يضحكون ، وهنا يضحكون كثيراً لأن الجو الجاد قد ضغط على أعصابهم..

والحكيم سليمان فى سفر الجامعة جرب كل شىء.. ورأى إن لكل شىء وقت..للضحك وقت.. وللبكاء وقت.. وقلت فى لنفسى : أنا فى قلبى ، هلم أمتحنك بالفرح فترى خيراً .. وإذا هذا أيضا باطل للضحك.. قلت مجنون وللفرح ماذا يفعل؟..

ولكن هذا الحكيم يعود ليقول : إن الصيت خير من الدهن.. ويوم الممات خير من يوم الولادة..الذهاب إلى بيت النوح خير من الذهاب إلى بيت الوليمة.. لأن ذاك نهاية كل إنسان ، والحى يضعه فى قلبه.. الحزن خير من الضحك.. لأنه بكآبة الوجه يصلح القلب.. وقلب الحكماء فى بيت النوح ، وقلب الجُهال فى بيت الفرح.. وكلام سليمان جميل جداً.. ولكن لا يمكن أن يستغنى الإنسان عن الفرح والضحك..

وعندما قال السيد المسيح : ويل لكم أيها الضاحكون الآن ، لأنكم ستحزنون وتبكون.. والمعنى واضح جداً. إن الذين يقضون زمانهم فى الضحك وينسون مواقفهم الجادة ولا يجلسون مع أنفسهم ، ويبكون على خطاياهم ، سوف يكون الضحك ضدهم أو عليهم، وليس لمصلحتهم.. وهذا هو نفس المعنى الذى ذكره يعقوب الرسول ، لأن بعض الناس فى داخلهم حروب ومخاصمات ولذات ومحبة للعالم..هؤلاء يقول لهم : إقتربوا إلى الله فيقترب إليكم، نقوا أيديكم أيها الخطاة ،

وطهروا قلوبكم ياذوى الرأيين.. إكتئبوا ونوحوا ، وأبكوا ليتحول ضحككم إلى نوح، وفرحكم إلى غم (يعقوب ٤ : ٩)..
وعندما دخل يسوع إلى إبنة يايرس وهى على سرير الموت ، وكانت قد ماتت فعلا وقال لهم يسوع : تنحوا الصبية لم تمت لكنها نائمة ، ضحكوا عليه رغم إنهم كانوا يبكون بشدة.. لقد سخروا بيسوع وبالتعبير الذى نعت به الموت، ولكنه رغم هذا أدخل الفرحة فى قلوبهم بإقامتها من الأموات..
الضحك راحة: والضحك راحة بل أيسر أنواع الراحة... ونحن نضحك على أنفسنا وعلى أخطائنا.. وعلى تصرفات من حولنا من أحبائنا ، وعلى الأخص أطفالنا لأنهم سبب فرحة لنا ، وهم يضحكوننا ببراءتهم وتصرفهم البسيط.. وأحياناً تجد شخصاً وقع فجأة على الأرض، ويضحك على نفسه.. وعلى صورته أمام الناس.. ويغرق فى الضحك.. ويصعب عليه أن يقوم من كبوته، وكأنه إستعار موقف الآخرين ، وبدلا من أن يجدهم يضحكون عليه ، ينظر إليهم ويضحك معهم..
ويقول أنيس منصور : إن الضحك يهون علينا مشاكل الدنيا.. وإنه مثل ماسحات المطر فى مقدمة السيارة ، يجلو الزجاج لكى نرى أوضح .. وقال لى أحد الأحباء فى الإمارات : إنه قرر أن يصنع ماسحات للنظارة لأن الرطوبة تترك عليها زخات تجعلها حاجبة للنظر..
والضحك مثل التثاؤب ينتشر سريعاً إلى من حولنا ، وأحياناً نضحك مع الذين يضحكون ، ثم نسأل: لماذا يضحكون ؟.. هذا عندما يفاجىء المتكلم المستمعين بطرفة طريفة.. وكما إن هناك أناس يتذوقون الطعام ، وآخرون لا يتذوقون ، كذلك بعضهم يتذوق النكتة وبعضهم لا يتذوقها.. ويتهم المتحدث بأن النكتة بايخة أو قديمة.. والذين لا يتذوقون النكتة والقفشة والعبارة المضحكة والكاريكاتير الساخر، لم يتعودوا على التذوق، ولم يعتادوا على أيسر أنواع الراحة..
فالضحك راحة وبكل صراحة نحن نموت إذا لم نضحك.. وقالوا : إن أهل مصر يضحكون بسبب ما يعانون ، فالشقاء نكتة ، ونحن فى السودان عندما ضحكنا وقلنا: إننا نضحك مما نسمع.. بينما الدولة تطالبنا أن نأكل مما نزرع ، ونلبس مما نصنع.. قالوا: إن أزمات الحياة وضيق ذات اليد جعل السودانيون يضحكون..
وفى كتاب " الإمتاع والمؤانسة " للمفكر أبو حيان التوحيدى ، يرى أنيس منصور إن المؤلف حاقد على الناس، وحاسد على بنى البشر ، لأنه لم يجد مكانته اللائقة ، ولأن العلماء حاقدين على علمه الغزير.. فكتب هو محاضرته ولكنه كان فى كل يوم بعد محاضرات وندوات ، مُطالب بأن يذهب إلى الأمير ويقدم له نكتة لكى ينام..

كان الأمير بعد وجع طول اليوم يحب أن يستريح على وسادة وثيرة ، هى نكتة تزلزل الهموم، وتسقطها عن دماغه.. وبهذا يصبح الفيلسوف الوقور صانع نكات للتهدئة.. والمطلوب الآن قناعتنا بأن الضحك هو أيسر أنواع الراحة..

١٥. شاعر فى بلاط الملك

أنتم الناس : فى كتاب عنوانه " أنتم الناس أيها الشعراء " للأديب الحائز على جائزة مبارك فى الآداب مكتبة نهضة مصر ٢٠٠٣ م.. يتحدث الأديب عن الشعراء ويقول لهم : قولة أمير الشعراء " أنتم الناس أيها الشعراء " فإتقوا الله فى قلوب العذارى.. فالعذارى قلوبهن هواء..

وهى دعوة للشعراء حتى يتضعون ولا ينتفخون ولا يختالوا زهواً وغروراً.. ويسيروا فى الهواء رويداً لا إختيالا على رفات العباد.. فلقد تكبر المتنبى وفسّر قولة الرسول الكريم : لا نبى بعدى بأنه هو لا.. وهو وحده المتنبى بعد النبى ، وصال وجال فى هذا الأمر، وفى زهو وخيلاء قال : الخيل والليل والبيداء تعرفنى.. والسيف والرمح والقرطاس والقلم..

وعندما أتى إلى المتنبى أحد خصومه كان خادمه يثق فى إنه يقدر على مقاواة الخصم ، فهو معروف لدى السيف والرمح أو إن خادمه أحرجه وكانت النتيجة أن سقط المتنبى قتيلا أمام خصمه ولم يعمل السيف ولا الرمح ولا القرطاس والقلم..

وكان الشعر منذ بدء الحياة .. فى البدء كان الكلمة، وكان الكلمة الله.. الذى يملأ قلب الشعراء وحياً وذهنهم حركة وتأملا.. وكانت الكلمة شعراً من خلال أناشيد الحياة والموت عند الفراعنة.. وأناشيد عمل الله عند شعب الله، بدءاً بنشيد موسى ومريم بعد دخول البحر الأحمر، وإجتيازه إلى المرأة حنة التى وهبها الله صموئيل..

وقصة حنة إمرأة القانة ، كانت مع سلفتها وغريمتها التى كانت تعيرها لأن لها أولاد ، وأما هى فعاقر.. وكالمعتاد جاء الضغط على الرجل الذى كان يعاملها معاملة خاصة، ولما رأى ضرتها تغيظها لأجل المراغمة. وبكت ولم تأكل.. قال لها زوجها لماذا تبكين ؟ ولماذا لا تأكلين ؟ ولماذا يكتئب قلبك أما أنا خير لك من عشرة بنين ؟.. ولم تصمت حنة ولكنها طرقت باب الله، وتأكدت أن زوجها لا يقدر أن يصنع لها شيئاً..

وصلت وطلبت وكانت تتكلم فى قلبها وشفتاها فقط تتحركان وصوتها لم يسمع ، ولم يميز عالى الكاهن الأمر.. ظنها سكرى.. وأشبعها توبيخاً وناداها : إلى متى

تسكرين ؟ إلى متى لا تنزعى خمرك عنك ؟.. وأخجلته هى بالإجابة .. كلا ياسيدى.. لا تحسب آمتك إبنة بليعال لأنى من كثرة كربتى وغيظى قد تكلمت إلى الآن.. وإحمرّ وجه الكاهن خجلا، وإمتلأ فمه بدعاء لأجلها ، إذهبى بسلام والرب يعطك سؤل قلبك..

ومضت المرأة ، ورزقها الرب بإبن سُمىّ صموئيل أى سألته من الرب ، وذهبت إلى الهيكل.. فى نفس المكان ووقفت وصلت.. أنشدت نشيداً من شعر صاغته هى.. لقد تحولت إلى شاعرة، شعرت بعمل الله، وانشدت تقول : فرح قلبى بالرب.. إرتفع قرنى بالرب.. إتسع فمى على أعدائى.. لأنى إبتهجت بخلاصك.. ليس قدوس مثل الرب.. لأنه ليس غيرك.. وليس صخرة مثل إلهنا.. لا تكثروا الكلام العالى المستعلى ، ولتبرح وقاحة من أفواهكم لأن الرب إله عليم وبه توزن الأعمال..

قسّى الجبابرة إنحطمت.. والضعفاء تمنطقوا باللباس. الشباعى آجروا أنفسهم بالخبز، والجياع كفوا، حتى إن العاقر ولدت سبعة بنين وكثيرة البنين ذبلت.. الرب يميت ويحيى.. يهبط إلى الهاوية ويصعد... الرب يفقر ويُغنى.. يضع ويرتفع.. يرفع الفقير من المزبلة للجلوس مع الشرفاء، ويُملكهم كرسى المجد..لأن للرب أعمدة الأرض ، وقد وضع عليها المسكونة.. أرجل أتقيائه يحرس والأشرار فى الظلام يصمتون.. لأنه ليس بالقوة يغلب إنسان.. مخاصمو الرب ينكسرون من السماء يرعد عليهم.. الرب يدين أقاصى الأرض ويعطى عزاً لملكه ، ويرفع قرن مسيحه (صموئيل الأول الإصحاح الثانى)..

فى بلاط الملك : ويُحكى ان الناقد الفرنسى دا سبيرو الذى إنتقل إلى جوار ربه آوائل القرن الثامن عشر ذات مرة دفع برجل إلى الملك وقال له: يا صاحب الجلالة أقدم لك رجلا سوف يهبك الخلود ، ولكن أسألك أن تعطه رغيفاً حتى يتمكن من آداء هذه المهمة. ونظر الملك إليه طويلا وعريضاً وعميقاً وسأله : ما الذى يأكله الشعراء ؟ فقيل له : كل ما يأكله كل المواطنين.. فسأله : من أين يأتون بهذا الكلام الغريب إذا كانوا يتناولون نفس الطعام ؟..

فقيل له: هذه هى الموهبة التى إنفردوا بها.. فسأل فلماذا لم يعطهم الله بعض المال حتى لا يمدوا أيديهم إلى الملوك ؟.. فقيل له : هذا هو مصدر تعاستهم والتعاسة هى أحد ينابيع الشعر، فإن لم يجدوا التعاسة عندهم إبتدعوها لأنفسهم.. قال الملك : دعنى أفكر قليلا فى هذا الذى قلت.. إذن هذا الشاعر سوف يدخل قصرى ، ويكون من الساخطين على الملك الذى ليس شاعراً.. والحاشية التى لا عقل لها.. ولكن أسأل : كيف يجد الشاعر سعادته فى تعاسته ؟..

قيل له : لا تشغل بالك أيها الملك إن الشاعر كالسمك يعيش ويموت فى الماء ونحن الناس العادين يغرقنا الماء.. إن الشاعر بشر ولكن ليس كسائر البشر..ولا أدرى هل قبل الملك دخول الشاعر إلى شارع القصر ؟.. أعتقد إنه تردد كثيراً لأنه لم يعرف عن الشعر سوى إنه سعادة تتبع من التعاسة ، ولكن الشعر الروحى ينبع من محبة الله ويطالب الآخرين أن يتذوقوا حلاوة العشرة مع الله..

١٦ . سر الإبتسامة

أسرار روحية: هناك أسرار روحية خلف كل سلوك يؤديه الإنسان.. وهناك بعض الناس الذين لديهم اسرار خفية فيهم تجعل الناس يحبونهم ويسمعون كلامهم، ويتأملون سيرتهم، ويضعونهم مثلا أعلى يُحتذى.. وفى حياتنا العملية نقول : أن فلاناً هذا فيه سر.. والسر هو الذى يجعله ملحاً للأرض ، ونوراً للعالم ، ومنارة فوق سارية.. وهذا السر ليس بمعنى كاتم السر الذى يكون بجوار الحُكام ، ورسالته هى كتم الأسرار.. ولكن السر هنا بمعنى شيء غير مرئى داخلى لا نراه.. ولكننا نُدركه..

وسر الرب يُعلن لخائفيه وعهده لتعليمهم.. إن سر الرب عند المستقيمين.. وكان دانيال الوزير الأول عند نبوخذ نصر وأكثر الناس إيماناً بالله الواحد ، وأكثر الناس رفضاً لأطايب الملوك وتصميماً على الحلال الذى تسمح به الشريعة، هذا كان يعرف الأسرار، حتى إنه قال الحلم الذى نسيه الملك ولم يحكه لأحد..

ولقد قال السيد المسيح للتلاميذ: لكم أعطى أن تعرفوا أسرار ملكوت السموات.. وبولس يتكلم بحكمة الله فى سر وشرح سفر الرؤيا ، سر المرأة ، وسر بابل ، وعالمنا ملىء بالأسرار.. والإنسان عالم مُصغر فيه أسرار روحية عديدة.. عندما يضحك هناك سر.. وعندما يحزن هناك سر.. وعندما يبتسم هناك سر يخفى أو سر مُخفى خلف ما نراه..

سر الأبتسامة: ويأتى علينا سر الإبتسامة من خلال لوحة فنية رائعة .. جمال اللوحة فى إبتسامة المرأة.. وجمال الإنسان أن يكون مبتسماً دوماً.. وفى طقس الزواج نقول للمرأة : أن تطيع الرجل ولا تضجر فى وجهه.. بمعنى أن تكون دوماً مبتسمة، لأن الإبتسامة هى جمال المرأة..

ولوحة الإبتسامة عمرها خمسة قرون.. إنها لوحة " الموناليزا" للفنان دافنشى.. وقد رسم هذا الفنان اللوحة وكفى.. وسُميت هذه اللوحة " جيوكاندا" أى الباسمة..

ومنذ رسم الفنان اللوحة ، والناس حائرون فى معنى الإبتسامة.. يقولون : إن الفنان دافنشى قال نكتة أمام الفتاة فنزع منها إبتسامة خجول.. أو أن السيدة كانت فى بيته لسبب ما ، فأتى لها بفرقة موسيقية لكى تخرج هذه الإبتسامة الخالدة.. وقالوا إنها حامل، وإن الحمل فى شهوره الأولى، وهذه إبتسامة السعادة بالأنوثة وبالأمل.. بعد الحمل فى طفل يُسعد حياتها..

وآخر تفسيرات الموناليزا أن التصوير بالأشعة السينية ، قد كشف لنا أن الفنان لم يجعل الشفتين متوازيتين، أو متطابقتين.. وهذا الإنحراف الدقيق هو الذى صنع هذا الغموض، وقالوا إنها إبتسمت من نفسها لتكون صورتها أجمل.. ونحن حتى الآن عندما نأخذ صورة نطلب من الناس أن يتجملوا بالإبتسامة..

وفى الأفراح يكون العريس والعروس أمام الناس قد تعبا اليوم كله فى التجهيز للعرس، وتختفى منهما الإبتسامة ويتبرع أحد أصدقاء العريس أو العروس ويطالبهما بالإبتسام، وأحياناً عندما لا أجد الإبتسامة أقول لهما عند تأدية عقد الزواج: لماذا أنتم عابسين؟.. هل هناك إضطرار ؟.. وطبعاً لا يوجد إضطرار ، إنما ربما هيبة الحفل العظيم، ولكن لا تتصور عريساً دون إبتسامة. ولا تتصور عروساً دون إبتسامة وردية ، تنبىء عن مستقبل سعيد بالزواج ، والذى هو أرض الأحلام السعيدة..

والغريب أن أحداً لم يسأل الرسام عن سر الإبتسامة، ولكننا فقط نشعر بها.تملأنا إحساساً بجمال الدنيا.. وجمال الإنسان. ودلال المرأة.. وأذكر أن أحد زملائى تزوج بمشورتى وجاء يوماً يُعاتبنى ويشكو أن زوجته لا تبتسم .. وقام هو برسم اللوحات للإبتسام.. وكتب إعلاناً بخط جميل يقول لها : إبتسمى من فضلك.. وسألتها وطلبت منها أن تحيا الإبتسامة.. وأن تدرك سر الإبتسامة الذى يضفى عليها جمالا فوق جمالها.. ودلال فوق دلالها.. وتنفتح الدنيا على مصراعيها أمام إبتسامتها.. نحن فى حوجة إلى الإبتسامة.. وبعد هذا نترك الآخرين يدركون سر الإبتسامة ومعناها..

١٧. المعري وسفر الجامعة

الحكيم والمعرى: أريد أن أقارن بين سليمان الحكيم فى سفر لجامعة وبين أبى العلاء المعرى.. الفرق الزمنى بينهما كبير جداً.. سليمان الحكيم صار ملكاً فى عام ٩٧٠ قبل الميلاد.. والمعرى شاعر توفى بالمعرة سنة ١٠٥٨ للميلاد..

كان سليمان ملكاً يحكم شعب إسرائيل ، وكان المعرى شاعراً هو ملك الكلمة ، وإتفقا معاً فى شأن العزوف عن الدنيا ، غير إن سليمان الحكيم لم يعرض عن الدنيا إلا بعد أن شبع منها ، بينما أبى العلاء المعرى عاش حياته سجين العمى والمرض.. ولكن عقله كان حياً نشطاً، وخبراته كانت ثرة ومفيدة..

لقد عنه طه حسين بعد ان ذهب إلى أعماق أعماقه : إنه كان سىء الظن بالناس، ولذلك كان يحتاط فى إظهار وجهة نظره فى الدين أو فى الحاكم.. كان يحتفظ برأيه لنفسه ، وكان يرى إنه من الضرورى أن يسكب الإنسان حتى لا تهلكه آراؤه وصراحته..

كما قال أحد رجال العهد القديم : فليصمت العاقل فى هذا الزمان لأنه زمان ردىء وكان يقول: وأصمت فإن كلام المرء يهلكه ، وإن سكت فإفصاح فإيجاز.. وقال أيضا وليس على الحقيقة كل قولى.. ولكن فيه أصناف المجاز..أهوى الحياة وحسبى من معايبها.. إنى أعيش بتمويه وتدليس.. فأكتم حديثك لا يشعر به أحد..من رهط جبريل أو من رهط إبليس..

ولكن أبى العلاء المعرى لم يخف رأيه فى الحياة، وهو يؤكدإن شيئاً لا يؤثر فيه، نوح باكٍ ولا ترنم شادىٍ.. وصوت بشير ولا صوت نذير.. وفى مرثية قوية العبارات وجاذبة للعبرات ، يرثى صديقاً له فيقول:

غير مجد فى ملتى وإعتقادى ... نوح باكٍ ولا ترنم شادى
وشبيه صوت النعى إذا قيس ... بصوت البشير فى كل ناد
أبكت تلكم الحمامة أم غنت ... على فرع غصنها المياد

وبعد هذا يؤكد إن القبور تملأ الرحب، ويسأل عن قبور السابقين، ويطلب الإنسان بالتواضع ، وبأن يفهم إنه لا يسير سوى على رفات العباد الصالحين وغير الصالحين...

صاح هذى قبورنا تملأ الرحب ... فأين القبور من عهد عاد
خفف الوطأ ما أظن أديم الأرض ... إلا من هذه الأجساد
وقبيح بنا، وإن قدم العهد ... هوان الآباء والأجداد
سر إن إستطعت فى الهواء رويداً ... لا إختيالا على رفات العباد
رب لحد قد صار لحداً مراراً ... ضاحك من تزاحم الأضداد
ودفين على بقايا دفين ... فى طول الآزمان والآباد

ويطالب أبى العلاء المعرى الإنسان ، أن يسأل النجوم الساطعة، وكم أقاما على زوال نهار ، وآنارا لمدلج فى سواد ثم بعد هذا يقرر..

تعب كلها الحياة فما أعجب إلا من راغب فى إزدياد
إن حزناً فى ساعة الموت أضعاف سرور فى ساعة الميلاد

ورغم إن البعض يتهمه بعدم التدين ، فإنه يقول للجميع: إنه يؤمن بالقيامة بقاء.. وإن الشقاء لأهل الشقاء.. والرشاد لأهل الملكوت..

خلق الناس للبقاء فضلت أمة يحسبونها للنفاد
إنما ينقلون من دار أعمال إلى دار شقوة أو رشاد
ضجعة الموت رقدة يستريح الجسم فيها والعيش مثل السُهاد

ولا يوجد إيمان مثل هذا الإيمان ، وشعر أبى العلاء يدل على صدق إيمانه وله ديوانان " سقط الزند" ، " ولزوم ما لا يلزم".. وله أيضا " رسالة الغفران"..
سفر الجامعة: ويتفق أبى العلاء المعرى ، مع ما جاء فى سفر الجامعة.. والذى أعلن : باطل الأباطيل الكل باطل.. ما الفائدة للإنسان من كل تعبه الذى يتعبه تحت الشمس.. دور يمضى ، ودور يجىء، والأرض قائمة إلى الأبد.. والشمس تشرق والشمس تغرب ، وتسرع إلى موضعها حيث تشرق.. الريح تذهب إلى الجنوب ، وتدور إلى الشمال.. تذهب دائرة دوراناً ، وإلى مداراتها ترجع الريح..
كل الأنهار تجرى إلى البحر.. والبحر ليس بملآن.. إلى المكان الذى جرت منه الأنهار، إلى هناك تذهب راجعة.. كل الكلام يُقصر.. لا يستطيع الإنسان أن يخبر بالكل.. العين لا تشبع من النظر.. والأذن لا تمتلىء من السمع.. ما كان فهو ما يكون ، والذى صنع فهو الذى يصنع ، فليس تحت الشمس جديد..
ويستمر الجامعة فى هذا ، ولكنه يعلن إن الله صنع الكل حسناً فى وقته، وأيضا جعل الأبدية فى قلبهم التى بلاها لا يدرك الإنسان العمل الذى يعمله من البداية إلى النهاية.. ويتألم الجامعة ، لأنه حيث موضع الحق هناك الظلم.. وموضع العدل هناك الجور.. وعندما تقرأ سفر الجامعة ترى أن روح الجامعة إنسكبت فى شعر أبى العلاء المعرى ، وإن التشابه بينهما موضوع دراسة وتأمل..

١٨. عندما تكلم الحمار

حمار بلعام: يذكر لنا الكتاب المقدس إن حماراً قد تكلم ، وهذا أمـر غريـب لـم يحدث لم يحدث فى الواقع سوى مرة واحدة ذكرت فى سفر العدد ، ولكنه حدث فى الخيال أكثر من مرة مع توفيق الحكيم أديب مصر الحكيم ، فقد إقتضت حكمتـه أن يكون بينه وبين الحمار علاقة وطيدة ومتينة لأنه يعتقد إن الحمار كائن مقدس كما كان الجعران عند المصريين القدماء ..

وكما يقول الحكيم: إنه عرف الحمار منذ الصغر عندما إشترى له أهلـه حمـاراً بثلاثين قرشاً وجعلوه لنزهته فى الريف، وكانت لـه بردعـة صـغيرة حمـراء لا ينساها، وكانا خير رفيقين فى مثل سن بعضهما ثم فرقت بينهما الأيام ثـم عـادت لتجمعهما ، ولكن كان الحمار قد تنكرت له الحياة .. وعندما دنى منه توفيق الحكيم نظر إليه الحمار نظرة حزينة وكأنه يقول: آرأيت لقد ذهبت الطفولة .. وولت أيـام الهناء ؟..

ودافع الحكيم عن الحمار، ولكن الحمار رفع رأسه نحوه وكأنه يقول: لا فائدة.. لا تجهد نفسك معهم ما من أحد غيرك يعرف لى قدراً.. وحدد توفيق الحكيم معارفه من الحمير بأربعة.. وعندما أراد أن يسجل حديث الحمار إليه فى كتابه " حمـارى قال لى" وكان هذا عام ١٩٣٨م..

تساءل أى الحمير الأربعة الذى يحادثنى وأحادثه ؟.. وأجاب إنه لـيس واحـداً بالذات من بينها.. إنه جميعها.. هو كلها مجتمعة فى واحد.. هو روح هذه الأربعة التى عرفت.. إنه النوع بفصائله ، والفصيلة بصفاتها.. إنه أى حمار رأيته أو لـم أره.. مهما تكن ظروفه ومصائره.. أى حمار من تلك الحمير التـى أعـرف أو لا أعرف هو لى صديق.. أحبه وأحدب عليه.. وأفهم ما يجول فى خاطره.. وأنظر إلى عينيه .. وأصغى إليه فيخيل إلىّ أن صمته الطويل قد إنفرج عن حديث مؤنس يُدلى به إلىّ وأسئلة طريفة يلقيها إلىّ..

ولكن سؤالا هاماً يخطر ببالى وهو : لماذا هرب الحكيم من النـاس إلـى عـالم الحمير؟.. هل إعتقد أن الحمار أحياناً يفهم أكثر من الناس؟.. كمـا قـال الكتـاب المقدس : إن الحمار يعرف معلف صاحبه أو كما نعرف أن الحمار يعرف صـاحبه ويعرف داره ويتصلب ولا يتحرك عندما يصل إلى داره التى لو غاب عنها إلى مكان بعيد يعود إليها دون مرشد أو دليل..

أم أن الحكيم وجد ف الحمار فرصة ينجو بها من إستجواب الجهـات الأمنيـة عندما تقول له : الحمير نقداً لأى من كبار الشخصيات.. وتكون الحجة: لا تنفعلوا..

هذا كلام الحمار.. إنه كلام حمير .. لا تهتموا به.. ولا تحللوا محتواه.. لقد تحدث الحمار إلى الحكيم كيف كان مزاملا للبشر فى فلك نوح..

ويؤكد الحكيم بعد هذا إن الحمار يحمل نفساً صافية.. ومبادىء مثالية.. وإنه لا يمكن أن يكون إبليس قد دخل سفينة نوح متعلقاً بذيل الحمار.. ويستمر الحوار فى أحاديث عن هتلر وموسولينى، ومؤتمر الصلح، حتى إن الحمار إقترح أن يكوّن حزباً من الحمير، وللحمار فى حديثه رأى عن الذهب ، وعن السياسة، وحواء والقاضية، وحزب النساء، والمحكمة والجريمة ، والنفاق والكفاح، والجنة والنار..

حمار بلعام: وبلعام هذا كان عرآفا.. ومعنى إسمه مبتلع أو ملتهم.. وكان يحيا فيما بين النهرين.. أى فى العراق.. وذكر فى مواضع عديدة من الكتاب المقدس، وهو شخصية معقدة جداً.. وهو مثال للمعلم الذى ينحرف عن أهدافه..

وفى الإصحاح الثانى والعشرون من سفر العدد ، نقرأ عن حمار بلعام ، وكلام حمار بلعام، والذى حدث أن ملك بالاق أرسل إلى بلعام لكى يأتى إليه ويلعن أولاد يعقوب، وإمتنع ولكنه وافق بعد هذا بسبب الإلحاح ، ووقف ملاك الرب فى الطريق ليقاومه وهو راكب على آتانه، وغلاماه معه.. والغريب أن الآتان أبصرت ملاك الرب واقفاً وسيفه مسلول فى يديه.. بينما بلعام لم ير شيئاً.. مالت الآتان عن الطريق ومشت فى الحقل فضرب بلعام الآتان ليردها إلى الطريق..

ثم وقف ملاك الرب فى خندق للكروم ، له حائط من هنا ، وحائط من هناك.. فلما أبصرت الآتان ملاك الرب ، زحمت الحائط وضغطت رجل بلعام بالحائط ، فضربها أيضا، ثم إجتاز ملاك الرب ووقف فى مكان ضيق حيث ليس سبيل للنكوب يميناً أو شمالا.. فلما أبصرت الآتان ملاك الرب ربضت تحت بلعام فحمى غضب بلعام ، وضرب الآتان بالقضيب..

ففتح الرب فم الآتان فقالت لبلعام : ماذا صنعت بك حتى ضربتنى الآن ثلاث دفعات ؟.. فقال بلعام للآتان : لأنك إزدريت بى.. لو كان بيدى سيف لكنت الآن قتلتك.. فقالت الآتان لبلعام : ألست أنا آتانك التى ركبت عليها منذ وجودك إلى هذا اليوم ؟.. هل تعودت أن أفعل بك هذا ؟.. فقال : لا.. ثم كشف الرب عن عينى بلعام، فأبصر ملاك الرب واقفاً فى الطريق وسيفه مسلول ، فخرّ ساجداً على وجهه وعاتبه لأنه ضرب الآتان وقال : إن الآتان لو لم تمل لكان الملاك قد قتل بلعام.. وسلم أمره للملاك ، ولكن طبعاً لم يعتذر للآتان ، وهذه هى الدنيا..

١٩. عالم الحمير عند توفيق الحكيم

مسرحية الحمير: لا يخفى الأديب الكبير توفيق الحكيم إعجابه بـالحمير وبعـالم الحمير.. وهو يهرب من الرقابة الأمنية ، بأن يتحدث حديثه على فم الحمير ، بـل إنه فى هذه المسرحية يتخيل إنـه جالس على مكتبه مستغرق فى التأمل والتفكيـر ، ويدخل عليه حمار ويقدم نفسه له بأنـه حمار الحكيم القديم..

ولقد كان الحكيم فعلا ، تخلف عن الكتابة عن الحمير ، وكان آخـر مـا كتبـه رواية " حمار الحكيم" عام ١٩٤٠م.. ولكن يأتى هذا بعد ربع قـرن مـن الزمـان ١٩٧٥م.. ويعتب الحمار على الحكيم إنه يتجاهله دائماً ويحتقره ، ولكـن هـذا لا يمنع من كونه موجوداً يفكر..

أنا أفكر ، إذن أنا موجود.. ولكن الحمار يقول : أنا موجـود إذن أنـا أفكـر.. ويستأذن الحمار فى الجلوس، ويقول للحكيم : سأعرض عليك بعض ما أعرف عنك وعن غيرك من الحمير ثم يستدرك الكلام ، غيـرك مـن المفكـرين والمـؤلفين.. ويناقش الحمار مع الحكيم معانى ومغازى ألف ليلة وليلة ، والتى كتب عنها الحكيم شهرزاد وهى مسرحية صدرت عام ١٩٣٤ م..

والحمار طبعاً فاهم ومتذكر رغم مضى المدة ، ويناقش الحمار هنا : إن نهايـة كتاب " ألف ليلة " يختلف عن نهاية كتاب الحكيم.. فلقد قدم كتاب ألف ليلة وليلـة نهاية القصة بأن عاش شهرزاد وشهريار فى تبات ونبات وخلفوا صبيان وبنـات.. ولكن الحكيم يختم مسرحية شهرزاد ، بأن شهريار يهجر زوجتـه ويتـرك قـصره ويخرج هائماً على وجهه فى الخلاء، ويقدم الحمار فكرة جديدة عن الخلاء، ونهاية أخرى لشهريار..

ومسرحية " الحمير " لتوفيق الحكيم تحتوى على أربعة مشاهد هـى : الحمـار يفكر.. الحمار يؤلف.. سوق الحمير..حصحص الحبوب.. وإذا كان الحمار يفكـر ، فلابد أن الحمار يؤلف.. ولكن سوق الحمير جعل إثنان عاطلان ، يشاغل أحـدهما فلاح إشترى حماراً..

والعاطل الثانى يفك عقدة الحمار ويضع الحبل فى رقبته.. وهو بهذا قـد وجـد عملا، لأن الحمار يعمل ويأكل، وهو مستعد أن يعمل ويأكل ولا يجد فرصة ، ولكنه أخذ فرصة الحمار وقرر أن يريح المزارع كحمار ، وقال : إن السبب إنه حمـار ، إن والده نعته بهذا أكثر من مرة ، وإن الله إستجاب لـدعاء الأب، وصـار الإبـن حماراً.. ولكنه على يد الفلاح الطيب الذى هو من رجال الله الصالحين عاد إنـساناً ثانية..

والمسرحية نقد لأوضاع إجتماعية سيئة فى مصر، كانت ثمرة لما سُمى بالإشتراكية ، ويرى توفيق الحكيم فى مقدمة كتابه : إنه ينبغى أن يستمر نبض الحياة فى الأمة قائماً بوظيفته الحيوية ، لأنه لا قيمة لحياة بغير وعى.. وكما أن الوعى قبل ثورة يوليو ، جعل الأمة تفحص الديمقراطية وتتبين مواضع الزيف فيها.. وطالما نبض الحياة لم يتوقف ، فالواجب أن تفحص الإشتراكية ومواضع الزيف فيها..

وإذا كان المواطن قد قبل محاكمة الديمقراطية المنحرفة ، فلماذا لا يقبل فكرة المحاكمة للإشتراكية المزيفة ؟.. وإذا كانت ثورة يوليو ١٩٥٢ م.. حاكمت الديمقراطية المنحرفة ، لأنها أدت إلى هزيمة حرب ١٩٤٨م.. فلماذا لا تُحاكم الإشتراكية المنحرفة التى أدت إلى هزيمة ١٩٦٧ م ؟.. وشتان بين نتائج الهزيمتين، وخسائر الهزيمتين..

والحكيم مفكر حكيم، فهو ينتقد الديمقراطية ، ولا ينتقد الإشتراكية ، ولكنه ينفذ سلبيات التطبيق..

مقدمة المسرحية:

ويبدأ الحكيم المسرحية بكلمات كلها حكمة ، تتحدث عن الوعى والتفكير ، وتطالب أن يعيد المجتمع النظر في سياساته ، وكأنه يريد أن يقول : إن الرجوع إلى الوعى هو رجوع إلى النفس.. فلقد كان رجل له إبنان قال أصغرهما لأبيه : أعطنى ما يخصنى من المال.. أراد الصغير أن يرث أبيه وهو بعد حياً.. ووافق الأب.. وأخذ الإبن الأصغر أمواله وذهب إلى كورة بعيدة.. وصرف ما يملك على أصدقاء السوء.. وبذر ماله بعيش مسرف..

وكان يقصد أن يكون حراً من سلطة أبيه.. ولكنه كان صغيراً فى كل شىء.. صغيراً فى التفكير.. وكان قراره صغيراً إنتهى به الأمر إلى أن فقد كل أمواله.. وأيضا فقد كل الأصدقاء، لأنه إن كثر مالى ، فكل الناس خلانى.. وإن قل مالى فلا خل يصاحبنى..

ولكن فجأة عاد الوعى إلى الصغير.. صار الصغير كبيراً.. ورجع إلى نفسه وكان قراره أن يعود لأبيه ، ولم يهتم أن الأب ربما يرفضه ، وقرر أن يكون أجيراً لأبيه ، ولكن الأب رحب به وذبح له العجل المسمّن، وألبسه البدلة الجديدة فرحاً بعودته..

وقد يتم هذا على المستوى الفردى ، ولكن الحكيم يطالب الحكومة بأن تراجع موقفها ، وهذا صعب ، لأن المنافقين حول الحاكم يجعلونه يرى كذبه صدقاً، وخطأه صواباً.. ويتوه هو فى بحر من التملق ينتهى بأن يغرق فيه..

ويقول الحكيم : إنه عرض هذه المسرحية لتنشر فى الأهـرام ، ولكـن رئـيس التحرير أغلق عليها فى أضابير مكتبه.. وهو يقول أيضا : إن نبض الحياة فى أمة من الأمم يشبه نبض الحياة فى جسم من الأجسام ، وهو الإحساس بالخير والـشر والوعى للصواب والخطأ..

ولما كان مركز الإحساس والوعى فى الجسم هو المخ ، فإن هذا المركـز فـى المة هو المخ أيضا.. ومخ الأمة هو الفكر، وأهل الفكر.. وعلى ذلك فلا حياة لأمة، إلا بإحساسها ووعيها لما يحدث لها .. وقد كان وعى مصر أن يكون لهـا صـوت وإرادة فى حكم نفسها على الأقل فى المجال الداخلى طالما الإحتلال يصيبها بالشلل فى علاقاتها الخارجية..

كان الشباب كلما مر الخديوى هتفوا : الدستور يا أفندينا.. وجاء الدستور بعـد ثورة ١٩١٩م.. وأتت الديمقراطية ، ولكنها إنحرفت عن مجراها الطبيعـى.. وقـد كتب " شجرة الحكيم " يتحدث فيها عن فساد الديمقراطية.. أعتقد إن الحكيم يريد أن يقول : إن الحمير تفكر وتفكر أو إنها أحكم وأوعى من الحكام المستبدين..

٢٠. بثينة خضر والرسم بالكلمات

بثينة خضر: منذ أمد بسيط وقليل تعرفت على المرأة السودانية بثينة خضر مكى ، وهى الان رئيسة رابطة الأديبات السودانيات.. وهى إمرأة فى قامة الكنـداكات الآن حكمن السودان ملكات.. وبينما كانت البنات مؤودادت ، كانت البنات عندنا ملكات.. تحكمنا ونأتمر بأمرها..

والكنداكة بثينة خضر مكى هى ملكة الكلام ، هى الأديبة والشاعرة والتى تُـدير كل يوم إثنين ندوة أدبية فى حدائق الأسكلا على شاطىء نهـر النيـل ، ويجتمـع حولها الأدباء والأديبات يتحدثون نثراً.. ويتكلمن شعراً.. فى صالون أدبى رفيع ..

وعندما حضرت معهم وإستمعت إليهم ، أعجبت بهم أيما إعجاب، وشعرت إننـى صغير أمام هذا الجيش العظيم من عمالقة الأدب فى السودان ، والذين يتعاملون مع الأحداث بحكمة بيوت الشعر ، فكل حدث له بيت شعر يتلاءم معه.. والـسكن فـى بيوت الشعر قصائد عصماء شاهقة وعظيمة..

وكنت أخاف على شباب وطنى من تركهم بيوت الشعر ليـسكنوا بيوتـاً خاويـة جوفاء.. ولكننى رأيت فى هذا المنتدى كيف أن الشعر له مكان فـى قلـوب أبنـاء السودان الذين رغم قسوة العيش يختلون بأنفسهم ، وينـسون آلامهـم ويكتبـون

شعراً، ويسافرون إلى أرض الأحلام ، ويحلمون بسودان جميل فيه يحيا الناس الحب الحقيقى..

الرسم بالكلمات: والأستاذة بثينة خضر مكى هى فنانة.. هى رسامة.. ترسم اللوحات بالكلمات.. وحولها ترسم الكلمات صورة كفاحها .. فلقد رسمها البروفسور بركات موسى الحواتى فى لوحة وقال فيها : بثينة خضر مكى تشبعت تماماً قيمة الوطن المكان والشخوص والتاريخ، فكان مدار وجدانها وصرير قلمها وكيمياء عقلها إندمجت كلها فى بوتقة.. من قلب الحياة يجىء الإبداع لينثر على الورق مشاوير الوجع ومهرجان القناعات..

أما إبراهيم مبارك من دولة الإمارات فيرسم بالكلمات صورة فتوغرافية للأديبة السودانية بثينة ويقول عنها: إنها تقدم أعمالها بلغة واضحة وجميلة ، تشعر الملتقى بأنه أمام أديبة تقدم الحقيقة دون مواربة أو خوف ، وتعطى العمل الأدبى مذاقه وجمال عباراته .. إنها صادقة وجريئة تستطيع إختراق كل الحصون الإجتماعية ، وهذه الصفات لا تتوفر إلا عند الأديب الحقيقى الذى يعرف ما يحتاجه فن الأدب ..

ومن العراق يرسم العراقى الدكتور صبرى مسلم لوحة بثينة ويقول عنها: إنها قاصة ماهرة تجيد إختيار أحداثها المعبرة ولا تعطيك الإحساس بأى شكل من الأشكال إنها تؤرخ لأحداث حياتها نظراً لتنوع تلك الأحداث وتشعبها وهى تمسك بخيوطها بمهارة فائقة عالية ، تتسع كثيراً لتشمل كل النشاط الإنسانى ، فليس ثمة إنغلاق فى إختيار الأحداث يفرضها عليها كونها إمرأة ، بل إنها تحاول أن تقتحم أكثر من مجال وفى إتجاهات مختلفة..

الأديبة الفنانة: والأستاذة السودانية بثينة خضر مكى حائزة على وسام العلم والآداب والفنون الذهبى والمقدمة من رئاسة الجمهورية تقديراً لما قدمت من أعمال جليلة للدولة فى ميدان التربية والتعليم والعلوم والآداب والفنون ، فى مارس ٢٠٠٣ م..

وفى نفس الشهر من نفس العام حصلت على جائزة الشهيد الزبير للإبداع والتميز العلمى فى مجال آداب اللغة العربية بالإشتراك عن مجموعة إنتاجها فى الأدب العربى على مستوى العلميين..

وعندما تدخل إلى عالم بثينة خضر مكى سوف ترى كيف ترسم بالكلمات أجمل اللوحات ، وهى تقول : إن الأدب هو النار المقدسة التى يحترق بها الذين ينحشرون فى آتونها قسراً أو بإختيارهم ، ولكنهم يستعذبون حريقها وآلامها.. وهى ترى أن الكتابة إثم لا يقترفه سوى الذين يجيدون ركوب الآخيلة فى الليالى

الماطرة ، ويفهمون معنى الصهيل الوجل عند إقتراب السفن الجامحة من المرافىء..

وبثينة خضر إمرأة تعتز بالمرأة.. ونحن نحتاج إلى أدب الإعتزاز بالمرأة.. أدباً يعيد إليها الثقة فى النفس ويدفعها نحو العطاء.. وكنت قد طلبت منها أن تقدم لى كتاباً هو مجموعة مقالات عن المرأة ، هى والأستاذة الرقيقة الأديبة الصحفية بخيته الأمين.. وإخترت عنواناً هو " ولكن النعمة إمرأة ".. وقالت لى بخيته الأمين: هناك برنامج إذاعى عنوانه " إمرأة ولكن ".. وهذا برنامج أرفضه ، ولكنى قلت لها: إن ولكن عندى تختلف عن ولكن الأخرى..

إن " لكن" عندى بوابة أمل.. وعندهم دليل فشل والسيد المسيح يقول : فى العالم سيكون لكم ضيق ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم.. والحوارى بطرس قال للسيد : لقد تعبنا الليل كله ولم نأخذ شيئاً ولكن على كلمتك نلقى الشبكة.. وبولس يقول : مكتئبين فى كل شىء لكن غير متضايقين.. متحيرين لكن غير يائسين.. مضطهدين لكن غير متروكين.. مطروحين لكن غير هالكين.. وأقول لكم : ما أقوى الكلمة.. إن الله كلمة.. فى البدء كان الكلمة.. وما أجمل المرأة الكائن الرقيق وهى ترسم بأناملها لوحات رائعات بأجمل الكلمات..

٢١. ندوة الإثنين والولادة الجديدة

ندوة الإثنين: قدمت لى الأستاذة بثينة خضر مكى رئيسة رابطة الأديبات السودانيات دعوة لإلقاء كلمة فى ندوة الإثنين التى تتم تحت قيادتها ، ولأن يوم الإثنين عندى هو يوم الخلوة.. يوم الإختلاء بقصد الإمتلاء ، يوم أترك فيه صخب المدينة وأرابط على بعد سبعين كيلو متراً منها.. فى موقع خلوى.. فيه أصلى وأتمشى وأقرأ وأكتب وأنام وأصحو.. وأسجد وأركع دون أى تحفظات ، ودون أى ما يقطع خلوتى.. رغم هذا وافقت وأسعدنى اللقاء بهذه المجموعة..

وكنت أعتقد إنها ندوة لأديبات ، ولكنى وجدت قلب المرأة مفتوحاً للرجال ، والحضور مشترك .. وكان موضوع الحديث عن الحب الإنسانى من منظور مسيحى.. وهو موضوع ليس صعباً أمامى فالمسيحية قدمت المحبة ، ليس فقط المحبة المتبادلة مع الحبيب الذى يتجاوب ، إنما المحبة حتى مع الأعداء أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم.. صلوا لأجل الذين يسيئون إليكم.. إن جاع عدوك فأطعمه وإن عطش فأسقه فإنك إن فعلت هذا إنما تجمع جمر نار على رأسه .. والنار هنا

نار مطهرة وليست ناراً مدمرةً.. ناراً تحرك إنسانية العدو وتجعله يصبح صديقاً حميماً..

ونشيد المحبة الذى قاله فيلسوف المسيحية بولس الرسول ، نشيد يتغنى بأجمل الكلمات عن المحبة.. المحبة تتأنى.. وترفق..المحبة لا تحسد.. المحبة لا تسقط أبداً.. المحبة لا تظن السوء.. إن أطعمت كل أموالى .. وإن سلمت جسدى حتى إحترق ولكن ليس لى محبة فلا أنتفع شيئاً.. إن كان لى كل الإيمان حتى أنقل الجبال ولكن ليس لى محبة فلست شيئاً.. إن كنت أتكلم بألسنة الناس والملائكة ولكن ليس لى محبة فقد صرت نحاساً يطن أو صنجاً يرن..

ويوحنا الحبيب صاحب رسالة المحبة ، عاش حتى وصل من العمر أكثر من مائة عام كانوا يأخذونه فى سلة ويضعونه أمام الناس فيقول لهم : أحبوا بعضكم بعضاً.. أحبوا المحبة.. وكنت قد طرحت أمام الحاضرين جوهر المحبة الحقيقية ، وهو أن لا تملك الآخر ، إنما أن تصير ملكاً للآخر ، لأن بين المحبة وشهوة الإقتناء خيط رفيع..

الولادة الجديدة: وخلال الندوة كنت قد قدمت كتابى " المؤمنون يتنافسون " هدية للحاضرين.. وبدأ الحوار.. وكان الحوار فى الندوة ثرياً للغاية فى تعليق لطيف وظريف وخفيف ، ولكنه فى لهجة قوية وحارة وملتهبة .. قال الدكتور عبد الرحمن رمضان : إن هذا يوم سعيد ، وبسرعة قال : إن أبونا فيلوثاوس ولد منذ عدة أعوام وبضع شهور ولم يزل يجاهد حتى النفس الآخير..

وإعتقدت إنه أعجب بهذا الهروب من الحديث عن السن ولكننى فوجئت به يقول عن نفسه ، أما أنا فلم أولد بعد.. وكيف تقول عنى فى أى زمن ولدت ؟.. تسائلنى فى أى زمان ولدت وأنا لم أزل برعماً يحاول النضج.. لم أزل مزمار ناى لم أثقب.. لم أزل نغماً داؤدياً ولم يعزف.. تسائلنى فى أى زمان ولدت ، وأنا لم أزل على جدار بيضة أنقر.. وأنا لم أزل فى رحم الغيب لم أولد بعد .. وهنا إلتقطت أنفاسى وقلت الحمد لله أنا أقول إننى ولدت دون أن أحدد موعد ميلادى .. وهذا رجل لم يولد بعد ، الحمد لله إننى تعرفت عليه..

ولكنه إستدرك الأمر وقال : أنا ولدت اليوم.. ولدت اليوم ولادة جديدة وأنا أستمع لأبونا وهو يؤكد إن المحبة أن تصير ملكاً للآخرين.. لا أن تملك الآخرين ، ثم راح يتحدث عن نماذج لرجال أقباط عاش معهم ، ولم يختلف مع أى أحد منهم يوماً واحداً.. مثلما فتح الله رياض شقيق هنرى رياض..

ومضت الأستاذة بثينة خضر مكى تتحدث عن شندى وأقباط شندى وعن بسخيرون إبراهيم والعم صادق وبنيه ولطفى هابيل والأستاذ الأديب إدوار سمعان

ميخائيل ، والذى إليه يرجع الفضل فى تكوينها الأدبى من خلال ما كان يجلب من كتب ومجلات إلى شندى..

وقال أحد أدباء الندوة وهو ناصر المك : إننى أقرأ مقالات أبونا وأشعر إنه يكتب إلىّ.. يخاطبنى شخصياً إنه إنجيل متحرك.. وتحدث عز الدين ميرغنى عن المرأة السودانية وعن رواسب المسيحية فى السودان ، وإننا حتى الآن ما زلنا نضع الصليب للمرأة النفثاء طلباً للشفاء..

وقالت منال عبد الله جودة قصة قصيرة وجميلة.. وتحدثوا عن ظبية المسالمة.. اللى فى الخمايل حايمة.. اللى بريدى(حبى) عالمة.. وعن لى فى المسالمة غزال شارد بغنى عليه.. وذكرت الأستاذة بثينة قصة تجربة إمرأة أثيوبية تبيع الشاى ومعاناتها من النظام العام فى أسلوب أدبى رقيق وراقى..

أما الإبن خالد غانم يوسف فقال قصيدة عن المرأة.. المرأة ليست لى أنثى.. المرأة فكر وعقيدة.. المرأة حلم يقلقنى.. ويخرج منى أنشودة.. تؤرق مضجع أفكارى.. وتخرج منى أنشودة.. المرأة أكبر من هذا .. المرأة أروع أسطورة..

وقد أسعدنى كل من تكلم فى الندوة ، وطالبتهم أن يقولوا المزيد فى حق المرأة، ويقدمون لها أحلى الكلمات ، فهى التى تقف وراء كل عمل عظيم ، وكل رجل عظيم .. ورغم إنها تملك المقدمة تحب أن تحيا فى الظل.. وتعطى دون من أو إمتنان.. ودون أن تطلب مقابل لحبها.. نشكر الله أن خلق لنا المرأة سلاماً وسكناً وراحةً ووحياً وإلهاماً وسنداً فى كل آلام الحياة وآمالها..

٢٢. التهديد والتجميد وفلك نوح

فلك نوح: عندما تزايد سكان العالم ومعهم تزايد الشر وكثر الطغاة وزاغ الإنسان عن طريق الله، وتنامى الجبابرة فى الأرض، كان حكم الله الصارم بأن يغرق كل العالم بالطوفان، عدا أسرة واحدة مكونة من ثمانية أفراد هى أسرة نوح الذى كان رجلا باراً كاملا فى جميع أجياله..

وقال الله لنوح : نهاية كل بشر قد أتت أمامى لأن الأرض إمتلأت ظلماً منهم، فها أنا مهلكهم مع الأرض.. أصنع لنفسك فلكاً من خشب جفر وتطليه من داخل ومن خارج بالقار، وحدد الله الطول والعرض والعمق لهذا الفلك ، كما حدد أنواع الحيوانات والطيور وعددها ذكوراً وإناثاً..

ودخل الثمانية أشخاص إلى الفلك وأغلق الله عليهم، ويقولون: إنه لم يكن هناك مانع أن يكون مع أسرة نوح من يرغب فى الدخول ، ولكن نوحاً تعرض لسخرية الساخرين ، وإستهزاء المستهزئين، حتى من أصهاره أقرب الناس إليه.. والذين أغلق الفلك من دونهم، وكان عمر نوح أنئذ ستمائة سنة..

وبعد هذا إنفتحت ينابيع الغمر العظيم وتكاثرت المياه جداً وتعاظمت ورفعت الفلك فإرتفع على الأرض.. وغطت المياه جميع الجبال الشامخة التى تحت كل السماء.. كانت الأمطار تنهمر سيولا لمدة أربعين يوماً.. ثم بعد مائة وخمسون يوماً إستقر الفلك فى اليوم السابع عشر من الشهر السابع على جبال آراراط.. وفى اليوم العاشر من الشهر العاشر ظهرت رؤوس الجبال..

وبعد هذا فتح نوح طاقة الفلك وأرسل غراباً خرج متردداً ولم يعد، ثم أرسل حمامة عادت إلى الفلك لأنها لم تجد مستقراً لرجلها.. وأرسل حمامة أخرى عادت إليه تحمل غصن الزيتون الأخضر فى فمها، وكأنها تؤكد أن المياه قد إنحسرت، والحياة قد بدأت..

وبعد هذا أمر الرب إلى نوح: أن يخرج من الفلك، وأن تخرج معه الطيور والبهائم والدبابات ، لكى تبدأ رحلة الحياة ويحدث التوالد والتكاثر .. لقد كان فلك نوح حماية للنوع الإنسانى وللطيور والحيوانات حتى لا تنقرض إنقراضاً كاملا.. ومن هنا بدأت الحياة الجديدة تحت زعامة نوح البار.. ومن بعدها تكاثر الناس، وتكاثرت الحيوانات والطيور..

وقصة نوح وسفينة نوح أمر معروف ذكره التاريخ ، وأقرته الجغرافيا، وأكدته علوم الطبيعة.. وذكر القرآن الكريم : إن الله أوحى إلى نوح" وأصنع الفلك بأعيننا ووحينا، وإنه عندما بدأ كان كلما مرّ عليه ملأ من قومه سخروا منه، ولما طلب منهم أن يستغفروا ربهم ويتوبوا إليه لم يتجاوبوا مع نداءاته القوية..

ويرى رجال العهد الجديد : إن فلك نوح هو رمز للكنيسة التى تنقذ العالم من طوفان الشر وألويته.. وإن أهل نوح نالوا التطهير بالمعمودية بماء الفلك ، ولكن من المعروف إنه لولا الفلك لمَ بدأت حياة جديدة على وجه المعمورة..

التهديد والفلك الجديد: ولأن حيوانات الأرض الان مهددة بالإنقراض، فإن عالم اليوم يتجه نحو بناء فلك جديد لتخزين المواد الوراثية لآلاف الحيوانات المهددة بالإنقراض.. والحفاظ على شفرات الحياة لهذه الحيوانات حتى بعد إنقراضها، ولكى يتمكن علماء الأجيال القادمة من فهم المخلوقات التى إنقرضت منذ وقت طويل وتجهيز برامج مستقبلية للحفاظ على الحيوانات التى يتهددها خطر الإنقراض..

وقد تم فعلا تأسيس بنك للأنسجة فى بريطانيا ، ويحظى هذا المشروع بدعم من متحف التاريخ الطبيعى وجمعية علوم الحيوان فى لندن، إنطلاقـاً مـن أن معـدل إنقراض الكائنات من كوكبنا سوف يكون مرتفعاً للغاية وعلى الأخص فى الثلاثـين عاماً القادمة، والتى سوف تؤدى إلى إنقراض ربع الثدييات، وعشرة فى المائة من الطيور بسبب التغير المناخى، وتوقع بإنقراض عدد كبير من الحشرات والدجيـدان والعناكب..

وقال أحد علماء المشروع: لا يدرك كثير من الناس التهديـد الحـالى للتنـوع البيولوجى الذى نواجهه فى وقتنا الحاضر، ولأن الإنقـراض يخلـف ثغـرة فـى المنظومة البيئية ، وكل كائن ينقرض يأخذ معه ثروة مـن المعلومـات.. وعنـدما يموت آخر فرد فى صنف من الكائنات تفقد كل المعلومات عن عمليات التكيف التى تراكمت على مدار السنين..

وسوف يكون فلك نوح الذى يحمى من التهديد معتمداً على فكـرة التجميـد.. وسفينة نوح سفينة مجمدة.. ويقولون: إنه لو بدأ هذا المشروع منذ وقـت سـابق لكان أفضل.. ولكنه بدأ الآن، ولا نعلم أين ستستقر سفينة نوح المجمدة فى النهاية ؟.. ولكن البداية قد بدأت.. وأرجو أن يكون معها إستعداد روحى للمستقبل البعيد.. فالأبدية فى الإنتظار، وعلينا أن نأخذ القرار حتى لا نندم ونقول: بنيت قبورنا قبـل أن تبنا.. ياليتنا تبنا قبل أن تبنى ..

٢٣. جحا يهمس فى أذن حماره

قصة جحا: يحكى أن جحا ذلك الخفيف الدم ، والذى أثرى الساحة الثقافية بنوادره الجميلة، إنه ذات مرة أراد أن يمتطى حماره.. ولكن الحمار رفض بـشدة وأحجـم وتشبث بموقفه.. وتصلبت كل أعضاء جسده.. وكانت مسرحية حـضرها كثيـرون وحاول البعض التدخل، وضربوا الحمار ضربات شديدة، وإعترض جحا على إمتهان كرامة الحيوان، وعلى الأخص الحمار، والذى هو حيوان معروف بالذكاء، فهـو إن أخذته إلى أى مكان يرجع إلى موقعه اتية..

وقد وصفه الكتاب المقدس بالذكاء عندما كان يتهكم على البشر الذين لم يرتقوا إلى ذكائه، الثور يعرف قانيه والحمار معلف صاحبه أما شعبى فلا يعرف.. ويـذكر لنا الكتاب المقدس الحوار الذى دار بين بلعام وبين حماره عندما نطق الحمار بعـد إيذاء كرامته بالضرب، وقال لصاحبه : لماذا تضربنى ؟.. ألست أنا حمـارك التـى

ركبت عليها منذ وجودك إلى هذا اليوم ؟.. هل تعودت أن أفعل معك هذا ؟.. لماذا ضربتنى ثلاث مرات ؟..

والذى حدث بعد هذا أن بلعام إكتشف إنه لم ير ما رآه الحمار.. لأنه عندما إنكشف عن بلعام رأى ملاك الرب واقفاً فى الطريق وسيفه مسلول فى يده، فخّر ساجداً على وجهه وتحاور مع ملاك الرب.. ونعود إلى جحا لنرى أن حماره صمم على أن لا يركبه صاحبه، وكان مصمماً على هذا ومتشبثاً بموقفه..

ولكن جحا هو نفسه الذى حلّ عقدة الأزمة وذلك بأن همس فى أذن حماره، وفى الحال وبعد أن سرى الهمس فى كيان الحمار ، تغير موقف الحمار، ووافق على أن يمتطيه جحا الذى أخذ حماره ومضى فى طريقه دون أن يعرف موكب حكماء الحلول الذين ضربوا الحمار ضرباً مبرحاً، ولكنه لم يتحرك..

ويقولون: إنه حتى الان لا يعرف أحد ما سر هذا الهمس.. وماذا قال جحا لحماره ؟.. وبماذا وعده ؟.. هل وعده بمزيد من الطعام أم بأن يزوجه حمارة السلطان أم بأن يقطع رأسه مرة واحدة ؟.. وظل هذا الهمس سراً حتى الان مثل سر التحنيط عند الفراعنة الأقدمين..

سر الهمس: لو حدث أن فهمنا سر هذه الكلمات الهامسة، لتمكنا من الوصول إلى حل لكل المشاكل المعقدة فى عالمنا المتوتر، والذى يحيا على حديد ساخن وتزداد فيه التوترات ويكثر الحكام من البيانات المتطرفة والتصريحات المتوترة، ويقودون الشعوب إلى حروب طاحنة.. ويستغلون الجماهير ويلهبونها حماساً وطنياً دافقاً وهم ليسوا هكذا إنما هم يريدون البقاء.. فى كراسيهم فى رضا الحال وهناء البال، ولكن أى رضا هذا وأى هناء ؟.. وما معنى أن يموت بنو الإنسان فى قضايا ليست ذات شأن ؟.. لو عرفنا سر الهمس لتحول العالم إلى عالم أفضل يحيا المحبة ويدرك نعمة الله، ويحقق الهدف المنشود من خلقته.. لأن الله لم يخلقنا عبثاً، بل خلقنا لأغراض صالحة قد سبق فأعدها لنا، ولأن الإنسان هو سيد هذا الكون.. وهو الذى إستخلفه الله لكى يحكم العالم.. ولماذا نبحث عن سر الهمس ونحن نعرف عنه الكثير ؟.. لا شك إن الهمس كان بالكلمة الطيبة .. والتى قال عنها الكتاب المقدس : ليكن كلامكم مصلحاً بملح وعلى قدر طاقتكم سالموا جميع الناس.. ولأن الله كلمة..وأن السيد المسيح هو كلمة الله كقول القرآن الكريم عن حديث الملاك إلى مريم: إن الله يبشرك بكلمة منه إسمه المسيح عيسى بن مريم.. فلا شك إن الكلمة هى المؤثرة ، وإنه من البيان لسحرا.. ألم تر كيف ضرب الله مثلا ؟ : كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها..

ونحن عندما نتبنى منهج الكلمة الطيبة لا نكون نحن المتكلمين ، بل يـــتكلم الله على فمنا ويختار الكلمات الطيبات التى تضمد الجراح وتصل إلى الأهداف السامية، لأننا نتكلم بأمانة الله.. ولأنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخــرج من فم الله.. ونصيحة الرسول بولس إلينا : أن لا تخرج كلمة ردية من أفواهكم، بل كل ما كان صالحاً للبنيان حسب الحاجة كى يعطى نعمة للــسامعين.. ولا تحزنــوا روح الله القدوس الذى به ختنتم ليوم الفداء.. أعتقد أن القارىء الذكى يعرف جيداً سر الهمس الذى يجعله يمتطى كل المواقف ويعيش سعيداً ويسعد من حوله بالكلمة الطيبة..

٢٤. إستراتيجية القمى فى حرب البجا

تاريخ الطبرى: كتب الطبرى كتابه " تاريخ الرسل والملوك " فى آوائل القرن العاشر الميلادى سنة ٩٣٢م.. وتحدث فى كتابه عن النوبة وعن البجا.. ذكر عن النوبة إنهم يتقنون الرمى بالسهام، وإنهم إستحقوا لقب رماة الحدق.. ثم تحدث الطبرى عن " البجة" وإنهم أغاروا على جرش من أرض مصر سنة ٨٥٥م.. وإن البجة بالذات كانت لا تغزو المسلمين ولا يغزوهم المسلمين لهدنة بينهم قديمة..

وذكر أن البجا هم من جنس الحبش بالمغرب وبالقرب من السودان.. وطبعاً أطلق على السودان كثيراً الحبش.. وذكر أجناساً كثيرة منها: غانا وأكسوم والحبش.. وقد كانت غانا قطعة من الممالك النوبية القديمة، ولاشك أن المسيحية قد وصلت إلى غانا ممتدة إليها من بلاد النوبة.. وكانت غانا فى إطار مناطق الذهب السودانى..

وذكر الطبرى : إن الهدنة بين البجا والعرب كانت تقتضى ضريبة أو جزية تدفع إلى السلطان كل سنة، وكانت من الذهب والذى كان كثيراً بالمنطقة ، حتى أن المساجين كانوا يربطون فى سلاسل من ذهب، كما شاهد وفد الملك الفارسى قمبيز ذلك ، وكتب عنه نعوم شقير..

وكان الذهب الذى يقدم سنوياً أربعمائة مثقال من التبر قبل أن يطبخ ويصفى.. ولكن البجة رفضت دفع هذه الجزية أيام المتوكل لسنوات متتالية، وكان المسئول عن هذا رجل يدعى قوصرة ، هذا كتب إلى المتوكل يقول: إن البجة قد نقضت العهد الذى كان بينها وبين المسلمين، وخرجت من بلادها إلى معادن الذهب والجوهر، وهى على التخوم فيما بين أرض مصر وبلاد البجة فقتلوا عدداً من

المسلمين من العاملين فى مناجم الذهب والجوهر، وقاموا بسبى العدد الكبير من الزرارى والنساء..

وقالوا : إن المعادن لهم فى بلادهم، وإنهم لا يأذنون للمسلمين فى الدخول إلى بلادهم مما كان سبباً فى هجرة العاملين من المناجم وإنقطاع دفع الخراج ، والذى كان يشكل خمس الذهب والفضة والجوهر.. وعندما وصلت الرسالة إلى المتوكل شاور فى الأمر وقال له أهل المشورة : إن الحرب مع البجة مشروع صعب ويحتاج إلى إستعداد كبير..وزاد وفير.. لأن بلادهم مغاور وصحارى يصعب الوصول إليها ، فهى مسيرة شهر فى أرض قفر وجبال وعرة لا ماء فيها ولا زرع.. وسمع المتوكل المشورة وأمسك عن الذهاب إليهم، ولكن أهالى هذه المنطقة ألحوا إلحاحاً شديداً عليه أن يعد العدة لإنقاذهم..

إستراتيجية القمى: وللذهب بريق خاص لدى الحكام ولدى الشعب.. حتى أن سليمان الحكيم عندما تحدث عن خبراته فى الحياة قال : جمعت لنفسى أيضا فضة وذهباً.. ومهما إشتهته عيناى، ولكنه قرر فإذا الكل باطل وقبض الريح ولا منفعة تحت الشمس.. وأوكل المتوكل ولاية الحرب إلى محمد بن عبد الله المعروف بالقمى.. وبدأ الإستعداد، وطلب الجند من رئيس الجند وقام على رأس جيش قوامه عشرون ألفاً من الجنود بين فارس وراجل..

وكان من بينهم عدد من المتطوعين ومعه زاد الرحلة سبعة مراكب محملة بالدقيق والزيت والتمر والشعير.. ووصل القمى إلى هناك.. وإحتجز المراكب سراً فى البحر تحت حراسة.. ودخل القمى إلى حصون الملك على بابا والذى واجه القمى ومعه إبنه " لعيس" وكانت المواجهة بين الجيشين فى لقاءات ومناوشات دون بدء الحرب كسباً للوقت حتى تنفد المؤن.. وإعتقد عظيم البجة أن المؤن قد نفدت ولكن هذا لم يحدث، ولكنه بدأ القتال وإشتدت رحى الحرب..

كان البجة يستعملون الإبل وهى تنزعج كثيراً وترتعب من الذعر، فدبر القمى خطة للإبل ، وجمع الأجراس الموجودة عندها، وجعلها فى أعناق الخيل ثم حمل على البجة فنفرت جمال البجا والإبل لأصوات الأجراس، وإشتد رعبها فحملتهم على الجبال والأودية ومزقتهم كل ممزق، وأتبعهم القمى بأصحابه فأخذهم قتلا وأسرى حتى أدركه الليل.. ثم رجع إلى معسكره..

وطارد ملك البجة وأخذ تاجه ومتاعه ، وطلب الملك على بابا الأمان على أن يرد إلى مملكته وبلاده وأعطاه القمى الأمان.. وعاد الخراج مرة أخرى بقوة السلاح وحيلة الحرب وتمّ هذا بأثر رجعى لمدة أربع سنوات، لكل سنة أربعمائة مثقال من ذهب.. وتولى بعد على بابا إبنه " لعيس" وعاد القمى وفى يده على بابا أسيراً إلى

المتوكل.. ولكن إبن على بابا جاء إلى باب المتوكل وكان معه سبعون غلاماً على الإبل ومعهم الحراب، ويلبسون الملابس السوداء ..

وما كان من المتوكل إلا أن قبض على المجموعة كلها، وولى المتوكل حاكماً آخر لبلاد البجة، وطريق ما بين مصر ومكة للقمى نفسه الذى صار مسئولا عن البجة.. وإنتهى الأمر هكذا ، ويقول الطبرى: إن على بابا ملك البجة ظل مقيماً على دينه وأن بعضهم رأى معه تمثالا لصنم من حجارة فى هيئة صبى كان يسجد له..

٢٥. السعيد والأسعد

المسيحية والإسلام: بالرغم من أن الأديان تسعى سعياً حثيثاً لسعادة الإنسان ، فإن كلمة سعادة وتصريفاتها ليست كثيرة فى الكتاب المقدس.. وأيضاً فى القرآن الكريم وذكرت كلمة سعد وسعادة وسعيد خمس مرات فى الكتاب المقدس..

١. عندما ولدت زلفة جارية ليئة ليعقوب إبناً قالت ليئة " بسعد" بمعنى إنه يكون سعيداً ودعت إسمه جادا (تكوين ٣٠:١١)..

٢. فى سفر أيوب يقدم هو نفسه تعبيراً عن عبور السعادة مثلما عبور السحاب فيقول: إنقلبت علىّ أهوال ، طردت كالريح نعمتى فعبرت كالسحاب سعادتى (أيوب ٣٠:١٥)..

٣. أما أنتم الذين تركوا الرب ونسوا جبل قدسى وتبوا للسعد الأكبر مائدة، وملأوا للسعد الأصغر خمراً ممزوجة فإنى أعينكم للسيف لأنى دعوت ولم تجيبوا، تكلمت فلم تسمعوا.. والحديث هنا للرب فى سفر أشعياء فيه توبيخ للناس الذين دعوا آلهة الأوثان بأسماء السعادة السعد الأكبر والسعد الأصغر.. لأن السعادة لا توجد إلا عند الرب الإله..

٤. أما داؤد النبى والملك فيرى إن الإنسان السعيد هو يملك قلباً رؤوفاً ويعطى للمحتاج فرضاً حسناً فيقول: سعيد هو الرجل الذى يترآف ويقرض، يدبر أموره بالحق لانه لا يتزعزع إلى الدهر، الصديق يكون لذكر أبدى.. قلبه ثابت متكل على الرب، قلبه ممكن فلا يخاف (مزمور ١١٢)..

٥. عندما يقف بولس الرسول أمام الملك أغريباس لكى يقدم دفاعه يستهل الدفاع بالإعراب عن سعادته.. إنى أحسب نفسى سعيداً أيها الملك أغريباس إذ أنا مزمع أن أحتج اليوم لديك (أعمال ٢٦)..

أما القرآن الكريم فذكرت كلمة سعيد مرة واحدة ، وسعدوا مرة واحدة.. يوم يأتى لا تكلم نفس إلا بإذنه.. وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها..

السعيد والأسعد: أذكر أننى ذات يوم تعرفت على صديق فى أستراليا إسمه " سعيد مرقس" وعندما أعجبت به قلت له: إننى سعيد أن أتعرف عليك.. ورد هو على التو: وأنا أسعد بالتعرف عليك أكثر.. والأسعد درجة من السعادة فوق درجة السعيد.. والسعادة حلم ينبغى كل إنسان أن يحققه.. وعلى أعتاب عش الزوجية يفرش الناس طريق العروسين بأسمى أنواع السعادة وأحلامها الجميلة.. وكان كبارنا يقولون: لنا إن السعادة ليست فى الشهرة ولا فى الجاه ولا فى السلطة ولا فى الثروة .. وكما يقول الشاعر:

ولست أرى السعادة جمع مال .. ولكن التقى هو السعيد..

وهناك محاولة لدى علم النفس تتمثل فى معادلة تساعد الإنسان أن يكون سعيداً، وأن يحصل على أكسيد السعادة.. وتضيف إلى سعادته سعادة فيكون" أسعداً".. ويقول مقدم النصيحة : إنه لابد أن كل منا ذاق طعم السعادة ولكننا نعانى من أن اللحظات سعيدة قليلة وتمر بسرعة..

وأرى إننا نحن أنفسنا عندما نضحك تعبيراً عن سعادتنا بطريقة أو تصرف لطيف نقول: اللهم إجعله خيراً لأننا متأكدون إن السعادة لا يمكن أن تستمر.. وإنه ربما يأتى إلينا خبر من الأخبار أو حدث من الأحداث يعكر صفو سعادتنا.. ولكى يكون الإنسان سعيداً بل لكى يكون أسعد من سعيد، فإن هناك معادلة تقول: إن إستمتاع + إنغماس + معنى= سعادة..

والإستمتاع معروف بأنه تحقيق أقصى متعة.. والإنغماس هو الإستغراق فى السعادة كما يستغرق الصوفى فى عبادة الله ويركز فى هذا وينسى كل ما حوله.. أما المعنى فهو أن يكون لحياتنا معنى معيناً يتمثل فى هدف مقدس ومعنى سامياً ونبيلا..

وعلماء النفس الذين يطرقون هذا الباب ويقدمون معادلة السعادة يسمون علماء النفس الإيجابى، وهم يعدون بأن هذه المعادلة تضيف من ١٠% إلى ١٥% إلى سعادتنا ، وينصحون لإطالة هذه اللحظات أن ننغمس تماماً فيما نفعل، ونستمتع به تماماً، ونجعل من كل عمل شىء ما نحبه ونؤمن به ونحرص أن يكون ما نفعل ذا معنى حتى تكتمل المعادلة وتكتسب الحياة قيمة جديدة، ونشعر بمزيد من السعادة..

ويحاول علماء النفس أن يفرقون بين الإنغماس الذى يتحول إلى إدمان، ولكنه لا يعطى سعادة أكثر، وهذا يعنى إن هذه المعادلة يشوبها النقص.. وتقدم عالمة

النفس دكتورة " أليونا بونيويل".. من جامعة أكسفورد إضافة جديدة تحقق العامل المفقود، وهو إن المعادلة ينبغى أن تصل إلى الرضا أو الإشباع، وهو عامل مهم جداً بل أن السعادة لا يمكن أن تتحول إلى معادلة لأن المعادلة ممكن أن تضيف عبئاً جديداً ينتهى بنا إلى التعاسة بدل السعادة ..

وما يراه شخص ما مصدر للسعادة قد لا يكون كذلك لغيره.. ولا يمكنك فى كل الأحوال أن تضغط على زر لكى تتحول إلى شخص سعيد ويقول أبُ علم النفس الإيجابى : إن المرء يصبح أكثر سعادة عندما يحاور نفسه ويتحدى الأفكار السيئة ويحللها ويقارنها بما يتمتع به من مزايا، وبالإختصار لا توجد معادلة للسعادة شاملة ومبسطة فى الوقت ذاته..

وأعتقد إن السعادة تنبع من أعماق نفوسنا وتجعلنا نترنم فى أصعب الأوقات مثلما بولس وسيلا فى السجن اللذان رغم السجن كانا يترنمان بترنيمة عذبة هى ترنيمة الأبدية.. وعندما نرنم مع الله ونحن فى سجن الحياة سوف نحيا السعادة ، بل سوف نكون أسعد..

٢٦. مستودع يوم القيامة

يوم القيامة: نحن نؤمن بالقيامة.. ويقول المسيحيون فى قانون الإيمان: وننتظر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتى آمين.. ويخصص القرآن الكريم سورة هى سورة القيامة.. وفى رسالة كورنثوس الأولى أصحاح ١٥ حديث عن القيامة يسمونه إنجيل القيامة وفيه تأكيد على إنه إن كان لنا فى هذه الحياة فقط رجاء فى المسيح فإننا أشقى جميع الناس.. وإن كان الأموات لا يقومون فلنأكل ونشرب لأننا غداً نموت.. الذى تزرعه لا يحيا إن لم يمت.. وحبة الحنطة لا تنبت إن لم تمت أولا..

وكما يشرح يوحنا البشير فإنه تأتى ساعة فيها يسمع جميع الذين فى القبور صوته فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة ، والذين فعلوا السيئات إلى قيامة الدينونة (يوحنا ٥:٢٨).. ولقد أعلن السيد المسيح: أنا هو القيامة والحياة من آمن بى ولو مات فسيحيا..

وفى يوم القيامة الأشرار يرتدون إلى أشد العقاب.. وفى القرآن الكريم دعوة إنتصار لأتباع عيسى السيد المسيح.. إذ قال الله : ياعيسى إنى متوفيك ورافعك إلىّ ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين أتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة، ثم إلىّ مرجعكم فيما كنتم فيه تختلفون، وهذا النص القرآنى يرفع مستوى

المسيحيين ولا يقول عنهم فقط إنهم ليسوا كفرة بل هم فوق الذين كفروا.. وهم محفوظون فى هذه المكانة السامية حتى يوم القيامة..

عندما توضع موازين القسط عدلا إلهياً عظيماً، ويتبين الفرق بين الخاسرين لأمجاد القيامة.. والرابحين لها عزاً ومجداً وخلوداً أبدية يوم تسود وجوه وتبيض وجوه.. يوم يقول : من لم يعمل ليوم القيامة أيتها الجبال أسقطى علينا ، وأيتها الآكام غطينا من وجه الجالس على العرش.. فالأمجاد هى فقط للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة..

ولقد أكدّ السيد المسيح إنه فى القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون بل يعيشون كملائكة الله.. والقيامة روحانية موجودة فى كياننا الإنسانى، وحتى غير المؤمنين بالأديان السماوية وقبل الأديان السماوية الإنسان يؤمن بالقيامة ويعد نفسه للقيامة.. وهنا تختلف العادات التى إتبعها البشر على مر الدهور، فالذين بنوا الأهرامات فى مصر والسودان من أجدادنا العظماء كانوا يؤمنون بالقيامة ويعدون أنفسهم لها.. ويسهرون .. ويصلون.. ويصومون.. ويتعبدون.. ويتهجدون.. ويركعون آناء الليل وأطراف النهار.. ويخافون من عمل الشر ، ويصنعون الخير لأن القيامة تنتظرهم ولن يهرب أحد من حساب يوم القيامة..

والمؤمن يضع خيراته فى مستودع يوم القيامة ويعمل لأخرته كأنه يموت غداً، بل كأنه يموت الآن.. ولكن الخوف من القيامة عند بعض العلماء جاء تخزيناً للغسائل وشتلات المحاصيل حتى لا تنقرض من الدنيا.. ولست ضد

هذا الإتجاه الذى إتجه نحوه العالم اليوم.. ولكننى أرجو وبنفس القدر أن نخزن أعمالنا الصالحة ليوم القيامة.. أن نخزن محبة وسلاماً وعطاءً وخيراً وبراً، ولا ندخل إلى الأبدية فارغين بل نحمل معنا ما صنعناه لكى نمجد إسم الله القدوس.. وعندما أعرض أمامكم فكرة مستودع يوم القيامة أرجوكم أن تشجعوا العلماء لكى يقوموا بتخزين الغسائل حتى يوم القيامة، وأن تعملوا أنتم لكى يكون لكم فى يوم القيامة درباً تدخلون به إلى أمجاد السماء..

مستودع يوم القيامة: لقد بدأت النرويج تشييد مستودع فى القطب الشمالى يهدف لتخزين كافة شتلات المحاصيل المعروفة فى العالم لحمايتها من الإندثار فى حال تعرض الكرة الأرضية لكارثة تقضى على الأخضر واليابس.. وينحت هذا المستودع فى صخر الجبل المتجمد بجزيرة سفالبارد التابعة للنرويج، ومن المأمول أن يحافظ المشروع على تنوع المحاصيل المختلفة.. ويدعم المشروع أكثر من ١٠٠ دولة.. حيث ستعمل على تخزين الحبوب والبذور التى يتم تغليفها بشكل خاص لحمايتها وتخزينها فى درجات تجمد..

ووضع رؤساء الوزراء من خمسة بلدان حجر الأساس للمشروع ، وحضر رؤساء وزراء النرويج والسويد والدنمارك وفنلندا وأيسلندا، المناسبة قرب بلدة لونجيير بيرن فى جزر سفالبارد النرويجية النائية التى تبعد نحو ١٠٠٠ كيلو متر من القطب الشمالى منشأة آمنة..

ونقلت وكالة الأنباء النرويجية عن رئيس الوزراء النرويجى ينز ستولتنبرج القول " يعد هذا المستودع ذا أهمية عالمية إذ إنه سيكون الوحيد من نوعه ، بينما كافة بنوك الجينات الأخرى ذات طبيعة تجارية ".. والمستودع محاط بسياج وحراسة، ومزود بأبواب من الصلب وغرف عازلة للضغط الهوائى ، ومجسات للحركة فضلا عن الدببة القطبية التى تجول فى الخارج مما سيجعل المنشأة الأسمنتية المبنى الأكثر أمناً من نوعه فى العالم.. وسمى وزير الزراعة النرويجى تيرى رييس يوهانسن المستودع ب " فلك نوح سفالبارد "..

والقصد من هذا المستودع هو ضمان عدم هلاك التنوع فى المحاصيل فى حالة وإنتشار وبائى لآفة تصيب النباتات ، أو وقوع حرب نووية ، أو فى حالة حدوث كوارث طبيعية أو آثار مدمرة للتغير المناخى ، والهدف منه منح الفرصة للعالم للبدء من جديد فى إنماء محاصيل الغذاء التى ربما تكون قد محيت من على وجه الأرض..

وبالإمكان أن تستمر الحبوب دون تلف فى المستودع لمئات السنين فى ظل درجات حرارة دون أل ١٨ تحت الصفر ، بل ربما لآلاف السنين.. ويقولون : إنه حتى ولو تعطلت آلات التبريد فإن درجة الحرارة فى الجبل المتجمد ستحافظ على البذور التى سوف تصل إلى ثلاثة ملايين بذرة ، وسوف يبدأ هذا المستودع تلقى البذور من بلدان العالم عام ٢٠٠٧ م.. دعهم يبدأون.. وإبدأ أنت فى الإستعداد الروحى ليوم القيامة ، وإملأ مستودع القيامة بالأعمال الصالحة، والإيمان القوى..

٢٧. شفرة دافنشى والأمل المفقود

الإعلام المريض: تناولت وسائل الإعلام وأدوات التواصل الحديث كثيراً عن شفرة دافنشى أو كما يسمونها دافنشى كود.. وبدأت الحكاية بكتاب كتبه " دان براون" وهو مدرس للغة الإنجليزية فى أمريكا ، ويأتى الكتاب بعد فيلم آلام المسيح للمخرج الأسترالى " ميل جبسون" والذى أبكى عيون البشر على آلام إبن البشر السيد المسيح ،وقد رأيت هذا الفيلم فى أستراليا وتأثرت وبكيت ورأيت الدموع فى

عيون كثيرين ومن بينهم مجموعة من بناتنا المسلمات المحجبات واللائى إعتصرن ألماً لأن المسيح هو للكل وليس للمسيحيين فقط..

وبدأ الإعلام المريض فى ترويج الكتاب حتى وصلت المبيعات منه إلى أربعة مليون نسخة.. وعنوان الكتاب إسمه يرتبط بالفنان الإيطالى المبدع " ليونارد دافنشى" بطل الخلق الفنى المتألق فى العصور الوسطى ١٤٥٢-١٥١٩ م. والذى رسم بريشته لوحة العشاء الآخير.. ولوحة الموناليزا ذات الإبتسامة الغامضة.. وقد رحل خياله المريض فى أن الجالس بجوار السيد المسيح فى لوحة العشاء الآخير لم يكن يوحنا الحبيب إنما هى مريم المجدلية..

وبهذا لم يغيب يوحنا فقط إنما أظهر مريم المجدلية وسرح به الخيال بعيداً ليتوهم أن المجدلية كانت حبيبة للسيد المسيح، وإنه تزوجها وأنجب منها صبياً يعيش فى فرنسا الآن.. وكل هذا خيال مريض ينقصه الدليل والبرهان، ويقول البعض: إن من حقه أن يتخيل ما شاء له أن يتخيل ، وقد كان الإعتراض عليه شديداً ولم يزل، وتمكن أعضاء البرلمان المصرى من إصدار قرار بعدم عرض الفيلم فى مصر وهذا قرار صائب فى إعتقادى ..

ولكن ربما كان هذا المنع سبباً فى محاولة الناس لقراءة الكتاب ولحضور الفيلم الذى أنتج تحت نفس العنوان، لأنه معروف إن العالم الآن هو قرية صغيرة ولا يمكن لأحد أن يغلق الهواء مثلما كان فى الماضى، لأن التبريد الإكترونى وحجرات الإنترنت تخترق الأستار، وتكشف كل شىء وتجعله عرياناً أمام كل الناس.. وقد قدم الفيلم تحديات وإتهامات سافرة لثوابت مسيحية مؤكدة بحجة أن هناك سراً كان فى بطن لوحة دافنشى رغم إنها لوحة واضحة، وإن الفاتيكان أخفى السر ولكن جماعة سرية كانت تعرف السر وأعلنته..

الأمل المفقود: يبدأ فيلم " شفرة دافنشى" من خلال كبار الممثلين بعد نجاح الكتاب بمشهد فيه لجنة تحقيق لكشف جريمة قتل خبير فنى عارف بأسرار لوحة دافنشى.. فالقتيل حفيد من أحفاد أسرة دافنشى، وأعتقد إنه إذا قتل فإن السر قتل معه.. ولكن المؤلف راح يتحدث عن جماعة سرية تعرف هذه الحقائق.. ويتكلم عن إمرأة تسمى" صوفيا وهى خبيرة نصوص قديمة وهى التى كشفت لغز جريمة القتل.. وهى فرنسية تنحدر من مريم المجدلية ، بعد زواجها بالسيد المسيح والذى يقدم الفيلم على إنه إنسان عادى، وإنه وقع فى غرام المجدلية وتزوجها وأنجب منها.. وإن الأناجيل قد جمعت فى زمن الإمبراطور قسطنطين فى القرن الرابع الميلادى.. وكل هذه إفتراءات لأن السيد المسيح هو البتول بن البتول الذى بدأ

رسالته الروحية وهو فى سن الثلاثين من عمره مثل رمزه القديم يوسف الصديق الذى حكم مصر العظيمة وله من العمر ثلاثون عاماً..

ولقد كانت خدمة السيد المسيح مدة صغيرة هى ثلاث سنوات وبضعة أشهر، وكان السيد يحافظ على علاقة طيبة بالمرأة كما بالرجل.. فهو الذى رد للمرأة كرامتها من خلال إحترامه لها.. ومن خلال أمه العذراء التى من طهرها ونقاوتها وروحانياتها إصطفاها الله وأصطفاها لتكون أماً للسيد المسيح بدون زرع بشر..

وكان الأمل من هذا الفيلم أن ينال من كرامة السيد المسيح من خلال تواطؤ أعداء المسيحية، ولكن هذا هو الأمل المفقود لأن أوهام المؤلف راحت أدراج الرياح، ولأن أحاديثه ينقصها البينة وتفتقر إلى الدليل.. لأن الكتاب المقدس وكتب التاريخ ترفض فكرة المؤلف الخيالية، فيما تؤكد أن علاقة مريم المجدلية مع السيد المسيح علاقة طاهرة مقدسة.. لأن السيد شفاها وأخرج منها سبعة شياطين وصارت هى المبشرة الأولى بقيامة السيد المسيح.. وكما جاءت المواعيد فى الكتاب المقدس عن المسيحية : إن كل آلة صورت ضدها لا تنجح، وإن أبواب الجحيم لن تقوى عليها، فإن كل ما يحدث من إفتراءات مثل ما ذكر عن يهوذا الخائن سابقاً وعن المجدلية الآن يصطدم كل هذا بقوة اليقين فى رسالة السيد المسيح الروحية القوية لتحرير الإنسان ولحياة أفضل..

٢٨. بالمحبة يتوحد العالم

نحن عالم جديد: عالمنا الآن يحتاج إلى تجديد.. ويحلم كل مواطن عالمى بالعالم الجديد الذى يكون وحدة واحدة وأهدافاً واحدة ، ورؤى واحدة.. وحول هذا الهدف نبذل جهود لتحطيم القيود ، وتدمير السدود التى تقف أمام هذا الهدف النبيل..

وقد بدأ الكتاب المقدس بالدعوة لهذا العالم المجيد والذى صار حلم المؤمنين ، عالم يسكن فيه البر وتتوحد فيه الرؤى الروحية ، وتنتفى المظالم ، وينتشر السلام، ويغسل الرب أقذار الإنسان ، وينقى دمه ، وتكون المحبة هى مظلة للفىء نهاراً وملجأ من السيل والمطر، وترفع راية السلام..

ويصنع الرب سماءً جديدةً.. وأرضاً جديدةً.. فيهما يسكن الله مع الناس وهم يكونون له شعباً ، والله نفسه يكون معهم إلهاً لهم.. ويمسح الله كل دمعة من عيونهم.. ولا يكون حزن ولا صراخ ولا أنين، ولا تنهدات ، ولا توترات، ولا قسوة، ولا طمع نحو المادة.. ويتنازل الإنسان عن " الأنا" ومطامع الأنا، ويقدم

الآخر على نفسه.. ويحب الآخر .. ويتمنى له الزيادة والنمو ويقول عن الآخر : ينبغى أن هذا يزيد وإنى أنا أنقص.. يطلب للآخر الزيادة فى خيرات الأرض وفى مسالك الروح ودروب الفضيلة ، وتصبح المحبة زرعاً مقدساً فى قلوب طاهرة، لأنه بالمحبة فقط يتوحد العالم..

فيدرالية السلام: وتطلق فيدرالية السلام شعار المحبة نبذاً للمحبة الزائفة والحياة الزائفة ، سعياً للمحبة الحقيقية ، والحياة الفضلى ،والتى أعلنها السيد المسيح عندما قال جئت لتكون لكم حياة وليكون لكم أفضل...

وعندما صار راعياً حقيقياً لهذا قال: أنا هو الراعى الصالح ، والراعى الصالح يبذل نفسه عن الخراف.. وفى كلمة إفتتاحية فى مؤتمر فيدرالية السلام فى كينيا ٢٠٠٥ م.. والذى جمع العدد الكبير من قادة الأديان فى العالم ، قدمت الفيدرالية أهدافاً نحو توحد العالم عن طريق المحبة.. وإمتلأت قاعة المؤتمر بزعماء من كل الأديان ، من بينهم "على عيديد" وزير داخلية الصومال ونائب رئيس الوزراء فيها..

ومن بين الجمع الحاشد وقف الأب القمص فيلوثاوس فرج ليفتتح المحفل بالصلاة ويؤكد إن رؤى الفيدرالية هى نفس الرؤى المسيحية ، و إن أهداف فيدرالية السلام العالمى هى أهداف السيد المسيح الذى أتى لنشر السلام على الأرض ، سلام يأتى من السماء نوراً يشرق فى قلب الإنسان ويملأه بمحبة الآخر.. ومحبة القريب.. ومحبة الأعداء..

وصلى الأب فيلوثاوس مع الجموع بلحن قبطى بسيط الكلمات وقال الكلمات باللغة الإنجليزية مستمطراً مراحم الرب ، ووقفت إمرأة مسلمة مؤمنة هى السيدة نازك عمر رئيسة النساء المسلمات فى كينيا ، وقفت تعلن أمام الجمع إن دينها الإسلامى يأمرها أن تحضر الندوة ، وأن تمد أيديها إلى الآخر بكلمة سواء.. وأن تزرع المحبة مع الذين يزرعون.. وأن دينها لا يرفض أحلامها بعالم جديد يحيا مع الله ويتحاور فيه كل واحد مع الآخر.. ويجتمع الأديان معاً فى ومحبة وتوادد ، ويخرج الفرد من جمود الأفكار البالية ويحقق ذاته مع الجموع فى الأمل فى عالم جديد..

كلمة المؤتمر: وتحدث رئيس المؤتمر وحمل المسئولية الكاملة للشيطان فى فقد الإنسان للحب الحقيقى.. وقال : إن ثمار الحب الحقيقى للحياة الحقيقية لم تنضح أبداً.. لقد صارت ثماراً للشيطان بسبب غواية آدم وعصيان حواء.. وإستمر العالم إلى ستة بلايين من البشر الأن ليست لهم علاقة مع السماء، رغم إنهم يملأون الأرض..

وسقط حب الله فى أيدى الشيطان الرجيم وصار العالم مكان بؤس بعيداً عن وجود الله ، وصار العالم الآن هو الجحيم على الأرض.. وكان هذا الحال ولم يزل أمراً يزعج السماء.. والأمل فقط فى أن يستسلم الشيطان ، والطريق هو قوة الحب الحقيقى ، وعندما نحب أعداءنا أكثر مما نحب أولادنا، سوف نربط الشيطان ، نقيده أسيراً ..

وهنا تبدأ مسيرة الحب.. ومن هنا تنطلق لكى يرضى الله عن البشر ، ويوقف البشر إنتهاكات الإنسان لحقوق الإنسان.. وإعتداء الإنسان على البيئة التى تلوثت بالشر وتدنست بالإثم.. وهنا نبدأ بالمحبة لبناء العالم الجديد ، وتوحد العالم فى ظل الأسرة الواحدة ، والإله الواحد .. ورسالة الأديان أن نتلاقى فى محطات روحية لتحقيق هذه الأهداف السامية..

٢٩. الدستور قصيدة شعر

يوم الدستور: فى المجلس الوطنى حيث كان لى حضور لمدة ثمانية أعوام فى دورتين على التوالى.. وفى أيام التوالى..ذاتها جلسنا فى المقاعد يوماً طويلا لمدة تزيد عن ست ساعات متواليات.. سمعنا فيها كل مواد الدستور الإنتقالى مادة مادة.. وتوالت قراءات رؤساء اللجان، بدءاً بالقانونى الضليع إسماعيل الحاج موسى.. وسمعنا كل المواد، ولم يمنع هذا أن أحلم بعض الأحلام..

وكان حلمى الأول والجميل أن يكون الدستور قصيدة شعر منثورة ، كما تنثر الحقوق والواجبات ، تنثر عطراً من أحلى الكلمات.. وهنا تذكرت دستور ١٩٨٨م.. وكيف إننى كعضو فى البرلمان وبحسب قناعتى لا أمثل فئة معينة، ولكن أمثل الوطن كله الذى أحببت أهله .. إعترضت على الدستور.. وعلى الكلمات الغامضة فيه.. وقلت إن خطأ مشهور أفضل من صواب مهجور..

والدستور لم يعتمد كلمات لبقات مهجورة، وإنما إخترع كلاماً غريباً وتعبيرات سببت الكثير من الإختلافات .. وقلت : لماذا لا يكون الدستور قطعة أدبية رائعة تحفظ كلماته عن ظهر قلب ؟.. لماذا لا تكون الكلمات سلسلة ؟.. إن الدستور هو قلب الأمة، وإذا كان الدستور متكلفاً وكلامه غير واضح فهذا يعنى إن خللا أصاب قلوبنا..

وبعد كلامى قال رئيس المجلس : إن هذا يعنى أن نختار مجموعة من الشعراء، ولدينا مصطفى سند وآخرون لكى يقوموا بكتابة الدستور، وكان الرئيس هو

الدكتور المحترم حسن عبد الله الترابى.. ولم أعتقد إنه كان يسخر بى.. إنما كان يرى أن الأمر قانونى ولا دخل للأدباء فيه..

وأعود إلى الدستور الإنتقالى، وقد كان مراجعة لدستور ١٩٨٨م.. وكنا وقتها قد إعترضنا لأن مجموعة خلف الله الرشيد ، وكنت أحد أعضائها، كتبت الدستور وأرسلته فى إحتفال مهيب إلى القصر.. ولكنه خرج من القصر ضعيف الكلمات، ولم يلتزم أحد بنصوصه، ولكن حدثت إختراعات لكلمات غامضات..

ولأننى أحب أن يكون الدستور قصيدة شعر جميلة عصماء كما يقولون.. كتبت خطاباً صغيراً إلى الوزير الأديب صديق مجتبى وهو مهندس فى الهندسة، ومهندس أيضا فى إختيار الكلمات.. وقلت فى وريقتى : كم اتمنى أن يكون الدستور قصيدة شعر يستريح المواطن فى كل بيت من بيوته، ويحفظ كلماته ويتخذها شعاراً روحياً هادفاً لحياته.. ومنه يستمد حقوقه، وعن طريقه يؤدى واجباته..

وتجاوب الشاعر مع حلمى الكبير وكتب رداً أحالنى فيه إلى رومانسية المدينة الفاضلة وقال فى خطابه : أخى العزيز القمص فيلوثاوس فرج.. تحية طيبة.. فى المدينة الفاضلة سنكون برلماناً للشعراء.. وتكون اللوائح والإجراءات التى تحكمه غير تلك الإجراءات القانونية الجامدة.. ويكون التخاطب فيه روحياً.. وتكون القصائد هى التى تشكل وحدات وسياسة أهل المدينة.. وتكون بطاقة الدخول هى الكلمة الطيبة التى تستقيم بها الحياة..

ألم ترى كيف ضرب الله مثلا ؟: كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت ، وفرعها فى السماء، تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها.. وحينها يا أخى سيعم السلام ويكون البدء والختم هو ملك الكلمة..

أول قصائدى : وأذكر منذ أسبوع خلا زيارتى لمنزل أسرة مباركة.. وهناك كان الرجل الوقور الذى بلغ من العمر عتيا أطال الله عمره.. وذاكرته متقدة ومشتعلة وممتلئة بالأمل الكبير.. وكان فى بيت نسيبه زوج إبنته وهى قانونية راقية متحضرة.. وخلال الحديث قالت لى: إن الأب معترض على المكوث معى فى غياب أمى زوجته..

وبسرعة قلت : هل هذا معقول ؟.. كيف تكون لك إبنة بهذه القامة الروحية وتجلس بمفردك فى بيتك ؟.. وكان رده : ليست لى مشاكل مع إبنتى، إنها أول قصائدى.. وهذا تعبير بليغ ، إنها إبنته البكر، وهى أول قصائده.. وبعدها توالت القصائد.. قصيدتان إثنتان.. وقصيدة هى رجل مهم.. وقلت : لماذا لا يعم الأدب ؟ لماذا لا يمتلىء السودان من الأدباء ؟.. لقد أحالنى وزير الثقافة إلى حلم آخر هو أن تكون الخرطوم هى المدينة الفاضلة وإنى أعتقد إنها سوف تكون كذلك..

وأريد أن أطالب الحكام والوزراء أن يكونوا أدباء وشعراء ويقدمون لنا رؤياهم فى أدب رفيع.. والأمل كبير أن يكون الدستور قصيدة شعر باللغة العربية تضارع شعر شوقى أمير الشعراء.. وباللغة الانجليزية تتساوى تألقاً مع شعر شكسبير.. وإقتراحى مقدم لمفوضية الدستور.. ولا تقولوا كفانا أحلاما رومانسية ، لأننا بعدما عانينا وتألمنا ، من حقنا أن نحلم ، وأن نكون رومانسيين..

٣٠. العقيد وندوة زعماء أفريقيا

زعيم الزعماء: بدأت ندوة زعماء أفريقيا فى القرن العشرين بندوة عن زعيم زعماء أفريقيا إسماعيل الأزهرى وعصره ، والذى عاش بيننا تسعة وستون ربيعاً.. بدأت فى أول القرن العشرين حتى العام التاسع والستون منه.. وعاش الأزهرى بطولة الزعماء فى وطنية عالية رفيعة المستوى.. عاش فقيراً ومات فقيراً.. لأنه أحب الوطن وسلك فعلا طهارة الشفافية التى كثر الحديث عنها دون أى محاولة للتطبيق..

ولقد بدأت الندوة يوم الإثنين ٢ يناير ٢٠٠٦ م فى جلسة إفتتاحية فى قاعة الصداقة.. وبعدها تحولت الندوة إلى قاعة الريفيرا على نهر النيل مع عبق تاريخ أم درمان ، بجوار الطابية ، ومشرفة على قبة المهدى.. وعندما بدأت الجلسات ترى فى الجلسة الأولى عشرة من العلماء الأجلاء يتحدثون عن : الميرغنى وأزهرى النشأة والتاريخ وأمين زيدان.. والأزهرى والديمقراطية.. الأزهرى ووحدة وادى النيل.. نماذج من خطب الأزهرى.. الأزهرى وعبد الناصر.. يوليو والتعددية الحزبية.. المناخ السياسى للحركة الوطنية الدكتور أحمد السيد حمد..

وقد كانت الجلسة تحت قيادة وقورة لإبنة الزعيم الدكتورة جلاء وهى زعيمة بنت زعيم ، فيها هدوء ووقار المرأة السودانية ، وأضفى وجودها جلالا وجمالا على المؤتمر.. فلقد أسعدنى وجودها ليس كإمرأة ونحن جعلنا من النساء ملوكاً، وإنما أيضا لأنها تحمل إسم زعيم الزعماء.. وقد أسماها الزعيم جلاء لأنها ولدت فى اليوم الذى تم فيه جلاء آخر جندى بريطانى من السودان فى ١٩٥٥/١١/٢٠م..

كلمة العقيد: وبدأ مقرر الندوة بروفسور سيد أحمد العقيد قائلا: تتشرف اللجان المنظمة وعلى رأسها اللجنة العلمية بحضوركم الكريم هذه الجلسة الإفتتاحية للندوة العالمية للزعماء الأفارقة ، الزعيم الأزهرى وعصره (١٩٠٠-١٩٦٩ م)..

وهى جلسة إجرائية تليها جلسات علمية حول موضوع هام ، يقوم على ثلاثة مرتكزات وطنية بالغة القدر من الأهمية.. -

المرتكز الأول: إنه يجىء تتويجاً وإحتفالا بالعيد الذهبى لإستقلال البلاد وخروج المستعمر المحتل مادياً منها إلى غير رجعة ، وإن ظلت آثاره ماثلة فى شخوص ظلوا رموزاً للعمالة والخيانة فى بلادنا ، باكين على أطلاله ، وداعين لرموزه وأبناء وأحفاد جلاديه فى مناسبة الإحتفال بالعيد الذهبى لإستقلال البلاد ، الأمر الذى يدعو للغثيان ، ومن وجهة نظر علم النفس يؤكد هذا الأمر على سلوك غير سوى لدى هذا الصنف الغريب من البشر..

وظلت آثار المحتل ماثلة فى مؤسسات قد عفا عليها الدهر وتجاوزها التاريخ والزمن غير مأسوف عليها وعليهم.. وتنبع أهمية هذه الندوة أيها السادة : من إنها تؤسس لمجهود علمى جبار فى مجال التوثيق التاريخى.. ومن باب عرفان الفضل لأهله وتعريف الأجيال الشاهدة بمعطيات وعبر الماضى ، وربط الحاضر بالجذور وفق منهجية تاريخية علمية ، وفى إطار حقائق منطقية واقعية..

المرتكز الثانى: إن هذه الندوة الغاية منها أن توطىء وتؤسس لتوثيق عطاء الزعماء الأفارقة والعرب الذين شاركوا فى تحرير شعوبهم وأممهم..

المرتكز الثالث: تأتى هذه الندوة من باب الوفاء لقائد لم يرض أهله من أبناء شعبه إلا أن يطلقوا عليه مصطلح الزعيم.. ذلك المصطلح الذى لم يعرف لأحد سواه فى طول البلاد وعرضها ، فهو بحق زعيم قومى ، لا ككل الزعماء ، طاهر اليد والمظهر والجوهر واللسان ، ورئيس لا ككل الرؤساء ، خرج من رحم أمه طاهراً ، وعاش بين شعبه كذلك ، ورجع إلى مثواه الآخير بطهارته ونزاهته لم تدنسه السلطة بفضلاتها ، ألا وهو الزعيم إسماعيل الأزهرى ..

وفى هذا الإطار ونحن نؤطر لمشروع قومى لم نحصر أنفسنا فى دائرة حزبية ضيقة ، ولم ننظر إلى الأمر بعين واحدة ، لذا طرقنا الأبواب ، كل الأبواب ، أبواب كل الأحزاب السياسية السودانية ، يسارها ويمينها ، إسلامها وعلمانيها دون تفرقة، فإستجاب من إستجاب بسخاء ، وقصر نظر من قصر من الأبناء والأحفاد ، فعلى أهلها جنت براقش ، والنار تلد الرماد..

وكنا نريد من ذلك الجهد وهذه الإتصالات المكثفة غير المتحيزة إلى فئة التوثيق الأمين لهؤلاء السلف من قبل الخلف ، ولقد قامت الندوة أركاناً وإرتكازاً على ثمانية محاور رئيسية:-

١. نشأة وأطوار حياة الزعيم الأزهرى أحد أركان إستقلال السودان..

٢. العلاقات السودانية البريطانية ومقاومة الإحتلال والروابط السودانية المصرية..

٣. المحور الثالث: عن الشخصيات الوطنية التى شاركت فى صياغة الواقع السودانى سياسياً وإجتماعياً وإقتصادياً وفكرياً.. والشخصيات الإقليمية عربية كانت أم إفريقية ، التى لعبت أدواراً مشابهة فى بلدانها خلال تلك الفترة التاريخية..

٤. المحور الرابع: إتجاهات الأزهرى ومدرسته السياسية ومدى علاقاته مع الأطياف السياسية السودانية المتعددة..

٥. أما المحور الخامس: فقد إقتصر على الأدب الإجتماعى والثقافى لنادى الخريجيين ، من حيث النشأة والتطور ، بإعتباره شرارة التمرد والخروج على المألوف الإحتلالى يومها..

٦. المحور السادس: يغطى مساحة الرأسمالية الوطنية وأدوارها فى دعم الإستقلال والحركة الوطنية عموماً..

٧. المحور السابع: عبارة عن دراسة ببليوجرافية ووثائقية ، وهى من الدراسات الحديثة ذات الدور الفاعل فى مجال الإستراتيجيات العلمية فى مجال البحث ، فهى دراسة تقوم بحصر المكون الأساسى لمصادر أى بحث فى شتى صنوف المعرفة ، وتقدم ذلك كله بصورة ميسرة تساعد الباحث على الوصول إلى بغيته فى وقت قياسى..

٨. المحور الثامن: الجلاء ونشأة القوات المسلحة وأدوارها وأطوارها ومشاركاتها فى البناء والتطوير والتنمية.. وكل هذا معناه إن الندوة كانت ثروة فكرية ، وثورة تاريخية..

٣١. دعوة للسلام

الدين والسلام: تدعو الأديان الى السلام.. وتقدم دعوتها إلى الإنسان أن يلتزم بالسلام ويسعى نحو السلام ويجد فى أثره.. فالسلام فى الإسلام ، هو لغة أهل الجنة.. وهو صفة من صفات الله المقدسة، لأنه (هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام).. (وسلام قولاً من رب رحيم).. وسلام على نوح.. وإبراهيم.. وموسى.. وهارون.. وكل المرسلين.. وسلام على السيد المسيح يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا..

ودعوة الإسلام للسلام ، دعوة لا يشك فيها أحد..(وإن جنحوا للسلم ، فأجنح لها وتوكل على الله).. وجنة عدن التى وعد بها الله عباده ، لا يسمعون فيها لغواً

إلا سلاماً.. وصفة الرجال الأبرار إن دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام..
دعوة للسلام: ويحفل التراث المسيحى بدعوة واسعة للسلام.. وأولها بركات صانعى السلام، حيث فى تطويبات السيد المسيح، طوبى لصانعى السلام لأنهم أبناء الله يدعون.. بل منذ العهد القديم الدعوة للسلام ، دعوة مفتوحة.. ومرغوبة.. ومطلوبة.. وهنا نقرأ :
١. دعوة داؤد فى سفر المزامير .. ذوقوا وأنظروا ما أطيب الرب..طوبى للرجل المتوكل عليه.. صن لسانك عن الشر وشفتيك عن التكلم بالغش.. حد عن الشر.. وأصنع الخير.. أطلب السلامة وأسعَ وراءها(مزمور ٣٤)..
٢. دعوة زكريا النبى عن فم رب الجنود ، تعلن عن أفراح الأعياد وتقول: فأحبوا الحق والسلام (زكريا ٨)..
العهد الجديد : والعهد الجديد هو المسيحية وهو عهد سلام المسيا الذى كان موجوداً كرمز فى بطون نبوءات العهد القديم.. وهنا نرى دعوة السلام أيضاً فى :
١. السيد المسيح يطوّب صانعى السلام ، ويطالب تلاميذه أن يكون لهم سعى دائم نحو السلام.. ليكن لكم فى أنفسكم ملح.. وسالموا بعضكم بعضاً..(مت ٥: ٩)..
٢. يحرض بولس الرسول كل المؤمنين عبر الدهور والأجيال قائلاً: عيشوا بالسلام، وإله المحبة والسلام سيكون معكم (٢ كورنثوس ١٣: ١١)..
٣. وفى رسالة رومية: لا تجازوا أحد عن شر بشر.. معتنين بأمور حسنة قدام جميع الناس.. إن كان ممكناً فحسب طاقتكم سالموا جميع الناس.(روميه ١٢)..
٤. وفى رسالته إلى كورنثوس ، يعلن حلاً لمشاكل الأسرة ويؤكد فيه.. ولكن الله قد دعانا فى السلام (١ كورنثوس ٧)..
٥. وفى رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس، يتكلم بولس كأسير فى حب المسيح، مُكبل بالسلاسل، ومُقيد بالأغلال، وسعيداً بحمل الرسالة إليهم ، فهو أسير الفادى ، وأسير إنجيل الفداء.. وهو فى هذه الحالة يناشد أهل أفسس قائلاً : فأطلب إليكم أنا الأسير فى الرب أن تسلكوا كما يحق للدعوة التى دعيتم إليها.. بكل تواضع ووداعة وبطول آناةٍ، محتملين بعضكم بعضاً فى المحبة.. مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام.. جسد واحد.. روح واحد.. كما دعيتم أيضاً فى رجاء دعوتكم الواحد.. رب واحد.. إيمان واحد.. معمودية واحدة.. إله وأب واحد للكل، الذى على الكل ، وبالكل، وفى كلكم.. (أفسس ٤)..
دعوة محبة: وتستمر دعوة السلام ، كدعوة محبة .. لأن السلام نفسه لا يتحقق إلا من خلال المحبة .. والمحبة كبيرة وشاملة، لكل الناس ، حتى الأعداء.. فإن

جاع عدوك فأطعمه.. وإن عطش فأسقه.. لأنك إن فعلت هذا ، تجمع جمر نار على رأسه.. لا يغلبنك الشر ، بل أغلب الشر بالخير (رومية١٢)..

والسلام هو رباط وحدانية الروح ، وحيث روح الرب يوجد سلام ، وهدوء ، وإطمئنان.. وتوجد وحدة فى الروح.. وعندما نكون أصحاب دعوة سلام ، فنحن أصحاب دعوة محبة..نطالب المتخاصمين أن يتلاقوا.. ويتحاوروا.. ويتجنبوا الخلاف.. وينبذوا الإختلاف.. ويتجمعوا فى وحدانية الروح.. ويحققوا العيش فى سلام .. وهذا هو أملنا فى وطننا.. أن يكون كل واحد فينا ، هو داعية سلام ووئام...

٣٢. المؤمنون وثقافة السلام

المؤمن والسلام: يعد السلام رغبة المؤمن.. وشهوة قلبه.. وإتجاه جهاده نحو الله.. فالمؤمن يحب أن يحيا فى سلام لكى ينمو الإيمان.. ولكى يظل هو نفسه شاهداً لله من خلال سلامه مع نفسه.. وسلامه مع الله.. وسلامه مع الآخرين.. والمؤمن يحب الحق والسلام..

وعندما وعد الله أن يحسن إلى أورشليم طلب من الساكنين فيها : ليكلم كل إنسان قريبه بالحق.. أقضوا بالحق.. وقضاء السلام فى أبوابكم.. وقال أيضا : فأحبوا الحق والسلام (زكريا ٨:١٦،١٩).. ويوصى داؤد كل مؤمن وهو يقول: حد عن الشر وأصنع الخير.. أطلب السلامة ، وأسع وراءها لأن عينى الرب نحو الصديقين، وأذناه إلى صراخهم (مزمور ٣٤:١٤)..

شهوة المؤمن: والسلام هو شهوة المؤمن.. وهو طموحه نحو الله.. يطلب المؤمن من الله أن يملأ أبراجه بالسلام وحياته بالأمان والإطمئنان.. ويبشرون برسالة الإنجيل التى هى رسالة السلام.. ويقول لنا السيد المسيح : أن نكون من صناع السلام، طوبى لصانعى السلام لأنهم أبناء الله يدعون (متى ٥:٩)..

ليكن لكم فى أنفسكم ملح ، وسالموا بعضكم بعضاً (مرقس ٩:٥).. وبولس الرسول يحرض المؤمنين : عيشوا بالسلام، وإله المحبة والسلام سيكون معكم (٢ كورنثوس ١٣:١١).. لا تجازوا أحداً عن شر بشرمعتنين بأمور حسنة قدام جميع الناس.. إن كان ممكناً فحسب طاقتكم سالموا جميع الناس (رومية ١٢:١٨)..

وحسب الطاقة يعنى بذل كل طاقة وكل وسيلة لمسالمة الآخرين وتحقيق جو سلام روحى للمؤمن.. وحتى عندما يحدث الإفتراق بين الناس لأجل أى سبب من

الأسباب، فإن هذا الفراق يكون دون ضجيج المخاصمات، لأن الله دعانا فى السلام (١ كورنثوس ٧: ١٥)..
أما بطرس الرسول فيطالب المؤمنين بوحدة الرأى لكى يتحقق السلام، لأن من أراد أن يحب الحياة ويرى أياماً صالحة فليكفف لسانه عن الشر وشفتيه أن تتكلما بالمكر، ليعرض عن الشر ويصنع الخير، ليطلب السلام ويجد فى إثره (١ بطرس ٣: ١١).. والسلام هو ثمر من ثمار الروح القدس الذى يعمل فى المؤمنين..
وأما ثمر الروح فهو محبة فرح سلام طول آناة لطف صلاح إيمان وداعة تعفف (غلاطية ٥: ٢٢).. والله إلهنا نفسه ليس إله تشويش، بل إله سلام (١ كورنثوس ١٤: ٣٣)..
السلام الداخلى: والسلام الداخلى يعنى السلام فى الوطن كما يعنى السلام فى داخل الإنسان.. وقد تمتعت مملكة داؤد فى عهد سليمان بزمان سلام جعل فى إمكانه بناء هيكل الرب.. وبناء قصر الملك، ولكن دبّ الإنقسام فى مملكة يهوذا بسبب عدم حكمة إبنه.. وهذا يعنى إن حكمة الحاكم هى التى تحقق السلام الداخلى، والسلام الخارجى.. وتسرع الحاكم قد يجلب للوطن مشاكل كبيرة تفقد الوطن سلامه..
أما السلام الداخلى بالنسبة للمؤمن فهو من نصيب الأبرار المتكلين على الله.. وعهد الله مع المؤمن هو عهد سلام.. كان عهدى معه الحياة والسلام (ملاخى ٢: ٥).. والرب هو مصدر السلام للمتوكلين عليه.. تحفظه سالماً لأنه عليك متوكل (أشعياء٢٦: ٣).. لأنه يتكلم بالسلام لشعبه ولأتقيائه (مزمور٨٥: ٨)..
والسلام الداخلى يعطى للإنسان طمأنينة تجعله يضطجع بل وينام مطمئناً : بسلامة أضطجع بل أيضا أنام لأنك أنت يارب منفرداً ، فى طمأنينة تسكننى (مزمور ٤: ٨).. ولا يتعثر محبو الرب، سلامة جزيلة لمحبى شريعتك وليس لهم معثرة (مزمور ١١٩: ١٦٥).. وتأتى وصية سليمان الحكيم : ياإبنى لا تنسى شريعتى بل ليحفظ قلبك وصاياى، فإنها تزيدك طول أيام، وسنى حياة وسلامة (أمثال ٣: ١،٢).. لأن الحكمة طرقها طرق نعم، وكل مسالكها سلام (أمثال ٣: ١٧)..
ويتحقق السلام فى الأسرة من خلال القناعة وتجنب حفر الخصام.. وهنا تصبح لقمة يابسة معها سلام، خير من بيت ملآن ذبائح معها خصام.. والسلام الداخلى للمؤمن يجعله هادئاً فى أى موقع هو فيه، لأنه يشعر أن الرب معه.. فى سفينة حياته ويترنم : ما دمت فى سفينتى ربى أنا مرتاح.. أنت عالم كثر الأمواج فإنتهر الرياح..

ولقد نام بطرس فى السجن نوماً عميقاً حتى إن الملاك عندما أيقظه ظن إنه فى رؤيا، وهذا النوم هو سلام داخلى.. كما أن بولس وسيلا كانا يترنمان فى داخل السجن بترنيمة عذبة تعبر عن سلامهما الداخلى.. وصليا فتزعزعت أساسات السجن.. والسلام الداخلى هو إتكال على الرب الذى يدبر أمور الإنسان.. وتسليم داخلى للرب دون تذمر، والرب هو الذى يمنح السلام الداخلى للمؤمن وسط كل ضيقات الحياة ، بل عند كثرة همومى فى داخلى تعزياتك يارب تلذذ قلبى.. وهكذا يكون المؤمن من خلال سلامه الداخلى " دعوة محبة "..

٣٣. المصالحة مدخل للسلام

خدمة المصالحة: يأتى فى الكتاب المقدس أحياناً تعبير الصلح الكامل مرادفاً للسلام.. وفى صلوات باكر فى الكنيسة القبطية وفى مقدمة الصلاة يقول المصلى : أسألكم أنا الآسير فى الرب أن تسلكوا كما يحق للدعوة التى دعيتم إليها بكل تواضع القلب والوداعة وطول الآناة محتملين بعضكم بعضاً فى المحبة.. مسرعين إلى حفظ وحدانية الروح برباط الصلح الكامل.. لكى تكونوا جسداً واحداً، وروحاً واحداً، كما دعيتم إلى رجاء دعوتكم الواحدة.. رب واحد.. إيمان واحد.. معمودية واحدة. (أفسس ٤،٥:١)..

ويتحدث معلمنا بولس الرسول عن خدمة المصالحة : الأشياء العتيقة قد مضت هوذا الكل قد صار جديداً، ولكن الكل من الله الذى صالحنا لنفسه بيسوع المسيح وأعطانا خدمة المصالحة أى إن الله كان فى المسيح مصالحاً العالم لنفسه، غير حاسب لهم خطاياهم وواضعاً فينا كلمة المصالحة.. إذا نسعى كسفراء عن المسيح كأن الله يعظ بنا نطلب عن المسيح تصالحوا مع الله (٢ كورنثوس ٥)..

الشيخ جمعة: والبروفسور الشيخ الأستاذ جمعة كندة له فى حديث المصالحة كمدخل للسلام محاضرة قيمة شارك بها فى ندوة " العيش الواحد" التى أقامها مجلس الصداقة الشعبية العالمية بالتعاون مع مجلس كنائس الشرق الأوسط، وهو يتحدث عن دور الكنيسة فى نشر ثقافة السلام، ويقدم لاهوت المصالحة بإعتباره مدخلا للسلام ولثقافة السلام، وإلى كلماته التى جذبت الإلتفات من الحاضرين مسلمين ومسيحيين..

المصالحة كمدخل للسلام فى اللاهوت المسيحى: لمفهوم الصلح مضمون هام جداً فى علم الفقه الكنسى ، ويعود المصطلح إلى جذور الكلمة اللاتينية (ريكونسلياتس) وتعنى التقارب أو الإجتماع والجلوس معاً، أو السير معاً.. فالمصالحة تكون عندما يصبح الأشخاص المتخاصمون والذين إفترقوا عن بعضهم البعض فى وضع يمكنهم من التقارب ثانية أو السير معاً كما كانوا لحظة الإفتراق..

يناقش الكتاب المقدس (الإنجيل) مفهوم السلم أو المصالحة فى عدة مواضيع، وكل هذه المواضيع تشير إلى أربعة أبعاد لمفهوم المصالحة فى المسيحية ، وهى مترابطة بعضها البعض..

٥-١: الصلح الروحى أى صلح الإنسان مع الله وخلق إنسجام ووفاق مع الله الخالق (يوحنا ١٤:٢٧)..من خلال معالجة وحل الأمور النزاعية والتى تفصل الفرد عن الله ويتم ذلك على النحو التالى:

١. إعتراف الفرد بخطيئته على إنه قد إبتعد عن التوحد مع الله..
٢. توبة الفرد عن خطاياه ومعصيته وطلبه للمغفرة والعفو..
٣. إقرار الإبتعاد عن إرتكاب الخطايا والمعاصى وتصحيح المسار تماماً..

٥-٢: الصلح الذاتى أى مع النفس، والتخلص من النزاع الداخلى ، وهو نزاع قد يتراجع بقدر ما يتصالح مع الله (رومية٧:١٥،٢٥).. (مزمور ٣٢:١،٢)..

٥-٣: الصلح الإجتماعى أى الصلح مع الجيران والمجتمع الإنسانى بصورة عامة، وهذا يعنى أن التسامح والصلح والعفو الذى يعيشها الفرد عند الصلح مع الله يجب أن يتحول إلى صلح مع الآخرين ، بمعنى آخر إن الإمتياز الناتج عن الصلح مع الله من شأنه أن يخلق إلتزاماً طوعاً نحو التسامح والمصالحة مع الآخرين بغض النظر عن درجة عدوانهم لك (متى٥:٢٣،٢٥)..(يوحنا٢:٢٠).. (متى١٨:٢٣،٢٣)... خلاصة القول هذا : إنه لا يوجد فرصة للمسيحيين أن ينالوا الصلح الروحى ورضى الخالق ما داموا يحملون ضغائن أو إنهم مدركين أن الآخرين غير راضين عنهم ، فالسلام والمصالحة المستدامة أمر تلقائى للذين تصالحوا مع الرب، كذلك يمكننا ملاحظة إن البعد الثالث للصلح (الصلح الإجتماعى) هو نتاج تلقائى من البعد الثانى للمصالحة (الصلح الذاتى).. لأن النفس التى تتصالح مع نفسها تتحرر من الأنانية والشهوات الذاتية والبخل والطمع، وتتحلى بطبيعة العرفان والحب والمسامحة والرحمة تجاه الآخرين، وبذلك تتحقق العدالة والإحترام والرحمة والحب، وبالتالى السلام الكامل (فيلبى ٤:٨،٩)..

٥-٤ : الصلح مع الطبيعة إذا لا يمكن أن يتصالح الإنسان مصالحة كاملة، ويعيش فى سلام حقيقى ، بينما يعيش فى نزاع مع بقية المخلوقات، أى البيئة ، فالعلاقة

الإيجابية مع البيئة من الأمور التى تكمل المصالحة مع الله (للرب الأرض وملؤها مزمور ٢٤:١).. إذن فهذا النوع من الصلح يستوجب قيام علاقة إحترام وحماية للطبيعة والتنبؤ..

خلاصة القول: إن مجمل هذه الأبعاد الأربعة وعلاقاتها البينية هى التى تشكل خلفية أو شبكة علاقات ديناميكية متباينة، ولكنها متصالحة لتعرف بعملية السلام، وأى غياب أو إنهيار لأى من العناصر المشكلة لهذه الشبكة تفقدها صفة السلام بالمفهوم الكتابى المسيحى.. فالسلام الكتابى يوحد الفرد والمجتمع والطبيعة، وبالتالى تتحقق مصالحة وسلام شامل بين الخالق والخليقة كلها..

دور الكنيسة فى بناء السلام والمصالحة فى السودان:

فى ضوء ما تقدم ليس للسودان خياراً أفضل من خيار التعايش والتسامح الدينى مع مختلف أفراد المجتمع السودانى.. وهذا يعنى إن خيار الحوار البنّاء هو خيار لا خيار له.. والمسيحيين مأمورين ليكونوا رسل سلام ومصالحة.. ولكن الكل من الله الذى صالحنا لنفسه بيسوع المسيح وأعطانا خدمة المصالحة (٢ كورنثوس ٥:١٨).. وهذا يعنى إن المسيحيين السودانيين لهم دور مرتجى فى تحقيق المصالحة والسلام فى السودان.. وذلك من خلال نشر قيم المحبة الإلهية والسلام والعدل لكافة أفراد المجتمع، بغض النظر عن عتادهم أو محبتهم لنا.. بمعنى آخر إن واجب ومساهمة الكنيسة فى تحقيق السلام والمصالحة ليس مجرد واجب ، بل هو فرض إلهى، ولابد أن تؤدى الكنيسة دورها كجهة مصالحة بين الله والبشر وبين أفراد المجتمع..

يشير تاريخ الكنيسة فى السودان إلى أن الكنيسة تلعب دوراً إيجابياً وفاعلا فى بناء المجتمع السودانى من خلال عدة أنشطة ومشروعات إجتماعية ومبادرات سياسية عدة نجملها فى الآتى:-

١. ظلت الكنيسة السودانية تقدم خدمات إجتماعية وإنسانية لكل أفراد المجتمع السودانى من خلال منظماتها المتخصصة ، خاصة فى مجالات التعليم ، حيث تنتشر اليوم مئات المدارس المملوكة للكنائس فى العديد من بقاع السودان، تقدم خدمات تعليمية لكل شرائح المجتمع السودانى، خاصة شريحة الفقراء والنازحين بمختلف معتقداتهم، حيث توفر هذه المدارس بيئة حقيقة للتعايش السلمى الدينى والإجتماعى..

٢. ساهمت وما زالت الكنيسة تساهم فى دعم المجتمع السودانى بخدمات صحية متنوعة من خلال مراكزها الصحية ومساهمتها الدائمة فى حملات التوعية الصحية القومية المتكررة..

٣. تقدم الكنيسة خدمات إجتماعية متنوعة أهمها الأندية والدور الإجتماعية والثقافية والرياضية المنتشرة فى العديد من مدن السودان، حيث توفر مناخاً للتعايش الدينى والإجتماعى بصورة قلّ ما توجد فى أوضاع أخرى..

٤. تساهم الكنيسة فى السودان فى العديد من برامج للترويج لثقافة السلام فى إطار منظومة منظمات المجتمع المدنى ، إذ يعبر مجلس الكنائس السودانى واحد من أهم المنظمات التى ساهمت فى الترويج وبفعالية لثقافة السلام فى إطار المجهود العام للبحث عن السلام فى السودان..

٥. تساهم الكنيسة السودانية بمساهمات متعددة فى التخفيف عن معاناة المتأثرين بالحرب والكوارث الطبيعية من النازحين من خلال تقديم برامج إغاثية، وبرامج تنموية متعددة فى جميع أنحاء السودان، ويعتبر مجلس الكنائس السودانى والكنيسة الكاثوليكية من خلال منظماتها المختلفة من أكثر المنظمات حضوراً وفاعلية فى آواسط النازحين والفقراء من المجتمع السودانى، بغض النظر عن خلفياتهم الدينية..

٦. ظلت الكنيسة فى السودان تمارس ثقافة السلام بصورة عملية من خلال إمتصاصها وتحملها لكثير من السياسات والقرارات التنفيذية الغير عادلة من جهة بعض أجهزة الدولة فى مجالات الحياة السياسية والإقتصادية والإجتماعية والدينية ، خلال الحقب السياسية المختلفة فى السودان..

٧. أما فى مجال البحث عن السلام والمصالحة الوطنية، فقد ظلت الكنيسة تلعب دوراً رائداً فى عملية البحث عن السلام ، ويعود الفضل لإيقاف الحرب الأولى والتوقيع على إتفاقية أديس أبابا لسلام فى عام ١٩٧٢م.. من خلال ذراعها الفاعل مجلس الكنائس السودانى.. لقد قام المجلس بمبادرة سلام إلتف حولها مجلس الكنائس الأفريقى والعالمى، وإنتهت بموافقة طرفى النزاع للدخول فى مفاوضات إنتهت بتوقيع الإتفاقية التى إستمرت فاعليتها لأكثر من إحدى عشر عاماً.. ومنذ نشوء النزاع الثانى ظلت الكنائس تصلى وتعمل من أجل السلام بطرق مختلفة أهمها إعلان الكنيسة السودانية فى عام ١٩٩٦م.. المضمّن فى وثيقة بعنوان " هنا نقف معاً " HERE WE STAND...

ورغم أن الوثيقة وجدت ترحيباً لدى طرفى النزاع، إلا إنها لم تتخذ خطوات عملية نحوها، وفى عام ١٩٩٩م ، تمّ إعادة صياغة الوثيقة تحت عنوان " لنبقى متحدين فى العمل من أجل السلام فى السودان " وبعد تنشيط مبادرة الإيقاد فى منتصف ٢٠٠٢م نشط مجلس الكنائس السودانى وبمشاركة شركائه من أجل توحيد

جبهة الجنوبيين من أجل السلام.. ولقد عقدت عدة لقاءات عرفت بلقاءات كمبالا للحوار الجنوبى- الجنوبى..
إن قيم ومبادىء المسيحية الأساسية هى فى الواقع القاعدة التى تشكل ما يعرف بثقافة السلام والمصالحة.. بمعنى آخر رسالة الكنيسة هى بالأساس دعوة للسلام والمصالحة من خلال القيم والمبادىء السلوكية التالية ، وهى مبادىء تشترك فيها الإنسانية جمعاء، بغض النظر عن خلفياتهم الدينية والثقافية والسياسية..

٣٤. ثالوث فى واحد لحكم السودان

الفترة الإنتقالية: بدأت مراسم الفترة الإنتقالية فى القصر الجمهورى يوم السبت التاسع من يوليو ٢٠٠٢م .. وهو يوم سلام السودان..أغلب بلدان العالم كانت معنا فى شخص رؤساء حكام ، وفى شخص رؤساء وزراء.. ومندوبين لبلاد متعددة.. ووصلنا إلى قاعة الإحتفال بعد معاناة طويلة..
وجلست بجوار الحكيم الحاكم السابق الذى سلم السلطة للشعب بعد عام واحد على الحكم ، وهو المشير سوار الذهب.. وبجوار سوار الذهب كان الرئيس السابق جعفر نميرى.. ولم أندهش لوجودهما جوار بعضهما..لأن حرص المراسم على أن تضع الرؤساء السابقين معاً..
يبدو إنه كان مهماً.. ولأن السودان الآن هو البلد الوحيد فى عالمنا الثالث الذى صار فيه رؤساء سابقين سواء إختاروا هم هذا ، أم أن الشعب أقصاهم عن الحكم.. وبدأت مراسم الإحتفال.. وكان اليوم جميلا وممتعاً وأنيقاً.. هكذا يكون التوجه نحو السلام ، فإلهنا هو إله السلام.. هو رئيس السلام.. بل إن الله هو السلام ، منه السلام ، وإليه السلام..
ولأنه والحمد لله صار السودان هو وطن السلام والمجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة.. ولأن السلام هو رهان السودان الجديد كما يقولون.. ولأننا سوف نلقى الرحمن فى أول طريق السلام ، ولن نلقى الشيطان، وهذا كان كلام رجل السلام على عثمان طه، الذى طمأن الناس بأن لا يخاف أحد من السلام.. لأننا فى أول السلم سوف نلقى الرحمن..
وكانت اللحظات ذات قدسية مقدسة.. لقد شعرت بقلبى إن الرب كان معنا.. وعندما صعد ثالوث السلام على المنصة وتشابكت الأيدى تذكرت إن الله هو الرابع، مثلما حدث فى بابل ومنذ زمن سحيق يعود إلى القرن السابع قبل الميلاد، حينما

حكم ملك بابل على ثلاثة فتية من الشباب الموحدين رفضوا أن يسجدوا لآلهة من تماثيل..

وكان الحكم أن يلقوا فى آتون النار المحماة سبعة أضعاف.. أكثر مما كان معتاداً أن يحمى.. وأوثق الرجال الثلاثة وألقوا فى وسط النار حتى إن من أوثقوهم إحترقت ملابسهم، ولكن نبوخذ نصر فوجيء مفاجأة غريبة.. لقد رأى إن هؤلاء الثلاثة هم أربعة.. وتساءل : ألم نلق ثلاثة رجال فى النار ؟.. ها أنا ناظر أربعة رجال محلولين يتمشون فى النار وما بهم ضرر.. وشهد الكل إن الثلاثة رجال لم تكن للنار قوة على أجسادهم وشعرة من رؤوسهم لم تحترق وسراويلهم لم تتغير.. ورائحة النار لم تأت عليهم.. لقد خرج ثالوث السلام البشير وجون قرنق وعلى من نار الحرب ودمارها.. وعارها وشرورها.. والرب معهم الآن بعد أن أخرجهم إلى السلام..

ثالوث فى واحد: إن رقم ثلاثة رقم محبوب ومرغوب ومرهوب لدى المسيحيين والمسلمين.. المسيحيون يؤمنون بإله واحد مثلث الأقانيم.. إنه ثالوث فى واحد، وواحد فى ثالوث.. والمسلمون يحبون رقم ثلاثة يقولون عن الله: إنه الله الرحمن الرحيم.. ولا يقسمون بالله العظيم إلا ثلاثا.. ويطلّقون بالثلاثة.. وهناك حكمة إسلامية تقول : وترّ أن الله موتر.. وقد شرح لى المشير سوار الذهب هذا الكلام بقوله: عندما تأخذ بلحتان يقولون لك : وترّ أى خذ الثالثة.. والمسلمون أيضا فى سفرهم يكبرون لله ثلاثا..

إن السودان سوف يحكمه ثالوث فى واحد.. وواحد فى ثالوث.. الثلاثة سوف يلتقون فى الواحد.. الثلاثة يتوحدون فى الله الواحد.. فى الوطن الواحد.. فى الأمل الواحد.. فى المستقبل السعيد الواحد.. ولو لم يتوحدوا معاً لن نخطو إلى الأمام.. فالإيمان واحد والوطن واحد.. وهم عندما يتوحدون معاً بالكلمة الواحدة سوف ينجحون، بل سوف يدمنون النجاح.. بعد أن ذهبت إلى غير رجعة مرحلة إدمان الفشل..

لقد دعى البشير وهو أحد بل رئيس الثالوث الواحد إلى إقتلاع ألغام النفوس قبل ألغام الأرض.. ووصف يوم السلام بأنه يوم فريد وسعيد تدخل فيه بلادنا مرحلة جديدة مهمة وتاريخية.. حيث تقوم أول مؤسسة دستورية بموجب أحكام الدستور وهى مؤسسة رئاسة الجمهورية..

الترحيب بزعيم الحركة الشعبية الذى صار أحد الثالوث.. وصار النائب الأول والذى دعى المهمشين إلى العمل لأنهم لن يكونوا مهمشين بعد اليوم.. وقال للشعب: إذهبوا فأنتم طلقاء لن يلمس أحد حريتكم.. وهو متكلم لبق عندما تعالت

الهتافات: لا شمال بلا جنوب.. قال : المهم أن يكون هناك سودان.. وعندما تعالت نفس الهتافات فى مصر قال: إنهم يقصدون شمال الوادى وجنوب الوادى، أى مصر والسودان..

وثالث هذا الثالوث هو الرجل الوقور حكيم السودان الذى إختار أن يتنازل ويقدم أخيه ، وبعد أن كان النائب الأول صار نائباً عادياً، ولكنه قوى جداً لأن صاحب هدف ورؤيا، ولأنه إنحاز للشعب وقال: عندما يتحدث الشعب يصمت القادة.. إن الثالوث فى واحد والذى سوف يحكم السودان سوف يقودنا بالعمل والأمل إلى سودان واحد موحد من أجل الأطفال والكبار والرجال والسيدات وكل فئات المجتمع.. يوفق الرب ثالوثنا ويجعله واحداً أحداً..

٣٥. حكومة السلام.. ورئيسنا المسالم

حكومة السلام: إن حكومة الفريق عمر البشير يمكن أن توصف بأنها حكومة السلام.. ولقد بدأت الحكومة فى أول أيام ثورة الإنقاذ بالحديث عن السلام.. وكان الكلام عن السلام كلاماً كثيراً لم يتكلم أحد عن السلام قدر ما تكلمت حكومة البشير عن السلام.. وقد أفسح المجال مفتوحاً واسعاً لكل رجال الدين من مسيحيين ومن مسلمين لذكر نصوص كتابية عن السلام..

وبدأ أهل الكتاب المقدس يذكرون آيات الإنجيل عن السلام ويتحدثون عن نشيد الملائكة : المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة.. وصار هذا النشيد فاتحة لكل كلام.. وإنطلاقاً لكل سياسى يدخل إلى الكنيسة ويتحدث عن السلام.. وإستمرت نصوص الكتاب المقدس.. لقمة يابسة معها سلام خير من بيت ملآن ذبائح معها خصام.. سلام الله الذى يفوق كل عقل فليحفظ أفكاركم.. إلهنا ليس إله تشويش بل إله سلام .. تأديب سلامنا عليه.. فكان كنهر سلامك.. وليملك فى قلوبكم سلام الله.. الرب يبارك شعبه بالسلام..

وهكذا أيضا أدلى رجال الدين الإسلامى بدلوهم وملأوا الجو كلاماً عن السلام.. اللهم أنت السلام ومنك السلام.. ياأيها الذين آمنوا أدخلوا فى السلم.. إن جنحوا للسلم فإجنح له وتوكل على الله.. يهدى به الله من إتبع رضوانه سبل السلام.. دعواتهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام.. سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار.. وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا.. سلام قولا من رب رحيم.. سلام هى حتى مطلع الفجر.. وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً..

نحوالسلام: وجاء يوم فرغ الكلام عن السلام لأنه كان مجرد كلام.. ولم نحصل على السلام.. وإستمرت نار الحرب مستعرة.. مشتعلة.. تاكل قوتنا اليومى ، وتاكل أولادنا من الشباب الغض.. ولكن الحمد لله حكومتنا اليوم إتجهت نحو السلام الفعلى وصارت مستعدة للتضحية من أجل السلام..

وأرقى وأسمى أنواع التضحيات أن يضحى الإنسان بنفسه من أجل السلام .. وإنتقلت الحكومة من الكلام الكثير عن السلام إلى العمل على تحقيق السلام.. وبدأنا مرحلة إنتقال سعيد من إستنفار الجماهير بالهجوم على المعارضة.. وبعرضنا على المعارضة أن تشرب من البحر فى بورتسودان إلى إستنفار المعارضة لبناء الوطن والإتجاه نحو الإرتواء من نهر النيل بمياهه العذبة وتاريخه الخالد..

وتوقفت كل مستنقعات الكراهية.. لأنه وبكل أسف فى البدء كانت الكراهية والسخرية بالآخر، وهذا كله خلق إعلاماً منفراً كريهاً.. وأناشيد كراهية وسخرية بالدول العظمى.. وإعلام يستهزىء بالدول الشقيقة والصديقة.. ونيران صديقة وغير صديقة تلتهم كل من حولنا وشعارات جوفاء خالية من المعانى.. وحديث عن الشفافية دون شفافية ، ولكن الحمد لله الآن كل شىء قد تغير..

الرئيس يرسل نائبه الأول إلى المواطن جون قرنق لكى يبدأ معه الحوار.. والنائب الأول يقدم لنا أكبر مثل عن الرغبة فى السلام والتضحية من أجل السلام.. وتبدأ التضحيات بأن يتنازل النائب الأول عن كرسيه لشقيقه جون قرنق.. وقد طال الحوار بينهما.. ولابد أن يطول لأن المرارات أخذت زمناً طويلا.. وتكاثرت.. وتراكمت.. وتنظيف الجراح أمر يحتاج إلى حكمة الحكماء، وإلى طب جراحة على أرقى مستوى..

يدخل إلى عمق الجرح وينظف ويطهر.. وسوف نحصل بمشيئة الله على السلام.. ولقد قدم رئيس الجمهورية عدة تسهيلات لكى يجرى السلام فى قنواتنا ، وأعلن عن إطلاق المعتقلين.. وحرية الصحافة.. وإن كنت أعتقد إننا حتى الآن لم نخرج من السجن القديم ، وإن بعض القائمين على الأمور لم يفهموا توجه الرئيس.. ولا يقدرون أن يخرجوا من نفق الكراهية القديم ، فهناك جريدة يوقفها وكيل النيابة بمقتضى مواد قانونية ترضى ضميره، وليس هناك أى سبب لإعتقال الكلمة الحرة.. والجريدة التى لا تسير فى مسيرة السلام سوف تتوقف بسبب عدم إقبال الناس عليها.. وليس بأمرالحكومة..

وهناك نداءات متعددة لفك التحفظ على الدكتور الترابى رئيس حزب الشعبى ، وصارت كلمة الشعبى كلمة إستفزازية فى قانون السياسة.. وربما يأمر آمر بأن تلغى كلمة شعبى، ولا تكتب حتى فى البصات التى توصل إلى السوق الشعبى.. وكل

هذا لا يقلقنى شخصياً، فأنا متأكد أن كل هذا سوف يتغير إلى أحسن، ولن يطول الإنتظار..

رئيسنا المسالم: وأنا اعتز جداً برئيسنا البشير.. فهو ليس فريقاً عسكرياً بقدر ما هو نفسه فريق من المبادىء السودانية.. فريق من القيم الروحية.. إننى أرى السودان فى أعماقه وهو مؤهل لكى يحكم المرحلة الإنتقالية ويؤسس خلال فترة الحكم الإنتقالى حكومة وطنية قوية.. تعترف بالتعددية .. تحب الكل.. وتحترم الكل..

لا نغالى فى التوجه توجهاً بعينه.. تحمل مشروعاً حضارياً يتناسب مع أهل السودان الذين هم متعددون ثقافياً ودينياً، ولكنهم متحابون معاً.. حكومة تهتم بالوطن.. بالمواطنة تعلى شأن الوطن ونجعله فوق كل إعتبار، والمواطنة فوق كل ميزان.. وهنا نغنى للوطن وننشد أناشيد المحبة لوطن المحبة..

حكومة تهتم بالتربية الوطنية لأننا بدأنا نداءات وطنية وخدمة وطنية بل أن نبدأ التربية الوطنية .. وفى حكومة السلام القادمة نرى الرئيس مع أسرته السودانية يعملون معاً.. وتبدأ هذه الحكومة أن تكون فعلا لا للسلطة ولا للجاه.. إنما للوطن.. كل الخبرات تتضافر معاً، خبراؤنا السودانيون فى الخارج والداخل يتضافرون للإعمار، إعمار الشمال ، وإعمار الجنوب.. وفى حب الوطن يتنافس المتنافسون ويخترع المخترعون.. ويبنى البناؤون.. ويتجهون معاً نحو الرخاء والرفاهية والسعادة التى إختفت حتى من أحلامنا..

٣٦. حوار حول الحرب والسلام

أنباء حروب: تحدث السيد المسيح له المجد عن آخر الأيام وما يكون فى أواخر الأيام من أحداث.. وأهم هذه الأحداث إنه تكون حروب وأخبار حروب.. والحروب موجودة فى العالم منذ بدء العالم.. وإذا كان الناس الآن يتقاتلون بسبب ضيق المساحة وندرة الثروات وعدم توزيعها العادل، فلماذا تقاتل الشقيقان قايين وهابيل؟.. هل كانت المشكلة مشكلة توزيع الثروة ؟..

لقد كانت أول أسرة فى العالم مكونة من أفراد قلائل ، هم آدم وحواء وإبنان وبنتان.. ولكن نشأ القتال ، وقتل الأخ أخاه.. وبدأت هذه الصورة تكبر وتكبر.. وهى الآن فى صورة حروب.. وفى صورة إستعدادات للحرب تأكل لقمة العيش قبل أن تصل إلى أفواه الجياع..

حروب اليوم: ولقد إنتهت حروب الأمس التقليدية والتى كان فيها الناس يتنازلون فى ميدان الوغى بين مكر ومفر.. ومقبل ومدبر.. وكان المحاربون يركبون على خيول مدربة.. ويحملون سلاحاً أبيض.. ويتبارزون معاً.. وفى حالة الإنتصار كان الجيش المهزوم يصير أسيراً للجيش المنتصر..

ولقد أخذ كثيرون من شباب بلاد الهزيمة ليكونوا فى خدمة الملك المنتصر، كما حدث عندما سبى ملك بابل أرض فلسطين ، وأخذ الآسرى وجعلهم فى خدمته وخدمة أغراضه.. وكان رجال الإجتماع يتحدثون عن الحرب بإعتبارهم موازنة طبيعية للزيادة السكانية والتى تشكل الفرق بين المواليد والوفيات..

ولكن حروب اليوم تأخذ إتجاهاً آخر يتمثل فى سباق مجنون نحو التسلح.. وأخطر أنواع الأسلحة اليوم هى الأسلحة النووية والتى هى رؤوس ناسفة لها قوة تدميرية مهولة ، تفوق مليون مرة القوة التدميرية لقنبلة هيروشيما.. وما يسمى بالغواصات الذرية هو أمر جد خطير..

وصارت لدينا دول نووية.. ونادى نووى. والكل هو أشبه بضحايا واقعة تحت تأثير التنويم المغناطيسى وكأنهم أناس يحلمون.. ويتجهون نحو البحر لكى يدخلونهم نائمين ، فيموتون غرقاً.. ويدمرون معهم العالم ، مثل شمشون الجبار الذى حطم الهيكل الوثنى على نفسه وعلى الآخرين وقال : علىّ وعلى اعدائى..

تكاليف الحرب: وليست ضخامة الأسلحة فقط هى المشكلة ، إنما المشكلة فى تكاليف الأسلحة.. وما يصرف على السلاح يكفى لإشباع الجياع.. وملء الفجوات الغذائية وإرساء التنمية فى البلاد المتخلفة.. والغريب إن البلاد المتخلفة تسير هى نفسها فى سباق التسلح ، ونعرف بلداناً لا يتعدى مواطنوها بضعة ملايين، ولكن قادتها يحولونها إلى ترسانات حربية لكى يبقى الحاكم فى مركزه من خلال البطش والترهيب..

دور السلام: وهنا يأتى دور صناع السلام فى إرساء قواعد السلام ، وإنقاذ العالم من جنون الحروب، وهيستيريا العظمة ، وهزاء التسلح.. فأهل السلام رسالتهم أن يعم السلام، وأن يكون على الأرض السلام، مثلما أنشد جند السماء فى مجىء السيد المسيح الأول.. ويحتاج الأمر إلى بناء الثقة وتعزيز الحوار..

أما بناء الثقة فيأتى على المستوى الفردى والمستوى الدولى، لأن شعور الإنسان بالتهديد المقبل يجعله عرضة لأن يصرف كل ما فى جيبه على الأسلحة.. ومن المهم هنا أن نعيد بناء الثقة بأنفسنا وباوطاننا، ولا نجرى وراء محاور النزاع فى العالم..

وأهل السلام هم أهل الحوار، لذا تعزيز الحوار.. فبالحوار الذى يديره صُناع السلام نصل إلى نتيجة.. نحن فى زمن الحوار وعلينا أن نجرى مناقشات معدة إعداداً جيداً.. وأن نقدم مناقشات حديثة لأسئلة حديثة مثل : هل تشكل الأسلحة النووية رادعاً بعد الآن ؟.. هل إمتلاك الأسلحة هو أمر أخلاقى بينما إستعمالها غير أخلاقى ؟.. وأليس هذا تناقضاً فى الأيدولوجية ؟..

هل نحن محصورون بين خيارين ، الردع النووى ، والتصرف من جانب بلد واحد ؟.. هل فى الإمكان إيجاد سياسات دفاعية بديلة ؟.. هل يمكن تبرير تأمين الدفاع القومى على حساب ملايين الناس ؟.. أيهما أكثر أهمية فى النهاية ، الأمن القومى أم النزاهة القومية ؟.. هل يمكن تحقيق الأمن المشترك ؟.. كل هذا حوار ينبغى أن يُدار ويظل الحوار " دعوة محبة " لكى يطبع العالم سيوفه سككاً ورماحه مناجل، ولا تكون حرب فيما بعد..

٣٧. الكنائس ونداء السلام

مجمع الكنائس: بدأت فى وسط الكنائس حركة نشيطة تتجه نحو دعم السلام بإعتبار إن دعم السلام هو الطريق الحقيقى نحو دعم الوطن.. والوطن هو وطن متميز ثقافته هى ثقافة السلام.. وميل أهله نحو السلام ميل غريزى.. وحب أهل السودان للسلام هو إيمان.. إيمان بالله وإيمان بالوطن، وإيمان بالمحبة طريقاً واضحاً نحو التقدم والرخاء والأمل الواعد بوطن كبير هو وطن السلام..

وفى وسط نداءات الحرب وطبوله المزعجة يأتى نداء الكنائس نداء السلام.. وقد إجتمعت كل الكنائس فى السودان.. نحو قضية السلام وعقدت عدة إجتماعات ولقاءات فى المؤتمر الوطنى.. وفى وزارة التخطيط الإجتماعى.. وفى قاعات مجمع كنائس السودان.. والكنائس المسّجلة فى مجمع الكنائس ليست هى وحدها صاحبة النشاط الروحى، إنما تضافرت باقى الكنائس الأخرى..

كل الكنائس الوطنية.. وكل كنائسنا فى السودان كنائس وطنية تصلى من أجل الوطن.. وتعمل على تنشئة المواطن الصالح الذى يحقق الوطن المثالى.. ومنابر الكنائس هى " دعوة محبة" نحو التسامح.. نحو القيم.. نحو المحبة الغالية.. نحو المشاركة والتوادد.. نحو حب الله وحب القريب.. والقريب هو الوطن بكل ما عليه وبكل من فيه.. وتظل كنائسنا معايشة لقضايا الوطن مشاركة فى صنع السلام..

مؤيدة لكل خطوة نحو السلام ، فالخطوات نحو السلام هى خطوات مؤمنة نحو التقدم والرفاهية وتحقيق النجاح فى الدنيا وكسب الآخرة الصالحة..

نداء السلام : وعندما إجتمعت الكنائس إتفقت على أن تطلق " نداء السلام" تحقيقاً لتطويبة السيد المسيح فى العظة على الجبل " طوبى لصانعى السلام لأنهم أبناء الله يدعون (متى٥:٩).. وفى المقدمة قال النداء : نحن قادة الكنائس فى السودان إنطلاقاً من دورنا الروحى فى صنع السلام، وإنطلاقاً من مبادرة مجلس كنائس السودان ومن خلال تاريخ الكنائس ورجال الدين كصانعى سلام بدءاً بإتفاقية أديس أبابا ١٩٧٢.. وإستمراراً لمشاركتنا فى جمع الشمل وتوحيد الصفوف نحو سلام الله الذى يفوق كل عقل ويحفظ أفكارنا فيه نطلق إلى كل العالم.. وإلى مواطنينا الشرفاء فى الداخل والخارج حكومة ومعارضة.. نطلق اليوم " نداء السلام"..

السلام عقيدة: وأكد البيان إن صنع السلام سوف يظل بالنسبة إلى المسيحي هو مبدأ وعقيدة ، ودعوة إلهية إلى كل مؤمن أن يسعى نحو السلام.. ويكافح من أجل تحقيقه بدون تحفظ من أجل وطننا الغالى الذى نعتز بأننا مواطنين فيه وبأن المواطنة هى الميزان الذى نزن به أمورنا ومشاركتنا الوطنية فى رفع ويلات الحروب..

وتحقيق السلام الكامل والعادل والشامل، وذلك إتجاهاً نحو التنمية والرخاء والإزدهار حتى تتحول سيوفنا إلى سكك (معدات زراعة) ورماحنا إلى مناجل.. وقنابلنا إلى سنابل.. ونزرع فى وطننا سلام الله لأن ثمر البر يزرع فى السلام من الذين يزرعون السلام (يعقوب ٣:١٨).. وما أجمل أقدام المبشرين بالسلام المبشرين بالخيرات (ناحوم ١:١٥)..

ولكى يقطع معنا الله عهد سلام يكون معه عهداً مؤيداً (حزقيال ٣٧:٢٦).. ويعطينا الله نفسه ميثاق السلام: هانذا أعطيه ميثاقى ميثاق السلام (عدد ٢٥:١٢)..

أين كنتم ؟: وقد نسأل أهل الكنائس أين كنتم ؟.. أين كان صوتكم ؟..هل أنتم صامتون متكلمون أم متكلمون صامتون ؟.. هل غاب عنكم مسئوليتكم ؟.. ولقد شعر فعلا المؤتمرون فى أوسلو ١٩٩٦م فبراير بغياب ورقة مجمع كنائس السودان.. ويجيب رجال الكنائس قائلين : نحن لسنا غائبون.. إن القضية هى شغلنا الشاغل، وهدفنا المستمر..

لقد بدأت خطواتنا بالإجتماع مع مجلس كنائس السودان الجديد، وهناك تم وضع رؤية مستقبلية لدور الكنيسة وتوحيد الجهود نحو الإستقرار فى وجود بعض المنظمات ذات الإهتمام المشترك ، وبدراسة كل المبادرات السابقة.. وبعد هذا قدم

النداء رؤية الكنيسة لمستقبل السودان والخطوات العملية المطلوبة وحدد النداء حقائق أولية هى أساس المشاركة الفعلية.. وهذا يؤكد إن الكنائس هى " دعوة محبة" نحو السلام " ودعوة محبة " لرجال الوطن أن يدركوا دور الكنيسة وهى تسعى نحو السلام وتؤيد خطوات الوطن نحو السلام بدون تحفظ..

٣٨. شهداؤنا كانوا بيننا دعوة محبة

الطائرة والمطار: إستقل نفر عظيم من كبار رجال الأمة السودانية طائرة طارت بهم إلى الجنوب.. وعندما أرادت الطائرة أن تهبط فى مطار الناصر.. تغيرت الأمور.. وتغير الجو.. وبات هبوطها إلى أرضنا أمر صعب.. يقولون: إن الجو إكفهر..ولكننى لا أعتقد هكذا.. إننى أعتقد إن الطائرة إختارت السماء لها مستقرها.. وكأن راكبوها لا يرغبون فى الهبوط إلى الأرض.. هم فى السماء وأرادوا أن تكون السماء لهم مقراً ومستقراً..

ولكن الأجساد كان لابد أن تعود إلى الأرض.. هكذا أمر الله.. إنها إرادة الله : ياآدم أنت تراب وإلى التراب تعود.. وعاد التراب إلى التر اب.. ولكن أرواح ركاب الطائرة إنطلقت إلى السماء.. إلى أمجاد الخلود.. وفجأة وجدنا أنفسنا أمام طغمة من شهداء السلام وكأنها حكومة كاملة.. فيها النائب الأول للرئيس وفيها والى ولاية.. وفيها وزراء.. ومدراء... فيها مدير مؤسسة السلام د. أمين ومهندس صندوق السلام.. ومدير منظمة الدعوة الإسلامية.. وفيها وجه مشرق من مراسم الدولة.. وفيها بعثة تلفزيون.. إنها حكومة كاملة ودعناها إلى السماء.. شهداء كانوا بيننا يشهدون للوطن.. ويشهدون للسلام كحق إلهى عظيم.. شهداء لمبادىء نبيلة لوطن عظيم.. ولقد كنت قريباً جداً إلى قلوب أغلب هؤلاء الشهداء..

أمانى تتحقق : كنت أسمع الفريق الزبير يتحدث كخبير عن الموت لأجل الوطن.. وكان أحياناً يبالغ فى الحديث عن الحياة الكريمة والتى لا ثمن لها سوى الموت.. وكان يرى إنه من الأفضل أن يموت أكبر جزء من سكان السودان لكى يعيش الباقون حياة كريمة.. كان يشتهى أن يكون من بين الشهداء.. وعندما كان يودع شهيداً كان يتساءل : متى يأتى الوقت الذى ننضم فيه إلى موكب الشهداء ؟.. وها هوذا الوقت قد أتى، ولكل أمر تحت السموات وقت.. لقد غادر سيد الرجال أرضنا لكى يكون سيداً لشهداء الوطن ، ومقداماً بينهم..

وكنت قريباً إلى أروك طون أروك.. منذ عودته ونحن بيننا معاً أحاديث.. لقد كان مواطناً مسيحياً مؤمناً.. وكان ملتزماً.. لقد سمعته ينادى بلاهوت القبول.. ويطالب من خلال لاهوت القبول أن نقبل بعضنا بعضاً فى الله.. نقبل بعضنا البعض دون أن نفرض أنفسنا أو مشروعنا أو عقيدتنا أو أفكارنا.. وكان دوماً يستشهد بمواقف من الكتاب المقدس.. وكان يسعى فى كل مكان لكى يحقق السلام..

وعندما إستشهد من أجل السلام شعرت إننا نقدم ضريبة الوطن كلنا معاً.. مسلمين ومسيحيين ، فالوطن هو لنا جميعاً.. والضريبة نحن ملتزمون بها جميعاً.. وقد ذهبت إلى الكنيسة.. وصليت مع المصلين.. ولقد صليت للكل طالباً الرحمة لكل شهداء الوطن.. وشعرت إن التحية يستحقها بحق وطننا العظيم الذى أنجب رجالا عظماء يموتون من أجله.. ولقد فوجئت فى الساحة الخضراء بأن أروك قد صار فى زمرة المسلمين.. وشعرت إن هذا الكلام ليس مناسباً فى هذا المقال.. وإن هذا تدمير لفكرة لاهوت القبول، فما المانع أن يكون الشهيد مسيحياً ؟.. لقد كانت كل الأسرة معنا فى الكنيسة.. وودعناه من الكنيسة شهيداً للوطن.. والوطن هو الكبير ولا يمكن أن نسجن الوطن العظيم فى أفكارنا الصغيرة..

وأنا متأكد إن أروك تون أروك مسيحياً مخلصاً حمل صليب المسيح كل رحلة حياته.. وإستمد من آلام المسيح عوناً له لكى يحتمل حتى الموت من أجل الوطن.. وفرحتنا تكتمل عندما نحيا الوحدة الوطنية.. وإن المسيحى قدم مثلما قدم المسلم.. وفى كل رحلة موت لأجل الوطن.. يموت المسلم مع المسيحى فالوطن للكل.. ولقد كنت فى لحظة تأمل وإجلال فى الوطن العظيم.. ولم أكن أحب أن تنقطع تأملاتى العميقة..

دعوة محبة: لقد كان شهداؤنا دعوة محبة بيننا فى الوطن.. كانوا يعيشون المحبة معنا.. وها هم ماتوا شهداء معاً.. تمتزج دماءهم معاً فداءً للوطن الذى عاشوا على أرضه فى سلام ومحبة.. وسوف تستمر دعوة المحبة التى قدموها.. سوف يكون لنا رقباء من السماء.. وسوف يفرحون فى السماء بخطواتنا نحو السلام وتحقيق أهدافهم المقدسة.. وسوف ندفع نحن مسيرة المحبة والسلام إلى أن تتحقق المحبة على أرضنا.. وتنتهى الحروب.. ونحيا فى سلام الوطن العظيم الذى يستحق كل تكريم ، لأن أبناءه يرحبون بالموت من أجله.. ولن ينقسم الوطن إلى مسلمين ومسيحيين.. فالدين لله والوطن للجميع.. والعزة للسودان، والتحية لأرواح شهداء الوطن الذين كانوا بيننا " دعوة محبة "..

٣٩. مرحباً بروتوكول السلام

كلام عن السلام: منذ أمد ليس بالقصير كثر الكلام عن السلام.. تحدث المسيحيون من خلفية لاهوتية عن أهمية السلام.. وتنادى المسلمون بالسلام وقالوا: اللهم منك السلام وإليك السلام.. وصار نشيد الملائكة يوم مولد السيد المسيح : المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام.. وهو نداء كل يوم، بل هو البسملة التى يفتتح بها الكلام.. وكثر الكلام حتى سئم الكلام من الكلام.. وإتجه أهل الأديان إلى الصلاة من أجل السلام.. ودقوا أبواب السماء وطلبوا من الله أن يحل السلام فى ربوع السودان.. فى قناعة من الجميع إننا لم نحصد من الحرب سوى الدمار والفناء والضياع..

فلقد إنهدرت مواردنا وما أكثرها.. وتفجر الخير فى بلادنا.. بترولا.. ومعادن نفيسة.. ولكن أين ذهب خير البلاد ؟.. إنه يوضع فى حفرة رديئة هى الحرب.. ولا يمكن أن نكون ضعفاء فليس للضعفاء مكان فى كورة الأرض الصاخبة.. ولهذا كان التسليح.. وكان التجييش.. وطبول الحرب تدق.. تحصد خيرة شبابنا الذى إمتلأ حماساً بحب الوطن والتضحية من أجله.. ولكن ما هى النتيجة ؟.. ليس هناك حل سوى السلام.. السلام.. السلام..

محادثات السلام: ودخلت الحكومة مع أخواننا من المعترضين فى محادثات عن السلام.. وطالت محادثات السلام.. وإبتلعت من الوقت الكثير، ومن الموارد أكثر من الكثير.. وقالوا: إن حكومتنا الرشيدة هى حكومة حرب ولا ترغب فى السلام.. ومر الوقت والحكومة تتحمل كل هذه الأعباء، ولكنها فعلا ترغب فى السلام.. وعلى مائدة المفاوضات كان يحدث ما يعبر عن إن أهل السودان هم أهل السلام ، وأهل ثقافة السلام..

فلقد كان المتخاصمون عندما يلتقون يأخذون بعضهم البعض فى أحضانهم دفئاً وحناناً.. وكانت المفوضات تسير.. وطبول الحرب تدق.. والخراب مستمر.. وإنهدرت حقوق الإنسان وأى حقوق تأتى فى وسط الحروب ؟.. أى حقوق والذى يذهب إلى الحرب مفقود.. والذى يعيش مواطناً عادياً منهك القوى ، مظلة إقتصاده لا تحميه.. وغلاء المعيشة يطحنه.. وسوء الأحوال يسحقه.. ويطالب بالصبر والجلد..

بروتوكول مشاكوس: ويبدو أن حكومتنا إزدادت قناعتها بأهمية تحقيق السلام.. فبدأت محادثات مشاكوس فى كينيا..وبدأت المشاكل تزاح.. والحوار يطول إلى

خمسة اسابيع.. وإستمر الحوار، ودخل إلى باب مُغلق.. ولكن إصرار حكومتنا على السلام هو الذى فتح أبواب الفرج، ففى كل مرة كان الأمر ينتهى وكل واحد حكومة ومعارضة يقف فى مكانه.. لا يحرك نفسه نحو الآخر.. ولا تتحرك مشاعره نحو السلام.. وكل طرف كان يعتبر نفسه قوياً.. وكل طرف يصر على موقفه.. ولكن المفاوض السودانى برئاسة مستشار الرئيس للسلام تمكن من أن يقتنع الطرف الآخر.. بل تمكن أولا أن يقتنع بالسلام..

وقالوا: إن الحكومة قدمت تنازلات.. وهل هذا ينير موقف الحكومة فى شىء ؟ كلا.. إنه عفو عند المقدرة.. إنه من مقدرة على الحوار.. ومقدرة على تقبل السلام.. وتدخلت الدول الكبرى معنا.. دول الجوار فى الإيقاد.. مصر وليبيا فى المبادرة.. ودخلت أمريكا لكى تجعل للمفاوضات طعماً ومعنى.. وأمريكا تمثل الأخ الأكبر الذى يعمل من أجل السلام.. وكثيراً ما تتهم بإتهامات لا داعى لها، ولكنها تقف عملاقة لا يهمها الإتهامات بقدر ما يهمها تحقيق السلام فى بقعة مباركة من العالم فيها الخير.. فيها الماء والبترول.. وكل مصادر الثروة.. وقد كان لأمريكا كما نعلم دوراً كبيراً فى تحقيق بروتوكول مشاكوس الذى من المتوقع أن يحل مشاكل وطننا العظيم.. والقادرون يعملون.. والعاجزون ينتقدون.. هذه هى سنة الحياة.. وشكراً للذين يعملون.. وشكراً للذين ينتقدون.. وشكراً للرب الذى أتمّ بروتوكول السلام..

مسيرة السلام: وأنا من الغارقين فى بحر التفاؤل السعيد ، ومن المؤمنين بأن أول الغيث قطرة.. ولكن ما حدث ليس قطرة إنه أمطار منهمرة لسفرة هم كرام بررة.. توافقوا على أكثر الأمور تعقيداً وهى الدين والدولة.. ثم تقرير المصير.. وتقرير المصير فترة إنتقالية هى ست سنوات.. وسوف تكتمل مسيرة السلام..

وأرجو من المفاوضين أن لا يفقدوا صبرهم ويتعثرون فى حفر صغيرة بعد أن إجتازوا وعبروا من أكبر وأعمق الحفر.. ولا يخاف أحد من تقرير المصير لأن هناك أسباب كثيرة سوف تجعل الجنوب يربط مصيره بالشمال.. لأن ما جمعه الله لا يفرقه إنسان.. وسوف تكون وحدة البلاد قناعة ورضا وحماساً، وليس فرضاً بالقوة.. وليس لى إلا أن أشكر كل المفاوضين بدءاً بالدكتور غازى مروراً بكل مفاوض من الحكومة.. وبدءاً بالأخ المواطن السودانى جون قرنق مروراً بكل مفاوضيه.. وصلوا.. صلوا دون أن تملوا.. صلوا لكى تكتمل مسيرة السلام.. صلوا لكى يعود إلى وطننا الوئام.. والسلام قادم لأجل المواطن السودانى الطيب الذى لا يطلب سوى السلام.. ولن تكون المناديل لتجفيف الدموع.. ولن يكون النسيج لصنع الأكفان.. سوف نحيا وفى طريق السلام نسير..

٤٠. مهرجان السلام بين الحقيقة والأحلام

مهرجان السلام: فى يومين متتاليين أقيم مهرجانين للسلام.. أولهما فى نيفاشا كينيا الجار الحنون، وثانيهما فى العاصمة الحضارية المتحضرة الخرطوم.. وأبطال المهرجان الأول هما الشقيقان المحبان على عثمان.. وجون قرنق.. إنهما أخوان تعاونا معاً على البر والتقوى.. وقررا معاً إيقاف نزيف الحرب..

وأعلن كل واحد فيهما وبطريقته الخاصة إنه فيما بعد لا يعلو صوت على صوت السلام.. وإن كل مواطن لن يألو جهداً فى دفع مسيرة السلام والمشاركة فى تحقيقه.. والمواطنون شركاء وليسوا أجراء.. شركاء فى القرار وشركاء فى تنفيذ القرار.. ولقد تجاوب المواطنون هنا وهناك.. وتم توقيع بروتوكول السلام بين زغاريد النساء.. ودموع الرجال.. نعم بكى الرجال..

والإنسان يبكى فرحاً كما يبكى حزناً.. والبكاء هنا حزناً على السنين التى أكلتها نيران الحروب، أو كما يقول الكتاب : السنين التى أكلها الجراد، ولكن وعود الله هى أن يعوضنا عن السنين التى أكلها الجراد.. إن نيران الحرب أحرقت كل شىء.. لم تترك يابساً إلا أشعلها.. ولم تترك أخضراً إلا وأشعلته هى.. إن الحرب أحرقت رغيف الخبز وتركتنا جوعى فى أرض تفيض لبناً وعسلاً.. وتركتنا عطشى فى جنة السودان التى تجرى من تحتها الأنهار..

والتى وصفها أشعياء النبى : بأنها وطن الشعب المخوف.. أمة قوة وشدة ودوس.. أرض حفيف الأجنحة التى خرقت الأنهار أرضها.. والتى شعبها مخوف.. طويل وأجود.. إنها أرض كوش مهد حضارة وادى النيل (أشعياء ١٨).. ويقول المفسرون : إن أرض حفيف الأجنحة هى أعالى النيل.. واليوم والحمد لله تحقق السلام الذى كان صعب المنال مثل هدف كرة القدم، ممكن أن يأتى ، وممكن أن يضيع فى اللحظات الآخيرة..

وهكذا قال الجميع: إن الخريف قادم، والخريف عندنا ليس خريف العمر، وإنما خريف الفرح.. ولهذا نحن نعدل البحترى ونقول : أتاك الخريف الطلق يختال ضاحكاً.. لن تكون حرب فيما بعد.. لا ترفع أمة على أمة سيفاً.. ولا يتعلمون الحرب فيما بعد.. فيطبعون سيوفهم سككاً.. ورماحهم مناجل (أشعياء ٢).. لا يسمع بعد ظلم فى أرضنا ولا خراب أو سحق ودمار فى تخومنا.. بل تصبح أسوارنا خلاصاً، وأبوابنا تسبيحاً.. ويكون الرب لنا نوراً أبدياً.. وإلهنا يكون زينتنا.. وشعبنا كله أبرار.. والصغير يكون ألفاً.. والحقير فينا أمة قوية (أشعياء ٦٠).. وليقل الضعيف : بطل أنا..

الإنجيل والقرآن: فى مهرجان السلام فى نيفاشا كان تحقيق أحلام الإنجيل والقرآن.. الإنجيل المقدس وسع أحلامنا عن السلام.. والقرآن الكريم ملأ أفهامنا عن السلام.. وأخيراً تحققت الأحلام.. وعندما بدأ المهرجان أعلن مفوض السلام الكينى " عازاراس سيمبويا" إن الإفتتاح من الإنجيل والقرآن.. وقرأ الإنجيل بنفسه ثم قرىء القرآن بصوت الشيخ حسن الفاتح قريب الله.. وهنا سيمبويا أهل التفاوض بصبرهم ومثابرتهم وبذلهم وإخلاصهم..

وعبر عن هذا بروفسور إبراهيم أحمد عمر عندما وصل إلى الإسم الرابع للأستاذ على عثمان طه بأنه أيوب.. وهكذا نال أيوب ما نال بعد أن صبر صبر أيوب.. وتقليد قراءة الإنجيل المقدس مع القرآن الكريم ، هو تقليد جميل جداً يتفق مع الخطاب الإعلامى للمرحلة القادمة، والذى طلب النائب الأول فى خطابه فى الخرطوم أن يتنافس المتنافسون فى أسلوب جديد وجميل ومبتكر، يتناسب مع المرحلة القادمة..

وفى مهرجان الخرطوم عندما قرأت البرنامج تفاعلت جداً لأنه يبدأ بقراءة من القرآن وقراءة من الإنجيل.. وسمعت كلام القرآن.. ولكننى لم أسمع قراءة الإنجيل وقد إندهشت جداً لهذا.. لماذا لم يقرأ الإنجيل ؟.. هل تسرع المذيع رغم إننى واثق فى لباقته ومحبته للآخر ؟.. وعندما أرسلت إليه أتساءل لماذا لم ينقذ الموقف ؟ أعتقد أن الأمر ليس مقصوداً لأننا تعودنا أن لا نقرأ الإنجيل فى إحتفالاتنا.. وصارت هذه عادة..

أرجو أن لا ندخل المرحلة القادمة بعقلية المرحلة الفائتة ، نحن شعب مثقف.. وحضارتنا عريقة.. وفى عمرنا الحضارى السودانى ألف عام ، كانت المسيحية هى كل شىء.. وأنا لا أنزعج من هذا ، لأن الله الذى جعل السلام بعد أن كان حلماً، واقعاً حياً.. سوف يعطنا أن نحقق المزيد من الأحلام بوطن السلام الذى يتلاقى فيه الإنجيل مع القرآن، ويرسمان معاً الخطوات القادمة سلاماً عادلا شاملا حقيقياً يحقق كل أحلامنا فى غدٍ مشرق سعيد، ولكم تهانينا..

٤١. عيد سعيد يا إذاعة أم درمان

عيد سعيد: تشاركنا الإذاعة دوماً فى أعيادنا وتقدم بثاً مباشراً فى عيد الميلاد السابع من يناير.. وفى عيد القيامة المجيد.. واليوم نحن نشارك الإذاعة فى عيدها السعيد السادس والستون فى عمرها الجميل، وهى تبدو شابة جميلة مزينة بأجمل

أنواع الزينة.. مزينة بالمر واللبان.. وبكل أذرة التاجر.. مزودة بالعديد من الفضائل الروحية والوطنية ، فهى مدرسة الوطن ومن يعمل فيها يعمل لأجل الوطن..

ولقد تقدمت الإذاعة الآن تقدماً كبيراً وسارت نحو النجومية والعالمية بخطى كبيرة.. سريعة أحياناً.. وأحياناً تمشى الهوينا.. كما يمشى الوجى الوحل بحسب ما يتاح لها من دعم من الدولة.. والإذاعة إذاعة الحكومة حتى الان وتصرف عليها الحكومة.. والحكومة هى حكومة الجميع الأغنياء والفقراء، وراعى الضأن فى رعيه.. وجالينوس فى طبه..

وهى إذاعة المسلم والمسيحى.. وإن كنت حتى الآن أشعر إننى كمسيحى ليس لى مساحة فى إذاعة أم درمان.. فالقرآن الكريم والأحاديث الشريفة تملأ أغلب حيز الوقت ، بينما لم يفسح المجال بعد للكتاب المقدس وللأدب المسيحى واللاهوت المسيحى، والذى نتمنى أن تكون له مساحة يومية حتى إن وصلت فقط إلى ثلاثين دقيقة يومياً ، نبث فيها ترانيم الروح وتطوبيات الكتاب المقدس وتعطر أجواء الإذاعة بقيم التسامح والمحبة، ويكون فى هذا راحة للمواطن المسيحى وتعرفاً من المسلم على كنوز المسيحية..

إننى أعرف الكثير من القضايا الإسلامية ، وأحفظ الكثير من آيات القرآن الكريم بسبب كثافة هذا فى إذاعة أم درمان.. ولأننى أدمن سماع إذاعة أم درمان رغم إننى أول رئيس لأول مجلس أهلى لمكافحة الإدمان ، ولكن إدمان سماع إذاعة أم درمان هو إدمان محبوب وتعايش مع كل قضايا الوطن.. لأن الإذاعة الآن تعايش كل قضايانا الوطنية..

وكما قالوا: عندما طلبت الحكومة مادحاً يمدح فيها ويقدح فى الآخرين ويتهور فى التصريحات المتوترة ، لم تجد مذيعاً من أم درمان يقوم بهذا، فإستدعت صوتاً جهورياً فظاً لكى يقدم الحديث السياسى الذى لم يكن سياسياً ولا دبلوماسياً ولا مهذباً، وجر علينا العديد من المشاكل وفتح طاقات المعارضة ضدنا وأعطى أدلة على ان السودان غابة ، فيها الكبير هو الذى يحيا ويتغذى على أكل الصغير..

الندوة الكبرى: وشهر مايو هو شهر العمال.. وهو شهر إذاعة أم درمان التى أقامت عيدها لمدة عشرون يوماً تحت شعار عراقة الماضى وروح العصر.. وعند وصولى لحضور الندوة الكبرى وجدت بروفسور على شمو الإعلامى البارع القديم الجديد الذى يحمل فى جعبته جدداً وعتقاء، كالكاتب المتعلم الذى تحدث عنه السيد المسيح ، وعند الباب قابلته وسألته عن أخباره وعن أخبار المذيع اللبق الذى يملك صوتاً أقوى من جسده الضعيف، هذا الذى أعجب به جورج مشرقى وعزمه إفطاراً

ومشروباً بدون قيمة ، وإبتسم على شمو فقد عرف إنه هو المقصود وقال لى : أدخل وقم بتبريك الندوة ، ولأنه رجل بركة مباركاً ، فهو يسعى نحو البركة..

ولقد تباركت أنا بالحضور لمحاضرة بروفسور إسماعيل الحاج موسى ولم تفتنى محاضرة بروفسور شمو لأن مدير الإذاعة أرسل لى مع سكرتيرته المحترمة.. ولا مانع من أن أقول الجميلة ، لأن كل إمرأة سودانية صاحبة جمال ووقار، ولأن الله جميل يحب الجمال، ملف المؤتمر بكل أوراقه.. لقد كانت ورقة شمو تقدم رؤية مستقبلية فى مسيرة الإذاعة السودانية بلمحات عنها.. كانت الندوة يوم السبت ٢٠ مايو ٢٠٠٦م..

وورقة شمو تتحدث عن وطنية راديو أم درمان والذى هو من أعظم المؤسسات الوطنية التى أسهمت فى بناء السودان وحافظت على كيانه السياسى ، ووحدته الوطنية ، وهويته الثقافية وسماته الحضارية التى يتصف بها سودان اليوم.. وقد ظلت أم درمان فى مقدمة الركب تحاول أن تصل إلى كل مستمع فى أرض المليون ميل، وإن كنت أرى إن إذاعة أم درمان لم تحقق هذا الهدف، واملى أن تحققه.. أما الدكتور إسماعيل الحاج موسى والذى كان أمله الكبير فى تطوير الإذاعة خلال مدة وزارته وزيراً للإعلام ، ولكن طوح به، والإذاعة لم تزل فى قلبه ووجدانه..

وتحدث موسى عن الإذاعة فى كنف الدولة ، المجتمع، الحكومات، وسياسات الممول، وقدم رؤية إستراتيجية ولمس مكانة الإعلام ، ومكانة الإذاعة .. وحديثه جرىء جداً وشيق جداً، ومتزن جداً.. وكانت لى مداخلة طالبت فيها الإذاعة بالعدل وعلى الأخص فى المساحة الدينية والتى تعطى إهتماماً لدين دون غيره ، وخوفى أن تكون النتائج عكسية ..

إننى سعيد بعيد إذاعة أم درمان السعيد، وأشد على يد المذيع الشاب الأنيق الرقيق المهذب الأستاذ معتصم فضل، وأهنىء كل أهل الإذاعة مذيعين ، فنيين، مخرجين.. ومبروك يا إذاعتنا الجميلة.. وسنة حلوة ياجميلة.. ولا حرمنا الله من صوتك الفتّان المملوء بالعلم والحنان..

٤٢. السلام فى السودان المقومات والضمانات

المحاضر والمشاركون: كان المحاضر هو البروفسور عبد الله أحمد النعيم ، وهو الآن أستاذ كرسى القانون بجامعة أتلانتا جورجيا بالولايات المتحدة الأمريكية.. وقد شغل سابقاً المدير التنفيذى لمنظمة أمريكا واتش لحقوق الإنسان..

وقد كان فى جامعة الخرطوم رئيساً لقسم القانون العام.. له من المؤلفات حوالى عشرة كتب، وله من المقالات العلمية أو الأوراق العلمية كما يقولون أكثر من خمسين مقال علمى..

وهو مهتم جداً بقضايا حقوق الإنسان عموماً ، وبالنسبة للمجتمعات الإسلامية والأفريقية على وجه الخصوص، وله كتب مترجمة من بينها كتاب " نحو تطوير التشريع الإسلامى" للكاتب المصرى حسين أحمد، كما ترجم رواية " طائر الشؤم" لفرانسيس دينق.. والمحاضر كما قال عنه مدير الندوة بروفسور محمود الشعرانى، له فضل كبير فى نشر الإسلام المستنير، وهو تلميذ مخلص للعالم الفذ محمود محمد طه..

وأذكر إننا إلتقينا معاً على صفحات مجلة" سودان ناو" فى عدد عنوانه " دولة الإسلام" وكنت هو وأنا نعبر عن وجهة النظر الأخرى التى لا توافق على تطبيق الشريعة الإسلامية فى السودان، هو من منطلقات إسلامية.. وأنا من منطلق إن السودان بلد متعدد الديانات والأعراق، ولا يصلح بيئة مناسبة لتطبيق الشريعة الإسلامية..

أما المشاركون فهما الصحفى المخضرم الوقور المحترم الأستاذ محجوب محمد صالح الذى يرأس تحرير جريدة الأيام الغرّاء، والتى وجدت فيها " دعوة محبة" وطناً بلا أعداء يحترمها ويقدرها ولا يتوانى فى نشرها داخلا بها إلى قلب كل مواطن.. أما المشارك الآخر فهو القمص فيلوثاوس فرج ، وهو مواطن سودانى يعتز أكثر ما يعتز بالمواطنة، ويطالب بها دوماً معياراً.. وميزاناً.. وقانوناً.. ودستوراً.. أما رئيس الندوة فهو العالم المحترم بروفسور محمود الشعرانى ، وهو مريض معى ومع أهل الندوة بقاعدة المواطنة فقهاً ووطنية ودعوة واضحة وصريحة لمظلة واقية يستظل بها كل أهل السودان معاً..

ندوة حية: وكانت ندوة " السلام فى السودان المقومات والضمانات ".. والذى قدمه المركز السودانى لدراسة حقوق الإنسان المقارنة.. وتحدث المحاضر البروفسور النعيم، وكانت آراؤه واضحة وجريئة ، فهو يرى إن السلام لا تحققه الحكومة ولا الحركة، إنما التعايش المواطنى بين الناس، وهو الذى يخدم قضية السلام.. وهذا دور العمل الشعبى والمؤسسى.. وكان هذا هو المحور الأول لورقة المحاضر.. أما المحاور الأخرى فهى :-

٢.أعمال معيار المواطنة كأساس للسلام.. وهنا سأل : لماذا تعمقت الإشكاليات العرقية والجهوية فى السودان ؟..

٣. هناك سوء فهم للعلمانية ، والمطلب هو أن تكون العلمانية فـــى كـــل الـــسودان وليس فى العاصمة وحدها..
٤. مشروع الدولة الإسلامية مشروع فاشل ، ذلك لأن الدين لا يقوم على التربيـــة الخلفية أولاً، والتربية تسبق القانون، كما إنه ينبغى أن يكون هناك حياد من قبـــل الدولة تجاه الدين.. وحول محور ضمانات السلام، فالضمان هو الدستور الذى هـــو مناخ صحى ديمقراطى وليس قانوناً فقط..

وقد عاب على إتفاقية السلام إنها لم تشرك القـــوى الـــسياسية الآخـــرى، وإن التقسيم فى شمال تحكمه الشريعة ، وجنوب لا تحكمه هـــو تقـــسيم لا يعبـــر عـــن تطلعات الأغلبية من القوى السياسية.. والإتفاقية سقطت أمام أول إختبار، وهو ما يسمى بقومية العاصمة.. ويرى المحاضر إن دستور المستقبل لا ينبغـــى أن يفهـــم على إنه دستور الأغلبية كما يرى البعض ، وإنما هو دستور يعكس تطلعات كل فرد من أفراد الشعب السودانى وعليه فإن الديمقراطية هـــى الميكـــانزم الـــذى يحقـــق السلام، كما وأن العلمانية فى المرحلة مطلوبة لكل مناطق السودان.. وليس معنـــى العلمانية إقصاء الدين عن الحياة.. كلا.. أما مسألة تطبيق الشريعة الإسلامية الآن، فهذا أمر لا يجمع عليه كل المسلمين، بل إن الأغلبية منهم ترى إن الخطاب الدينى الحاضر غير مؤهل لحل مشكلات السياسة والإقتصاد والإجتماع..

ويرى المحاضر إستحالة تطبيق الشريعة فى السودان وفـــى أى مكـــان.. وإن الشريعة لم يتم تطبيقها على مستوى التاريخ السياسى للدولة الإسلامية.. وعنـــدما تمت كان هذا هو رؤية وفهم الخليفة أو السلطان لنصوص الشريعة ، ولـــذلك لـــم تتطابق هذه الرؤى على مدار حكم الخلفاء الراشدين من بعدهم.. وقـــدم المحاضـــر مثال إنه بعد إنتقال الرسول الكريم إلى الرفيق الأعلى أطلت أزمة الخوارج برأســـها ورفضوا الإيفاء بالزكاة بعد وفاة الرسول.. كان ذلك مع بدايـــة خلافـــة أبـــو بكـــر الصديق الذى رأى إنهم مرتدون ، بينما الصحابة الآخرون رأوا إنهم غير مرتدين ، والصحابة لا يقلون فهماً وإسلاماً عن أبى بكر.. والذى تمّ تنفيذه هو رأى أبـــوبكر، وذلك بقوة سُلطة الخليفة..

وهذا يعنى إن الشريعة هى حماية للحاكم من المساءلة والرقابة.. وهذا إشـــهار لحاكمية الله.. ويرى المحاضر إن هذه الحاكمية قد إنتهت، بإنتهاء الوحى الإلهـــى للرسول، وهى الخطاب المباشر من الله لرسوله فى شئون الإسلام.. أما بعـــد ذلـــك فكل ما يقال عن شريعة إسلامية هو مجرد فهم الحاكم للشريعة.. الفهم الخاص بـــه والذى يحقق مقاصد حكمه..

مداخلات: وكانت الندوة حركة روحية.. وحرية فكرية.. وحدثت المداخلات العديدة.. فقال الدكتور عوض الكريم : إن الكون كله يقوم على المواطنة، وإن الدين مسئولية شخصية بين المخلوق والخالق.. وقال دكتور نصرى مرقس : إنه فى خضم المزايدات الدينية وكثرتها لم يسأل الآخر عن فهمه للدولة الدينية أو العلمانية.. وقال محمد عثمان الحسن: إنه آفة العصر هى السياسة .. ونحن نقول: لا للسياسة.. وإننا نعانى من خراب داخلى ونهتم بالخارج ولا ندرك أهمية الداخل وتطهير النفس من الداخل..

وقال أحدهم: نحن ملتزمون بالشريعة على أساس فردى وليس على أساس جماعى ، وقيم الدين تأتى فى سياسات الدولة وتشرّع بإعتبارها قانوناً وليس ديناً.. وعلق المحاضر بأن الإعتراض على الشريعة الإسلامية ينبغى أن يأتى من المسلمين وليس من غير المسلمين.. وقالت دكتورة " بلقيس" : إن المسلمين لا يفهمون بعضهم، وظل الرجال يفسرون القرآن لمصلحتهم ويظلمون المرأة.. وقالت دكتورة رشا عوض: إن الخطاب الإسلامى هو خطاب لقمع الخصوم.. وإن الدين الآن مجال للإستثمار السياسى.. وإننا محتاجون لنقلة توعية على مستوى المفاهيم والأفكار.. وختم المحاضر: بأننا ينبغى أن نعترف إن الإختلاف بين الناس وفى الناس موجود.. وإن الصراع قائم.. وباق.. وسوف يستمر، ولكن يبقى الدين فى جوهر حياتنا وعلى المؤسسات الدولية أن تكون مستقلة..

٤٣. من الإختلاف إلى الإئتلاف

الحدث الحزين: لقد تأثرت جداً بأحداث مصنع الشفاء للأدوية.. والحدث مؤلم جداً بكل معانى الألم.. والمفاجأة كانت مذهلة.. ورغم إن الحدث كبير، ولكن ما سمعناه أكبر.. والغريب إنه لم يخطر لأحد على بال أن يوجه إلى السودان إتهام مثل هذا الإتهام.. وفى رأيى إن الإتهام باطل.. وإن طريقة العلاج غير موفقة إطلاقاً وفيها تسرع غير مقبول..

كان من الممكن أن يكون هناك إنذار بل إنذارات.. وكان من الممكن أن تقوم الأمم المتحدة بدراسة أمر السودان، وهل هو يملك أسلحة كيماوية فتاكة ؟.. والأمم المتحدة كان من الممكن لو صدق الخبر أن تضغط على السودان.. ولقد إزداد ألمى عندما رأيت الضحايا ولا يقل أحد إن الضحايا قليلون .. فأنا أتألم لألم أى مواطن

فى وطنى العظيم.. وعلى الأخص إن الذين تأثروا لا ناقة لهم ولا جمل فى مثل هذه الصراعات..

نحن وأمريكا: وبالنسبة لأمريكا بالذات ، فأنا أتشرف بأننى صاحب " دعوة محبة" التى أطالب فيها بإحترام أمريكا وبإقامة علاقات طيبة مع أمريكا.. وأنا ما زلت من الذين يحلمون بأمل التعاون الطيب مع أمريكا لأن وطنى السودان هو سلة الغذاء للعالم.. ولأن أمريكا تملك التكنولوجيا المتقدمة التى من الممكن أن تحترم أرضنا الطيبة لتقديم الطعام إلى كل بلدان العالم، فنحن أغنياء بالأرض وبالماء، كما إننا أغنياء بالإيمان.. وأمريكا غنية بالمال.. وبالتكنولوجيا المتطورة من حبوب محسنة ومعدات زراعية..

ومازلت أتمنى أن يستمر خيط المحبة بين أمريكا والسودان.. ونحن لم نقطع ربط المحبة، ولكن أمريكا هى التى فعلت ذلك والذى يحب لا يكره، ونحن وطن المحبة ، وسوف تستمر المحبة فينا وبنا ينبوع لا ينضب له معين.. ونحن نحترم رغبة أمريكا فى خدمة السلام ، ولكن هل من الممكن أن يأتى السلام بالصواريخ المضيئة وبهدم مصنع دواء وبتدمير مستقبل مجموعة من الأسر لا ذنب لها فى كل ما يحدث ؟..

إلى الإئتلاف: نحن نحب أن يكون السودان صوت حكمة فى العالم.. وأن يكون حكامنا هم حكماء يتجنبون التوتر والإنفعال، ويلتزمون بضبط النفس.. ونحن خبيرون فى معرفة مصدر المحبة.. ونحن فى تراثنا الشعبى نؤمن بأنه " ليست محبة إلا بعد عداوة ".. ولهذا أملنا كبير فى أن تنتقل علاقة أمريكا بنا من الإختلاف إلى الإئتلاف.. ومن عبارات التوتر إلى لهجة الحكمة التى تجعلنا نجلس مع أنفسنا ونفكر ملياً فى مصلحة الوطن ومصلحة المواطنين.. ويتحقق التوافق والإئتلاف بعد هذه التجربة المرة..

نحن نؤمن إن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الرب.. ونحن نحب الرب ونأمل أن يخرج من الآكل أكلا، ومن الجافى حلاوة، ونخرج من نفق العداوة ونمد جسور المحبة معاً.. ويكون هذا الحدث المؤلم سبب بركة لنا على المستوى القومى وعلى المستوى العالمى..

فعلى المستوى القومى يمكن أن يكون هذا الحدث بداية للوفاق وخطوة نحو الإتفاق ودعوة محبة أن تجلس المعارضة مع الحكومة على مائدة الحوار، لأن الوجيعة واحدة.. ولأن الوطن يظل كله فى خطر ما لم يحدث الوفاق.. وكل مواطن يشعر بأن من حقه أن يكون شريكاً فى الحكم بالموافقة أو بالإعتراض..

فالمعارضة وسيلة بناء سليم للمجتمع.. وعلى المستوى العالمى يمكن أن تكون هذه الأحداث هى نقلة خطيرة من الإختلاف إلى الإئتلاف.. من العداوة إلى المحبة.. فالشعوب عندما تتحارب لا تجنى سوى المرارة.. وعندما تتعاون تقطف أطيب الثمار.. إنها فرصة طيبة لأمريكا أن تبدأ معنا صفحة جديدة بيضاء طاهرة بعيدة عن الأوهام، وعن أصابع الإتهام..

ونحن فى السودان لدينا المقدرة على إجتياز الألم وعبور الحدث المؤسف إلى بدء المحبة.. حتى لا تعود مياه المحبة إلى مجاريها فقط، بل نتفق معاً فى دفع عجلة التنمية ومحاربة الإرهاب.. ونضع أيدينا معاً لبناء عالم أفضل وحياة أفضل.. وهذه منى " دعوة محبة "..

٤٤. أنيس منصور والوالى الظالم

أنيس منصور: إننى من المعجبين بكتابات أنيس منصور وبإسلوبه الشيق فى الكتابة، وقد بدأ صديقاً حميماً للأستاذ عباس العقاد ، وكان من المدمنين لصالون العقاد الأدبى والثقافى وله العديد من المؤلفات والتى وصلت إلى ما يزيد عن مائتى مؤلف ووراء هذا عقل كبير وبحر كبير من العلم الزاخر والأسلوب المتميز ولولا إعجاب الكثيرين به لما كتب كل هذه الكتب عدا المقال اليومى " مواقف" والذى هو ينبوع يتقطر حباً وأدباً.. ونقداً.. وفناً. فى كل يوم منذ أمد طويل وحتى الآن.. وفى كتبه العديد من الدراسات عن عالم آخر غير عالمنا.. عن الذين هبطوا من السماء، والذين صعدوا إلى السماء.. عن الأدب الأمريكى والأدب الإيطالى..

وقد قسم البعض كتبه إلى عدة أقسام تبدأ بالترجمة الذاتية التى يتكلم فيها عن حياته وذكرياته مثل فى صالون العقاد كانت لنا أيام.. عاشوا فى حياتى.. حتى أنت يا أنا.. البقية فى حياتى.. نحن أولاد الفجر.. شارع التنهدات.. أما القسم الثانى فهو دراسات سياسية ، وهذه كتب هى التنهدات ذاتها، ومن بين كتبه السياسية عبد الناصر المفترى عليه، والمفترى علينا.. فى السياسة.. الدين والديناميت.. لا حرب فى أكتوبر ولا سلام..

للتاريخ أنياب وأظافر.. على رقاب العباد.. وكانت الصحة هى الثمن.. الخبز والقبلات.. الغرباء.. وله مجموعة قصص من بينها : عزيزى فلان.. هى وغيرها بقايا كل شىء.. يا من كنت حبيبى.. قلوب صغيرة.. وله عدة كتب ترجمها من الأدب السويسرى والأمريكى والفرنسى والأسبانى.. وله مجموعة من الدراسات

النفسية منها: الحنان أقوى.. من أول نظرة.. كيمياء الفضيحة.. عذاب كل يوم.. وله دراسات علمية منها : القوى الخفية.. أرواح وأشباح.. لعنة الفراعنة.. وهو ناقد أدبى وله في هذا شأن كبير.. ومن كتب النقد عنده : وداعاً أيها الملل.. كرسى على الشمال.. ساعات بلا عقارب.. لو كنت أيوب.. الوجودية.. طريق العذاب.. وحدى مع الآخرين.. ما لا تعلمون.. لحظات مسروقة..

وأنيس منصور معروف جداً فى أدب الرحلات ، وقد تمتع بفوائد السفر.. عندما قام برحلة حول العالم إستغرقت من الأيام مائتى يوم فيه جال فى بلاد خلق الله غريباً فى بلاد غريبة، وكتب أعجب الرحلات فى التاريخ.. وأديبنا من محبى فن الكوميديا وهو يكتب إليك يحاول أن يضحكك ويحاول أن يبكيك ويستدر الدموع من عينيك، وله مسرحيات كوميدية منها : مدرسة الحب.. حلمك ياشيخ علاّم.. مين قتل مين.. سلطان زمانه.. القلب أبداً يدق..

وقد كتب أنيس منصور عدة مسلسلات تلفزيونية منها : إثنين إثنين.. هى وغيرها.. غاضبون وغاضبات.. يعود الماضى يعود.. أما مقالاته الشيقة فقد كتب بعضها فى كتب تحت عناوين متعددة مثل : إنتهى زمن الفرص الضائعة.. حتى تعرف نفسك.. ولكنى أتأمل.. هناك أمل.. مواقف..

الحاكم الظالم: أما حديث اليوم فهو من مقال أعطيته عنوان أنيس منصور والحاكم الظالم.. وأسعدنى أن يستيقظ أنيس منصور ويطالب بإلغاء إسم الحاكم الظالم من شوارع مصر.. وهو يطالب بإلغاء شارع معين.. وأنا أطالب بإلغاء شوارع عديدة.. وعندما نلغى من شوارعنا أسماء الحكام الطغاة نطلق على الشوارع أسماء الوطنيين العظماء.. وقد قرأت فى جريدة المشاهير من يطالب بتمثال وسط القاهرة للبابا كيرلس السادس، وأطالب بشوارع لهؤلاء العظماء فى تاريخ مصر.. والآن إلى مقال أنيس منصور..

أليتُ على نفسى أن أزيل هذه الإهانة، فوراء الشارع الذى أسكنه شارع يحمل إسم " قرة بن شريك" وهو أحد الولاة على مصر، وقد عينه الوليد بن عبد الملك.. وكانت عنده تعليمات واضحة بأن يجمع الضرائب من المصريين ثلاث سنوات مقدماً، لأن الوليد قرر أن يبنى المسجد الأقصى.. وبناه فى سنة ٩١ هجرية.. وبنى أيضاً مسجد الصخرة أو مسجد عمر بفلوس المصريين..

أما كيف جمع هذه الفلوس فمن الجزية التى فرضها على أقباط مصر، وقد إستخدم الكرباج والطرد والسجن والتوجيع.. وكان الذى لا يدفع الجزية من الأقباط يكويه بالنار.. وتظل علامات الكى دليلا على إنه قبطى وعلى إنه رافض، أو رفض بعض الوقت أن يدفع الجزية.. ثم دفعها صاغراً، وقد هرب الفلاحون من الأرض،

تركوها حتى بارت، وتركوا حيواناتهم أيضاً.. وأعادهم " قــرة بــن شــريك" فــى السلاسل إلى أرضهم يعملون حتى الموت، ولابد من دفع الضريبة أو الجزية، ومن هذه الأموال التى أكره المصريين على دفعها يبنى المسجد الأقصى ومــسجد عمــر أيضاً..

وقد ظهر فى الأسبوع الماضى كتاب ضخم إسمه " تاريخ مصر" أو على الأصــح تاريخ أقباط مصر من تأليف" ساويرس إبن المقفع" وفى هذا الكتاب تعرض المؤلف إلى مذابح " قرة بن شريك".. وكيف أن هذا الوالى السفاح تفنن فى تعذيب الفــلاح المصرى.. وكيف خطف اللقمة من فمه والرداء من عليه وتركه فى العراء ، إلا إذا دفع المبلغ الخرافى.. أما كيف يأتى بالمال فهذا شأنه ، بأن يبيع أرضــه وعرضــه وأولاده وحيواناته، المهم أن يدفع، وأهم من ذلك يكنز " قرة بن شريك" هذه الأموال ويبعث بها للخليفة لعله يرضى، وقد رضى عنه الخليفة، وحاول المصريون أكثــر من مرة إغتيال " قرة بن شريك" وفشلوا فى القضاء عليه، ولما أوفــد المــصريون من يتظلم ، ووقف المندوب لا يطلب رد القضاء، وإنما اللطف فيه، ولم يكمل عبارة واحدة حتى طار رأسه عبرة لكل من تحدثه نفسه أن يعترض ولابد من إزالة إســم هذا السفاح من شوارع مصر مهما كانت صعوبة تغيير العقود والسجلات المدنيــة لكل العقارات والمحلات التجارية..

بقلم: أنيس منصور

٤٥. السودانيون يتدافعون نحو السلام

الساحة الخضراء: إستعدت الــساحة الخــضراء لإســتقبال الــزعيم الــسودانى والمواطن الأصيل الدكتور جون قرنق، ولبست الساحة الخضراء أجمل حلة لهــا ، فلقد كان يوم الجمعة الثامن من يوليو هو يوم أفراح السلام.. وهوذا ما أجمل أقدام المبشرين بالسلام، المبشرين بالخيرات.. أقدامهم تحمل بشارة الخير لكل النــاس.. والنهاية لكل المرارات التى جعلت وطننا العظيم منقسم على نفسه، ومــا أردأ أيــام الإنقسام..

كان الوطن ينقسم إلى شمال وجنوب.. وشرق وغــرب.. وحــاول الــبعض أن يدخل الدين تفريقاً للناس بالرغم من أن الأديان ينبوع توحيد للبشر المتنوعين حتى فى الدين، ولكن كلهم يعبدون إلهاً واحداً، وبدأت كل المؤشرات تحــاول أن تــضفى

صفة الدين وتعتبر الصراع بين المسيحية والإسلام جون والبشير.. جاكوب والزبير.. دانيال وعلى.. وكانت بعض التصرفات دون إحتياط لها تؤكد هذا.. وصارت الشعارات دينية ، جهاد.. عدو.. متمرد.. خوارج.. وكان صوتنا صوت سلام وسط طبول الحرب.. وطالبنا بوطن بلا أعداء، لأنه لا عدو لنا سوى الشيطان.. وطالبنا أن يتجنب الإعلام مرارات الإنقسام، ويخاطب خطاباً مهذباً، فالسياسة لباقة وكياسة..

ولكن حديثنا السياسى لم يكن سياسياً.. ومن بين ما كتبت رسالة إلى المواطن جون قرنق ناشدته فيها وفى أصعب الأيام أن ينبذ الخصام، وطالبت السودان أن يرفع عنه صفة المتمرد فهو مواطن سودانى وله رؤية معينة ، وإختلاف الرؤى لا يعنى أن نعتبره خائناً ونحن مهتمون بالوطن ، كلا.. إن الرأى الآخر لم يكن يوماً من الأيام خيانة.. وهذا جعل كثيرون يتركون السودان للحكام ويهربون إلى أى بلد آخر.. لا يظلم الناس فيه.. إلى بلد كل واحد يأخذ حقه..

إن يوم الجمعة فى الساحة الخضراء كان يوماً عظيماً.. وكما قال الرئيس البشير: إنه سعيد بيوم الجمعة لأنه يوم العبادة عند المسلمين، وأضيف هنا: إنه يوم سعيد عند المسيحيين ، وفى كل جمعة يصوم المسيحيون وهم يتذكرون الجمعة العظيمة.. أعظم يوم فى تاريخ البشر، والذى فيه قدم إبن البشر السيد المسيح نفسه كفارة على الصليب والذى فيه تمّ فداء البشر بيسوع الفادى الذى رفع على الصليب.. وغادر الحياة لمدة ثلاثة أيام بعدها قام من بين الأموات لكى لا يموت ثانية ، ولكى يكون باكورة الراقدين.. قيامة لا موت بعدها..

السودانيون يتدافعون: كان عدد من أتى إلى الساحة الخضراء ضخم جداً.. عند عودتى كان معى الأستاذ المناضل غازى سليمان الذى خاصم الحكومة عندما لم تهتم بالسلام.. وصالحها صلحاً بائناً ظاهراً عندما إهتمت بالسلام.. وقال لى : إن عدد المواطنين خمسة مليون شخص.. وإعتقدت إن هذا الرقم مبالغ فيه.. ولكن النائب الأول دكتور جون قرنق قال فى أول كلمة له : إن العدد ستة مليون وهؤلاء يؤكدون إن أهل السودان يحبون السلام ويعشقون الطمأنينية.. كلهم أتوا لتحية مواطن السلام.. لم يأتوا لجون فقط، إنما لعلى عثمان ولعمر البشير.. وقبل كل هذا للسودان الوطن العظيم الذى إستقبل الحدث العظيم.. إنهم أهل العفو والعافية.. أهل المحبة والسماحة.. أهل الحضارة المجيدة..

أهل السودان الذين إمتلأت قلوب الأجانب محبة لهم.. نالوا مكاناً عميقاً فى قلب أعظم شخصية بريطانية ، أعظم زعيم وهو ونستون تشرشل، ونال هذا اللقب عندما أجرت الإذاعة البريطانية إستطلاعاً للراى، وأخذ تشرشل لقب أعظم شخصية

أنجبتها بريطانيا، وهو قائد وكاتب ورسام وسياسى.. وقضى أيامه الأولى فى السودان ، وصل إليه بعد توسط كبار الشخصيات ، ومارس فيه الكتابة ، وسجّل قصة حرب المهدية تسجيلا أميناً فى إحترام للزعيم المسلم ولكل السودان..

وأحب السودان أيضاً أمريكى أستاذ باحث هو وليم آدمز كاتب كتاب "النوبة رواق أفريقيا" وكتابه فى نفس قيمة كتاب تشرشل " حرب النهر" ولكنه يتألق فى ألف صفحة عن حضارة السودان ، وهو ضد تعالى العلماء على السودان لأنه موطن حضارة ، ومن كثرة حماسه للسودان رأيت وجهه فى صورته وهى غير ملونة وجه سودانى كأنه من أهالى حلفا أو دنقلا.. ولابد أن أختتم بأن السودانيون وهم يتدافعون نحو السلام قطعوا أسلاك مكبرات الصوت وأكتفى اليوم بالصمت، والصمت أبلغ من الكلام.. فليس الكل يتكلمون، ولكن الكل فى السودان كانوا يتدافعون نحو السلام ، وهذا شوق قلوب مسالمة لإله السلام..

٤٦. أسبوع الآلام

كل عام: فى كل عام يعود إلينا أسبوع الآلام وهو أسبوع ممتلىء بالأحداث العظام التى نحيا ذكراها معاً.. وفى أسبوع الآلام إجتاز يسوع محنة كبيرة وشرب كأس الالام لا لذنب إقترفه أو لجريمة صنعها، إنما لأنه نادى بالحق فى وسط شعب لم يعرف ما هو لخلاصه.. وحاول أضداد الحق أن يسجنوا الحق.. بل حاولوا أن يقتلوه.. ودبروا له مؤامرة.. وشهود زور.. ولفقوا له التهم.. وأخرجوا القضية إخراجاً مُحكماً.. وحكموا عليه أن يصلب.. وإرتفع فوق الصليب ومات على خشبة الصليب، وهم ظنوا عندما صلبوه إنهم أنهوا قصته وإنتصروا على قضيته، ولكن هيهات أن يكون لهم هذا ، لقد شبه لهم لأن يسوع قام حياً من بين الأموات وإنتصر للحق الذى دعى إليه..

وكان هؤلاء فى الباطل يعيشون، وبأسلحة الباطل يتسلحون، ولكن الحق الأعزل أقوى جداً من الباطل المسلح.. وفى كل فجر جديد عندما ينتصر نور الفجر على ظلمة الليل البهيم ، ندرك معاً إن الحق سوف ينبلج ونقول مع القائلين : ظهر الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا..

أسبوع كامل: وتحيا الكنيسة القبطية أسبوع الآلام أسبوعاً كاملا يبدأ منذ يوم أحد الشعانين مروراً بإثنين الإمارة ، وثلاثاء الإشارة، وأربعاء أيوب، وخميس العهد، والجمعة العظيمة، ثم سبت النور.. وفى فجر الأحد ينتهى أسبوع الآلام

بقيامة السيد المسيح منتصراً ناقضاً أوجاع الموت.. كاسراً شوكة المـوت.. وفـى فجر الأحد يتبادل المؤمنون تهانى عيد القيامة المجيد ويقول الواحد فيهم: المـسيح قام ثم يرد الثانى : بالحقيقة قد قام.. أحدهم يلقى الخبر السعيد، والآخر يؤكد صدق الخبر السعيد..

وهكذا فى الأيام الأولى كان أتباع المسيح يتعرفون على بعضهم البعض من خلال تأكيد قيامته المجيدة.. وهم بهذا يعلنون أن مسيحهم هو المسيح الحى الـذى لـم ينتصر الموت عليه.. والذى لم يدفن فى قبر ، إنما قام من القبر وصار القبر الفارغ تأكيداً لحقيقة قيامته..

الصوم الكبير: وقبل موكب أسبوع الآلام يأتى الصوم الكبيـر المقـدس ومدتـه بأسبوع الآلام خمسة وخمسون يوماً.. يمارس فيه أبناء الكنيـسة أسـمى أنـواع النسك وأعمق طريق للتقشف.. يصومون إنقطاعياً دون أكل أو شـرب، مـن بعـد الثانية عشر مساءً إلى الخامسة من مساء اليوم التالى، وهم يصومون مرتين، مرة إنقطاعاً عن الطعام والشراب، ومرة عندما يفطرون فهم يصومون عن بعض أنواع الأطعمة ذات الدسم الحيوانى.. وفى كل أسبوع لديهم مناسبة إنجيلية مقدسة.. أحد التجربة.. أحد الإبن الضال.. أحد السامرية.. أحد المخلع.. أحد التناصير ثم أسبوع الآلام.. وفى أحد التناصير يستعد الموعوظين الذين جهزوا أنفسهم بالدرس والفهم الروحى لقبول السيد المسيح فادياً ومخلصاً، هؤلاء ينالون سر المعمودية ويولدون من جديد الولادة الروحية، يدخلون إلى بطن المعمودية ويخرجون مـسيحيين لهـم الحق فى حضور أسبوع الآلام، فهو أسبوع مقدس فى مستوى الأسرار المقدسة ، لا يحق إنسان أن يحياه دون أن يولد ولادة جديدة من الماء والروح..

موكب الخلاص: ويبدأ أسبوع الآلام بموكب الخلاص فى أحد الخـلاص، والـذى يسمى أحد الشعانين ، ويسمى أيضا أحد السعف لأن المسيحى يحمل فيـه سـعف النخيل ، ويسعف نفسه لحياة الخلاص وللمناداة بيسوع المخلص ، حيث تتم نبـوة النبى القائل : قولوا لإبنة صهيون هوذا ملكك يأتيك وديعاً راكباً على آتان وجحـش بن آتان.. لقد دخل يسوع إلى أورشليم فى موكب هو موكب الـسلام ، لـم يركـب حصاناً كفارس، إنما ركب حماراً كإنسان وديع.. ولم يحمل سـيفاً ولا عـصا ولـم يستقبله أتباعه بإطلاق الأعيرة النارية، إنما فرشوا ثيابهم فـى الطريـق وقطعـوا أغصاناً من الشجر وحملوا أغصان الزيتون وسعوف النخيل لكى يؤكدوا إنهم أبناء ملك السلام..

وبعد موكب الخلاص إنقلب الأمر.. وتبدأ الكنيسة فى الإرتداء بالملابس السوداء لأن أياماً سوداء مرت بالسيد المسيح ، فيها عـاش جحـود النـاس ومـؤامرات

الأشرار.. تلميذه الذى كان أميناً للمال عنده هو الذى خانه وأسلمه إلى اليهود، وهؤلاء حاكموه.. وظلموه.. وقسوا عليه.. وأهانوه.. وتفلوا على وجهه.. وسمروه على خشبة الصليب.. وسخروا به وبرسالته وبنبوته مستهزئين.. أهانوا الحق.. وأحبوا الباطل.. وهكذا يعيش المسيحيون أسبوع الآلام يوماً بيوم، وحدثاً بحدث.. لكى يتألموا مع المسيح ، لكى يتمجدوا معه.. وآلام المسيح هى دعوة محبة لكل المتألمين أن يصبروا، لأن نور الحق سوف يشرق قيامة مجيدة..

٤٧. إستنكرنا ونستنكر أى سخرية برموزنا العظيمة

مفاجأة مذهلة: وسط جو تسوده محاولات جريئة ومهمة نحو الآخر.. وسط حوار هادىء وهادف.. وسط أصوات صانعى السلام ، تحاول أن تؤطر لثقافة السلام وتنادى بأن الحوار ينبغى أن يأخذ مكانه ويعلو صوته فوق كل صوت.. وسط تأكيد أن الحضارات لا تتصارع ولا تتنازع ولا تتخاصم، إنما تتلاقى وتتنادى بالحب، وتنصهر فى بوتقة الوطن وتخرج نسيجاً وطنياً متلاحماً يقترب نحو الآخر.. ويحبه من كل القلب وبكل القدرة..

وسط تفاؤل بمؤسسات إنسانية تنادى بكرامة الإنسان ، وتحاول أن تذيب الثلج الذى يجمد العلاقات وتقدم لها دفئاً روحياً يصهرها ويغيرها.. وكل هذا يتم فى جهد جهيد علماء أديان مختلفة يجتمعون معاً.. ويتنادون بالمحبة.. ويحفرون فى الصخر طريقاً للمحبة والسلام ينعكس أمناً وأماناً على المجتمع.. وسط كل هذا وبكل أسف يخرج إلينا واحد من الصحفيين خارج عن إطار الصحافة التى تؤطر للخير وتؤصل للسلام ، ويرسم رسومات شاذة غير مقبولة.. مرفوضة من كل مواطن فى كل بلدان العالم..

والرسومات تسخر من شخص عظيم أحبه، وتبع دينه ملايين البشر ، يزيدوا عن المليار ، كلهم يحبونه ويكرمونه، وحتى صورة لا يرسمونها حفاظاً على كرامته.. إنه الرسول الكريم بطل الدعوة الإسلامية ومؤسسها وصاحب الأحاديث العذبة التى تحترم الآخر.. وصاحب القرآن الكريم الذى يدعو إلى الجدال الحسن.. إلى الموعظة غير المنفرة للآخر.. إلى الكلمة الطيبة التى مثل شجرة طيبة تنبت أعظم الأثمار..

لقد كنت أول من إستنكر هذا العمل الشائن.. وإعترضت عن ما يقال إنه حرية ، ونحن نعلم أن الحرية لها حدود.. وحدود الحرية هى حرية الآخر.. بل إننى كنت

أقول : إنه فى بعض البلاد المتقدمة يسأل الجار جاره المقابل لمنزله عن اللون الذى يحبه حتى يطلى به جدار بيته.. والمشكلة ليست مشكلة أوربا.. ولا مشكلة الدنمارك ، ولكن مشكلة هذا الصحفى غير الخبير الذى أوقد ناراً سبحان من يطفئها..

إستنكرنا ونستنكر: فى الأيام الأولى لهذا الحدث المشين ذهبت بسرعة إلى صديقى المحترم المهندس طه الروبى ، وهو رجل وطنى عشت معه أول مؤتمر لحوار الأديان.. وإن كنت له رئيساً فى اللجنة التمهيدية وبإختياره ، فإننى شعرت إنه هو الذى ينبغى أن يكون رئيساً.. وعندما ذهبنا إلى إيطاليا رفض الفاتيكان مقابلتنا، ورفض أن يحدد موعداً، ولكننى كسرت الحواجز بمكالمة تليفونية إلى الأسقف أرنيزى المسئول عن كرسى حوار الأديان ، وقلت له: أنت أفريقى مثلنا وتعرف آلامنا.. وتعرف مواطن الحب فينا.. إذا كنا نحن خطاة كما تقولون وقتلة كما تدعون ، فالفرصة أمامكم أن تلقونا وتقنعونا حتى نتوب على أيديكم.. وأحرج الأسقف.. وقرر على التو أن يستقبلنا.. وكانت مرافعة طه الروبى أمامه مرافعة ممتازة.. وكان حضور الكاثوليكى سيزار أركل أنجلو معنا دليلا على تعايشنا..

لقد ذهبت إلى طه الروبى لكى نذهب معاً إلى الدنمارك ونقابل الجريدة والصحفى، ومن نقدر أن نقابل من المسئولين ، نرد إعتبار وكرامة أخواننا المسلمين ونوقف هذه النار التى إشتعلت.. ولكن كان الروبى مريضاً.. والسفير الدانماركى فى السودان خارج السودان، وتأجل الأمر وإستفحل من ناحية أخرى فى ما حدث من مظاهرات راح فيها ضحايا كثيرون، وما كان ينبغى أن يحدث كل هذا..

وإستنكر البابا شنودة ما حدث وأعلن رفضه لأى مساس بالرموز الدينية العظيمة ، وأعلن بابا روما رفضه مطالباً بتبادل الإحترام بين الأديان ، وتذكرت كلام السيد المسيح الذى غاب عن الصحفى الدانماركى: كل من يغضب على أخيه باطلا يكون مستوجب الحكم، ومن قال لأخيه يا تافه يكون مستوجب المجمع، ومن قال يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم..

أحبائى المسلمين كرامتكم كرامتنا.. ومن يلمسكم بأذى يقع علينا نحن هذا الأذى.. أرجو أن تلتزموا بحكمة المسلم فى مقابلة عوادى الزمن.. ونحن معكم فى خندق واحد إستنكرنا ونستنكر أى سخرية برموزنا العظيمة..

٤٨. أصدقائى الأعزاء وأسبوع المرور العربى

أسبوع المرور: فى شهر مايو ومن الرابع حتى العاشر منه يحتفل السودان مع البلدان العربية بأسبوع المرور.. ويُعد هذا السبوع إطلالة على المواطن ، إطلالة من جديد لتقوية العلاقة بين إدارة المرور والمواطن وتوسيع دائرة الفهم.. وإن كنت أرى إن المرور فى السودان لا يحتاج إلى أسبوع لأن حملات المرور فى كل مكان تلاحق المواطن المسكين، وتفرض عليه غرامات عالية القيمة، وتضيف إلى همه الإقتصادى هموماً أكثر.. وهى كإدارة كان من الممكن أن تبدأ بتقديم الإنذار والنصح ثم الغرامة، ولكنها تبدأ بالغرامة ، وربما لعدة أيام متتابعة، مما أحدث توتراً فى العلاقة لا يمكن أن يحله أو يخففه أسبوع المرور..

هذا عدا أن الحملات المرورية لا تختار الوقت المناسب لأنها فى ساعات الذروة توقف العربات وتطالب بالغرامات مما جعل المواطن المسحوق يعتقد إن هذه الغرامات توزع على رجال الشرطة وهم منها أبرياء براءة الذئب من دم إبن يعقوب.. ولكن هذا الضغط القاسى سوف يكون سبباً فى كثير من الإتهامات لرجال الشرطة الأعفاء الأنقياء.. وأقول لأصدقائى الأعزاء رجال الحركة : راجعوا أنفسكم.. خففوا الضغط عن مواطنيكم ولا داعى أن تملأوا خزينة الدولة بالمال وتملأون فى نفس الوقت حفيظة المواطن بالأحقاد ضد الدولة التى تفقد هيبتها ووقارها عندما تبدو إنها فقط جامعة أموال ، حتى من أفواه تحتاج إليها..

أصدقائى الأعزاء: وفى لطف وظرف كان رجال الحركة يقتربون إلى العربات.. وكان السائقون يخافون ويندهشون لهذا اللطف والظرف، ومفاجاة توزيع أوراق جميلة دون أن تكون إيصالات الغرامات.. وفى ظرفهم كانوا يوزعون ظرفاً جميلا.. طباعته أنيقة.. كلماته رقيقة ورشيقة.. تحت عنوان: أصدقائى الأعزاء.. وفيها حديث هادىء إلى شركاء الطريق ومحاولة مهذبة لكى يؤكد أهل الحركة إن قانون المرور لا يميز بين مواطن وآخر.. لا يميز سوى أصحاب الإنذار الصوتى والضوئى..

ولا مانع من أن تأتى فى الخطاب قطعة أدبية شعبية تقول: يا سايق هاك من بشرتك ديمة سلامتك رهن إشارتك.. خليك واعى وإنت تسوق.. بى فن وأدب ولطافة وذوق.. هدى السرعة تملى وسوق.. وكل بعيد أكيد ملحوق.. أرواح الناس دى بين يديك.. سوق بالراحة فى الراجيك.. والله بستره يغطى عليك..

وبعدها يقول: نصيحة وغالية للأمهات.. لاحظوا الشارع واللافتات.. وساعة الذروة والآزمات.. أحموا صغاركم من العربات.. وتذكروا إن حسن إستخدام

الطريق من حسن التربية.. وفى آخر الكلام يطرح إستفسارات : لماذا ترتكب المخالفة ؟.. لماذا تتهرب وتخالف القانون ؟.. لماذا نخاف شرطى المرور ؟.. والحقيقة إنه لا أحد يقدر أن يتهرب من القانون، لأن الشارع ممتلىء يومياً بأعداد ضخمة من جنود الحركة ، يقفون فى الطرقات والزوايا ، لا ينصحون ، إنما يوقعون الغرامة مباشرة..

حاميها حراميها: وفى ورقة أصدقائى الأعزاء هناك مواجهة صريحة لمشكلة مُلحة.. إذ بينما يتعقب البوليس المواطن المسحوق ويوقع عليه الغرامة الفورية ويستلم منه مفتاح العربة، ويهدده بسحب النمر، فإن زملاء المهنة والقوات النظامية لا يحترمون القانون.. ولا يعاقبون.. ويسيرون قبل الناس.. ويدافرون.. ويكسرون القانون كما يشاءون.. ولقد كانت النصيحة إليهم فى خطاب أصدقائى الأعزاء هكذا..

لقد تربينا على النظام والترتيب .. وقواعد المرور لا تعدو أن تكون ترتيباً ونظاماً.. إذن نحن أهلها وأبناءها والأولى بالإلتزام ، فتعالوا معاً لتختفى مقولة: حاميها حراميها من مخيلة الإنسان.. للمرور قانون وفنون وقواعد.. أمشى عليها الله يساعد.. من الحوادث أحرص وباعد.. يغطيك الله ماشى وقاعد.. وإذا جاهد أهل الحركة فى رفع مثل حاميها حراميها من مخيلة الناس، بل من واقع الحياة أعتقد إن هذا أفضل من ملاحقة المواطن وزيادة الضغط عليه.. ونرجو أن لا يقول المواطن : حرام لينا وحلال عليهم..

نوصل بدرى: هناك حديث لزعيم سياسى أعتقد إنه سعد زغلول، كان يقول للسائق : سر بالراحة نصل بدرى.. مع إن السير ببطء لا يوصل بسرعة ، إنما كان هذا يعنى إن الذى يسير بالراحة ويحترم قواعد المرور لابد أن يصل، وبمشيئة الله لابد أن نصل.. ونصل بسلام ، والله يحرسنا بحراسته ويديم علينا نعمته..

وتحياتى لأحبائى وأصدقائى أهل الحركة الذين يتعبون.. ويتحملون شمس النهار.. وحر الليل.. وقسوة الشارع.. الرب معكم.. ورفقاً بنا يا أصدقائى نحن المواطنون المسحوقون..

٤٩. الإحساس بما يدور حولنا

الإحساس نعمة: لقد خلق الله الإنسان على صورته ومثاله.. خلقه على أحسن تقويم.. ومن الله أخذ الإنسان السلطان على الطبيعة.. وفى أول الخليقة كان آدم هو أول خليقة لله على الأرض.. هو الذى أعطى للحيوانات إسمها.. وللطيور إسماً.. وهو الذى حدد للأشجار كنية وإسماً.. وهذا لم يأتى سوى من خلال إحساس آدم بكل ما حوله..

ولقد تفوق بعض البشر فى الإحساس بما يدور حوله مثل سليمان الحكيم الذى تحدث كثيراً عن النملة.. وعن النحلة.. وعن طيور الأرض.. ويرى الأدب الإسلامى إن سليمان الحكيم من خلال إحساسه بما يدور حوله عرف لغة الطير وتكلم معه.. كما يرى الأدب الإسلامى أيضا إن السيد المسيح له المجد تكلم فى المهد صبياً ، وكان إحساسه أرق إحساس وشعوره بما يدور حوله جعله ينطق فى طفولته ، فلقد أتى هو نفسه بطريقة معجزية وأتى لأجل الآخر وضحى على الصليب لأجل الآخر..

ومن خلال الإحساس بما يدور حوله قدم نفسه ضحية ، وقدم تعاليمه نوراً وهدياً، وأعاد للإنسان كرامته وأعاد للإنسان إحساسه بما يدور حوله، ودرب حواس الإنسان على الإحساس بالآخر، والعطاء للآخر، وهكذا قال: من سخرّك ميلا واحداً فإذهب معه إثنين.. من سألك فأعطه.. ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده.. وإلى مستوى رفيع من الإحساس بالآخر طالب يسوع تابعيه أن : أحبوا أعداءكم.. باركوا لاعنيكم.. أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم..

يونان النبى: وفى العهد القديم قصة النبى الهارب يونان.. وهو يونس أو ذو النون أى صاحب الحوت، حيث يذكره القرآن الكريم بنفس ما ذكره الكتاب المقدس.. ويونان هذا لم يرغب فى تنفيذ توجيهات الرب.. وكانت أن يتوجه إلى مدينة نينوى العظيمة ويبشرها أن تتوب وترجع إلى الله لئلا تقع تحت دينونة الله..

وكان عليه أن ينادى عليها أى ضدها.. فقد كانت شرورها تتصاعد وتلوث السماء الطاهرة.. ولكن يونان لم يذهب، وأراد أن يهرب من وجه الرب، فنزل إلى ميناء يافا.. وأخذ وجهة أخرى وركب سفينة ذاهبة إلى ترشيش بدلا من نينوى.. ودفع أجرة السفينة.. ولكن الرب أرسل ريحاً شديدة إلى البحر فحدث نوء عظيم فى البحر حتى كادت السفينة تنكسر..

وخاف الملاحون وصرخوا كل واحد إلى إلهه، وطرحوا الأمتعة التى فى السفينة إلى البحر ليخففوا عنهم.. وواضح أن الكل فى السفينة إستيقظوا على هذه

المأساة.. وطار النوم من عيونهم.. وجلسوا يشحذون هممهم.. ووقفوا لكى يصنعوا شيئاً.. غير أن يونان لم يشعر بأى شىء حوله.. من خلال هروبه فقد الإحساس بما يدور حوله ، ونزل إلى جوف السفينة وإضطجع ونام نوماً ثقيلاً.. والنزول هنا إنحدار أخلاقى.. والنوم فى جوف السفينة هو عدم إحساس بما يدور حوله.. والنوم الثقيل يعنى إن إحساسه بما يدور حوله تدنى وتدنى..

وهنا جاء إليه رئيس النوتية وأراد أن يوقظ فيه الإحساس بما يدور حوله فقال له: ما بالك نائماً.. قم أصرخ إلى إلهك عسى أن يفتكر الإله فينا فلا نهلك ؟.. وإستيقظ يونان لكى يحضر القرعة لإختيار شخص يلقى فى البحر حتى تقف المصيبة، ووقعت القرعة على يونان وألقوه فى البحر لكى يقف الهيجان ودخلوا معه قبلها فى حوار إعترف هو فيه بأنه عبرانى خائف من الرب إله السماء الذى صنع البحر والبر.. وإنه هارب من وجه الرب.. وبسببه كان هذا النوع العظيم والهيجان الكبير الذى عبّر به البحر عن ثورته ضد خطأ يونان..

يسوع والتلاميذ: وفى ليلة آلام السيد المسيح فى البستان كان يسوع يصلى ويكتئب ويدهش.. وكانت صلواته أن تعبُر عنه كأس الآلام.. ولكن التلاميذ كانوا نيام فقال لهم: أما قدرتم أن تسهروا معى ساعة واحدة ؟.. إسهروا وصلوا لئلا تدخلوا فى تجربة.. وعاد إليهم فوجدهم أيضا يغطون فى نوم عميق.. كانت أعينهم ثقيلة.. وهذا يعنى عدم إحساسهم بما يدور حولهم.. ويتفاعلون مع الأحداث ويكون لهم دورهم.. ولهم رأيهم.. ولهم مشاركتهم.. فهل يمكننى منذ الآن تنمية الإحساس بما يدور حولى ؟.. هذه دعوة محبة لى ولك قارئى العزيز..

٥٠. الأمثال تعليم وتراث

الأمثال الشعبية: تُعد الأمثال الشعبية خبرة شخصية وتراث مجيد للآباء.. والمثل هو رسالة مختصرة.. هو قول قصير يقوم مقام مقال أو محاضرة كاملة.. أو ماهو ما قيل وعبّر ودل.. والمثل له خلفية روحية حيث أن الأمثال يقول بها الحكماء فى المجتمع بعد تجربة وخبرة ، كما إن الكتاب المقدس يشتمل على أمثال سفر الأمثال لسليمان الحكيم ويشوع بن سيراخ..

وقد ترجمت الأمثال باللغة الشعبية ووجد فيها الإنسان معلمه اليقظ وضالته المنشودة.. وفى ثقافات الشعوب لكل أمة أمثال خاصة تأتى من واقع حياتهم ومن الطبيعة ومسار الحياة فيها.. والمثل له تركيز معين .. إما على مقارنة بين أمرين

أو مقابلة مضادة بينهما.. وكلمات المثل لها قوتها وبلاغتها.. وتستأثر الإنتباه، ولها رنينها على الأذن.. والأمثال مدرسة فكرية شعبية.. ووسيلة إيضاح سهلة ووسيلة تعليم سهلة وبلا تعقيد..

وكانت الأمثال ولم تزل من أفضل طرق التعليم.. وفى المثل إجابة واضحة لأكثر المشاكل تعقيداً.. يفهم المثل سريعاً ويحفظ سريعاً، ويبقى فى كيان الأمة مكتوباً أو شفاهاً تتناقله الأجيال جيل بعد جيل.. والأمثال أنفاس الناس ومنفذ حكمتهم الشعبية.. تؤكد لنا إن الحياة لها نظامها.. وكثيراً ما تأخذ الأمثال لغة الأدب سجعاً أو زجلاً أو شعراً.. وعن طريقها يتواصل الناس معاً وتتجمع الأفكار الخاصة بثقافة معينة.. وكل بلد له ثقافته وله أمثاله..

والعالم حتى الآن تحكمه الأمثال وتعد وسيلة ضبط إجتماعى له.. ونحن نقول فى كل ظروفنا : على رأى المثل.. أو كما يقول المثل.. أو كما يقول القدماء.. وهذا مثلما إستعان داؤد بالأمثال مخاطباً شاول.. يقضى الرب بينى وبينك كما يقول مثل القدماء من الأشرار يخرج شر (صموئيل الأول ٢٤:١٣).. أو كما يقولون من واقع أحجية شمشون من الآكل خرج أكلاً ومن الجافى خرجت حلاوة..

وسبحان الله الذى يعمل من الفسيخ شربات.. ولقد حفظ الناس كلام السيد المسيح وصار أمثالا متداولة.. هل يخرجون من الشوك تيناً ؟.. كل ماتقولونه فى مضاجعكم يُنادى به على السطوح.. ليس خفى إلا ويعلن، وليس مكتوم إلا ويظهر.. والمثل يقدم حلا للغز وإجابة لتساؤل.. ومفتاحاً لفهم مشكلة ما.. والأمثال وجدت منذ القدم.. والأمثال كثيرة فى كل اللغات ولدى كل الشعوب ولا توجد ثقافة قط دون تخزين وتراكم لخبراتها العامة بطريقة ما فى شكل أمثال..

وأمثال الشعوب تتأثر بسمات الشعوب ، وتؤثر أيضا فيها.. وعند اليونان وعند الفراعنة نحتت الأمثال نحتاً على أعمدة.. وكتبت فى أوراق البردى وظلت لنا تراثاً مكتوباً..

الأمثال بين الفكر الإلهى والبشرى: الأمثال التى تأتى إلينا عن طريق الفلاسفة غير الأمثال التى تأتى إلينا من مرجعية الكتاب المقدس.. وإن كانت الفلسفة نفسها هى نعمة من الله، فالفلسفة محبة الحكمة ، وكل حكمة هى من عند الله ، ولا مانع من إستخدام الفلسفة .. ويقول أوريجينوس العلاّمة ممتدحاً الفلسفة مطالباً بإستخدامها مثل موسى الذى إستفاد بحكمة يثرون حميه..

ويرى إننا إن وجدنا شهادة حكمة لدى كاتب وثنى ، لا نرفض أفكاره بسرعة دون تفكير ، وذلك لمجرد إسمه.. لأن الله لا يقبل أن يبتلعنا نفحة الكبرياء وعدم

الإصغاء إلى الحكماء.. أما بولس الرسول فله رأى هو : إمتحنوا كل شىء وتمسكوا بالحسن (تسالونيكى الأولى ٥:٢١)..

ولكن طبعاً هناك فرق لأن فلسفة حكماء الأرض ليست كاملة.. ولا تقدم الحق كاملا.. لأن أصحابها لا يحملون قوة لإعانة الغير وتقديم التضحية.. أما رجال الله فهم يعلنون الحق كاملا ولديهم نعمة قوية تساعد الناس على تحقيق السلوك الطيب عن طريق الأمثال.. ولا ننسى إنه فى بعض الأمثال توجد أمثال لا تستحق أن تكون قدوة لنا فى السلوك مثل الأمثال التواكلية.. أو الأمثال التى تبعث الخوف فينا مثل : من خاف ربى عياله.. وأعتقد إن الخائف لا يقدر أن يربى أولاده .. وأمثال أخرى كثيرة تحتاج إلى حديث آخر..

وهناك رأى فكر فيه الإنسان على كل الأمثال بإعتبار إن رجال الله حكماء من الله.. وإن هذا لا يعنى تجاهل الحكماء الاخرين لأنها أيضا من الله.. وفى الأمم القديمة كانت هناك مدارس لتعليم الحكمة.. وفى قصور الملوك كانت هذه المدارس تضم النبلاء والأمراء والكهنة، وكانوا يحفظون أقوال الحكماء الأولين، ويقدمون تأملاتهم وخبراتهم فيها..

٥١. الباحث السودانى والبابا والعراق

الباحث السودانى: من الأمور التى تدعو إلى الإحترام أن يهتم باحثونا بقضايا قد تبدو غريبة، ولكن لاشك إن للباحث رؤيا واضحة وهدف سامى نبيل.. لقد إهتم الأستاذ عصمت محمود أحمد سليمان ببحث موقف بابا روما من حرب العراق.. وباحثنا فيلسوف.. والفيلسوف هو المحب للحكمة كما تعنى الكلمة ، لأن " فيلو " تعنى محب " وسوفيا " تعنى الحكمة.. ولقد تخرج باحثنا من جامعة الخرطوم كلية الآداب قسم الفلسفة.. ونال درجة الماجستير فى فلسفة الأخلاق..

وهو محاضر بجامعة الخرطوم ، وله عدة أبحاث فلسفية.. ومن فلسفى الأخلاق أن يدرس أخلاق الآخر.. ونستفيد بمواقفه الأخلاقية وننزلها على مستوانا.. والإتجاه نحو دراسة رأى البابا وموقفه نحو حرب العراق هو موقف أخلاقى، وهو أيضا إعجاب بأخلاق البابا الذى يقف على قمة هرم الكنيسة الكاثوليكية التى ينضم تحت لوائها بليون مسيحى كاثوليكى وهو له عندهم مكانة، وفى قلوبهم منزلة..

لأن البابا رجل عظيم فاق أهل زمانه.. وفاق من سبقوه من البابوات فى الإنجاز الأخلاقى المتميز ، والنشاط الدؤوب.. وسافر إلى بلاد كثيرة يحمل فى حقيبته

المبادىء السامية التى أرساها سيده وسيدنا السيد المسيح له المجد.. لقد قام البابا بأكثر من مائة رحلة أجنبية طاف خلالها كل أرجاء المعمورة..

البابا فى السودان: ولقد زارنا بابا روما فى السودان.. تمتعنا بزيارته فى وقت كان صعباً جداً.. وكانت كل بلاد العالم تنظر إلينا على إننا أهل إرهاب دينى.. ونحن لم نكن كذلك فى كل تاريخنا.. والبابا كان يعلم هذا.. إن لديه أجهزة إعلامية قوية.. ولكن البابا وافق على زيارتنا.. كان فى طريقه إلى أفريقيا ، وطلب إذناً بالمرور فى أجوائنا..

ولكن رئيسنا إقترح على الأسقف غبريال روتريج لا أن يوافق فقط على المرور بأجواء السودان ، إنما أن يحل ضيفاً بيننا على أرض وطننا العظيم.. وأذكر إن هذا الموضوع كان موضوعاً لدى الآخرين.. وإن هناك مسرحية أردنية ناقشت هذا الأمر بطريقة كوميدية ساخرة ، حتى إنهم سألوا البابا عن الماما.. والبابا طبعاً لا يتزوج.. والماما عنده هى الكنيسة المجيدة التى أوقف نفسه على خدمتها..

وقد كنت فى إستقبال بابا روما وطلب منى الرئيس البشير أن أكون بجواره خلال يوم الزيارة.. وفى المطار نزل البابا من طائرته ، وقبل أن يتم إستقباله بإعتباره رئيس دولة الفاتيكان سجد هذا الرجل الكبير المسن على أرض السودان ، وقبّل الأرض فى حنان.. وتبارك به السودان.. وتبارك هو بسودان الحضارات.. سودان المسيحية القديمة.. والذى كان أول مواطن سودانى يقبل المسيحية هو وزير الملكة كنداكة سنة ٣٥ ميلادية.. وإستمرت فيه المسيحية خمسة عشر قروناً أو يزيد..

وخلال لقاء المطار وقف قداسته أمامى يسمعنى ، وأعطيته فكرة عن جمعية حوار الأديان الوليدة ، وقد إغتبط مما يسمع.. وبعد هذا قدم الرئيس هدية لقداسة البابا ، وكنت حاضراً وقدمنى الرئيس له بأننى The Presedent للجنة حوار الأديان.. وإعترضت سريعاً على الكلمة من الرئيس المتواضع وقلت : إننى مجرد Chair- Man.. وقد ضحك كلاهما لهذا التعليق.. وعشنا يوماً كاملا مع البابا فى السودان..

وإستقبل البابا فى السودان إستقبالا عظيماً.. المسلمون والمسيحيون معاً فى إستقباله ، وقد إندهشت جداً عندما كنا فى مقر الفاتيكان وكان البابا يتعرف على علماء الدين الإسلامى والمسيحى وعلق على مولانا بأنه مثل النسّاك القدامى.. وعندما بدأ أبونا جورج بنا رئيس طائفة الروم الكاثوليك بالسودان فى ذكر إسمى أمام قداسة البابا ، وجدت البابا يقول قبل قوله ذاكراً إسمى وذاكراً إننى: رئيس

Chair- Man.. لجنة حوار الأديان.. كيف لهذا الرجل الكثير المسئوليات أن يحفظ إسمى هكذا ؟..

وعند توديع البابا فى المطار تحرر قداسته من البروتوكول وكان يسير بيننا ، وبدأ السلامات عكس الإتجاهات من الصغير إلى الكبير، ووقف أمام علم السودان وفى إحترام طبع على علم السودان قبلاته.. وكانت زيارته الناجحة هى أول نافذة تنفتح على العالم ، لتؤكد إن السودان فوق مستوى إساءة الظن به وبموجهاته الروحية وميراثه الطاهر..

البابا والعراق: إهتم باحثنا السودانى عصمت سليمان بموقف البابا وتصريحاته عن حرب العراق وتقريره بأن الحرب على العراق غير عادلة، ولا تحظى بأى شرعية قانونية أو تبرير أخلاقى.. ومن ثم فهى حرب غير مشروعة ، غير عادلة ، غير قانونية ، غير أخلاقية ، غير إنسانية.. ووصف الفاتيكان الحرب بأنها حرب عدوانية ، وقد تبلور موقف الفاتيكان منذ وقت مبكر.. ومنذ أن لاحت نذر الحرب، وبالتالى فهو موقف أصيل وسابق..

وفى اللقاء الدبلوماسى بالفاتيكان يوم ١٣ يناير ٢٠٠٣ م أدلى البابا بتصريحات تبدى معارضته للحرب المحتملة ضد العراق قائلا: إن إستخدام القوة يجب أن يكون آخر الخيارات .. وأضاف: إن الحرب كانت على الدوام هزيمة للإنسانية .. وتحدث فى ذات اللقاء عن أهل العراق : إنهم تحملوا حتى الآن معاناة كبيرة نتيجة إثنى عشر عاماً من الحصار..

ودعا البابا إلى المزيد من الدبلوماسية والحوار قائلا: إن الحرب لم تكن يوماً وسيلة عادلة لحسم الخلافات بين الشعوب.. وعندما بدت الإدارة الأمريكية تصعد من حدة لهجة قاسية ضد العراق.. وكان الرئيس الأمريكى يحاول أن يظهر بأنه مرتاح الضمير يقرأ الإنجيل كل يوم ثم ينام مستريحاً.. كانت تصريحات البابا التى تقول : إن ما يحدث لا علاقة له بالإنجيل ولا بالمسيحية ، بإعتبار إن إنجيل المسيح يعتمد سياسة المحبة لا العنف.. وإستمر البابا يحذر من سوء المآلات ويحاول أن يجنب الإنسانية مأساة هذا النزاع.. ورصد الكاتب عدة مواقف لقداسة البابا..

١. أرسل البابا مبعوثاً خاصاً إلى بغداد لكى يقابل حكام العراق ويطالبها ببذل أقصى جهد لتجنب الحرب، ولكى ينقل إليهم قلق البابا ويطالب حكام العراق بتفكير جدى وتعاون دولى لضمان أن ينعم الشعب العراقى بالسلام..

٢. فى لقاء البابا مع وزير الخارجية الألمانى صدر منهما بيان مشترك فيه دعوة مشتركة من أجل السلام..

٣. فى لقاء الأمين العام للأمم المتحدة كوفى عنان دعى البابا إلى مضاعفة الجهود لتجنب الصراع..
٤. فى لقائه مع رئيس الوزراء البريطانى ناشده أن يتجنب الحرب وبعدها فى أول مارس دعى البابا إلى صوم الخامس من مارس لأجل العراق..
٥. أرسل البابا مبعوثاً شخصياً إلى واشنطن يحمل رسالة إلى الرئيس الأمريكى حول الحرب ويطلعه على جهود الفاتيكان لنزع أسلحة العراق وإحلال السلام فى الشرق الأوسط.. وسوف يذكر التاريخ صوت قداسة البابا الذى رفض الحرب على العراق.. وعندما سقطت بغداد طالب البابا أن يكون شعب العراق هو صاحب الدور القيادى فى إعادة بناء بلاده..

٥٢. البحث عن الذات

شخصية الجماعة: فى الكتاب المحترم صاحب العبارات الراقية التى تتناغم لحناً كأنه قصيدة شعر يكتب الأستاذ الدكتور بركات الحواتى عن الذاتية السودانية ، وهو قد كتب هذا الكتاب عندما كان فى فرنسا غريباً عن بلده.. ولكن وطنه كان فى قلبه نبضاً حياً يحرك مشاعره نحو المكان والزمان والإنسان فى الوطن السعيد، والثالوث واضح الأرض والإنسان والأحداث، ثالوث يرسم معنى الشخصية الجماعية السودانية.. ويناقش أبعاد الموضوع كما ناقشه العلماء..

فأفلاطون فى القرن الرابع قبل الميلاد يتناول العلاقة بين الطبيعة البشرية والبنية الإجتماعية ومدى التفاعل بينهما، وإمكانية التحكم فى ذلك وتوجيهه.. وإبن خلدون يتجه إلى حقائق الجغرافيا ويبنى عليها إستنتاجاته فى معطيات وأبعاد شخصية الجماعة التى ترتكز جذورها إلى فكرة العصبية كفكر تضامنى يتضاعف بالنزول الدينى ورد معطيات العمران إلى عوامل المناخ التى تؤثر فى طباع الناس..

أما العالم الإيطالى "فيكو " فى القرن الثامن عشر ، وفى كتابه العلم الجديد فإنه يصنف قدرات الشعوب ، ولكنه يجعل العبرانين أقدمهم حضارة ، مع إن الحضارة فى رأينا أقدم من العبرانيين لأنهم إبتدأوا فى نقطة معينة كانت الحضارة قد وصلت فيها إلى أبعاد قوية وخطيرة.. فلقد تهذب موسى بكل حكمة المصريين ، وبدأت حضارة العبرانيين ببداية أول عابر، وهو يعقوب والذى ولد فى العام ٢٠٠٦ قبل

الميلاد.. وكانت وقتها مصر فى قمة الحضارة ، وكان السودان وقتها قد دخل كثيراً فى دروب الحضارة..

وعندما ولد موسى كانت قد قامت حضارة إكتشاف البردى وإستئناس الخيل، وإستعمال أوراق البردى فى وصف الإجراءات الطبية والجراحية.. وكانت المزاول الشمسية قد بدأ إستعمالها فى مصر وكانت المكسيك قد بدأت فى بناء أهرامات الشمس..

ويتحدث بروفسور الحواتى عن المفكرتين وإهتمامهم بدراسة الجماعة البشرية وتطورها فيذكر :-

١. إن المفكر الفرنسى "مونسيكيو" فى القرن الثامن عشر طرح كتابه الشهير "روح القوانين" وتحدث فيه عن إختلاف أمزجة ونشاطات الشعوب العقلية وعزى هذا بدوره إلى البيئات الطبيعية والمواقع الجغرافية كمؤثرات فى تكوين أفراد الأمة الوجدانى والذهنى، وأشار إلى منبه معنوى يتمثل فيما سماه الروح العامة والتى تنبثق من الدين وأحكام القانون وتجربة الأمة وما تختزنه من ذكريات..

٢. "روسو" والذى إعتمد فى إستخراجاته على عاملى الزمن والمحيط الخارجى حيث تتواصل إرادات أفراد المجتمع وخلالها تقيم تنظيماتها المستقرة.. وأبرز" روسو" فى كتابه العقد الإجتماعى إن الحضارة تبدو كمردود خاص وقيمة ذاتية للمجتمع المعين وتنعكس على ملامح الشعب فيه ، وفى الوقت نفسه لا تفقد علاقتها مع مسار الحضارة البشرية ومعيار ذلك عنده القانون..

٣. المفكر الألمانى "هيلدر"ينادى بأن حضارة كل شعب تمثل فى واقع الأمر حصيلة الفعل المتبادل بين قوى ذلك الشعب الخارجية وقواه الباطنية والتى سماها بالروح وإعتبرها الموجه المباشر لمسار ذلك الشعب والمسئولة عن صورة تاريخه..

٤. أما " فيختة " وهو من أوائل القرن التاسع عشر ونادى بضرورة إكتشاف السمة الأساسية خلال التنشئة الإجتماعية والتربية وإعتبرها فناً يصوغ البشر حضارياً.. وعبر ذلك تعرف الأمة ذاتها.. ونادى بتفوق ألمانيا، وأن يكون الفكر الألمانى هو النسر الذى يرفع بجناحيه القوى جسمه الثقيل ويطير طيراناً قوياً يحلق من أعلى ، لكى يقترب من الشمس الذى بسحره تأملها..

٥. أما "هيجل" فيرى إن التاريخ هو تاريخ كل روح قومية تعبر عن ذاتها فى مؤسسة الدولة الموضوعية، وعنده لكل شعب روحه الخاص، والتى تمثل جزءاً من التطور البشرى..

٦. أما " إشنبلنجر" فيؤكد إن لكل حضارة مدارها وشخصيتها وهو ما دعاه أسلوب أو طريقة التفكير ، ورتب على ذلك سلوك ومزاج مجتمع هذه الحضارة ، وعنده إن

الإنهيار الحضارى يبدأ عندما تسيطر فخامة أكيم المادى علــى الليــف المعنــوى فتتوقف الحضارة وتفسد وتجمد دماؤها وتخور قواها..

وهكذا جال الأستاذ بركات الفيلسوف المدقق بين نظريات العلماء عبر العــصور لكى يكتب عن الذات السودانية والتى هي قمة فى الحضارة والتمدن، والتى لم تبدأ من فراغ إنما تكونت عبر مراحل تاريخية متعددة وصارت الذاتية السودانية نقطــة إنطلاق لمستقبل مجيد من واقع تاريخ سعيد جعل الذاتية السودانية بوتقة إنصهرت فيها أمجاد ما قبل المسيحية وروحانية المسيحية ، وقيم الإسلام لكى تكون ذاتيــة روحية تنبع من قيم المجتمع وتضم الزمان والمكان والإنسان السودانى..

٥٣. البيئة وعودة الوعى

حداثة الدراسة: تعد الدراسات البيئية دراسات حديثة نسبياً.. ولم يكن الإنــسان فى حاجة إلى الإهتمام بهذه الدراسة وذلك لأن البيئة كانت تسير على مــا يــرام ، غير أن العالم الآن يشهد تدميراً فى البيئة.. وتلوثاً قاتلا يحتاج إلى عودة الــوعى الإنسانى للمحافظة على البيئة..

وقد صار اليوم فى مفرداتنا اليوميــة تعبيــرات بيئيــة مثــل علــم البيئــة.. والموطن.. والتلوث.. والنمو.. والطاقة.. والوعى البيئــوى.. وتنــشئة المــواطن تنشئة تهتم بالبيئة.. وكانت بريطانيا هى أول من إستحدث دائرة للبيئة فــى عــام ١٩٧٠ م.. وهذه الدائرة تابعة لوزارة الداخلية وشملت مسئولياتها الإسكان والنقل والإدارة المحلية..

وفى وطننا العظيم إستحدثت وزارة للبيئة تضم معها الــسياحة ، وهــى وزارة تخطو خطواتها الأولى وسط تحديات كبيرة تحتاج منا إلى دعم لرسالتها ، وتحتــاج منها إلى تحرك واسع لتأدية دورها وتحقيق الهدف المنشود وراء تأسيسها..

لماذا البيئة ؟:

وهناك أسباب وجيهة تدعو إلى الإهتمام بالبيئة بالذات فى عصرنا هــذا حيــث صار نداء الإهتمام بالبيئة هو نداء ترتفع نبراته فى بلادنا النامية وفى كــل بلــدان العالم وعلى الأخص إن بلداننا النامية ينقصها الوعى بالحفاظ على البيئــة.. فلقــد كان السودان بكل مساحاته هو سودان أخضر ، ولكن عدم وعى المواطن السودانى وحاجياته الشديدة جعلته يقطع الأشجار ويعرى التربة ، مما جعل منطقــة كالنيــل

الأبيض بها مساحات شاسعة هى صحراء قاحلة فى منطقة هى بين نيلين هما: الأبيض والأزرق.. ومنطقة على نبع لا ينضب من المياه الجوفية..

والوعى البيئوى هو عندنا بدرجة ضعيفة عند من يقطع الشجر.. ومن يلقى القمامات فى شوارع العاصمة.. والعاصمة نفسها التى لم تعرف أن تستفيد بهذه البقايا وتتخلص منها فقط بإعدامها ، بينما يمكن أن تكون شيئاً مفيداً جداً.. فالدول المتقدمة تستفيد من هذه البقايا .. ويقولون : إن اليابان لا تترك ورقة قمامة إلا وتستفيد بها..

أسباب الإهتمام:

وتتركز أسباب الإهتمام بالبيئة فى ثلاثة أسباب هى :-

١. التزايد السكانى: ومعروف إن عدد السكان يتزايد ولكن بعد الحرب العالمية الثانية فقط أمكن إدراك معدل سرعة التزايد إدراكاً واضحاً.. وأمكن التنبؤ عن الآثار الحادة المفجعة للإنفجار السكانى غير المنضبط.. هذا ويقول علماء الإحصاء: إن الزيادة الآن هى بمتوالية هندسية مما يجعل مستقبل العالم مظلماً وعلى الأخص إذا أخذنا فى الحساب إن ما يزيد عن ربع سكان العالم معدمون.. ولنا أن نتساءل بقلق: كيف يمكن إطعام هذا العدد الضخم من المعدمين والنازحين والمشردين بسبب الحروب العرقية ، على الأخص فى أفريقيا ، حيث تزايد عدد اللاجئين فيها بسبب إفرازات الحروب.. والتميز العرقى.. والتعصب القبلى ؟..

٢. مشكلة الموارد: كلما زاد عدد السكان كلما قلت نسبة العائد من الموارد، وقد وجه نادى روما العالم كله إلى إن موارد الأرض محدودة.. وإنه لا يمكن التوفيق بين إستمرار الزيادة وبين الموارد المحدودة.. وصار الفشل واضحاً فى الموازنة بين الدخل ورأس المال.. وهناك رأس مال غير قابل للتعويض مثل الوقود المستخرج من باطن الأرض سواء كان فحماً أو بترولا ، فهذا الوقود لم يصنعه البشر ولا يستطيعون إعادة معالجته ، فإذا ما نفذ إلى الأبد.. وهذا لا ينطبق على الفحم والبترول فحسب ، إنما على الطبيعة الحية مثل عوالق المحيطات وكساء الأرض الأخضر.. والهواء النقى.. وكل هذه عرضة للتلوث مما يدعو إلى إعادة النظر فى طريقة إستغلال الموارد حتى لا نهدد حضارتنا للخطر..

٣. التكنولوجيا: وتكنولوجيا اليوم تنطلق بسرعة خاطفة.. وهى ثورة ثالثة بعد الثورة الزراعية والصناعية.. والتكنولوجيا جشعة جداً فى إستغلال الطاقة ، وهى مثل غول إذا ما أفلت من ربطه دمر صانعه.. وأزمة الطاقة اليوم سببها التكنولوجيا ، ولهذا ينبغى أن يعود إلينا الوعى ، وأن نحتفل بعودة الوعى إلينا حتى لا ندمر حياتنا وكل ما حولنا.. ونحن كبشر أوكلنا الله على سلطة العالم مطالبون بأن نحفظ

التوازن فيه، لكى نهىء للأجيال القادمة بيئة سوية تساعد على تمتعهم بنعمة الحياة ، لأن صنع الإنسان مستقيماً، أما هم فطلبوا إختراعات كثيرة (جامعة ٧:٢٩)..

٥٤. التجارة الرابحة

المؤمن تاجر: بينما كلمة تاجر هى كلمة طيبة ولها معناها وأصولها.. ونحن مع الذين يقفون ضد التجارة بالدين أو إستغلال الدين لمصلحتهم الخاصة، ولكننا نعلم إن المؤمن هو تاجر بمعنى إن الفضيلة تتكاثر فى حياته مثلما يهتم التاجر بتكاثر أرباحه.. وإذا كانوا يقولون: إن التاجر شاطر، فإن المؤمن أى إنه ذكى يفكر دوماً كيف يجمع أرباحاً ليومه الآخير.. وكيف يكثر فى عمل البر.. وكيف ينمو فى التقوى..

لأن التقوى مع القناعة هى تجارة عظيمة كما يقول الكتاب المقدس.. ولأن الله يعطينا المواهب كأمانة فى أيدينا.. ويقول لنا : تاجروا حتى آتى وهذا يعنى إن المؤمن تاجر روحى كل يوم يضيف إلى نفسه فضيلة جديدة.. وينمو البر فى حياته حتى المجىء الثانى للسيد المسيح ، والذى هو آخر علامات الساعة، وبعدها نقف أمام الله فى الأبدية ونعطى حساباً عن تجارتنا الروحية، ولا يدخل إلى الملكوت سوى التاجر الشاطر، الأمين الصادق، ولأنه كان أميناً فى القليل يقام على الكثير.. والقليل هو كل متاع الدنيا.. والكثير هو الحياة الأبدية فى الملكوت السماوى.. والرابح هنا فى الأرض هو الذى يكسب الأبدية السعيدة..

تجارة رابحة: والتجارة الرابحة هى سعى المؤمن نحو إقتناء الفضيلة ، ليس إقتناء المال لأن المال أصل لكل الشرور الذى إذا إبتغاه قوم ضلوا عن الإيمان وطعنوا انفسهم بأوجاع كثيرة. والأوجاع فى المال كثيرة ، بينما الراحة الروحية موجودة فى التجارة الروحية.. والمؤمن مطالب بأن يكون كنزه فى السماء، وكنز السماء يأتى بإرسال مدخرات المؤمن إليها بواسطة عمل الخير..

وهنا يقول السيد المسيح : لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ، وحيث ينقب السارقون ويسرقون، بل إكنزوا لكم كنوزاً فى السماء حيث لا يفسد سوس ولا صدأ، وحيث لا ينقب سارقون ولا يسرقون، لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضا (متى ٦:١٩،٢٠)..

وعند الحديث من السيد المسيح عن ملكوت السموات بأمثال قال : أيضا يشبه ملكوت السموات إنساناً تاجراً يطلب لآلىء حسنة ، فلما وجد لؤلؤة واحدة كثيرة الثمن ، مضى وباع كل ماله وإشتراها (١٣: ٤٥،٤٦).. والتجارة الروحية الرابحة فيها بيع وشراء.. فالمؤمن يبيع الأشياء الصغيرة لكى يقتنى الملكوت العظيم والذى هو اللؤلؤة الكثيرة الثمن..

مثل الوزنات: ومن بين الأمثال التى ذكرها السيد المسيح مثل الوزنات.. وقد قال فيه: وكأنما إنسان مسافر دعا عبيده وسلمهم أمواله، فأعطى واحداً خمس وزنات وآخر وزنتين، وآخر وزنة .. كل واحد على قدر طاقته وسافر للوقت ، فمضى الذى أخذ الخمس وزنات وتاجر بها فربح خمس وزنات أخر.. وهكذا الذى أخذ الوزنتين ربح أيضا وزنتين أخريين.. وأما الذى أخذ الوزنة الواحدة فمضى وحفر فى الأرض وأخفى فضة سيده، وبعد زمان طويل أتى سيد أولئك العبيد وحاسبهم.. فجاء الذى أخذ الخمس وزنات وقدم خمس وزنات أخر قائلا: ياسيد خمس وزنات سلمتنى ، هوذا خمس وزنات أخر ربحتها فوقها.. فقال له سيده : نعماً أيها العبد الصالح والأمين، كنت أميناً فى القليل فأقيمك على الكثير إدخل إلى فرح سيدك..

وهكذا صاحب الوزنتين تاجر وربح وأدخل إلى فرح سيده.. ثم جاء أيضا الذى أخذ الوزنة الواحدة وقال : ياسيد عرفت إنك إنسان قاس تحصد حيث لم تزرع، وتجمع من حيث لم تبذر، فخفت ومضيت وأخفيت وزنتك فى الأرض، هوذا الذى لك.. فأجاب سيده وقال : عرفت إنى أحصد حيث لم أزرع ، وأجمع من حيث لم أبذر.. فكان ينبغى أن تضع فضتى عند الصيارفة ، فعند مجيء كنت آخذ الذى لى مع ربحاً.. وأمر أن تؤخذ منه الوزنة وتعطى لصاحب العشر الوزنات ، لأن كل من له يعطى فيزاد.. ومن ليس له فالذى عنده يؤخذ منه، والعبد البطال طرح فى الظلمة الخارجية حيث البكاء وصرير الأسنان (متى ٢٥)..

دعوة محبة: وهكذا يظل المؤمن تاجراً ذكياً شاطراً لا يضيع الوقت إلا فيما يفيد، ويستغل كل لحظة فى حياته لكى يتاجر فى الفضيلة ويصدر أمامه إلى السماء.. والمؤمن الذى يحيا مع الله تربح تجارته، وكما يقول القرآن الكريم : الذين إشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم ، وتجارة العالم تلهينا عن ذكر الله وإقامة الصلاة..

ولهذا يؤكد القرآن الكريم : إن ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة .. ويشير إلى تجارة صالحة فيها يحيا الإنسان الهدى والتقوى.. يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب ؟.. أرجو أن تكون دعوة المحبة قد أنارت طريق الروح أمامنا نحو تجارة تجعلنا نكسب السماء وتنجينا من عذاب أليم..

٥٥. الحكمة هى هندسة الكائنات

الحكم والحكمة: تأتى كلمة حكمة مرادفة لكلمة حكم.. فالحكيم هو الذى يحكم أحكاماً حكيمة.. وقد أطلقت كلمة حكيم على الفيلسوف وعلى الطبيب وعلى رجل القانون.. ولكل واحد فيهم حكم وأحكام على شئون الحياة الفكرية والطبية والقانونية.. والله هو أحكم الحاكمين وهو مصدر الحكمة..

وأول طريق الحكمة أن يحيا الإنسان فى خوف الله لأن رأس الحكمة مخافة الله.. والحكمة هى هبة من عند نازلة من عند أبى الأنوار الذى يعطى الحكمة لمن يشاء.. وكلام الله هو حكمة تنير طريق الحياة وتأتى الحكمة مرادفة للكتاب فى القرآن الكريم ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل..

(ما آتيناكم من كتاب وحكمة.. ويعلمكم الكتاب والحكمة).. والكتاب هنا الكتاب المقدس.. والدعوة إلى الإنسان أن يكون حكيماً.. والله أحكم الحكماء.. ولذلك كانت الحكمة هى الطريق إلى الله.. أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة.. ومن يؤتى الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً..

وقد وصف الله بأنه عزيز حكيم.. وهو أيضا الحكيم الخبير.. والحكيم هو خبير بالحياة يعرف كيف يفيد بخبرته الآخرين.. والحكيم يعرف كيف يضيق دوائر الخلاف بين المختلفين.. وقد تحدث القرآن الكريم عن السيد المسيح إنه جاء بالحكمة : قد جئتكم بالحكمة لأبين لكم بعض الذين تختلفون فيه فإتقوا الله وأطيعوه..

هندسة الكائنات: فى سفر الحكمة آيات عن هندسة الكائنات ، فالحكمة فى نظر سليمان الحكيم تمتد بقوة من أقصى العالم إلى أقصاه ، وتدبر كل شىء للفائدة.. الحكمة فيض من مجد الله تشارك الله فى طبيعته وهى صفة من صفات الله.. ويتساءل الحكيم: إذا كان الغنى ملكاً مرغوباً فيه ، فأى شىء أغنى من الحكمة التى تعمل كل شىء.. وإن كانت الفطنة هى التى تعمل فمن أمهر منها فى هندسة الكائنات (حكمة ٨:٥،٦)..

والحكمة كيان إلهى يعرف كل شىء ، فهو الذى وهب لى علماً يقينياً بالكائنات حتى أعرف نظام العالم وفاعلية العناصر (حكمة ٧:١٧).. فعرفت كل ما خفى وكل ما ظهر، لأن مهندسة كل شىء علمتنى وهى الحكمة (حكمة ٧:٢١).. والحكمة عند الإنسان محدودة ، أما حكمة الله فهى غير محدودة..

وحكمة الإنسان هى حكمة تستبعد بالنسبة لحكمة الله المطلقة.. والحكمة هى هندسة وتخطيط ونظام وإستراتيجية.. والحكمة مطلوبة لكل إنسان ، للفرد العادى

ولغير العادى ، للحاكم والمحكوم.. ولو كان الحكام حكماء لحققوا الرخاء وأرسوا قواعد السلام .. وشعوب كثيرة تدفع ثمن رعونة الحكام موتاً ودماً ودماراً..

ولهذا كان الملوك القدماء يهتمون فى قصورهم بوجود الحكماء فيها بالقرب من الحاكم.. وهذا ما كان فى قصر فرعون.. وقصور بابل.. وكان الحكماء هم المجلس الإستشارى للحاكم.. وكان الحكماء يوجهون الحاكم إلى خدمة رعاياهم والحفاظ على حقوقهم والدفاع عن متطلباتهم وتحقيق طموحاتهم..

وقد برز من بين حكماء القصور دانيال النبى والذى صار وزيراً فى بابل وهو ليس بابلياً.. ويوسف الذى صار وزيراً أول فى مصر وهو ليس مصرياً.. وكان للملك أرتحشستا سبعة مستشارين (عزرا ٧:١٥).. وكان الملوك أحياناً يضيقون ذرعاً بهؤلاء الحكماء ويتجاهلون مشورتهم مما جعل هؤلاء الحكماء يلتجئون إلى المسرح وسرد القصص التى تدخل إلى القصور وتذكرهم بأنهم ليسوا حكماء، وإن بعدهم عن الحكمة سوف ينهى ملكوتهم الأرضى ويضعف من سلطانهم..

ولقد شهد الملك نبوخذ نصر بحكمة دانيال النبى وعينه وزيراً ضمن ثلاثة وزراء يشرفون على المملكة.. بل فكر الملك أن يوليه على المملكة كلها ، وقالت الملكة عن دانيال: إنه رجل فيه روح الآلهة القدوسين، فيه نيرة وفطنة وحكمة فاضلة (دانيال ٥).. وقال فرعون عن يوسف الصديق : بعد ما أعلمك الله كل هذا ليس بصير وحكيم مثلك (تكوين ٤١).. وكان الحكام يعهدون بتربية أبنائهم إلى الحكماء لكى يضمنوا إستمرارية العرش فى أجيالهم..

محاور الحكمة: وللرجل الحكيم ثلاثة محاور أولها: أن يكون على صلة قوية وصلاة مستمرة بالله لأن الله هو مصدر الحكمة.. هو الذى يعطى الحكمة لمن يشاء والذى يسلم القلب لله تكون لديه الفرصة أن يسمع صوت الله.. وأن تكون لديه بصيرة وقلباً فهيماً ويعرف كيف يميز بين الأمور.. والمحور الثانى: هو البحث عن خبرات الآخرين..

فالحكمة لا تبدأ بنا، إن الله هو الحكمة، والإنسان إستمد الحكمة من الله وتراكم تراث الحكمة.. وكل من يرغب أن يحيا الحكمة أن تستفيد بخبرات الآخرين وينمى لديه الإستعداد للتعلم ، وتحدث إبن سيراخ عن السفر لطلب الحكمة وقال: إنى رأيت أسفارى أموراً كثيرة وما فهمته يفوق ما أقول.. والحكيم هو الذى يتعلم من كل واحد..

والمحور الثالث للحكمة هو : قلة الكلام.. الحكماء لا يتكلمون كثيراً.. ولا يقولون رأيهم بسرعة ورعونة.. الحكماء هم الصامتون الذين عندما يتكلمون

يتكلمون كلاماً مفيداً.. وإذا كانت الحكمة هى هندسة الكائنات فهذه الهندسة تأتى بالإتصال بالله والإستفادة بخبرات الآخرين ، وبالهدوء والدراسة والصمت المفيد..

٥٦. الحكيم الذى هزم الجهل

محبة الحكمة: كثيرون فى هذه الحياة فهموا الحكمة وأحبوا أن يسلكوا فى طريقها.. والحكمة دوماً تنادى البشر أن يستمعوا إلى صوتها.. ويسأل سليمان الحكيم: ألعل الحكمة لا تنادى.. والفهم لا يعطى صوته ؟.. عند رؤوس الشواهق.. عند الطريق بين المسالك تقف.. بجانب الأبواب.. عند ثغر المدينة.. عند مدخل الأبواب تصرخ: لكم أيها الناس أنادى.. وصوتى إلى بنى آدم.. أيها الحمقى تعلموا ذكاء.. وياجهال تعلموا فهماً..

إسمعوا فإنى أتكلم بأمور شريفة.. وإفتتاح شفتى إستقامة.. لأن حنكى يلهج بالصدق.. ومكرهة شفتى الكذب.. كل كلمات فمى بالحق.. ليس فيها عوج ولا إلتواء.. كلها واضحة لدى الفهم.. ومستقيمة لدى الذين يجدون المعرفة.. خذوا تأديبى لا الفضة.. والمعرفة أكثر من الذهب المختار.. لأن الحكمة خير من اللآلىء وكل الجواهر لا تساويها..

أنا الحكمة أسكن الذكاء وأجد معرفة التدابير.. لى المشورة والرأى.. أنا الفهم.. لى القدرة.. بى تملك الملوك.. وتقضى العظماء عدل.. بى تترأس الشرفاء والرؤساء كل قضاة الأرض.. أنا أحب الذين يحبوننى والذين يبكرون إلىّ يجدوننى.. عندى الغنى والكرامة.. ثمرى خير من الذهب ومن الإبريز ، وغلتى خير من الفضة المختارة.. فى طريق العدل أتمشى.. فى وسط سبل الحق (أمثال ٨)..

وكثيرون تجاوبوا مع نداء الحكمة.. وسلكوا فى طريق الحكمة.. وصارت الحكمة هى تاج الحكماء.. والحكيم يحيا فى مخافة الرب لأن رأس الحكمة مخافة الرب.. والحكيم يخشى ويحيد عن الشر.. والجاهل يتصلف.. لسان الحكماء يحسن المعرفة وفم الجهال ينبع حماقة.. وحكمة المرأة تبنى بيتها والحماقة تهدمه بيدها..

معنى الحكمة:

تأتى كلمة حكمة فى اللغة العبرية بنفس الحروف حكمة.. وقد وردت كلمة حكمة ومشتقاتها أكثر من ثلثمائة مرة فى العهد القديم.. وجاء أكثر من نصفها فى

أسفار أيوب والأمثال والجامعة.. وترجمت فى العبرية الكلمة " سكل" إلى حكمة.. وفطنة.. ومعرفة.. وجميعها تؤدى معنى الحكمة..

وقد إستعملت كلمة حكمة للدلالة على الدهاء.. وللإهتمام بتنفيذ العدالة.. كما وصفت بعض الحيوانات بالحكمة بإعتبارها ذكاء، كما فى قول سليمان : أربعة هى الأصغر فى الأرض، ولكنها حكيمة جداً.. النمل طائفة غير قوية ولكنه يعد طعامه فى الصيف.. الوبار طائفة ضعيفة ولكنها تصنع بيوتها فى الصخر.. الجراد ليس له ملك ولكنه يخرج كله فرقاً فرقاً.. العنكبوت تمسك بيدها وهى فى قصور الملوك (أمثال ٣٠:٢٤،٢٧)..

وتعرّف الكلمة عند البعض بأنها فن الوصول إلى الهدف بإستخدام الوسائل الشريفة.. وتكتسب الحكمة بالخبرة فتزداد حكمة الإنسان بتقدمة فى الأيام .. هذا عندما يرغب الإنسان أن يكون حكيماً كما يقول أيوب الصابر عند الشيب حكمة وطول الأيام فهم..

وليست الحكمة مرتبطة بتقدم السن ، فقد يكون الشاب الصغير أحكم من شيخ طاعن فى السن لا يعطى للحكمة مكاناً فى حياته، لأن ولد فقير وحكيم خير من ملك شيخ جاهل (جامعة ٤:١٣).. ولقد كان دانيال وهو شاب يافع أحكم جداً من كل حكماء بابل المدينة العظيمة..

وكلمة حكمة فى العهد الجديد هى: "صوفيا" ومنها الفيلسوف.. وكلمة فيلسوف تتكون من مقطعين : فيلو أى محب، وصوفيا أى حكمة.. فالفيلسوف هو محب الحكمة.. وقد دخلت كلمة صوفيا اليونانية إلى لغات العالم ، كما يسمى أهل التعبد أنفسهم بالصوفية.. ويقولون: إن كلمة" صوفية" من صوف لأن الصوفية زهاد يلبسون الصوف.. ولكن كثيرون يرون إنها من صوفية أو حكمة..

فالإنسان الصوفى هو الإنسان الحكيم الذى يتفرغ للحياة مع الله.. ويأخذ فرصة روحية لكى يتعلم الحكمة.. فبولس الرسول إعتزل فى الصحراء الغربية ثلاث سنوات لكى يتلقى الحكمة من الله ويكون بناء حكيماً فى خدمة الله..

أخلاق الحكماء: يهتم الحكماء بأن تكون حياتهم مع الله لأن الحكمة لابد أن تساند بعمل نعمة الله حتى تزدهر.. والإنسان الحكيم لا يتكل على قدراته الشخصية، إنما على الله لأن الله مركز الحقيقية .. فالحكمة تنبع من الله وإليه تنتهى.. والطريق إلى الحكمة شاق جداً ويحتاج إلى إنتباه مستمر لكل نواحى الحياة مع رغبة مستمرة فى التعلم من الآخرين.. وبخ حكيماً فيحبك.. أعظ حكيماً فيكون أوفر حكمة.. علم صديقاً فيزداد علماً.. إن كنت حكيماً فأنت حكيم لنفسك..

والحكمة موجودة عند كل بنى البشر لأن الله هو الذى أودع الحكمة فى قلبنـــا.. وتتحول الحكمة إلى أمثال لدى الشعوب تحدد نظرتهم إلى الحياة .. وتـــدعو إلـــى المثل العليا.. وإلى ضرورة فعل الخير.. ونبذ الشر والإبتعاد عن طريق الأشـــرار.. والحكمة فى أخذ القرار.. فالحكيم لا يذم ولا يشكر إلا بعد سنة وستة أشـــهر كمـــا يقول المثل.. وأسفار الحكمة تقول : إن الحياة تستحق أن نحياها.. بل يوجد وفـــى أقسى ظروف حياتنا ما يشدنا إلى التأمل فيها..

وقد إستعمل السيد المسيح أسلوب الحكماء وتحدث فى أمثال وتشبيهات ، ووجه أنظار الناس إلى عناية الله من خلال مراقبة زنابق الحقل وطيور السماء، فالحيـــاة أفضل من الطعام والجسد أفضل من اللباس.. وقال له المجد: أنظروا إلـــى طيـــور السماء إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن وأبوكم الـــسماوى يقوتهـــا.. ألستم أنتم بالحرى أفضل منها ؟.. تأملوا زنابق الحقل كيف تنمـــو.. لا تتعـــب ولا تغزل، ولكن أقول لكم : إنه ولا سليمان فى كل مجده كان يلبس كواحدة منها.. فإن كان عشب الحقل الذى يوجد اليوم ويطرح غداً فى التنور يلبسه الله هكذا.. أفلـــيس بالحرى جداً يلبسكم أنتم ياقليلى الإيمان ؟ (متى٦)..

ولقد أعجب الناس وإلتفتوا إلى حكمة المسيح فهو الحكمة نفسها، لأنـــه كلمـــة الله، والحكمة التى تأتى من عند الله هى الحكمة المطلوبة.. وإن كان أحدكم تعـــوزه حكمة فليطلب من الله الذى يعطى الجميع بسخاء ولا يُعير.. والحكمة التى من فوق طاهرة ثم مسالمة مترفقة مذعنة مملوء ة رحمة وأثماراً صالحة عديمـــة الريـــب والرياء (يعقوب ٣:١٧).. ووسط جهالة العالم وعدم حكمته لا يوجد أحد يقدر أن يهزم الجهل سوى الإنسان الحكيم..

٥٧. الذاتية السودانية

بركات موسى: أهداف الأستاذ الدكتور بركات موسى الحواتى كتاب قـــيم جـــداً " الذاتية السودانية ".. صفحات من تاريخ السودان.. دراسة فى المكـــان والإنـــسان والأحداث.. وفى نقد العقل السودانى.. الناشر مكتبة مدبولى ٢٠٠٦م.. وهذا يعنى إن الكتاب جديد جداً.. وهو أيضا كتاب جاد جداً يضعك أمام حقائق فلسفية تؤكد: إن المواطن السودانى الآن يملك تاريخاً مجيداً فى رأسه..

فالسودان مسيحى من العصر المـــسيحى.. ومـــسلم مـــن العـــصر الإســـلامى.. والسودانى يعتز بأصله، وبكل من شارك فى تكوينه من قبائل قديمة.. من أجنـــاس

مختلفة.. فراعنة.. نوبة.. مرويين.. يهود.. وتجمع كل هذا فى عقل السودانى الذى وعى وفهم عبقرية المكان.. وأخضع الزمان له، وصار زمانه هو زمان الحب والعطاء..

والمؤلف أستاذ فى الفلسفة .. له فلسفته الخاصة ، وهو نفسه يمثل العقل السودانى الذى يدرك أهمية الفلسفة ، ثقافة تفهم الشرق، وتفهم الغرب، ولها هوية سودانية خاصة .. فالذاتية السودانية هى نتاج المكان والإنسان والأحداث والتناغم العجيب الذى بين هذه العناصر..

ولا يمكن أن نقول: إن الثقافة الإسلامية قضت على الثقافة المسيحية، أو إن الثقافة المسيحية قضت على الثقافات القديمة ..كلا.. إن كل هذا لم يزل فينا ليس مجرد عادات وتقاليد، ولا مجرد أسماء أو كلمات فى اللغة ، إنما كل هذا موجود فى الكيان.. موجود فى داخلنا ، يعيش فينا ، وربما هذا هو سبب التعايش الجميل بين عناصر مختلفة.. أجناس وأديان وثقافات متنوعة كان يمكن أن تكون سبباً لتأجيج الصراعات.. ولكن عندنا هى سبب وجيه للتعايش ورافد منطقى للتوادد والتكامل، كل واحد فينا يكمل الآخر..

ولقد إنزعج الفيلسوف الحواتى من رواسب الإستعمار فينا وصورة المثقف السودانى الذى تنقطع أنفاسه وراء الغرب وتختفى عمامته أو تقع أرضاً.. أما الطربوش والبرنيطة.. والكاسكيتة وظهور الشورت الأبيض ومظاهر شاى العصر وهيمنة اللغة الإنجليزية على ما عداها..

حتى ثورة أهل السودان ضد الإستعمار كما قال البروفسور عبدالله الطيب: ثورة هى ذاتها جزء من الإستعمار لأنه كان يعد مع زملائه ليكون من أفندية الإستعمار وصدى للثقافة الغازية.. ووقع بعض المثقفين فى الأخطاء التى أريد لهم أن يقعوا فيها..

الكتاب والكاتب: وتأتى عظمة الكتاب من خلفها عظمة الكاتب وعظمة الكلمات ، فالكتاب كله كلمات من نار هى سعى نحو الذات.. ولقد بذل الكاتب الكبير مجهوداً كبيراً فى الحديث عن الذات السودانية.. وقدم كتابه إلى " المواطن فى بلادى العزيزة وهو يستهدى فى مساره النبيل ذاكرة التاريخ الحبلى دائماً.. بشهادة التضحية.. والشموخ.. والإبداع ".. كما جاء فى مقدمة كتابه، وعندما أهدانى الكتاب أهداه إلى فى كلمات بنفس مستوى النار الذى كتب به الكتاب..

أخى العزيز أبونا فيلوثاوس فرج .. وأنت تسعى فى قناعة وحماس إلى توطيد عرى الثقة بين البشر آملا فى فردوس الرب.. وفى تقدير بلا حدود.. لك هذا العمل تعبيراً عن إعزاز بلا حدود عن أمل فى يسرى وداً ومحبة.. والسودان قبل ذلك فى

عقولنا وفى قلوبنا نهاراً من تطلع الافي الأجمل.. والحقيقة إنه بالنسبة إلىّ فإننى أعتز جداً بصديق عالم فى مثل علمه.. شفاف فى مثل شفافيته.. فهو لا يعتبرنى الآخر بالنسبة إليه، إنما يعتبرنى جزءاً من كيانه من عقله الدائب الحركة.. فأنا لست غريباً عنه ، إنما أنا فيه .. وبنفس المشاعر أعتبره هكذا.. إن منطق كتابه كله يؤكد إن السودانى ذات طهارة مقدسة تحمل الأصول المسيحية والأصول الإسلامية.. ذات ، تذوب كل الفوارق وتذيب كل الجليد.. ذات هى المحبة كاملة طاهرة رقراقة..

وكما قال أبو سليم وهو يقدم كتاب" الذات السودانية" إن المؤلف شاب فى سنه وحيويته ، مع إن الشيب قد علاه قبل آوانه حتى ملأ رأسه، ثم تدنى فملأ ذقنه وشاربيه.. وهو متوسط القامة سريع الخطو إذا مشى.. وإذا تكلم رفع صوته فأسمع ولا يتردد فى أن يطرح رأيه مهما كان قبول الجميع أو رفضه.. إنه إذا تحدث هو تحرك بكل جسمه.. وإذا تحدث غيره إستمع إليه..

وأعتقد إن الفرصة الآن للقارىء السودانى أن يستمع إليه.. أن يقرأ كلماته القوية .. وعندما نسعى فى رحلة البحث عن الذات السودانية سوف نجد أن الحواتى قد صورها أدق تصوير.. فلقد أمسك بحركة الزمان وحدد ما للسودانى من كيان مميز.. ولهذا أنصح نصحاً حثيثاً أن يجد كتابه الجميل مكانة ليس عند القارىء السودانى فقط، إنما فى دوائر العلم مدرسة وتدريساً فى مدارسنا وجامعاتنا السودانية..

٥٨. الرؤيا والأحلام فى خطة لربع قرن

مجلس الوزراء: أقامت وزارة مجلس الوزراء والمجلس القومى للتخطيط الإستراتيجى حواراً فى مؤتمر أو مؤتمراً للحوار حول خطة لمدة ربع قرن قادم .. وقد أسعدنى جداً أن أكون مع الحاضرين وهم فئة غير قليلة من علماء السودان الذين يعيشون فى خوف الرب، وقد جمع هذا اللقاء بين شخصيات من ألوان الطيف السياسى ومن كل فئة وقبيلة فى سوداننا العريض..

وكان لسعة صدر وزراء مجلس الوزراء ومعاونيهم باعاً كبيراً فى تشجيع الكل على أن يقولوا رأيهم، ووزراء مجلس الوزراء لهم أسماء واحدة.. الهادى.. والهادى.. ولهم قلوب واحدة.. وكلهم فى مستوى الحدث.. ولقد أسعدنى ليس

الحضور فقط، إنما طلب الرئاسة أن أشارك بمداخلة في الجلسة الأولى بعد الإفتتاحية ..

خطاب الرئيس: والرئيس هو رئيس المجلس القومي نفسه.. وكان خطابه رؤيا Vision للمستقبل.. وما أجمل الرؤيا وأهمها، ويقول الكتاب المقدس : إنه بدون رؤيا يجمح الشعب (أمثال ٢٩ :١٨).. وفى ميخا النبى إن عقاب الرب للشعب: لذلك تكون لكم ليلة بلا رؤيا (ميخا ٣ :٦)..

أما يوئيل النبى فقد كانت نبوته : إنه يكون فى الأيام الآخيرة إنى أسكب من روحى على كل بشر فيتنبأ بنوكم وبناتكم ويرى شبابكم رؤى ويحلم شيوخكم أحلاماً (يوئيل ٣ :٢٨).. والحمد لله فى مؤتمرنا كان الشيوخ شباباً فى أحلام المستقبل السعيد، وكان الشباب شيوخاً فى التطلع إلى المستقبل البعيد.. ونحن عندما نخطط المستقبل إنما نزرع نخيلا لن نقطف ثماره نحن إنما يظل خيراً وثمراً لأولادنا..

وكان الرئيس حالماً ورومانسياً ومتطلعاً إلى الزمن الآتى، متطلعاً إلى بداية جديدة تطل على بلادنا بأمل جديد طالباً أن يكون يوم المؤتمر هو نقطة إنطلاق وتوثب لمستقبل مجيد لشعبنا العريق نرسم فيه خطوط مسيرتنا للأمام فى حرص يستبصر العلم ، ويدفع بإرادة حازمة وعزيمة صادقة وثقة بالله رب العالمين..

نحو المستقبل:

١. ويذكر لنا تاريخ رجال الله : إن أول مخطط هو يوسف الصديق الذى كان سجيناً بسبب تمسكه بالقيم الروحية ، وخرج من السجن إلى العرش بعد رؤيا فرعون لكى يضع خطة مستقبلية لأربع عشرة سنة.. وكان سبباً فى إنقاذ مصر والشرق كله من مجاعة محققة.. وبدأ فى تخزين المحاصيل البيضاء لكى تكون زخراً للسنين السوداء.. وبدلا من أن تأكل البقرات الضعاف البقرات السمان تغير الأمر بسبب الخطة الإستراتيجية وصار المستقبل مستقبلا سعيداً..

٢. وعن المستقبل يتكلم سليمان الحكيم عن المرأة الحكيمة ويقول عنها: إنها إمرأة فاضلة من يجدها لأن ثمنها يفوق اللآلىء بها يثق قلب زوجها .. ويقول : إن تجارتها جيدة.. سراجها لا ينطفىء.. العز والبهاء لباسها وتضحك على الزمن الآتى (أمثال ٣١).. فهى إمرأة تخطط للمستقبل ولا تضيع وقتها فى الثرثرة على الزمن الآتى..والذى له رؤيا المستقبل لن يضحك عليه الزمن الآتى إنما العكس..

٣. تحدث السيد المسيح عن التخطيط للمستقبل عندما تساء ل : من منكم وهو يريد أن يبنى برجاً لا يجلس أولا ويحسب حساب النفقة هل عنده ما يلزم لكماله لئلا يضع الأساس ولا يقدر أن يكمل فيبتدىء جميع الناظرين يهزأون به قائلين : هذا

الإنسان إبتدأ يبنى ولم يقدر أن يكمل.. وأى ملك إن ذهب لمقاتلة ملك آخر فى حرب، ألا يجلس أولا ويتشاور هل يستطيع أن يلاقى بعشرة آلاف الذى يأتى إليه بعشرين ألفاً؟.. وإلا فما دام ذلك بعيداً يرسل سفارة ويسأل ما هو للصلح ؟ (لوقا ١٤)..

الأبعاد الروحية: وإهتم رئيس الجمهورية فى خطابه الإفتتاحى بالحديث عن الأبعاد الروحية للتخطيط للمستقبل وقال: إن مقصدنا فى التقدم مقصد شامل لا يقتصر على النهضة الإقتصادية المادية فحسب، بل نريد أن نجعل أمتنا متطورة بصورة شاملة فى كل الأبعاد الروحية والنفسية والثقافية والإقتصادية والإجتماعية والسياسية.. لهذا نحرص على رقى القيم الروحية والإجتماعية وإعلاء العزة والكرامة الوطنية..

وذكر سبع نقاط للإنطلاق، ثلاث منها تحدثت عن القيم الروحية وهى :-

١. خلق مجتمع سودانى متحرر نفسياً، متطور علمياً ، يثق بنفسه، ويؤمن بربه وبقيمه الأصيلة..

٢. بناء مجتمع يتمسك بالقيم الروحية الدينية ويلتزم بها سلوكاً حياتياً وأخلاقياً..

٣. بناء مجتمع يوفر الرعاية قيمة إنسانية عليا، ويوصل لثقافة الرعاية ، وكل فرد فيه راع ومرعى.. وواضح أهمية الرعاية فى الأدب المسيحى ، فالسيد المسيح هو الراعى الصالح الذى يبذل نفسه عن رعاياه..

نحو تحقيق الهدف: والأهداف بلا شك أهداف سامية.. وطريقنا منذ الآن ينبغى أن يكون نحو تحقيق أهدافنا.. ونحن والحمد لله لدينا رؤيا ولدينا إرادة لتحقيق هذه الرؤيا السعيدة.. وأحلامنا عندما نجاهد من أجلها سوف تتحول إلى واقع.. وأنا أؤمن إن الرئيس عندما يتكلم عن الدين لا يقصد ديناً بعينه فى مجتمع له عراقة كل الأديان.. ولهذا طالبت الرئيس بأن توافق حكومته على بناء مئات الكنائس فى وطننا الواسع لكى تشترك الكنيسة معنا فى بناء المواطن الصالح وإرساء البناء الروحى لمجتمع المستقبل حتى ندخل الألفية الثالثة بالإيمان القوى الوطيد..

٥٩. الثقافة والتراث والتاريخ

الخرطوم تقرأ: أذكر بفخر وإعتزاز المقولة التى تقول: القاهرة تكتب.. ولبنان تطبع.. والخرطوم تقرأ.. فلاى كل بلادنا العربية هناك من يقرأ بلاشك، ولكن أهل

السودان يتفوقون فى حب القراءة.. وفى كل صباح ترى شبابنا الأسمر الطيب فى المواصلات وهو يحمل فى يديه جريدة اليوم لكى يقرأ فيها..

بل إن الكتاب المقدس فى سفر أعمال الرسل يذكر لنا أول سودانى آمن بالسيد المسيح وصار أول سودانى مسيحى ، إنه كان جالساً فى مركبته يقرأ وهو وزير الخزانة للملكة السودانية كنداكة.. وكان المدخل من فيلبس المبشر الفلسطينى إلى قلب الوزير السودانى عن طريق القراءة فيما يقرأ ؟..

والثقافة ميدان متسع للجميع.. وهناك فرق بين المثقف والمتعلم.. فقد يحمل المتعلم شهادات علمية ، ولكن تكون ثقافته محدودة.. وأقباط السودان لهم دورهم الكبير فى تاريخ السودان ، وأذكر إننى فى زيارتى لأستراليا فى إحدى الكنائس تقدمت إلىّ إمرأة وقور وقدمت لى محاضرة مكتوبة للأديب بولس سلامة كان قد ألقاها فى كنيسة الشهيدين بناء على دعوة منى..

وسلامة هذا كان قارئاً فاهماً.. وكان دارساً بالذات للغة القبطية والتى هى تراث ثقافى مهم جداً لنا فى تاريخ حضارتنا السودانية، لأن أهل النوبة أجداد السودان كتبوا أدبهم وثقافتهم بالحروف القبطية.. ولهذا نتعرف معاً على هذا الجانب الثقافى فى تراثنا..

الجانب الثقافى فى تراثنا

بقلم: الأديب بولس سلامة

أيها الأعزاء :

إسمحوا لى بادىء ذى بدء أن أتقدم بالشكر الجم للأب المحترم أبونا فيلوثاوس فرج الذى أتاح لى فرصة المشاركة فى هذه النهضة الروحية المباركة.. ولقد لبيت الدعوة فى غير تردد أو توان، على علم منى بأن إسهامى فى الكلام عن التراث سيكون ضئيلا وجهدى غير قليلا، وعلى الرغم من ضيق الرمق وكثرة فى المشاغل، فقد لبيت الدعوة فى غير تردد أو توان لأنى لا أعرف موضوعاً أحب إلى النفس وأعلق بالقلب من الكلام عن تراثنا الثقافى الثرى بالمفاخر والأمجاد.. لا حباً فى الكلام، وإلا كان ذلك لهواً ولغواً لا طائل تحته.. ولكن رغبة فى إستنفار الهمم، وإيقاظ النفوس والتزود من الماضى بزاد للمستقبل الذى نرجو جميعاً ونعلم جميعاً لكى يكون إمتداداً لماضينا الذى نعتز به..

أيها الأعزاء :

لقد طلب منى أن أتكلم عن الجانب الثقافى فى تراثنا.. عن اللغة وعن الفــن.. وعن دور الكنيسة القبطية فى تطورها والحفاظ عليها.. ولقد تملكتنى الحيرة ، فلا أعرف من أين أبدأ.. فمجال الكلام فيهما متسع ، وليس فى الوقت ســعة ، لــذلك فسيكون الكلام فى هذه الندوة عن اللغة وحدها.. فلنبدأ من البداية..

أولا: أريد أن أزيل من الأذهان بعض ما أصابها من اللبس مــن ســوء إســتعمال المسميات.. فنحن نتكلم عن التراث القبطى.. واللغة القبطية .. والفــن القبطــى.. والأقباط أو القبط هل لنا أن نتساءل : من أين جاءت هذه التسمية ومتى ؟..

يقول لنا المؤرخون: بأن كلمة قبط جاءت مع الفتح العربى وأطلقت على سكان هذا الوادى الممتد من إسكندرية شمالا إلى الشلال الأول جنوب الــوادى ، والــذين كانوا يدينون بالديانة المسيحية وظلوا عليها بعد الفتح..

الكلمة مأخوذة من الكلمة اليونانية EGYPT التى أطلقها اليونان علــى هــذه البقعة.. أما اليونانيون والآشوريون وغيرهم من الساميين فقد أطلقوا عليها إســم مصر.. ولكن هل كان ذلك الإسم الصحيح الذى عرفه أجدادنا القدماء ؟.. كــلا.. إن هذه البقعة من الأرض كانت منذ أقدم عصورها وحتى القرن الثالث المسيحى أعنى أكثر من ٥٠٠٠٠ عام تعرف بإسم " كيمى" أو " كيمة".. وهذه الكلمة مشتقة مــن كام أو خام بمعنى السواد.. وذلك نسبة لتربة مصر السوداء ، تمييــزاً لهــا مــن الصحارى التى تمتد بحذاء النيل شرقاً وغرباً التى سماها القدماء " دشــر " أعنــى الحمراء نسبة لرمالها الصفراء.. إذن فــالبلاد التــى ســماها جيرانهــا مــصر أو EGYPT كان إسمها الصحيح " كيمى" وكانوا سكانها يسمون برجــال كيمــى أو أهل كيمى.. وكانوا يسمون لغتها وترجمتها لسان كيمى..

وظل هذا الإسم معروفاً ومتداول كلاماً ونقشاً وكتابة على الحجر وأوراق البردى حتى القرن الثالث المسيحى ، ولدينا دليل صادق على ذلك.. فقد جاء فى إنجيل متى باللغة القبطية الإصحاح الثانى العدد الرابع عشر الآية الآتية أتلوها علــيكم باللغــة القبطية وهى:-

وترجمتها الحرفية: فقام (إبنى يوسف) وأخذ الصبى وأمه ليلا وإنــصرف إلــى كيمى (أعنى مصر) ونخلص من هذا القول : بأن البلاد التى ســماها العبرانيــون مصر ، واليونانيون EGYPT .. والعرب قبط ، إنما هى كيمــى .. والإنتــساب إليها كيمى واهلها كيميون..

وقد تقول لى ما قاله شكسبير THERE is not much in a name.. يعنى الإسم شىء ذى بال.. وأقول لك : كلا.. إن إسم كيمى عرفت به مــصر فــى أيــام عزتها وإنتصارها وإزدهارها.. يوم كانت مناراً تشع الحكمة والدين للعالم.. فالكلمة

كيمي تبعث فى النفس شعور الفرد بالكرامة والتحدى.. بل ومن هذه البقعة الصغيرة جاء خوفو بانى الهرم.. وأمنحوتب واضع الحكم.. وتحتمس مدوخ الأمم.. وتتراءى أمام بصرك صور عظماء رجال كيمى أمثال : إخناتون الموحد ، وأنطونيوس المتعبد المتوحد ، وشنودة الوطنى المكافح المتشدد..

إن فى الأسماء ما يبعث فى النفس الزهو والإفتخار فيها ما يبعث الوعد والأمجاد.. فما أحرى بنا أن نذكر هذا ونعيه جيداً ليكون نقطة إنطلاق وتقدم نحو آفاق أوسع وآمال أعرض، ونماء أسمى..

ثانياً: نحن نسمع ونقرأ ونتكلم كثيراً عن اللغة الهيروغليفية ، واللغة الديموطيقية ، واللغة القبطية.. فما هذه التسميات ؟ هل هذه المسميات للغة واحدة أم ثلاث لغات؟.. أريد أن أزيل اللبس عن هذه المسألة أيضا فأقول إعتماداً على أبحاث الفقهاء من المتخصصين فى الدراسات القديمة ، بأن كيمى أو مصر (عرفت على مدى تاريخها الطويل الذى يمتد خمسة قرون قبل الميلاد أو تزيد).. عرفت لغة واحدة.. ومرت هذه اللغة بمراحل متعددة وكتبت بخطوط متعددة وتعرضت على مر الزمن إلى كثير من التغيير، فإختفت منها كلمات وأضيفت إليها كلمات، ولكنها كانت فى صميم مفرداتها وتراكيبها لغة واحدة ، وإليك البيان :

١. العصر القديم من حوالى ٣١٦٠-٢٢٤٠ ق.م.. ومنها نصوص الأهرامات.

٢. العصر الوسيط حوالى ٢٢٤٠-١٩٩٠ ق.م.. ومنها جميع الكتابات التى أكتشفت فى ذلك العصر ، حتى العصر اليونانى- الرومانى..

٣. العصر المتأخر فى ١٥٧٣-٧١٥ ق.م.. وتوجد فى هذا الطور خطابات ومستندات وقصص..

٤. العصر الديموطيقى فى ٧١٥-٤٧٠ ميلادية..

٥. العصر القبطى ويبدأ من القرن الثالث إلى الفتح العربى ، ثم يمتد إلى القرن السادس عشر..

وفى هذا العصر ترجمت الآناجيل والتوراة وكتبت الشروح والطقوس والعظات المسيحية.. أما الخطوط التى كتبت بها هذه اللغة فكانت :-

أولا: الخط الهيروغليفى ، وكان ينقش على التماثيل والمعابد، وظل مستعملا حتى القرن الأول للمسيح.. وكانت الكتابة به فناً زخرفياً رائعاً، لا نزال نراه منقوشاً على الآثار ومطبوعا بالألوان الزاهية الجميلة..

ثانياً: الخط الهيراطيقى ، وقد إستعمله الكهنة للكتابة على ورق البردى وإختزلوا فيه الكتابة الهيروغليفية إلتماساً للسرعة..

ثالثاً: الخط الديموطيقى، ويعنى كتابة الشعب.. وقد قرىء به حوالى ٩٠٠ ق.م.. وإستمر حتى القرن الأول للمسيح أو ما تزيد قليلا..
رابعاً: الخط القبطى ، وقد إستحدث قبل القرن الأول للمسيح بقليل.. وإستعملت فيه الأحرف اليونانية بعد أن أضيفت إليها أحرف من الخط الديموطيقى.. وبهذا الخط كتبت الآناجيل والتوراة والآداب المسيحية..

وسبب إتخاذ هذا الخط هو إنتشار اللغة اليونانية فى المنطقة بعد فتوحات الإسكندر وتولى البطالسة حكم مصر، وإزدهار الثقافة اليونانية الهيلينية فى الإسكندرية بعد تأسيس مكتبتها، وإقامت الميوسيم الذى كانت تدرس فيه الفلسفة اليونانية سيما الإفلاطونية المجددة.. هذا من جانب ، ومن الجانب الآخر لسهولة الكتابة اليونانية أو كان الخط الديموطيقى عسيراً عليهم.. وظلت الكتابة القبطية سائدة فى البلاد حتى الفتح العربى.. ثم بدأت موجة الإنحسار تدريجياً.. ففى عهد الخليفة مروان بن عبد الملك عربت الدواوين وإضطر الكتاب المسيحيون (أعنى القبط) إلى تعلم اللغة العربية إحتفاظاً بمراكزهم فى الدولة..

ثم جاء العهد الفاطمى فمنع التحدث باللغة القبطية منعاً باتاً.. ولكن ظلت اللغة فى البيت حتى القرن السادس عشر ، ثم أخيراً إختفت من البيت لإزدياد نفوذ اللغة العربية وتغلغلها فى حياة الناس، ولجأت اللغة أخيراً إلى ملاذها الأوحد والآخير وهو الكنيسة.. وظلت الكنيسة ترعاها وتحفظها ، وظلت الطقوس الدينية تمارس بها حتى القرن التاسع عشر..

٦٠. أبطال الإستقلال فى كنيسة الشهيدين

ذكرى الإستقلال: تأتى إلينا ذكرى الإستقلال المجيد وسط مظاهر تؤكد مستقبلا مجيداً ينتظر السودان بعد جمع الشمل الوطنى، حيث ينطلق الوطن بعدها ليحقق أهداف الإستقلال الرائعة من إرادة حرة وتطلع نحو مستقبل مجيد ، وتنمية تناسب قامة الوطن العملاق الذى حبانا به الله.. وعندما نهنىء أنفسنا وكل قطاعات شعبنا بعيد الإستقلال ، يملأ الأمل قلوبنا بمستقبل سعيد فنحن ورغم إقترابنا إلى ذكرى خمسون عاماً على الإستقلال لم نصنع شيئاً..

ورغم أن أجدادنا وصونا على الوطن الغالى ، فنحن لم نعمل بالوصية ، بل بالعكس ما عاناه أهل الوطن على يد الحكام الوطنيين لم يعانوه على يد الإستعمار

ولم يتجه أحد نحو التنمية ، إنما كان الإتجاه فقط نحو الكرسى الذى كان مطمعاً لحاملى السلاح ..

ورغم إن الإحتجاج على الإستعمار كان شديداً فلما خرج الإستعمار لم يحدث تقدم يذكر فى وطن مساحته مليون ميل مربع.. وذخائره ومكنوناته وثرواته تكفى لكى تسعد أضعاف عدد مواطنيه ، ولكن مواطنيه طلب منهم الحكام أن يربطوا الأحزمة حتى يحققوا مستقبلا سعيداً .. وربطوا الأحزمة ولكن ضاع منهم المستقبل السعيد.. وبدأت رحلات الإحتراب دائرات.. والتوتر مستمر.. ولكن شكراً لله الذى هيأ للوطن إستقراراً جديداً فى إتفاقية السلام التى صارت وشيكة جداً على التنفيذ..

أبطال الإستقلال: ولقد تحقق إستقلال السودان دون إراقة دماء.. ونجح أبطال السودان فى تحقيق الإستقلال ورفع علم السودان المستقل الذى يباهى ويتباهى ، ويفتخر ويتفاخر بحرية القرار.. وعندما نتحدث عن أبطال الإستقلال نذكر بالفخر والإعتزاز الرئيس الراحل إسماعيل الأزهرى ، رئيس مجلس السيادة.. ونذكر أيضا السيد محمد أحمد محجوب رئيس مجلس الوزراء..

وكان الأول خطيباً مفوهاً فهو بلا منازع فم الذهب لرحلة الإستقلال، وكان الثانى محامياً بارعاً ونجماً ساطعاً وشاعراً مرهفاً، كلاهما معاً بدآ طريق الديمقراطية على أسمى طراز.. وبهما وعن طريقهما عشق أهل السودان الديمقراطية ، وإختاروها منهجاً للحكم.. وعلى أيديهما تعرضت الديمقراطية لمحنة شديدة ومات الزعيم إسماعيل الأزهرى فى السجن ، محكوماً عليه من العساكر، ووصل إلى الرفيق الأعلى، وترك وراءه وطناً فقد الديمقراطية الغالية..

الأبطال والآخر: ونحن نسجل هنا كيف جمع الإستقلال كل أبناء الوطن.. وكيف أحب أبطال الإستقلال الآخر؟.. وكيف عاشوا الوحدة الوطنية ؟.. وكيف إحترموا الأديان إحتراماً يتناسب مع وطن متعدد الأديان والثقافات والأعراق ؟.. وعندما تكونت أول لجنة للدستور الحر للوطن الحر، كان فيها عدد مقدر من المسيحيين ، وكان فيها أيضا نيافة الأنبا دانيال والذى كان وقتها وكيلا لمطرانية الخرطوم.. ورقماً كبيراً عند الأقباط، وكان إسمه القمص دوماديوس الأنطونى..

وعندما تراجع وثائق الإستقلال ترى الأب القمص بجوار مفتى جمهورية السودان.. وكان أبونا القمص ملماً وحافظاً للقرآن الكريم.. حتى سأله أحد العلماء المسلمين من زملائه فى لجنة إعداد الدستور: يامولانا هل تحفظ القرآن: فقال له : بالحيل من البقرة للناس..

وعندما بدأ تكوين الأحزاب ظهر الأقباط أعضاء فى الأحزاب ولمع بينهم نجماً ساطعاً هو الدكتور وديع جيد الذى كان عضواً مرموقاً ، وزعيماً قوياً فى الحزب

الوطنى الإتحادى، الذى كان يتزعمه إسماعيل الأزهرى.. وقد لمع نجـم الـدكتور وديع جيد ليس فى السياسة فقط ، إنما فى الكنيسة ..

فلقد كان رئيساً للجمعية القبطية بالخرطوم، وقاد مـسيرة الأقبـاط ، وأشـرف وتبرع ونظم بناء كنيسة الشهيدين ، زهرة الكنائس والتـى تقـف شـامخة فـى العمارات تؤدى دورها وتمد جسور المحبة مع الجميع..

كنيسة الشهيدين: ولقد تمّ إفتتاح كنيسة الشهيدين فى يوم من الأيام السعيدة فى تاريخ السودان ، هو السادس من أبريل لعام ١٩٦٨م ، وكان أبطال الإستقلال كلهم فى كنيسة الشهيدين يوم الإفتتاح، وهذا ما ذكرته وثيقة الإفتتاح، وفى نفس اليـوم تبرع الزعيم الأزهرى بإمتداد جديد لكنيسة الإمتداد.. وفى الوثيقة نحتفظ بتوقيعات زعماء الإستقلال : الأزهرى ومحجوب..

ولم تحدث فى تاريخ السودان مظاهرة وطنية مثل هذه المظاهرة حيث إمـتلأت الكنيسة بالوزراء ورجال الجيش والقضاء والبعثات الدبلوماسية ورؤساء الطوائف المسيحية .. ولمعت فى وثيقة الإفتتاح أسماء قبطية توجها وديع جيد وفكرى عازر ومكرم مجلع وفوزى ميخائيل ورفعت بطرس وحلمـى بـشارة وباسـيلى بـشارة وبنيامين نخلة..

ومن السيدات : إلين إسرائيل وأنيسة إسـحق ومارجريـت فـانوس وحبيـب شنودة.. وتمتعت كنيسة الشهيدين بأبطال الإستقلال ، ووقف الزعيم الأزهرى على منبر الكنيسة يتكلم ويوصل كيف يبنى السودان قواعد المجد.. وكيف يتعايش الناس ويتوادون.. تهنئة من القلب بالذكرى المجيدة ، ودعاء إلى الرب أن يكلل جهـود السلام بالسلام.. ونحيا معاً بركات الإستقلال.. وتتحقق الآمال.. ويتعـاظم النـساء والرجال..

٦١. أقباط السودان والتكريم

عيد الثورة: أسعدنى جداً فى ليلة العيد الخامس عشر لثورة الإنقـاذ مـا قدمـه الرئيس من تكريم للسيد بسخيرون إبراهيم .. وهذا التكريم هو " دعوة محبة" مـن الرئيس الذى يعتز بالأقباط ، بإعتبارهم قبيلة سودانية لها دورها المتميز ورسالتها الممتازة فى بناء الوطن.. الأقباط كما يقول الرئيس: دوماً جـزءاً لا يتجـزأ مـن المجتمع السودانى.. سباقون للمشاركة فى كل المناسبات الوطنية، وقلـوبهم مـع أخوانهم من المسلمين فى السرّاء والضراء..

وأحياناً يتساءلون : متى أتى الأقباط إلى السودان ؟.. والإجابة: إن الأقباط فى السودان قبل أن يسمى السودان سوداناً، لأننا نعرف إن إسم السودان أطلق من العرب فى القرن السابع على بلادنا.. والسودان سابقاً هو النوبة ، هو الحبشة، هو أثيوبيا، هو مملكة كوش، هو بلاد السُمر الذين تركت الشمس بصماتها على أجسادهم ، وجعلت منهم حبة سوداء فيها الشفاء من كل داء..

وعندما سافرت إلى أستراليا شعرت بكيان أقباط السودان هناك، وشعرت أيضا بإعتزازهم بسودانهم.. فلقد عاشوا فى السودان وشاركوا فى كل شئ.. ولهذا أقدم لكم ما جاء فى " صوت السودان" على صفحات جريدة أخبار مصر فى أستراليا.. فإلى الحديث..

صوت السودان

رسالة من قارئ: (تادرس)
من تاريخ أقباط السودان (١)

السيد الفاضل صبحى إسكندر، إضافة لِما ورد فى ركن السودان (جريدة أخبار مصر) بخصوص أقباط السودان، أرجو أن تتاح لى الفرصة لنشر مقتطفات من مراجع التاريخ تشمل بداية الوجود القبطى فى السودان وبالتحديد عصراً، ولاية محمد على بعد فتح السودان (١٨٢٠).. وبفتح السودان بدأت الحضارة الحديثة تطرق بابه وتتوغل فى أقاليمه.. وكان الفتح بداية نظام إدارى وحكم ..(تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر- الدكتور أحمد طربين).. وحسب ما ذكره المؤرخون قد لعب الأقباط دوراً أساسياً فى الشئون الإدارية والفنية إستمر حتى أثناء دولة المهدى.. سأبدأ بما ذكره المؤرخ"هولت"..

The Mahdist State in the Sudan. ١٨٨١- ١٨٩٨ by P.M.Holt... إن قوة الإدارة المصرية فى السودان إستندت على عاملين: النظام المالى والجيش.. ومنذ المراحل الأولى كانت الإدارة المالية فى حوجة إلى كتبة ومحاميين مهرة ، وكان الحل هو جلب الأقباط من مصر..

وقد وزع أربعون كاتباً ومعهم عائلاتهم على مديريات السودان فى ظل حكم محمد على.. وعلى عكس نهج الحكام إستقرت هذه الفئة (الكتبة والمحاميين الأقباط) فى السودان ، وإعتبر أبناؤهم البلد الجديد وطناً لهم..

وقد ورد فى نفس الكتاب إن دراسة تحليلية أظهرت إن ما يقرب من نصف موظفى الإدارة المركزية والمصالح الفنية أثناء فترة حكم المهدية ، كانوا من الأقباط .. وقد شمل ذلك بيوت المال المركزية.. وكان بين آوائل الوافدين من مصر للسودان : تادرس بك نخلة جرجس (١٨٥٢-١٨٨٥) وما يلى ما كتبه المؤرخ "هيل " عن تادرس بك نخلة فى كتابه :

A Biographical Dicionary of the Sudan... تادرس بك نخلة جرجس: قبطى مصرى تاجر وموظف دولة، ولد بودمدنى حيث أن الحكومة أرغمت والده على الهجرة إلى السودان بسبب تردد الموظفين المصريين حينذاك ، فى أن يخدموا فى السودان ، وحين صار والده رئيس قسم حامية ودمدنى إلتحق الشاب تادرس بخدمة الحكومة ، وأصبح موظفاً مالياً مسئولا..

وقد كان موجوداً فى الخرطوم عند وصول غردون باشا فى فبراير ١٨٨٤م عند توليه منصب الحاكم العام للمرة الثانية.. وقد عين غردون تادرس أميناً للخزانة أثناء حصار المدينة.. وقد تادرس مع غردون وآخرين عند نهب مدينة الخرطوم فى يناير ١٨٨٥م..

ملحوظة: ذكر المؤرخ "هولت" أيضا: إن الإدارين والفنيين من الأقباط فى عهد المهدية أسندت لهم نفس المهام التى كانوا يباشرونها فى العهد السابق للمهدية.. ختاماً لابد من التوضيح بأن الإخلاص للسودان ومراعاة المشاعر يجعلوا من الصعب على الأقباط الذين عاش أجدادهم عصر المهدية أن يعبروا بكلما فى داخلهم من ذكريات مؤلمة عما عاناه أجدادهم فى بلد إعتبروه وطناً لهم ولنا نحن أحفادهم حين وطأته أقدامهم..

وقد شاء القدر أن يقتل الكثيرون ويذل الذين بقوا طيلة سنين عديدة ، خاصة عندما دخل الأنصار مدينة الخرطوم وقتلوا وإغتصبوا وتقاسموا صغار النساء كسبايا وحريم قبل أن يدخل المهدى المدينة ، وكذلك طيلة حكم الخليفة التعايشى الذى كان حكمه قائماً على الإرهاب والإكراه..

وكذلك شاء القدر أن يتهموا الأحفاد عبر الأجيال رغم ما قدموه وما قدم أسلافهم للسودان بأنهم دخلاء لا يحق لهم حتى ما إكتسبوه بعلمهم ومقدرتهم وإخلاصهم وكدهم.. وبسبب الأوضاع تركنا السودان إلى إنجلترا وكندا وأستراليا وأمريكا.. وكل هذه أوطان جديدة لنا ولأبنائنا .. كلها بلاد مساواة وعدل بين المواطنين حتى وإن إختلفت أعراقهم.. ورغم كل ذلك لازال السودان عزيز علينا..

حفيد أمين خزانة غردون

المحرر: إن رسالتك القيمة هذه قد أنعشت آمالا فى صدورنا لمعرفة تاريخ أسلافنا الأقباط فى السودان ، لأن التاريخ الحديث طواهم بستار كثيف من الإهمال المتعمد، وحبذا لو إستطاع الآخرون المساهمة فى هذا العمل الجليل ، لأنه دين علينا لأبنائنا وأحفادنا أن يعرفوا..

من تاريخ أقباط السودان (٢)

إضافة لما ورد فى (صوت السودان) فى العدد الماضى ، عن أبناء آوائل الأقباط الوافدين من مصر إلى السودان ، أرجو نشر ما يلى ، وهو ما ورد فى كتاب المؤرخ "هيل" A Biographical Dictionary of the Sudan (Hill).. عن إبراهيم بك خليل، وكذلك ما يتلو من ملحوظات بها بعض التعليق على ما كتبه الريفى عن الحبوبات والتاريخ (تاريخ السودان)..

إبراهيم بك خليل (١٨٤٤م-١٩١٧م) : تاجر مصرى حضر مع والده من أبنوب الحمام القريبة من أسيوط (صعيد مصر).. وأقام فى الخرطوم حيث ولد إبراهيم.. وقد ثبت إبراهيم نفسه فى التجارة بين مصر والسودان.. وفى الفترة الأولى لتولى غردون باشا منصب الحاكم العام (١٨٧٧م-١٨٨٠م).. أقرض إبراهيم غردون أموالا بدون فائدة لدفع مستحقات الجنود الذين أعفوا من الخدمة حينما كانت الخزينة خاوية.. وأثناء حصار الخرطوم (١٨٨٤م-١٨٨٥م)..

كان غردون يمضى بعض أوقات فراغه فى حدائق إبراهيم التى كانت فى نفس الموقع الذى به حدائق الحيوانات الآن.. وبعد سقوط الخرطوم سلبه المهديون أملاكه ، وسكن إبراهيم بلا ضوضاء فى أم درمان مع أبنائه الثلاثة الذين كانوا قد جرحوا أثناء حصار الخرطوم.. وسقط حكم المهدية ، وتحت الحكم الثنائى اللاحق ساهم إبراهيم فى إعادة تشييد الخرطوم.. وكان عضو مجلس الإدارة الذى أعاد توزيع الأملاك فى الخرطوم التى كان قد دمرها الدراويش.. وفى وقت لاحق صار إبراهيم عضواً بمجلس بلدى الخرطوم..

ملحوظات:

١. الأموال التى أقرضها إبراهيم بك لغردون لم تردها الحكومة المصرية ، ولا الحكومة الإنجليزية، لا له ولا لأسرته..

٢. أبناء إبراهيم بك خليل الثلاثة هم : غبريال وأيوب وأنطون وإبنة وحيدة هي ماريا.. أنطون هو والد نيافة الأنبا دانيال ، وزوجة إبراهيم بك هي عمة تادرس بك نخلة جرجس الذى كان أميناً لخزانة غردون (١٨٨٤-١٨٨٥م)..
٣. شيّد إبراهيم بك خليل أول كنيسة للأقباط الأرثوذكس بالخرطوم (كنيسة السيدة العذراء سنة ١٩١٠م).. في موقع يعتبر من أحسن المواقع في الخرطوم.. إبراهيم بك خليل لم يقصر هبته على المال والأرض، بل إشترك مع العمال في البناء مثله مثل النفار)..
٤. التاريخ المذكور (كما سجله المؤرخ هيل).. هو ما تحدثن عنه الحبوبات اللواتى عشن تلك الأيام وكن من العائلات ذات الشأن، والتي عاصرن الأحداث قبل وأثناء وبعد المهدية.. وكان البعض منهن من المثقفات (أي لم يكن مجرد حبوبات بالمعنى التقليدي للكلمة).. وكما قال المؤرخ هيل: إن كتابه المذكور أغفل الكثير لأن ما كانت تعرفه الحبوبات لم يدون ولم يكن من المستطاع التوصل لهن.. وهيل مؤرخ له عدة كتب عن السودان وليس كاتباً إرتجالياً.. ومراجعه متعددة وغنية..
٥. هذا التاريخ ذكرته أيضا الحبوبة كوكب (حفيدة البمباشي نخلة جرجس) والتي توفت عما يزيد عن مئة عام ، وقد قابلتها قبل وفاتها بزمن قصير ، وكانت بصحة جيدة وذاكرة قوية ومقدرة على التركيز، أحسن منا نحن الذين في الستينيات.. هذه الحبوبة كانت تعرف عن أحداث المهدية ما لم يرد في التاريخ ، خصوصاً عن الأقباط.. وقد كان يلجأ إليها الأب الكاثوليكي الإيطالي جيوفاني فانتيني لتحصيل ما كان ينشره في جريدته (السلام) والتي كان يصدرها في الخرطوم.. وقد كتب الأب جيوفاني عن السودان والمسيحية في النوبة..
٦. ما قام به الأقباط وقدراتهم ودورهم في تاريخ السودان (قبل وأثناء وبعد المهدية وحتى تاريخ ليس ببعيد).. ومعاناتهم لا يذكره التاريخ ولا تشمل السجلات عنه غير القليل الذى يريد البعض أن يطمسوه.. فقد عثرت على الكثير من الأسماء الأخرى المصرية ، رغم إن التاريخ يذكر بوضوح إنه كان للأقباط شأن كبير في الإدارة في السودان..
٧. لقد كانت هناك أسماء عدة أشخاص من السوريين واليونانيين والأرمن وغيرهم ذكرهم المؤرخون ضمن تاريخ المهدية ، ولكن لا مجال لذكرها حيث أن ما يكتب هو عن أقباط السودان وليس عن تاريخ المهدية..

حفيد تادرس نخلة جرجس

٦٢. المهرجان الأول للتميز والجودة

نحو الأفضل: لا يختلف إثنان على إن بيننا من أهل التميز جمع غفير.. ومن أهل الجودة عدد كبير.. وهؤلاء كلهم يحتاجون جداً إلى الكلمة الحلوة لكى يستمر العطاء.. ولكى يتزايد رصيد المحبة للوطن العظيم..

وأهل التميز هم أهل الباب الضيق الذى تكلم عنه السيد المسيح وقال : إدخلوا من الباب الضيق لأنه واسع الباب .. ورحب الطريق الذى يؤدى إلى الهلاك.. وكثيرون هم الذين يدخلون منه.. ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذى يؤدى إلى الحياة وقليلون هم الذين يجدونه (متى ٧:١٣،١٤).. وهذا يعنى إن هناك طريقاً واحداً لكى تكون متميزاً وهو أن يكون لك طاقة صبر وقوة جهاد لكى تدخل من الباب الضيق وتعيش الضيق والتعب لأجل الآخر..

والباب الضيق لا يدخله إلا الإنسان الوديع المتواضع القلب.. وليس سهلا أن يكون متميزاً، وليس سهلا أن تكون متواضعاً لكى تصل إلى قمة الإمتياز.. ويقول جيتة: دع ذلك الذى يتحسس طريقه فى الظلام ، والضوء المرتجف يستمسك بهذه الوصية ويحرص عليها أشد الحرص، وهى أن يعمل الواجب القريب منه، فإذا قام بذلك أصبح الواجب الذى يتلوه واضحاً وظاهراً.. إن العمل الصحيح الذى يحمل سر السعادة هو عمل الواجب القريب من الإنسان..

المتميزون إختاروا العمل البسيط، والباب الضيق بعيداً عن الأضواء وعن الزحام والضجيج ، وهو باب لا يحب البعض أن يدخل منه، إنهم يفضلون الأبواب الواسعة التى تؤدى بهم إلى اهدافهم.. إن الباب الضيق هو فى نظر البعض العمل الصغير المتواضع الذى يؤدى إلى عمل أوسع منه.. وقد يكون الباب الضيق خالياً من كل بريق، إلا فى شىء واحد وهو: إنه يؤدى إلى الإحساس بمعنى الحياة والإمساك بالخيط الرفيع الذى يجعل القلب مليئاً بالأمل ويجعل العين تبصر فى الحياة أشياء قد لا تراها العيون العادية، عيون الذين يدخلون من الأبواب الواسعة، فيرون الأشياء نفسها، ولكن بصورة قاتمة كئيبة..

إن الباب الضيق هو طريق السعادة الداخلية العميقة.. والذى يحيا هذا يعمل فى كل يوم ويستمر فى العمل مثل تلميذ صغير بنفس المثابرة والتواضع.. ولقد أعطى المتميزون حتى آخر أنفاسهم ، فهوذا "جيتة" نفسه وهو على سرير المرض يطلب ورقاً وقلماً لكى يكتب.. ولقد إستمر هكذا حتى عمر الثمانين.. وفى رسالة السيد المسيح إنه جاء لكى نحيا الأفضل: جئت لتكون لكم حياة وليكون لكم أفضل (يوحنا ١٠:١٠).. ونحن نسعى جميعاً نحو الأفضل بدءاً بأبسط الأعمال..

المهرجان الأول: ولقد قدم السيد الحاج أبو ورقة تصوراً ممتازاً للمهرجان الأول للتميز والجودة.. والذى يبدأ فى الأيام الثلاثة ، الثالث والرابع والخامس من شهر ديسمبر.. تحت شعار التميز أو الإيزو جواز مرور للأسواق العلمية.. كن متميزاً تبتسم لك الحياة.. ويهدف هذا المهرجان إلى فك طلاسم مفهوم التميز والجودة فى الإدارة والإنتاج والأفراد.. والتى أصبحت هاجساً وضرورة ملحة من أجل اللحاق بركب الأمم المتقدمة عن طريق معايير ومواصفات عالمية معروفة بالنسبة للجودة ISO...

أما التميز فهو سلوك حضارى إستثنائى يكتسب فطرياً وينمى علمياً.. ولهذا قام " ورقة" المدير التنفيذى لشركة ملتقى النيلين للإعلان والتسويق والخدمات ، بالكتابة إلى أهل الصفوة المتميزة لدعم هذا المهرجان الذى يهدف إلى غرس مفهوم التميز والجودة فى وعى المجتمع ليصبح التميز واقعاً نعيشه.. ولكى يتنامى عدد المتميزين.. ويركب الكثيرون من أهل السودان لا أقول قطار التميز، إنما طائرة التميز ويحلقون فى سماء الروح ويتنامون فى العطاء بسخاء.. ويرسمون أمام الأجيال القادمة طريق التميز ، ويدفعون بهم إلى التسابق كل فى مجاله..وكلنا جميعاً فى حب الوطن الذى أعطانا الحياة والأمان.. والماء والهواء.. والقيم النبيلة.. والمثل العليا الفضيلة..

وقد وافقت وزارة مجلس الوزراء على المساندة والإشراف وتبنى هذا المهرجان.. وقد إنضم لموكب المهرجان أهل الإختصاص فى التميز بدءاً بالدكتور عبد القادر محمد عبد القادر الذى رجع إلى وطنه خصيصاً ليحقق رسالة التميز، ولأجل هذا التميز إحتمل الكثير من المعاناة وصنوف الإبتلاء.. وحاول غير المتميزين تشويه صورة هذا الرجل المتميز ، ولكن صبره .. وصفاءه.. وشعوره بالمسئولية كان كل هذا معاً صخرة قوية تحطمت عليها أحقاد الحاقدين ، وهذا أمر عادى بالنسبة لأصحاب الرسائل المتميزة.. فلقد لاقى رجال التميز صنوفاً من الألم والعنت والإضطهاد والإتهامات الباطلة.. وشهود الزور..

ولنا فى السيد المسيح خير مثال.. فلقد أعطى الكثير فداءً وخلاصاً.. وموتاً على خشبة وسط حقد الحاقدين وحسد الحاسدين.. ولكن الحمد لله إنتصر الحق الأعزل الذى كان يحياه على الباطل المسلح الذى كان يحياه الحاقدون.. وقام السيد المسيح حياً من بين الأموات وبحياته صار الأمل معقوداً أن الحق لا ينـدحر.. وأن الباطل هو الزهوق.. وبقيامته جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً..

ولم تكن الهيئة السودانية للمواصفات والمقاييس هى فقط التى ساندت ركب مهرجان التميز والجودة ، إنما أيضا مركز دراسات الجودة والإمتياز ، وهو عضو

مجموعة أصدقاء الجودة جامعة الدول العربية.. وعضو مؤسسة الجودة الأوربية .. E.F.Q.M والذى قدم تصوراً لهذا المهرجان وكتب الأستاذ حامد سالم مدير المركز خطاب تأييد ومعه قرار بالإنضمام لركب المهرجان والمشاركة فيه، ومحاولة توصيل معاني التميز والجودة إلى المجتمع السودانى حتى يعبر المهرجان عن التميز بالكلمة والمعنى، ويصبح يوم التميز يوماً متميزاً.. وذلك لأن الحدث ضخم ومهم..

وقد قدم مركز دراسات الجودة عدة ملاحظات وهى :

١. إعطاء شهادة مفتاح التميز لأشخاص قدموا خدمات للسودان فى مجال الجودة والإمتياز..

٢. تقديم مجموعة من المحاضرات الخاصة بالإمتياز..

٣. عمل مسابقة بعنوان" قف" تميز مجموعة أسئلة عن الجودة والإمتياز..

٤. مشاركات من مجموعة رواد الجودة بالسودان..

وهنا يعمل الكل معاً لترسيخ الرؤيا الحقيقة للتميز والجودة.. مفاهيم تبقى.. منهجية تطبق.. رؤى تتحقق.. تمكن السودان من مواجهة التحديات القادمة.. إن المهرجان يُعد " دعوة محبة" وسوف يكون دعوة مقبولة مع الشكر..

٦٣. الصفحة البيضاء

أستاذى الفيلسوف: عندما كنت طالباً فى الثانوية العامة التى تؤهل للجامعة ، كنت أدرس الفلسفة وعلم النفس على يد أستاذ محترم ، كنا نسميه الفيلسوف، وقد كان فعلا فيلسوفاً، وذات مرة أصر على أن يقنعنا إن الإنسان حيوان ناطق.. ويومها لم نقتنع.. وكان كل واحد فينا يخاطب زميله بأنه حيوان.. ولم نفهم معنى كلمة حيوان بأنها كائن حى..

وكنت وقتئذ لم أعرف شيئاً عن حضارة مروى المسيحية والتى كانت تهتم بالحيوانات الأربعة أو الكائنات الروحية الأربعة ، والتى رسالتها أن تصلى من أجل الخليقة أحدها له وجه نسر يصلى من أجل الطيور.. وثانيها له وجه ثور يصلى من أجل الحيوانات الأليفة .. وثالثها له وجه أسد يصلى من أجل الحيوانات المتوحشة.. ورابعها له وجه إنسان وهو يصلى من أجل الإنسان..

وقد إعترض صديقى أستاذ كرسى حضارة السودان الدكتور جعفر ميرغنى وقال: إنه يفضل أن نقول الكائنات الأربعة ، وليس الحيوانات الأربعة.. ومعه راجعت نصوص الكتاب المقدس عن الحيوانات الأربعة ، والتى ذكرها حزقيال النبى (حزقيال ١٠:٢٠،٢١).. وكيف إن الحيوانات الأربعة كانت رسوماً تزين هيكل سليمان (ملوك الأول ٦:٢٣،٣٠)....

وكانت رسومها وحدة فنية متكررة تغطى الحجاب على قدس الأقداس (خروج ٣٦:٣١).. وكيف كان إيمان الأولين بأن الله جالس بين الكروبيم (مزمور ٨٠:١).. وبأن الله ركب على كروب وطار على أجنحة الرياح (مزمور ١٨:١).. وبأن الكروبيم كان يحمى طريق جنة عدن (تكوين ٣:٢٤).. وإنه يحرس عرش الله..

وذكرنا معاً كيف إن سفر الرؤيا تحدث عن هذه الحيوانات الأربعة ، عن إنه فى وسط العرش وحول العرش أربعة حيوانات مملوءة عيوناً من الامام ومن الخلف، والحيوان الأول شبه أسد.. والحيوان الثانى شبه عجل.. والحيوان الثالث له وجه مثل إنسان.. والحيوان الرابع شبه نسر طائر.. والأربعة الحيوانات لكل واحد منها ستة أجنحة حولها، ومن الداخل مملوءة عيوناً ولا تزال نهاراً وليلا قائلة: قدوس قدوس قدوس الرب الإله القادر على كل شىء الكائن الذى كان والكائن والذى يأتى (رؤيا ٤).. وأرجع إلى أستاذى الفيلسوف الذى لم أفهمه إلا بعد أن كبرت، والفلسفة تحتاج إلى عقل الكبار لكى نقدر أن نرتاد فى ردهاتها ونسمع الآراء فى أروقتها..

الصفحة البيضاء: وتذكرت أستاذى الفيلسوف فى موضوع آخر طرحه علينا وهو نظرية" جون لوك" فى التربية .. وهى نظرية تقول : إن الطفل يولد وعقله صفحة بيضاء.. ونحن الذين نملأ هذه الصفحة بالكلام والنقوش والفن ، وعدم الفن والسلاسة والتعقيد.. وترى هذه النظرية أن يملأونه بالإنفعالات والتوترات والقيم والفضائل والرذائل وغيرها..

ومع زملائى كنا فى قناعة برأى الأستاذ وبأن المجتمع هو الذى يملأ الصفحة البيضاء ويلوثها وأيضا يلونها.. ولكن مع الوقت شعرت إن هذا الرأى غير مقنع حيث إكتشف الباحثون فى عشرات من المعامل والمستشفيات إن الأجنة فى بطون أمهاتهم هم كائنات دقيقة فى غاية التعقيد ، وإن الجنين فى بطن أمه تنمو لديه الحواس المختلفة بطريقة حادة ومرهفة ، وإن الطفل جنين فى بطن أمه يتضايق من الحزام الذى تلبسه أمه على بطنها للحفاظ على أناقتها.. وإن هذا الجنين

يرتجف فى البطن من الأضواء الساطعة والأصوات المزعجة ، وإنه يكون هادئاً فى الأماكن الهادئة والأضواء الخافتة..

ولم أشعر بأن هذه النظرية الحديثة غريبة على الكتاب المقدس وأوضح صورة لها هى فى زيارة مريم العذراء إلى أليصابات.. وكانت أليصابات تحمل المعمدان جنيناً فى بطنها عندما دخلت مريم إلى منزل أليصابات إرتكض الجنين بإبتهاج فى بطن أليصابات وقالت هى هذا : لقد شعرت بهذا الإرتكاض، ولكن كيف وصفته بأنه إبتهاج وهى كانت ممتلئة من الروح القدس ؟.. والكلام هنا للروح القدس (لوقا ١:٤١،٤٤)..

وشرح داؤد النبى هذا الأمر قديماً فى قوله للرب : لأنك أنت إقتنيت كليتى.. نسجتنى فى بطن أمى (مزمور ١٣٩:١٣).. وهذا معناه إن الرب ينسج الجنين نسيجاً ، ونحن متأكدون إن الله فنان ومبدع نحو الإنسان.. والجنين كائن له حس مرهف بكل ما حوله فى العالم..

دعوة محبة قبل الولادة: وفى سوق الكتب الآن مجموعة من المؤلفات التى تناقش علم نفس ما قبل الولادة.. وبعض مؤلفى هذه الكتب ساعدوا بعض الأشخاص على الرجوع بالعمر إلى الوراء.. إلى فترة الوجود فى بطن الأم.. وتقول هذه الأبحاث : إن الطفل فى بطن أمه حساس من ناحية شعور الأم به.. فالمرأة التى ترفض الذكر أو ترفض الأنثى.. والطفل الذى يوجد فى بطن أم بطريقة غير شرعية يتملك هؤلاء شعور بالرفض منذ بداية الحياة..

وأكدت الأبحاث : إن الجنين لديه حساسية من ناحية رفض الأب له أو قبوله.. ولهذا تأتى دعوة المحبة بأن الأجنة فى بطون أمهاتها تطالب بالإحترام ، وتشعر بالحاجة إلى التقدير.. وما يحدث من قلق وإنفعال للأم ينتقل إلى الطفل قلقاً ومخاوف تزداد مع الزمن، وبعض الأطفال يولدون ويولد معهم القلق.. والتوتر يؤدى إلى مشاكل خطيرة فى عملية الهضم..

وبعض الأجنة التى تريد الأم أن تتخلص منهم عن طريق الإجهاض ، هؤلاء عندما يستمرون ويولدون تكون لديهم حواجز فى العلاقات مع الأم، وخوف غير طبيعى منها، لأن الجنين أثناء فترة الحمل قادر على إلتقاط ردود الأفعال وغاضب إذا كان غير مرغوب فيه، لأن رفضه يقوده إلى الشعور بحقارة الشأن.. والدونية وصغر النفس، وعدم تقدير الذات.. وهذا الحس المرهف لدى الجنين كما يجلب الأم، هكذا أيضا يجلب السعادة والرضى ودفء الحنان.. وأعتقد إن الأمر خطير للغاية.. ودعوة المحبة للأم الحامل وللأب أن يمتلىء الأسرة بسلام الله حتى لا يأتى

الطفل ويتكلم فى المهد صبياً ويقول : هذه جناه أبى وأمى علىّ.. ما جنيت على أحد..

٦٤. سليمان الحكيم

أول الحكمة: بدأ سليمان الحكيم حياته بالتقرب إلى الله.. وكان أكثر ملك قدم ذبائح ومحرقات.. ذات مرة قدم ألف محرقة.. وتراءى له الرب فى جبعون وقال له: أطلب ما شئت.. فطلب الحكمة فقط.. فأعطاه الله الحكمة.. وزاد عليها الغِنى والشهرة.. وبعد أن قام من نومه وحلمه أتت إليه إمرأتان خاطئتان ووقفتا بين يديه وكانتا أول من وقف بين يدى الملك.. وقالت المرأة الواحدة : إستمع ياسيدى إنى أنا وهذه المرأة ساكنتان فى بيت واحد، وقد ولدت معها فى البيت.. وفى اليوم الثالث لولادتى ولدت هذه المرأة أيضا، وكنا معاً ولم يكن معنا غريب فى البيت غيرنا.. نحن كلتينا فى البيت، فمات إبن هذه فى الليل ، لأنها إضطجعت عليه.. فقامت فى وسط الليل وأخذت إبنى من جانبى ، وآمتك نائمة وأضجعته فى حضنها وأضجعت إبنها الميت فى حضنى فلما قمت صباحاً لأرضع إبنى إذا هو ميت.. ولما تاملت فيه فى الصباح إذا هو ليس إبنى الذى ولدته.. وكانت المرأة الأخرى تقول : كلا ..بل إبنى الحى، وإبنك الميت وهذه تقول : لا.. بل إبنك الميت ، وإبنى الحى.. وفكر الملك الحكيم فى الأمر ملياً ثم قال : هذه تقول : هذا إبنى الحى وإبنك الميت.. وتلك تقول: لا بل إبنك الميت ، وإبنى الحى.. وأمر الملك : إئتونى بسيف.. فأتوا بسيف إلى بين يدى الملك.. فقال الملك : أشطروا الولد الحى شطرين ، وأعطوا نصفاً للواحدة ونصفاً للاخرى.. وهنا صرخت الأم الحقيقية،لأن أحشاءها إضطربت على إبنها وقالت : إستمع ياسيدى.. أعطوها الولد الحى ولا تميتوه.. وأما المرأة الأخرى فطالبت بتنفيذ حكم الملك.. وحكم الملك أن يرد الطفل إلى أمه فقد عرفها.. وشاعت هذه القصة وسط الشعب ومعها تفاعل الناس بعصر الحكمة لملك حكيم.. ورآوا حكمة الله فيه لإجراء الحكم..(ملوك الأول ٣)..

إختبار الحكمة: وعلى مستوى كل إنسان ، فإن السماء أمامه مفتوحة لكى يطلب ما يشاء.. وإن طلب الحكمة فسوف يحكم حياته وأسرته.. وإن شعر بحاجته إلى الله فسوف يكون الله له خير معين.. وقصة سليمان ورؤيا الله له هى قصة جميلة قرأها " لورد ملبورن" عندما أعلن أن الأميرة الشابة فيكتوريا سوف تصير ملكة بريطانيا.. بل أن الأدب اليونانى يذكر أن هرقل بطلهم العظيم جلس ذات يوم فى

شبابه محزوناً متضايقاً.. وإذا بفتاتين جميلتين تمران به.. واحدة إسمها " اللذة" والأخرى إسمها " الفضيلة " وعدته الأولى أن تقدم له حياة رضية ممتلئة بالبهجة والمسرات.. وعدته الأخرى أن تقدم له حياة ممتلئة بالنفع والشهرة.. ولكن هرقل إختار الفضيلة ورفض نداء اللذة ، لأن اللذة تعطى متعة وقتية تنتهى سريعاً.. أما الفضيلة فهى سعادة تدوم دوماً.. لقد طلب سليمان من الله القلب الحكيم الذى يستطيع الكشف عن الحقيقة.. والحقيقة دوماً يختبىء وراء ستار من الأضاليل.. والله يعطينا أكثر مما نطلب أو نفتكر..

أمجاد سليمان: تمتع سليمان بعد هذا بالأمجاد العديدة.. فلقد صار أعظم ملوك المشرق.. وعاش فى هالة من الأمجاد لم تتح لمن قبله ولا لمن بعده.. وذاعت شهرته إلى أقصى الأرض.. وكان سليمان غنياً جداً.. جعل الفضة فى أورشليم مثل الحجارة.. وجعل الأرض مثل الجميز الذى فى السهل للكثرة.. وإتسعت إمبراطورية سليمان ، وإمتدت من حدود مصر إلى العراق ، وكان الملوك المجاورون يخطبون ود سليمان ويقدمون له الهدايا وقد خلا حكم سليمان من الحروب الخارجية ومن المنازعات الداخلية.. وسكن شعبه فى أمان كل واحد تحت كرمته وتحت تينته.. وإمتلأت البلاد بالرفاهية والنماء والرخاء.. وكان هذا واضحاً فى مائدة الملك.. وخيول الملك التى لم يكن يخفى إعتزازه بها..

ومن أمجاد سليمان بناء هيكل سليمان ذلك المكان العظيم الذى حلّ فيه الرب وعاين مجد الرب.. وصار مركزاً للعبادة وللشركة.. وصار سيف الله يأتى إلى الهيكل من كل صوب وحدب.. وإلى هيكل سليمان يتوجه كل يهودى يصلى فلقد كان دانيال يفتح كواه تجاه أورشليم ويتعبد لله.. لقد بنى سليمان الهيكل فى ٤٨٠ من خروج شعبه من مصر.. وفى السنة الرابعة لمُلك سليمان فى شهر زيو، الشهر الثانى فى الشهور العبرية..

وكان ذلك فى ٩٥٩ قبل الميلاد حيث تمّ بناء الهيكل.. وطول الهيكل ستون ذراعاً.. وعرضه عشرون ذراعاً وسمكه ثلاثون ذراعاً.. وأمام الهيكل رواق سليمان.. وجمع سليمان شيوخ الشعب لإصعاد تابوت عهد الرب من مدينة داؤد ليستر فى هيكل سليمان وفى موكب بهيج كان حضور التابوت.. ورفع سليمان الحكيم يديه وصلى إلى الرب شاكراً ومبتهلا، وذاكراً كيف أن داؤد أبيه كان يرغب فى بناء الهيكل، ولكن الرب أجل هذا إلى عهد سليمان عهد السلام لأن عصر داؤد إمتلأ بالحروب..

وتساءل سليمان فى دعائه : هل يسكن الله حقاً فى الأرض ؟.. هوذا السموات وسماء السموات لا تسعك فكم بالأقل هذا البيت الذى بنيت.. وقال للرب: لتكن

عيناك مفتوحتين على هذا البيت ليلا ونهاراً على الموضع الذى قلت إن إسمى يكون فيه لتسمع الصلاة التى يصليها عبدك.. إذا أخطا شعبك وإنكسر أمام العدو.. إذا أغلقت السماء ولم يكن مطر.. إذا صار فى الأرض جوع أو وباء.. فأسمع أنت من السماء وكان سكناك وأغفر وأعمل وأعظ كل إنسان حسب كل طرقه كما تعرف قلبه.. وكان سليمان يصلى وهو جاثى على ركبتيه أمام مذبح الرب، ويداه مبسوطتان نحو السماء.. وبعدها قام سليمان وذبح الذبائح وعيّد للرب عيداً مجيداً.. وفى القرن السادس الميلادى قام الإمبراطور جوستنيان ببناء كنيسة " أجيا صوفيا" وكانت أعظم عمل قام به إلى جانب تجميع القانون الرومانى.. هذا الإمبراطور رفع عينيه إلى السماء وقال : مجداً لله الذى حسبنى مستحقاً أن اقوم بعمل عظيم كهذا.. ثم تلفت حوله وقال : لقد تفوقت عليك ياسليمان.. وأعظم أمجاد سليمان كان فى الحكمة.. ومجد الحكمة.. والتى بقيت فى كتاباته الثلاث : الأمثال، نشيد الأنشاد ، سفر الجامعة.. والتى هى حتى الآن منهل عذب لكل البشرية ، وهكذا يظل سليمان الحكيم فينا.. فى الكتاب المقدس.. فى الأدب الإسلامى.. فى القرآن الكريم.. فى دبلوماسية سليمان.. والتى كانت تتجه نحو تحقيق السلام فى الداخل والخارج ، حتى إن حرباً واحدة لم تحدث فى عهده..

٦٥. مصير سليمان الحكيم

لغز معقد: يعتبر سليمان الحكيم لغزاً معقداً.. فهو رجل إمتاز بالحكمة.. وعن طريق الحكمة عرف الكثير جداً.. ولكنه ورغم هذه الحكمة لم يكن حكيماً فى إختيار زوجاته.. فلقد تزوج بالمرأة الأجنبية رغم إنه نصح الشباب بأن لا يقتربوا إليها.. وكان وعد الله لداؤد أن إبنه سليمان هو الذى سوف يبنى هيكلا للرب.. وفعلا بنى الهيكل وعاش أمجاده ورأى بهاء الرب فيه.. وكان سليمان ملكاً عظيماً جداً وحكيماً جداً.. وكانت قيادته لشعبه قيادة روحية.. ولا ينسى أحد صلاته العميقة عند تدشين هيكل الرب عندما بسط يديه إلى السماء وقال : أيها الرب ليس إله مثلك.. إلتفت إلى صلاة عبدك وإلى تضرعه وأصغى إلى صلاته التى يصليها اليوم أمامك..

وإستمرت صلاته فى عمق كلماتها.. وكانت السموات مفتوحة أمامه.. وبلغت أمجاد سليمان المشرق والمغرب.. وأحبه الملوك.. وزارته ملكة سبأ وتزوجت به ، وأنجب منها كما يقول التاريخ جد الملك هيلاسلاسى.. ورأيت صورة له شديدة

الشبه بصورة سليمان ، ولكن سمرة الجسد واضحة.. تعاظم سليمان على كل ملوك الأرض فى الغِنى والحكمة..

ولكن دخلت الخطيئة إلى قلب سليمان وأحب نساء غريبة كثيرة ، ليس بنت فرعون فحسب ، إنما بنات من موآب وعمون وأدوم.. وصيدا.. ومن بنى حث.. وكسر سليمان وصية الرب.. وإلتصق بهؤلاء بالمحبة.. أى بالحب.. وتعدد عدد النساء فى حياة سليمان، كانت له سبعمائة من النساء السيدات .. وثلاثمائة من السرارى.. ألف إمرأة فى حياته.. وإنتصر بعض النساء منهم ، وعلى الأخص فى زمان الشيخوخة ، وأملن قلبه وراء آلهة غريبة.. وبكل أسف لم يكن قلبه كاملا مع الرب إلهه كقلب داؤد أبيه..

وذهب سليمان وراء الآلهة الغريبة وبنى لهذه الآلهة مرتفعات ومذابح.. وكان الرب قد تراءى لسليمان مرتين يطلب منه أن يلتزم بالحياة الكاملة مع الرب.. وفى المرة الثالثة غضب الرب على سليمان وأنبأه بأن المملكة سوف تتمزق.. وبعد هذا صار هناك خصوم لسليمان.. ومات سليمان بعد أن حكم فى أورشليم أربعون عاماً.. وإنتهت حياته.. ولا يعلم أحد هل تاب سليمان عن المرأة الغريبة أم لا.. ولأجل هذا فإن مصير سليمان هو اللغز المعقد والذى سوف يبقى هكذا قائماً إلى أن تنتهى الأرض وما عليها..

وفى كنائسنا الآن من يقولون بركة حكمة سليمان تكون معنا.. وليس بركة سليمان ، إعتقاداً منهم أن سليمان فقد البركة.. وهكذا إحتار المفكرون ورجال اللاهوت فى مصير سليمان.. ونحن نرى دانتى الشاعر العظيم لم يتردد فى ضمه فى كتاب " الكوميديا الإلهية " إلى الزمرة المنتخبة من المعلمين العظماء فى السماء. بينما غيره لم يترك لنا بارقة أمل فى ذهاب سليمان إلى المجد ، بل إعتبروه من المطروحين خارج المدينة المقدسة السماوية..

أما الفنان الرسام "أوركاجنا " فقد رسمه فى فرنسا فى لوحة فيها نرى سليمان ينهض فى يوم القيامة عند سماع البوق الآخير مرتدياً ثوبه الملكى وتاجه متعباً متألماً، لا يدرى أين يتجه ألِى اليمين مع المخلصين أم إلى اليسار مع الهالكين ؟.. والأمر متروك للإله الكثير الرحمة والجزيل الرأفة والتحنن، وربما يكون سليمان قد تاب فى آخر أيامه عندما كتب كل خبراته فى سفر الجامعة وأكد وكرر إنه " باطل الأباطيل الكل باطل وقبض الريح ".. وإن متعته وسعادته بملذات الدنيا الباطلة ليست سوى أوهام وقبض الريح..

أول الطريق : إبتدأ سليمان الحكيم والذى إسمه مرتبط بالسلام.. إبتدأ بداية جميلة وعظيمة.. وإلتقى بالله فى أول الطريق.. فى جبعون ذهب الملك سليمان لكى يذبح

هناك.. وأصعد ألف محرقة على المذبح .. وفى جبعون تراءى الرب لسليمان فى حلم ليلا وقال الله : إسأل ماذا أعطيك ؟.. لقد إنفتحت أمامه أبواب السماء وطالبه الرب أن يطلب.. وطلب سليمان وتحدث فى أول الكلام للرب : يارب إنك فعلت مع عبدك داؤد أبى رحمة عظيمة حسبما سار أمامك بأمانة وبر وإستقامة قلب معك.. فحفظت له هذه الرحمة العظيمة وأعطيته إبناً يجلس على كرسيه كهذا اليوم.. والآن أيها الرب إلهى أنت ملكتَ عبدك مكان داؤد أبى.. وأنا فتى صغير لا أعلم الخروج والدخول.. وعبدك فى وسط شعبك الذى إخترته ، شعب كثير لا يحصى ولا يُعد من الكثرة..

وحدد سليمان الطلب من الرب قائلا: أعط عبدك قلباً فهيماً لأحكم على شعبك وأميز بين الخير والشر.. لأنه من يقدر أن يحكم على شعبك هذا.. ويستمر الحلم.. وتستمر الرؤيا.. ويحسن الكلام فى عينى الرب.. وقرر الرب قراره.. ومنطوق القرار : من أجل إنك سألت هنا الأمر.. ولم تسأل لنفسك أياماً كثيرة ولا سألت لنفسك غنى.. ولا سألت أنفس أعدائك.. بل سألت لنفسك تمييزاً لتفهم الحكم.. هوذا قد فعلت حسب كلامك.. هوذا أعطيتك قلباً حكيماً ومميزاً حتى إنه لم يكن مثلك قبلك ولا يقوم بعد نظيرك.. وقد أعطيتك أيضا ما لم تسأله.. غنى وكرامة ، حتى لا يكون رجل مثلك فى الملوك كل أيامك..

وكان الشرط من الله ، فإن سلكت فى طريقى وحفظت فرائضى ووصاياى كما سلك داؤد أبوك ، فإنى أطيل ايامك.. وإنتهى الحلم هكذا.. وإستيقظ سليمان لكى يبدأ فى الحكم بحكمة.. لقد كان سليمان حكيماً إذ طلب الحكمة.. وقد وفر له الله منابع الحكمة.. وكان أحكم جميع الناس.. ووصل صيته إلى كل بقاع العالم القديم.. وتكلم بثلاثة آلاف مثل.. وله ألف وخمسمائة نشيد.. وتكلم عن أرز لبنان وعن الزوفا.. وعن البهائم والطير والأسماك ، بل إن الأدب الإسلامى يذكر كيف أن سليمان كانت له أحاديث مع الهدهد الطائر ، ومع نمل الأرض.. أما مصير سليمان الحكيم فهو أيضا فى يد الرب..

٦٦. كلام القصير

مؤلف رائع: أهدانى الصحفى اللامع الأستاذ عبد الماجد عبد القادر عبد الماجد مؤلفه الرائع" كلام القصير" الطبعة الأولى منه لسنة ٢٠٠١ م.. وهو كتاب قيم لمفكر ممتاز.. والكتاب مهدى إهداء روحياً لروح من كان أداة الإلهام له فى زمن

ينقطع رجاء المنتظرين.. لمن إستغرقتهم كثائف المادة ، فقصرت عقولهم عن فهم لطائف الروح.. منه وعنه وبه وإليه..

كان هذا الكتاب وله علينا المزيد إن رضى عنه.. وقد قدم لهذا الكتاب الأستاذ الأديب الدكتور عبد اللطيف سعيد.. ومقدمته مقدمة جميلة ، وهو يضع الكتاب تحت أدب الفكاهة الهادفة والنقد الساحر معاً يتركه من طرافة ومتعة في معالجة قضايا إجتماعية أو سياسية على مستوى أبو عثمان والجاحظ..

حيث يقف الآخير عبر القرون عملاقاً من عمالقة أدب الفكاهة بدءاً من البخلاء، مروراً بالبيان والتبيين ، إنتهاء برسالة التربيع والتدوير.. وقد برز نجم عبد القادر المازنى فى هذا الباب من الأدب ورغم إنه له كتب فى مواضيع أخرى مثل"حصاد الهشيم" " وإبن الروحى " ، ولكن له كتب ساخرة مثل " حصيد الهشيم" يداعب القارىء فى مقدمة الكتاب بأن القارىء يدفع عشرة قروش ، لكنه يشترى بهذا المبلغ الزهيد عصارة فكر ، وقراءة هذا الأديب اللطيف عبد القادر المازنى.. وبعده الولد الشقى محمود السعدنى..

ويستمر التقديم ليذكر لنا من أدباء السخرية نجيب الريحانى، وفؤاد المهندس ، وسمير غانم ، والإمبراطور عادل إمام ، ويناقش دكتور سعيد الفكاهة فى السودان، ويرى أن المواطن السودانى صارم لا يميل إلى الدعابة والسخرية ، ولا يتجاوب مع أدب السخرية ، ولكن عذراً سيدى فلقد تغير الأمر.. وفى فلسفة الشعوب إن المواطن العادى يعبر عن همومه بالسخرية.. ويضحك ويؤلف النكات فى أصعب ظروف القهر التى يحياها..

وأذكر أن بعض الناس عندما كانوا يتكلمون عن عدم تجاوب السودانى مع النكتة، كنت أقول لهم : سوف أحكى النكتة وأقابلهم صباحاً مبتسمون أو ضاحكون بسببها ، ولكن الظروف تغيرت وتعقدت مشاكل المواطن السودانى ، وصار فناناً فى التعبير الساخر عن مشاكله ، بل صار عندنا فنانون لامعون فى فن الفكاهة مثل : فرقة تيراب المسرحية وغيرها.. وصرنا عندما نسمعهم نضحك سريعاً لا نقدر أن نوقف ضحكاتنا تعبيراً عن آلامنا، ومتاعب حياتنا وما يحدث من متناقضات وشعارات تشبع المواطن كلاماً وبطنه جائعة ، وتوتراته قائمة ، ومستقبله ليس فيه سوى التفاؤل والأحلام.. ولدينا الآن ليس فقط من يرسم بالكلمات مثل عبد الماجد ، إنما لدينا من يرسم همومنا بالريشة فى فن الكاريكاتير..

تزوج أولاً: وأول التعارف مع الأديب الساخر مؤلف " كلام القصير" إن له صداقة مع أحد أبنائى الخمسة.. وهو أقصر هؤلاء وإسمه مكاريوس وينادونه " ميكى" لأن إسمه من سبعة حروف ولقبه من اربعة حروف.. وميكى هذا رجل أعمال ، وهو

أيضا مواطن سودانى ، حديث يفهم النكتة ، ومن ثم يعبر بها عن سخريته من سلبيات المجتمع.. وحكى ميكى لصديقه عبد الماجد طرفة تقول : بأن رجلا كل ما كان يصلى يطلب من الله أن يعطه ولداً.. ولداً بالذات وهذا الشخص يعبر " فعلا" قفل صلواته على طلب الولد ورفض رفضاً باتاً أن يكون له إبنة من الإناث، وله فى هذا رأى ومنطق، لم يقدر أحد أن يزحزحه عنه رغم تقديم الحجج بتقدم الأنثى الكبير فى زماننا هذا عن الذكر..

إستمر الرجل يصلى آناء الليل وأطراف النهار حتى مر من عمره عشر سنوات، ليس له طلب من السماء سوى إنه يطلب ولداً.. والطالب من الصعايدة ، والولد الذى سيأتى سيكون صعيدياً مثل أبيه.. وبعد السنوات العشر تحركت السماء نحوه ورثت لحاله.. فسمع هاتفاً قال : إنه ملاك من السماء يقول له : ياإبنى إذهب تزوج أولا.. كيف يجاب طلبك وأنت لم تتزوج بعد ؟..

وكتب أديبنا الساخر فى كلام القصير، وهو أيضا مثل ولدى من قبيلة القصيرين، هذا الموضوع تحت عنوان " تزوج أولا ".. وسخر من الذين يفكرون فى تقسيم الثروة أو الكيكة كما يقولون بعد السلام ، وقال لهم : أولا فليتم السلام وبعدها نفكر فى الباقى..

صفحات الكتاب: على الغلاف رسماً بالصورة من الفنان بدر الدين محمد نور يرسم القصير وهو ممسك بقلم أضخم منه وأطول منه.. القلم أطول من الكاتب.. وهذا تعبير عن قوة الكلمة.. إن الكلام عندما يكون معبراً يكون أكبر منا.. وتشق الكلمة والتى هى أمضى من كل سيف ذى حدين، طريقها بين الصخور والأماكن الوعرة والمسالك الصعبة وتصنع شيئاً..

وأرجو أن لا يعتقد المؤلف أن كلام القصير لا يسمع.. أو إنه حكمة أو ققشة.. نحن قد تطورنا.. وإذا كنا الآن لا نضحك على النكات فقط ، بل أن نؤلفها فإننا الآن عندما تصلنا الكلمة القوية من القصير نرحب بالكلمة ، ونحترم القصير وندعو الله أن يجعله طويلا وينمو وينمو.. ولكن سوف يأتى نفس الملاك الذى ظهر للصعيدى ويقول لنا : ما حدث قد حدث.. إنتهت الفرصة العمرية للنمو الطولى.. وسوف يظل بعد هذا القصير قصيراً..

وصفحات الكتاب تجعلنى أطالب القارىء أن يقرأ الكتاب، وأن يعتبر كلامى هذا فاتح شهية له.. فالصفحات تمتلىء بالقصص الساخرة والحكم النادرة .. وأريد أن أقول هنا : إن هناك أديباً لم يعرفه أحد فى السودان رغم إنه كان فى السودان وأصدر مجلة أسماها المنارة ١٩١٢ م، وكان سياسياً ذكياً، فإستعمل الأدب الساخر لكى يسخر من المستعمر الإنجليزى ووقف ذات مرة فى مصر فى ميدان باب الحديد

يخطب خطبة قوية ضد الإستعمار، وجذب إليه مواطنى باب الحديد المؤقتين وهم كثر، لكى يسمعون .. وفى إحدى خطبه سأل الناس : هل تعلمون لماذا وجه المستعمر أحمر أحمر شديد ؟.. وبدأت الإجابات والفتاوى تسقط عليه من كل ناحية.. ولم يعجب بأى إجابة ، وقدم إجابته التى تقول : إن وجه المستعمر أحمر شديد الحمرة لأنه يمتص دم المواطنين.. وهذا الرجل هو القمص سرجيوس خطيب ثورة ١٩١٩ م فى مصر بعد أن طرده الإستعمار من السودان..

٦٧.الإبتسام لغة راقية

من فضلك إبتسم: كثيراً ما نقرأ عبارة إبتسم من فضلك.. وكثيراً ما نجد الدعوات المكتوبة التى تطالبنا بالإبتسام.. فالإبتسام لغة راقية وأسلوب تواصل إجتماعى مهذب ، كما هى تعبير دوماً عن الرضى.. وأذكر إننى حضرت مؤتمر أمستردام ألفين ، وكان فى سنة ألفين.. وكان موضوعه الخدمة وتكنولوجيا العصر.. ولقد إستفدنا بمحاضرات الخدمة كما تمتعنا بتكنولوجيا العصر فى حضور الواعظ الكبير " على جراهام" معنا، رغم إنه مريض فى منزله..

كان يتابعنا لحظة بلحظة.. وأيضا من خلال التكنولوجيا كنا نرى المتكلم على الشاشات أكبر وأجمل من الواقع.. وكان كل واحد منا يسمع باللغة التى يعرفها جيداً.. وكان فى المؤتمر أكثر من ستة آلاف شخص.. وطبعاً كونك تشبع رغبات مثل هذا العدد الكبير فهذا أمر صعب، ولقد أشبع الكل وحاز المؤتمر على رضى الكل والسبب إنه إستعمل الإبتسامة.. كل واحد يقابل الآخر بإبتسامة رقيقة..

وعندما تفقد الطريق لأن المكان كبير جداً فى أمستردام عاصمة هولندا كنت تجد من يأتى ليسألك وهو يبتسم.. ويوضح الطريق امامك بل يصل بك إلى الهدف.. كان هناك جيش من ملائكة الخدمة يعالجون كل الأمور بإبتسامة عذبة.. والكثر من ذلك نشرة أخبار المؤتمر فى كل يوم، والتى كانت تأخذ لقطات طريفة جداً لأعضاء المؤتمر.. بعضهم نائمون أثناء المحاضرات.. وبعضهم نائمون على الأرض أثناء فترة الراحة..

لقد كانت فترة اللقيا جميلة.. وكان الأعضاء يحاربون النوم، ولكن النوم يوقعهم تحت سلطانه.. وأثناء هذا تحدث الطرائف الكثيرة التى يعرضونها علينا كل يوم.. وأما المحارون وهم أساتذة كبار وخدام خبيرون، فقد إتبعوا منهجاً غريباً جداً، كل محاضر يبدأ المحاضرة بنكتة جميلة ولا يشترط أن تكون هذه النكتة مرتبطة

بالموضوع، إنما كان الهدف أن تملأ وجوه المؤتمرين ليس بالإبتسامة فقط، إنما ينتقل الإبتسام إلى ضحك بالصوت العالى.. وأحياناً نضحك على أنفسنا لأننا نضحك كثيراً..

وأحياناً نضحك على تصرفاتنا.. وفى الطريق وهو طويل كنا نضحك أحياناً دون أن يضحكنا أحد من خلال إستعادة ما سمعناه من نكات ، وأصادقكم القول إن هذا قد جعلنا نفهم المحاضرات أكثر ونتعرف على المحاضر أكثر وأكثر.. وتوالت الطرائف مع الحاضرين.. وصارت النكتة هى الطريق إلى التعرف على موضوع المحاضرة.. ومازلت حتى الآن أذكر أغلب النكات ، وأذكر منها لكم واحدة فقط، ففى يوم من الأيام قالت الأم لإبنها وهى توقظه: إستيقظ سريعاً يجب أن تذهب إلى الكنيسة.. نحن الآن فى يوم الأحد.. فقال لها: ياأمى أتركينى أنام، إن عندى من الأسباب ما يجعلنى لا أرغب فى الذهاب إلى الكنيسة، فلقد مللت من ناس الكنيسة لأنهم غير متجاوبين.. وهم يتهموننى بأننى لست لبقاً فى الحديث.. أمى دعينى أنام، إن فى النوم فوائد أكثر وإمتيازات ليست موجودة عند الإستيقاظ.. قالت له أمه : ولكن عندى سببين يفرضان عليك الذهاب إلى الكنيسة ، أولهما إن عمرك خمسة وأربعون عاماً ، وهنا ضحك كثيرون.. وأنا لم أضحك مثلما ضحكوا.. وقلت ربما يضحكون لأن هذا رجل كبير توقظه أمه، وهم يستقلون عن الأهل منذ الثامنة عشر ربيعاً.. ثم قالت الأم السبب الثانى إنك ياإبنى أنت قسيس الكنيسة وكيف تغيب ؟..

اللغة الراقية: إن الإبتسام هو واحد من وسائل التواصل الإجتماعى.. إنه لغة راقية.. قد لا تعرف لغة أهل بلد ما ولكنك تعبر عن سعادتك بهم عن طريق الإبتسامة ، وهم هكذا يبتسمون فى وجهك.. وهذه اللغة يتمناها الناس فى داخل الأسرة الواحدة، وأذكر إن صديقاً لى كان قد تزوج بإمرأة جميلة فى نظره، ولكنه إكتشف بعد الزواج إنها بخيلة جداً وبخلها كان لأنها لا تبتسم.. لا تضحك.. حياتها جد فى جد.. وبصفتى أبونا جاء إلىّ يشكو منها وسألته : هل حاولت أن تخرجها قليلا من الجدية الصارمة إلى الإبتسامة حتى ولو الهادئة ؟..

أثبت لى هو إنه لم يقصر.. وقد جمع لها كلمات مضيئات عن الإبتسامات ، بل الأكثر من هذا رسم لها صورة وهى مبتسمة وكتب تحتها : ما أجمل الإبتسامة.. وصورة أخرى لها وهى جادة وصارمة وكتب تحتها : زوجتى من فضلك إبتسمى فى وجهى.. حقاً إن الإبتسامة هى ضرب من التعبير الذى يفصح به الإنسان عن رغبته فى إقامة بعض الروابط بينه وبين غيره من الأفراد، وآية ذلك إنه حينما يشعر الفرد بنوع من الخجل أو الحياء لعجز ما فى قدرته اللغوية يحول بينه وبين

صياغة أفكاره ، صياغة لفظية واضحة ، فإنه قد يعمد إلى الإبتسام فى وجه محدثه بدلا من مجاذبته أطراف الحديث..

ولكننا نبتسم كثيراً فى أمور أخرى متعددة وربما بعد أكلة شهية.. عند قراءة نادرة طريفة.. عندما نرى مشهداً جميلا.. نحن أحياناً نبتسم أمام الناس ونبتسم دون أن يكون معنا أى أحد من الناس.. ولقد حاول العلماء دراسة ظاهرة الإبتسام وأخذ بعضهم بمبدأ الإنتخاب الطبيعى أو التطور والإرتقاء ، فقالوا: إن عملية الرضاعة عند الطفل الصغير هى التى عملت على ظهور الإبتسامة بإعتبارها علامة إشباع..

ولوحظ إن الحيوانات ترضع ولكن لا تبتسم .. ويبدو إن الربط بين عملية الإبتسام وفتح الفم للرضاعة لاقى قبولا عند علماء التحليل النفسى من مؤيدى " فرويد" الذى تكلم عن " المرحلة الفمية" Oral_Stage.. وهى المرحلة الأولى للتطور النفسى.. وهناك نظرية أخرى تربط بين الإبتسام وظاهرة التفوق أو الإنتصار، ويقولون : إن الإبتسامة قد إقترنت فى البدء بتغلب الإنسان الأول على غريمه أو تفوقه على الخصم بعد عملية مبارزة جسيمة بدائية..

وهاتان النظريتان لهما معنى واحد هو إن الأصل فى الإبتسام الشعور بالرضى والإرتياح.. وكما أن الكلب المسرور يهز ذيله ، إن الإنسان المنشرح يحرك فكه.. ولكن الإبتسامة تحتاج إلى دراسة أكثر لأنها إنفعالات داخل إطار حضارى.. ولكل مجتمع حضارته وثقافته.. وإلى أن نقوم دراسة عن حضارة الإبتسام فى حضارات الشعوب أرجو أن تستعملوا جميعاً لغة الإبتسام ، فهى لغة راقية جداً، وعذبة جداً.. ومورد أرباح روحية كثيرة جداً.. إبتسم.. إبتسمى..

٦٨. مؤسسة الوطنية السودانية لحقوق الإنسان

المجلس الوطنى: أقامت لجنة حقوق الإنسان والواجبات العامة فى المجلس الوطنى سمناراً كبيراً حول كيفية إنشاء اللجان للمؤسسة الوطنية السودانية لحقوق الإنسان.. وكان من الطبيعى أن يستهل اللقاء بقراءة من القرآن الكريم.. ونحن لسنا ضد هذا ، وإنما هناك شىء ناقص وهو قراءة الإنجيل المقدس.. وذلك حفاظاً على حقوق الإنسان، ولأننا وطن متعدد الأديان ، وربما يعترض البعض على هذا، ولكن سبب الإعتراض ليس قراءة الكتاب المقدس فى مستهل اللقاء، إنما لأن الناس لم يتعودوا على هذا، وصار غريب بينهم لأنهم إستمروا كثيراً فى تجاهل

الآخر وكأن السودان لا يسكنه سوى أهل القرآن الكريم، ونحتاج إلى تربية روحية وطنية فيها إحترام لمشاعر الآخر ولدين الآخر..

وقد كان السمنار فى شهر أغسطس وأفتتح بعد هذا بكلمة ضافية من رئيس لجنة حقوق الإنسان وهو رجل كرس جهده لكى ينجح هذا السمنار نجاحاً باهراً.. وبعد هذا كلمة نائب رئيس المؤتمر الوطنى، وفى هذا السمنار قدمت ثلاث ورقات، واحدة عن المعايير الدولية لإنشاء اللجان الوطنية لحقوق الإنسان قدمها الدكتور أحمد المفتى.. والورقة الثانية عن تجارب بعض الدول فى إنشاء اللجان الوطنية لحقوق الإنسان قدمها المستشار ياسر سيد أحمد..

والورقة الثالثة كيفية إختيار عضوية اللجان الوطنية لحقوق الإنسان قدمها مولانا محمد أحمد سالم القانونى البارع المهذب صاحب التعليقات الممتازة، والذى عاش معنا خلال عضوية المجلس الوطنى، حيث كان المستشار القانونى للمجلس، وكان معه الأستاذ الأديب الدكتور جلال الإدارى الهادىء الساطع صاحب الطرفة الطريفة، وكان تعليقه أثناء المجلس: إن رئيس المجلس ممكن أن يغيب ويحل محله نائبه.. أما هو ومعه المستشار القانونى فهما دائماً واحد عن اليمين والآخر عن اليسار مثل ملائكة الحساب..

المعايير الدولية: أما كلمة الدكتور المفتى المدير العام لمركز الخرطوم الدولى لحقوق الإنسان، فقد كانت عن المعايير الدولية للمؤسسة الوطنية لحقوق الإنسان، كأمل ورؤيا أن تقام مثل هذه اللجنة فى السودان، وقد قال: إن تعزيز وحماية حقوق الإنسان هى إحدى المقاصد الأساسية التى ينص عليها ميثاق الأمم المتحدة، ولهذا أنشأت مختلف المواثيق والإتفاقيات الدولية الخاصة بحقوق الإنسان آليات كثيرة لوضع ذلك المقصد موضع التنفيذ، غير أن إمكانيات الأمم المتحدة لم تسمح بهذا..

ولذلك ترك الأمر للحكومات والجمعيات غير الحكومية وبات الأمر يتطلب إنشاء مؤسسات وطنية ذات غاية مشتركة تتمتع بإستقلالية قد لا تتوفر فى المنظمات الحكومية، لأن الحكومة هى الخصم والحكم، وتتمتع هذه المؤسسات بصفة إستشارية لدى المجلس الإقتصادى والإجتماعى للأمم المتحدة، وقد بدأ هذا التوجه عام ١٩٤٦م وفى سنة ١٩٦٠م دعا هذا المجلس الحكومات إلى تشكيل مؤسسات وطنية لحقوق الإنسان..

وفى ذات الموضوع إنعقد سمنار فى جنيف ١٩٧٨م وإقترحت بعض المبادىء التوجهية لمساعدة مثل هذه المؤسسات حيث تكون اللجنة الوطنية مصدراً للمعلومات.. مساندة للرأى العام توعية وتثقيفاً.. تبحث وتتداول وتقدم التوصيات..

وتسدى المشورة.. وتقترح التشريعات اللازمة.. على أن تكون اللجنة معبرة عن جميع قطاعات السكان، وتعمل بصورة منظمة وتتاح لها إمكانية الإتصال بالجمهور وبالسلطة ويكون لها هيئات إستشارية..

ويرى الباحث إن اللجنة الوطنية هى هيئة تهدف إلى تعزيز وحماية حقوق الإنسان، ولها طابع إدارى ولكنها مستقلة عن الحكومة.. ولها سلطة إستشارية وتحقق أهدافها من خلال إبداء الآراء وتقديم التوصيات والنظر فى الشكاوى على أن يصدر تشريعاً من الدولة.. وهناك ثلاث فئات تعمل الآن فى حقوق الإنسان..

ويرى أن دورها دور تكميلى ويؤدى إلى تحسين فعالية النظم الوطنية والدولية لحماية وتعزيز حقوق الإنسان.. ويقدم مقترحاً بالعناصر السياسية لقانون المؤسسة الوطنية لحقوق الإنسان.. وقدم أيضا مرفقاً عن المبادىء المتصلة بمركز وعمل المؤسسات الوطنية لحماية وتعزيز حقوق الإنسان..

تجارب لدول أخرى: وقدم المستشار ياسر سيد أحمد الحسن ورقة عن تجارب بعض الدول فى إنشاء المؤسسات الوطنية لحقوق الإنسان، وذكر إنه منذ بداية عقد الثمانينات من القرن الماضى وهو القرن العشرين بدأت الكثير من الدول فى إنشاء المؤسسات الوطنية لحقوق الإنسان فى مختلف بلدان العالم، وفى أفريقيا وحدها نشأت أكثر من عشرين مؤسسة عند مطلع هذا القرن..

بعض هذه المؤسسات يرجع سند إنشائها إلى نص دستورى كما هو الحال فى أثيوبيا، غانا، ملاوى، النيجر، جنوب أفريقيا، زامبيا، يوغندا، والبعض الآخر يستند فى قيامة إلى تشريع وطنى بريطانى كما هو الحال فى دول بنين، تشاد، ليبريا، رواندا، السنغال، سيراليون..

ومجموعة ثالثة تمّ النص على إنشائها بموجب أمر صادر من رأس الدولة أو رئيس الوزراء، وهذه المجموعة تضم الجزائر، الكاميرون، أفريقيا الوسطى، كينيا، مالى، تونس.. وفى أفريقيا إنفرد المجلس الإستشارى المغربى لحقوق الإنسان بسند إنشاء هو المرسوم الملكى، كما إنفردت المفوضية الوطنية لحقوق الإنسان بنيجيريا بسند إنشاء هو المرسوم العسكرى.. ويعد المحك الدولى للإعتراف بالمؤسسة الوطنية على الصعيد الدولى هو مدى إستقلالها وحيادها وفعاليتها فى آداء المهمة الموكولة إليها..

إختيار الأعضاء: وقدم مولانا محمد سالم ورقة حول كيفية إختيار عضوية اللجنة السودانية القومية لحقوق الإنسان.. وقد بدأ يعرف حقوق الإنسان ويؤكد أهميته، وإنه مع الزمن ظل يتنامى الإهتمام بحقوق الإنسان، مما دعى الدول إلى التكيف مع الوضع الجديد مجاراة للواقع وإنحناء أمام العاصفة أو قناعة ورضى..

وإنضمت الدول إلى المواثيق الدولية ذات الصلة بحقوق الإنسان.. وأشار إلى إجتماع عقد فى بيت القانونى الكبير عمر شمينا، وبذل فيه مجهود كبير ولكنه إنتهى بخلافات عنيفة.. ثم قدم أستاذنا سالم المبادىء العامة لتشكيل اللجنة ، وركز على مبادىء هى تنوع التشكيل وتوازنه، تعدد التخصصات، الإستقلالية، تناسب حجم العضوية..

أما المؤهلات الشخصية للأعضاء، فهى الإستقامة والنزاهة، والتأهيل، والخبرة والرغبة، الحيدة والإعتدال، ثم تحدث عن آليات الإختبار.. وختاماً أرى إن تأسيس اللجنة الوطنية لحقوق الإنسان فى السودان أمر هام ويحتاج إلى أكثر من سمنار، على الأخص فى مرحلة ما بعد السلام، والقادمة إلينا فى خير وسلام..

٦٩. وق الطفل قبل أن يولد

حقوق الطفل: إن الأطفال هم أكبادنا تمشى على الأرض.. ولقد تمتع الأطفال بمكانة كبيرة فى المسيحية والإسلام.. ففى المسيحية أكد السيد المسيح إن الأطفال لهم ملائكة يحرسونهم.. وإن ملائكة الأطفال يعاينون وجه الله.. وقال السيد المسيح فى هذا: أنظروا .. وهى كلمة تعنى إنتبهوا.. أو إحذروا.. لا تحتقروا أحد هؤلاء الصغار، لأنى أقول لكم إن ملائكتهم فى السموات ينظرون وجه أبى الذى فى السموات (متى ١٨: ١٠)..

كما إن السيد المسيح وفى نفس الأصحاح الثامن عشر من إنجيل معلمنا متى الرسول يطالب الناس أن لا يعثروا هؤلاء الصغار.. ولا يكونون حجر عثرة فى طريقهم، إنما يكونوا قدوة صالحة لهم.. ومن أعثر أحد هؤلاء الصغار المؤمنين بى فالخير له أن يعلق فى عنقه حجر الرحى ويغرق فى لجة البحر، ويل للعالم من العثرات.. ولهذا يقولون: إن القساوسة فى الكنيسة الإنجيلية يلبسون رباط رقبة أبيض لكى يتذكروا أن لا يكونوا عثرة للآخرين..

وفى الإسلام يتمتع الطفل بمكانة مرموقة.. فالأطفال هم أحباب الله.. وفى الأحاديث : إن الأطفال وهم فى بطون أمهاتهم وعندما يكتمل للطفل أربعون يوماً ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكاً يؤمر بأربع كلمات ويقال له: أكتب عمله ورزقه وشقى أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح.. وهذا يعنى إن الطفل وهو فى بطن أمه يعد له ملاك يحرسه ويحميه ويسجل مستقبله القادم.. هو أعلم بكم أنشأكم من الأرض.. وإذ أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم..

قبل الولادة: وقد تستغربون إذا كنا نتحدث عن حقوق الطفل قبل أن يولد.. ونحن بعد لدينا الأطفال الذين ولدوا ونحن فى كل يوم نكتب قصة شقائهم فى هذه الدنيا.. فأطفال البلاد التى تسمى العالم الثالث لا يتمتعون بأى حقوق.. فهم يعملون ويكدون قبل الآوان.. وتنقصم ظهورهم قبل أن يدخلوا إلى الحياة.. وصارت شوارعنا ملآنة بالأطفال الذين يعرفون كيف يتسولون وهم لا يتسولون ليعيشون، إنما لكى يعيش غيرهم..

وهم فى الشارع ينامون.. ويرتكبون حماقات يندى لها الجبين.. ولا تقصر الشرطة معهم فتاخذهم وتضعهم فى مراكز للتدريب المهنى ، ولكنهم يهربون لكى يستمروا فى طريقهم الردىء.. وفى كل مرة نخاف على مستقبل بلادنا إذا كان أطفالنا هكذا.. ولكننا اليوم نتحدث عن حقوق الأطفال قبل الولادة.. لأن لهم حقوق..

وأهم حق من حقوقهم ، حق الحياة.. ولهذا نرفض الإجهاض.. ونرفض أى إجهاض مهما كانت المسميات.. فالإجهاض كما قال أحد بابوات روما: هو إغتيال مباشر لشخص برىء.. وهو فى رأى الدين قتل للروح التى خلقها الله ، وكل وصايا الأديان تقول: لا تقتل.. ولهذا نرى إن من يوافق على الإجهاض، إنما ينفى الأساس الأخلاقى ، لأن الجنين كائن بشرى فى نظر الله.. ولا يجوز الإجهاض إلا فى حالة واحدة عندما يكون هذا خطراً على الأم.. ويحتار الطب هل يضحى بالجنين أم بالأم ؟.. وترجح كفة طلب الحياة للأم، لأن لديها مسئوليات أخرى جساماً..

أول الحياة: وعند الكثير من أهل الدين تبدأ الحياة البشرية للجنين منذ اللحظة الأولى للحمل.. حيث يشكل الكائن منذ هذه اللحظة شخصاً بشرياً يتمتع بالحقوق الخاصة بأى شخص بشرى.. إن له الحق فى الحياة.. وله الحق فى سلامة جسده.. وله الحق فى أن ترعى أمه ويقدم لها الرعاية اللازمة جسدياً وروحياً، لكى تقدم للمجتمع طفلا سوياً..

وله الحق أيضا فى أن تمنع أمه من العادات الضارة التى تؤثر فيه وهو فى بطنها مثل: التدخين .. وله الحق أيضا فى أن يوفر الأب للأم جواً هادئاً، دافئاً، حنوناً.. وتوفر الدولة سلاماً إجتماعياً ، وإشباعاً للحاجات المهمة عند الأم.. والطفل قبل أن يولد يتأثر بما يحدث حوله.. يتاثر بإنفعالات الأم.. ويتأثر بدخان سيجارة تمسكها الأم وتلوث بها أحشائها.. والأم ينبغى أن تكون مصدر سعادة لإبنها..

ونحن نعلم إن يوحنا المعمدان أو النبى يحيى ، يُعد من أول الساجدين والعابدين، وهو بعد فى بطن أمه.. لأنه عندما قامت مريم العذراء بزيارة أليصابات أم يوحنا،

إمتلأت أليصابات من الروح القدس وقالت لمريم: هوذا حين صار صوت سلامك فى أذنى إرتكض الجنين بإبتهاج فى بطنى (لوقا ١:٤٤).. لقد شعرت الأم بفرحة الجنين.. بركضته.. بسجدته.. ببهجته.. ولهذا يحق لنا أن نهتم جميعاً بحقوق الأطفال قبل أن يولدوا ويدخلوا إلى عالمنا هذا.. نرحب بهم قبل قدومهم، ونجهز أنفسنا سعداء بلقياهم..

٧٠. ثقافة الحياة ومنطق الموت

الحبر الأعظم: غربت عن عالمنا شمس رجل عظيم سافر إلى العالم الآخر.. كان يختار الكلمات ويحسن التصرفات ، ويسلك سلوكاً روحياً موجه نحو الأبدية.. كلما أحس فى تاريخ كنيسته بما يحتاج إلى الإعتذار يعتذر.. وكلما رأى أن هناك مشكلة فى منطقة ما، يرحل إليها وهناك يشدد الضعفاء.. ويثبت الركب المُخلعة، ويقوى الأيادى المرتخية.. ويناصر قضايا البائسين، ويملأ قلوبهم بالأمل..

يعترف بحقوق فلسطين فى إقامة دولة لهم.. يناصر قضايا العرب.. يرفض الحوائط العازلة فى إسرائيل، ويقول : نحن نحتاج إلى جسور للتواصل وليس إلى حوائط وعوازل.. يرفض أن يمتهن كرامة المرأة، ويطالب بإحترام سر الزواج ، بإعتباره أمر مقدس وطاهر، ويعارض أى علاقة خارج الزواج ..

فى كل عام يجتمع مع الشباب فى مؤتمر يضم الآلاف منهم، وكل واحد فيهم يشعر أن البابا مهتماً به.. يعترض على الإجهاض، ويأبى ما يسمونه الموت الرحيم، فى نظره إن الإنسان هو الأهم.. هو المعنى بأمر الخلاص، لأجله صنع الرب كل شىء.. وأعطاه الله السلطان على كل شىء.. والإنسان هو الإنسان ، بغض النظر عن الدين أو الجنس أو اللون أو القبيلة..

إجتمع حوله الناس.. إتفقوا عليه.. وإختلفوا حوله.. وإستمرت كلماته قوية فاحصة.. هى كلمات خلفيتها الكتاب المقدس العظيم.. كلمات نافذة أمضى من كل سيف ذى حدين، وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ، ومميزة أفكار القلب ونياته.. هكذا كان بابا روما فى أبريل ٢٠٠٤م تمنى أمنية قال فيها: ليت ثقافة الحياة تبطل منطق الموت.. ولكن طبعاً يستمر الموت موتاً، والحياة حياة.. ولن يتوقف الموت إلا بعد نهاية الحياة، عندما تبطل شوكة الموت بالقيامة المجيدة التى لا موت بعدها..

وعندما تمنى هذا رأى حوله آلاف البشر ، فقال لهـم بـسعادة ورضـى : إن أصولكم وألوانكم تظهر أن دعوة الخلاص تشمل البشر أجمعـين.. وكـان سـمحاً متسامحاً.. حاول تركى يسمى" على أكجا" أن يصفيه جسدياً ودخلت الرصاصة إلـى صدر البابا وتركت آثارها السيئة على صحته فى بدء خدمته فـى مـايو ١٩٨١م.. ولكنه أعلن أمام شعبه إنه إلتقى "على".. وإنه سامحه بمناسبة عيد مـيلاد الـسيد المسيح .. قمة العفو والتسامح..

كان رجلا عالمياً متسامحاً.. جاب الأرض وقدم الإعتـذارات.. إعتـذر للهنـود الحمر، ولشعوب أمريكا اللاتينية.. وللأفارقة الذين شحنهم أهل أوربا رقيقاً لهـم.. وإعتذر لليهود عما قامت به محاكم التفتيش الإسبانية ضدهم بعد سقوط الأندلس.. ومما عانوه من إجتياح الصليبين للشرق، كما أجرى حواراً مع الهندوس.. وحاور المسلمون وطالب بتلاقى الدينان وتجنب تصارعهما..

وكان أول بابا يدخل إلى الجامع الأموى فى سوريا.. حاور البوذيـون.. وزار كوبا.. وإلتقى مع كاسترو رغم إنه خصمه العنيد.. شارك فى النقاش ضـد حـرب العراق.. ولم يكن سوى منددا للحرب الأمريكية ضد العراق.. وحذر تونى بلير من الحرب، وطالب طارق عزيز بتجنب الحرب..

وفتح الكنيسة على العالم بما يسمى العولمة الكنسية.. ولكن لم يسمح للكنيـسة أن تؤيد مخالفات العالم، فرفض الزواج المثلى.. ورفض الإجهـاض.. ورفـض أن تكون المرأة ذات رتبة كهنوتية.. وتفاهم مع الأرثوذكس وكان موفقاً.. وتفاهم مع البروتستانت وكان الأمر عصياً.. وناصر قضايا الـشرق الأوسـط بمهـارة بالغـة وحماس مهذب..

ثقافة الحياة: لقد تبنى البابا ثقافة الحياة.. ولكنه أكد إن منطق المـوت لا يبطـل سوى بعد هذه الحياة فى الأبدية المجيدة.. ولكن ثقافة الحياة تتطلب إحترام الحياة ، وإحترام الأحياء.. كانت ثقافة الحياة هى مدخله إلى إحترام الآخر.. وإلـى ثقافـة السلام.. حضر عظاته ما يقرب من عشرين مليون شخصاً حضوراً شخـصياً غيـر الملايين التى تابعته من وسائل الإعلام..

وفى العاشر من أبريل لهذا العام إلتف حوله آلاف من البشر ، وعدد كبير من الزعماء لكى يودعونه بعد أن وضع فى صندوق أنيق.. وهذا هو منطق المـوت ، ورؤساء العالم الكثير منهم فرقاء بل أعداء.. تجمعوا حوله.. وهو بـالروح كـان يتمنى أن يكون تجمعهم حول جثمانه المسجّى نهاية للصراعات، وبدايـة لإحتـرام الحياة، وفرصة لمراجعة الضمير..

وبدأت المحاولة ، ولكن ثقافة الكراهية أبطلت مفعولها.. تصافح الأعداء رئيس دولة إسرائيل.. ورئيس جمهورية إيران.. وربما حدث فى أعماق الحكام ما جعلهم يعيدون التفكير فى أنفسهم وفى قراراتهم، وفى الأبدية التى هى فى إنتظارهم.. وقال كبار الشخصيات أجمل الكلمات عن البابا الراحل.. أبومازن قال عنه: إنه شخصية عظيمة كرس حياته للدفاع عن قيم السلام والحرية والعدل والمساواة..

قال عنه ميخائيل جورباتشوف: إنه كان الرجل الإنسانى الأول فى هذا الكوكب.. وقال جورج بوش : إن العالم خسر بفقد البابا مدافعاً عن الحرية الإنسانية.. وقال المستشار الألمانى: إن البابا كتب التاريخ وغير العالم بجهوده من خلال شخصيته المؤثرة.. وقال تونى بلير: إن العالم فقد بوفاة البابا زعيماً دينياً.. ولكن رحل البابا يوحنا بولس الثانى لأن هذا هو منطق الموت والذى لم تقوى عليه ثقافة الحياة.. ولكن سوف تستمر ثقافة الحياة ما دامت هناك لنا حياة فى الله، ونحن إن عشنا فللرب نعيش وإن متنا فللرب نموت..

٧١ . حسابات أول العام

العام الجديد: من نعم الله علينا أن هيأ لنا أن نستقبل عاماً جديداً.. وقد تعود التاجر أن يراجع حساباته مرة كل عام، وإن كان فى كل يوم يراجع حساباته ، ونحن محتاجون إلى مراجعة حساباتنا حتى لا نكون قد خسرنا ونظن إننا من الكاسبين الرابحين.. ولقد درج المؤمنون وهم روحياً ساهرون قريبون إلى الله، درجوا على أن يمعنوا النظر حتى يتبينوا مواطىء أقدامهم كى يضعونها على أرض ثابتة يرسم لهم الله أهدافاً نبيلة ويمنحهم للبلوغ إليها أفضل وسيلة..

لأن الغايات المقدسة لا نصل إليها إلا بالوسائل المقدسة، وأرجو أن لا يمر بنا أول العام دون مراجعة حسابات، ودون وقفة تأمل فيها نفكر فى كيف ننتفع بكل فرصة لكى نقترب إلى الله أكثر فأكثر، لأن إبتعادنا عن الله يزيد من الشقاء الذى نحياه، وكلما إقتربنا إلى مبادىء الله كلما قلت نسبة الشقاء فى حياتنا، حتى نصل إلى نقطة سعيدة تلتقى فيها إرادتنا بإرادة الله، وعندها تصير إرادتنا نابعة من إرادة الله وتكون إرادة الله هى إرادتنا، هنا نسير فى طريق النور مع إله النور الذى يشرق بنوره على قلوبنا.. وفى أول العام نتحدث معاً عن حساب الأرقام وحساب الأيام، وحساب الأعوام، وحساب الختام..

حساب الأرقام: ترى كم من الأيام أو الأعوام، كم من الساعات أو الدقائق تستغرق حياة إنسان فى أن تتحول من النقيض إلى النقيض، وفى بدء العام الجديد لنفكر فيما تحولنا إليه شراً كان أم خيراً.. عملا أو قولا أو فكراً.. ولنفكر فيما هو أجدى ، وكيف نستطيع أن نتحول إلى الأفضل، إلى الحياة الأكمل، ولنا فى السابقين عبرة..

وحساب الأرقام بين السقوط والقيام ينبغى أن يدفع بنا إلى الأمام.. ويغير قلوبنا سريعاً نحو ملك السلام، والذى يريد ان يحيا مع الله يحتاج إلى يقظة ضمير تجعله يسير فى الركب الإلهى، فلقد وقف السيد المسيح أمام لاوى العشار وقال له كلمة واحدة هى: إتبعنى.. وفى الحال قام وترك كل شىء وتبعه..

وتبدلت رغبة لاوى من الحياة المادية إلى المحبة الروحية وقدم كل ما يملك ، وصفى حسابات الماضى، وأعلن كالعشار: سوف أعطى نصف أموالى للمساكين، وإن كنت قد وشيت بأحد أرد له أربعة أضعاف..والمرأة الخاطئة عندما دخلت بيت سمعان ساجدة ضارعة منسكبة تبل قدمى السيد المسيح بدموعها وتمسحهما بشعر رأسها نالت الغفران وسمعت : إذهبى بسلام مغفورة لك خطاياك..

حساب الأيام: ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً وبعض اليوم إنقضت فى عامنا وإنسحبت من عمرنا، وخلال هذه المدة سقط كثيرون فى الوحل، وقام كثيرون من وحل الدنيا، فمن أى النوعين نحن ؟.. إن الحكيم من يحاسب نفسه فى كل يوم مادام الوقت يدعى اليوم، وفى حسابه يتبين بواعث الخسارة فيمضى عنها بعيداً.. مقومات الربح فيستزيد منها، وفى خاتمة كل يوم جدير بنا أن نستطلع مجريات أفكارنا هل كانت نبيلة ؟..

وتصرفاتنا هل كانت جميلة ؟.. ومدلولات ألفاظنا ونظراتنا هل تنبعث من روحانية أصيلة ؟.. أو ما هو مدى إقترابنا إلى الفضيلة ؟.. هل أسأنا إلى أحد ؟.. هل جرحنا إنساناً ؟.. هل أعثرنا نفساً ؟.. هل ضيعنا إحساناً ؟.. هل ملأنا بالخيرات كأساً.. ورفعنا بالإخلاص والتفانى رأساً فرأساً ؟.. إن أيامنا معدودة علينا وثمارها راجعة إلينا.. وخطواتنا محصاة، لهذا حسابنا أن نتوب إلى الله ونبدأ من جديد الحياة الجديدة فى العام الجديد..

حساب الأعوام: وفى آخر العام نقف على رابية الزمن ونراجع حياتنا.. ونراجع مسيرة عائلاتنا.. الأسرة هى نواة المجتمع، وعلى هذا فنحسب معها حساب الأعوام وحصاد السنين ، ونراجع حياتنا ونسأل أنفسنا: هل هيأنا لأولادنا وبناتنا جواً مشبعاً بالصدق فى القول والإخلاص فى العمل ؟.. إن مصدر المتاعب فى كل بيت يرجع

إلى ضعف الروحانية ، وفتور العلاقة مع الله، وهذا يحتاج إلـى أن يكـون ضـمن ميزانية العام الجديد..
حساب الختام: فى حساب الختام سوف يسألنا الله أن: إعط حساب وكالتك، وهـذا هو حساب آخر الحياة بعد توقف الحياة، وهو أمر يحتاج منا أن نستعد له، ونحـن فى هذه الحياة وليمنحنا الرب أن نتأمل فى حساب الأرقام لنسير إلى الأمام، وفـى حساب الأيام ليكون كل يوم فى حياتنا إقتراب إلى الله ووصـايـاه ، وفـى حـساب الأعوام نحيا مع أسرتنا عهداً جديداً، ولأجل حساب الختام نفتدى الوقت ونملأ الدنيا خيراً وحباً، وكلمة حلوة حتى يكون لنا ملكوت السموات..

٧٢.المسيحية فى المشرق

مرجع جديد: يُعد كتاب"المسيحية عبر تاريخها فى المشرق" من المراجع الجديدة فى ميدان البحث هذا.. والمرجع الجديد يعى ويفهم ما هو القديم، ويقدم جديداً فكراً وعرضاً.. وهذا المرجع يُعد عملا علمياً أكاديمياً تم تحت إشراف مجلـس كنـائس الشرق الأوسط، ولدى الطبعة الثانية منه لسنة ٢٠٠٢ م..

وقد تم هذا العمل إعداداً بواسطة الكنائس الشرقية وبعض المؤسسات الثقافية المحلية والإقليمية والدولية.. والكتاب مطبوع فى بيروت، وهو عبارة عن مجموعة مقالات تتحدث عن المسيحية فى بلاد المشرق عبر القرون.. وتهتم بكنائس القـبط وأنطاكية والقسطنطينية والأرمن والسريان والنوبيين أهل السودان والأحباش..

وإن كانت كلمة " أحباش" تطلق على كل أفريقيا، وهكذا كلمة السودان والنوبـة وكوش وأثيوبيا.. ولابد من حديث عن الرهبنة رهباناً، وعن الرهبنـة راهبـات.. ودور المرأة فى الرهبانيات.. والكتاب يتحدث عن المسيحية قبل ظهور الإسلام..

والمسيحية بعد الإسلام والمسيحيون العرب والإرساليات والحركات المـسكونية التى تبحث نحو عمل مسكونى تشترك فيه الكنائس رغـم إخـتلاف مـذهبى بـين الطوائف المتعددة بفروعها الثلاث: أرثوذكسية، وكاثوليكية، وبروستانتية ذات شعب متعدد، والكتاب يقع فى صفحات لا تقل عن الألف صفحة إلا قليلا.. والمؤلفون هـم كتاب ومؤرخون ورجال لاهوت معارضون..

وفى صدر الكتاب تحديد لمناط المسئولية ، حيث يؤكد الناشر إن مختلف فصول الكتاب لا تمثل وجهات نظر مجلس كنائس الشرق الأوسط، إنما تعبر عـن وجهـة نظر كاتبها وبالتالى فهو المسئول الأول عنها..

مجلس كنائس الشرق: ومجلس كنائس الشرق الأوسط هو مجلس جديد تأسس فى عام ١٩٧٤م م.. وحل مكان مجلس كنائس الشرق الأدنى الذى كانت الكنائس الإنجيلية قد أسسه فى مطلع الستينيات من القرن العشرين، وإنعقدت أول هيئة عامة لمجلس كنائس الشرق الأوسط فى مايو ١٩٧٤م فى نيقوسيا بقبرص..

والأمين العام الآن هو القس رياض جرجور، وهو أديب ولاهوتى وعالم، وله دور نشط فى الحوار الإسلامى المسيحي أو المسيحي الإسلامي.. وقد أهدانى مشكوراً هذا الكتاب عند حضورنا معاً مؤتمر الحوار الذى أشرف عليه رابطة العالم الإسلامى..

وكان المؤتمر فى مصر وتحت إشراف المملكة العربية السعودية، وقد قدم التقديم بالمودة والتقدير لدور مميز فى الشهادة للمسيح ، وعمل رائد فى الحوار الإسلامى المسيحى فى السودان لأول رئيس مؤتمر حوار أديان فى السودان، وهو القمص فيلوثاوس فرج..

ونعود إلى الحديث عن مجلس كنائس الشرق الأوسط ، والذى يتميز بأنه يغطى المنطقة التى شهدت أهم أحداث المجيء الأول للسيد المسيح ، حيث تم تحقيق أهدافه الروحية فى فداء الإنسان.. فمن فلسطين إنطلق الحواريون يبشرون بالمسيح وبقيامته المجيدة وصعوده إلى السموات..

وفى الطريق من فلسطين إلى دمشق كانت الرؤيا والدعوة التى قدمت لشاول الطرسوسى اليهودى المتطرف ضد المسيحية، وقد لبى دعوة المسيح وأغمد سيف الإضطهاد رافعاً راية التبشير والولاء حتى الإستشهاد.. وفى أنطاكية دعى المؤمنون مسيحيين لأول مرة..

فلقد ولدت الكنيسة فى الشرق الأوسط وفيه ترعرعت وصارت شجرة كبيرة يأوى تحتها وفيها طيور الأخبار الحسنة المبشرة بالسلام.. وقد بنى هيكل مجلس كنائس الشرق الأوسط على مبدأ عضوية" العائلة الكنسية"..

ويقصد بهذه العائلة مجموعة من الكنائس لا شراكة عقائدية وقانونية كاملة بعضها مع بعض.. وتكون المجلس من كنائس ثلاث: الأرثوذكسية ويأتى فيها الإسكندرية، أنطاكية، أورشليم، قبرص.. والأرثوذكسية الشرقية وهى السريانية، والأرمنية، والقبطية.. والكنيسة الثالثة هى الكنيسة الإنجيلية المصلحة ، والأسقفية، واللوثرية..

ولم تنضم العائلة الكاثوليكية إلا فى عام ١٩٩٠ م بعد مراقبة طويلة وإنخراط أفراد منهم فى المسيرة.. وبهذا تصبح عائلة المجمع أربع كنائس، وهذا يؤكد

الإجماع فى الرأى والمشاركة فى الجماعة وفق أصوات متساوية عند الإقتراع لأخذ أى قرار..

أما صناعة القرار وعمليات تنفيذ البرامج ، فمنظمة قانونياً وتبدأ مع الجمعية العامة للمجلس وتتألف هذه الهيئة من ٩٦ عضواً بواقع ٢٤ عضواً من كل كنيسة، وتجتمع مرة كل أربعة أعوام لكى تقوم ما أنجز.. وتفكر فيما سوف ينجز.. وتنتخب رؤساء أربع من كل كنيسة واحد.. وتنتخب الأمين العام وتعطى تفويضاً لكى تبدأ خطة الأعوام الأربع التالية..

وهناك ثلاثة أقسام هى الإيمان والوحدة ثم التربية المسيحية.. ثم الحياة والخدمة.. ودائرتان هما الإعلام والإتصال الإدارة والمالية.. ويهتم مجلس كنائس الشرق الأوسط بالدراسات والأبحاث لكى تكون مرجعاً للمسيحى وغير المسيحى ، ولكى تساهم فى التعريف بالآخر حتى يسهل ويتعمق الحوار الدائر حالياً فى المنطقة بين مختلف المجموعات الدينية ، ليس على مستوى المسيحى والآخر المسيحى، إنما على مستوى المسيحى والآخر غير المسيحى..

المؤلفون:

وفى تمهيد الكتاب" المسيحية عبر تاريخها فى المشرق" يقولون: إنه من الطبيعى أن يكتب أبناء منطقة الشرق عن كنيسة الشرق لأنهم يفهمونها أكثر من غيرهم ويعيشونها.. ويستطيعون أن ينقلوا خبرة آبائهم بأمانة.. ولكن هذا لا يعنى إشتراك آخرون، فالكتاب كلهم واحد وأربعون مفكر وكاتب، منهم ٢٩ من أبناء المنطقة، وإثنى عشر من خارجها، ولكن الحمد لله قد تم تأليف هذا المرجع الكبير والدقيق..

ولقد كان حلماً ولكنه صار حقيقة وخطوة جريئة وشهادة روحية للعصر عن جهاد الآباء والأجداد فى حفظ الإيمان القديم الذى هو رجاء لمسقبل الكنيسة فى الشرق لأن الله هو سيد التاريخ وهو صانع التاريخ..

٧٣. المسيح قام والحراس كالأموات

فجر الأحد: فى فجر الأحد كانت قيامة السيد المسيح بعد رحلة شاقة من العمل الدؤوب والآلام القاسية التى تحملها فى مختتم حياته.. ولهذا يُعد كل يوم أحد تذكار لقيامة السيد المسيح.. وكل فجر فى كل يوم تذكار لإنتصار النور على الظلام ، والحق على الباطل ، والخير على الشر.. وفى كل مرة تقول الإرصاد: غداً تشرق

الشمس، يزداد إيماناً بأن الشمس سوف تشرق مهما كان الظلام حالكاً.. وهنا يتزايد إيمانى العميق بأن شمس البر سوف تشرق على السودان الذى سيطر عليه ظلام الحرب وجعله عاجزاً رغم ما لديه من عظيم إمكانيات وثروات..

ويذكر إنجيل متى قيامة السيد المسيح ويقول: وبعد السبت عند فجر أول الإسبوع جاءت مريم المجدلية ومريم الآخرى لتنظرا القبر.. وإذا زلزلة عظيمة حدثت لأن ملاك الرب نزل من السماء وجاء ودحرج الحجر عن الباب وجلس عليه، وكان منظره كالبرق ولباسه أبيض كالثلج، فمن خوفه إرتعد الحراس وصاروا كالأموات..

لقد أشرق فجر القيامة.. وكان الحراس هم أول من عاينوا النور المجيد لقيامة السيد المسيح.. لقد خافوا جداً.. كادوا أن يموتون من الخوف.. صاروا كالأموات.. إنهم أقرب الناس إلى القيامة، ولكن هل إتعظوا ؟.. هل أدركوا سر القيامة ؟.. هل فهموا الأمر ؟.. كلا.. إن أقرب الناس إلى الوسيلة هم أبعدهم عن الغاية..

لقد مات المسيح بالجسد عندما شرب كأس خطايا البشرية على الصليب بإرادته كمشيئة الآب السماوى.. إنفصلت جسده عن نفسه لأن هذه هى عقوبة الموت.. وحينما إنسكب الدم من الجسد على الصليب مع شدة الآلام ، خرجت النفس حيث النفس فى الدم، لأن نفس الجسد هى فى الدم، وممنوع أن يأكل الإنسان الدم، والله أعطى الدم على المذبح لكى يكفر عن النفس، لأن الدم يكفر عن النفس كما كان طقس ذبائح العهد القديم (لاويين ١٧:١١)..

لقد صار إنسكاب دم المسيح على الصليب هو الكفارة العظمى.. ونزلت نفس المسيح إلى الهاوية للكرازة فى السجن، فإن المسيح أيضا تألم مرة واحدة من أجل الخطايا ، البار من أجل الآثمة، لكى يقربنا إلى الله مماتاً فى الجسد، ولكن محيى فى الروح الذى فيه أيضا ذهب فكرز للأرواح التى فى السجن (بطرس الأولى ٣)..

عيد القيامة: إن أول كلمة قالها السيد المسيح بعد القيامة هى: سلام.. وهى تحية مستمرة بصوت المسيح له المجد المميز عن كل الأصوات.. وعيد القيامة هو تذكير مستمر بقيامة السيد المسيح.. لقد إنفعلت المريمات إنفعالا صادقاً فى إيمان صادق.. فى حب صادق هو أقوى من الموت، وتفاعل المسيح مع هذا الإيمان الصادق، ووهب للأرض السلام كاملا.. وقد تم لنا فى قيامة السيد المسيح، إن المسيح رفع عن الطبيعة البشرية موت الخطية وألغى من الطبيعة البشرية فعل الموت الأبدى وقوته.. وحرر الطبيعة البشرية من قوى الفناء، وكل القيود المادية، وإكتسب لنا بشرية جديدة مقدسة ومبررة وغالبة للموت، ولها روح القيامة وشركة

المجد، وهذا ما عبر عنه فيلسوف المسيحية بولس الرسول، وأيضا يوحنا فى عدة آيات نذكر منها :-

١. وإن كان روح الذى أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم، فالذى أقام المسيح من الأموات سيحيى أجسادكم المائتة أيضا بروحه الساكن فيكم (رومية٨:١١)..

٢. لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته ، نصير أيضا بقيامته (رومية ٦:٥)..

٣. فإن كنا قد متنا مع المسيح نؤمن إننا سنحيا أيضا معه (رومية ٦:٨)..

٤. فإن كنتم قد قمتم مع المسيح، فأطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله ، إهتموا بما فوق، لا بما على الأرض، لأنكم قد متم وحياتكم مستنيرة مع المسيح فى الله متى أظهر المسيح حياتنا، فحينئذ تظهرون أنتم أيضا معه فى المجد (كولوسى ٣:١،٤)..

٥. أيها الأحباء نحن أولاد الله ، ولم يظهر بعد ماذا سنكون، ولكن نعلم إنه إذا أظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو (يوحنا الأولى ٣:٢)..

ويأتى إلينا عيد القيامة هذا العام، وقد تحققت لنا قيامة السودان الوطن العظيم، نهضة وتنمية وبناء فى جمع الفرقاء معاً.. وإلتقاء الأشقاء من الشمال والجنوب، فى معاهدة السلام تقيم البلاد بعد موت الدمار.. وتتحقق فيه القيامة العظيمة..

ونحن نؤمن إن إله القيامة سوف يجمع كل أبناء السودان معاً.. ويضمد جراحات دارفور.. ويجمع شمل الشرق والغرب والشمال والجنوب.. ويقوم الوطن من كبوته.. وتقوم النفوس متطهرة من ثقافة الكراهية إلى ثقافة المحبة، إستعداداً لأمجاد القيامة.. وعيد القيامة مجيد على وطننا السعيد، وكل عام وأنتم بسلام وخير ونعمة وبركة آمين..

٧٤. الله يتكلم معنا بطرق متنوعة

كلام الله: إننا نحيا روحياً على كلام الله الذى هو غذاء القلب وعزاء الروح.. ولا يستغنى المؤمن عن كلام الله لأنه سراج لرجلى كلامك ونور لسبيلى.. تعزيات هى فرائض الرب لنا فى رحلة غربتنا على الأرض.. وكلام الله متعة ، وجدت كلامك حلواً فأكلته.. لأن حلقه حلاوة وكله مشتهيات.. والله يتكلم معنا بطرق متنوعة من

خلال الطبيعة بكل ما فيها، وكل من فيها من زهور وورود وزرع وضـرع ونـدى ورياح..

الله يتكلم معنا من خلال طفل صغير فى شفافية عمره، وفى عمـر أكبـر مـن عمره.. الله يتكلم معنا من خلال الكائنات الحية.. ويعلمنـا الصبر مـن الجمـال، والنشاط من النمل، والنظام والتنسيق من النحل.. ويحتاج الأمر منا إلى الإحساس بكلام الله.. وإلى التجاوب مع كلام الله.. وكان أول كلام لله هو كلامه مع آدم أعطاه السلطان على كل شىء، ومنعه من شىء واحد أحب الشىء الممنوع أكثر من كـل الثمار الجميلة والمعروفة..

وعندما أكل آدم من الشجرة المحرمة تحدث معه الله.. آدم آدم أين أنت ؟.. قال له: لقد سمعت صوتك فخشيت لأنى عريان فإختبأت.. وإسـتمر حـديث الله : مـن أعلمك إنك عريان ؟ هل أكلت من الشجرة التى أوصيتك أن لا تأكل منها ؟.. وقـدم آدم الأعذار.. وإتهم المرأة بل إتهم الله نفسه الذى أعطاه المرأة .. وضيع آدم على نفسه فرصة الإعتراف والتوبة، وكان العقاب..

وهكذا تكلم الله مع قايين وسأله: أين أخوك هابيل ؟.. وبـدلا مـن أن يعتـرف بجريمته ويطلب الصفح ويقع تحت القصاص قال: أحارس أنا لأخى.. والله لم يوقف الكلام مع الناس، ولكنه يتكلم معنا من خلال نبوات الأنبياء ومواقـف رجـال الله.. ولقد تكلم موسى مع الله حوالى ٧٥٠ مرة وسمى كليم الله..

وسائل يتكلم الله بها إلينا:

وتتعدد وسائل كلام الله معنا وطرق تعليمه لنا.. ونحن مهما كبرنا نحتـاج أن نتعلم لكى يكون الجميع متعلمين من الله وهذه بعض الوسائل :-

١. الوصايا الإلهية: قدم لنا الرب وصاياه لكى تكون هدياً ونوراً لنـا فـى طريـق الحياة.. الله أحبنا أولا وتكلم مع آدم ومع بنى آدم.. والوصايا هى إختبـار للحـب المتبادل بيننا وبين الله.. ونحن نعبر عن تجاوبنا معه عندما نسلك فى الوصـايا.. الله كان يتكلم مع الإنسان من خلال هبوب ريح النهار.. وفى هدأة الليـل وضـوء القمر.. ثم قدم الله للبشر وصايا مكتوبة على لوح هى الوصايا العشر التـى نزلـت فى لوح محفوظ وكسرها موسى عندما سمع صوت ترنيم لغير الله .. ورأى سجود أهله لعجل من ذهب وعاد موسى وإستلم لوحى العهد، وحفظ الناس الوصايا العشر التى إستلمها أول قائد لرسالة التوحيد موسى النبى.. وصارت شريعة موسى هـى ناموس الناس، وكلمة ناموس تعنى قانون.. وقد قدمت الـشريعة تفـصيلا كـاملا للحقوق والواجبات ، ونظمت العلاقة ليس بين الإنسان وأخيـه فقـط، إنمـا بـين الإنسان والحيوان وخلائق الله كلها..

٢. الطبيعة: وهى أعظم مدرسة، ومن خلالها نسمع أعظم الحاديث المخلوقات والنباتات والحيوانات والحشرات.. وهفيف الريح.. وخرير المياه.. والنهار التى تجرى وتشق طريقها وسط الصخور.. والبحار الذاخرة بالأسماك، والحيوانات البحرية.. والطبيعة معلم عظيم لهذا كان "نيوتن" يمشى حاسر الرأس منحنى الظهر، إجلالا وإحتراماً لخالق الطبيعة.. والسموات تحدث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه ، يوماً إلى يوم يبدى قولا.. ويتحدث معنا حديثاً هامساً أحياناً.. عاصفاً أحياناً..

٣. كلمة الله المكتوبة: لم يكن الإنسان فى أول الأيام محتاجاً إلى الكلمة المكتوبة، وكان الله يتكلم معه وجهاً لوجه ، ولكن الآن وبعد السقوط صار الإنسان محتاجاً إلى الكلمة المكتوبة ، وتأتى كلمة الله بالمؤنث فى الكتاب المقدس لتشير إلى كلام الله.. وتأتى بالمذكر لكى يقول لنا الكتاب: إن الله هو الكلمة.. فى البدء كان الكلمة، وكان الكلمة الله..

٤. الرؤى والحلام: قدم الله إعلانات إلهية عن طريق الرؤى والأحلام.. رأى موسى العليقة المشتعلة ناراً ومال لينظر هذا المنظر العظيم، وتكلم الله معه أول الكلام من العليقة وطمأنه وسلمه رسالة الخدمة.. وتكلم الله مع يوسف فى الحلم ، وفسّر يوسف حلم فرعون ، والذى كان تفسيره سبباً لإنقاذ منطقة الشرق الأوسط كلها..

٥. لغة التسبيح: وخلال التسابيح الواردة فى الكتاب المقدس نسمع صوت الله وندرك إن غاية الوصية تهليل قلوبنا بالله والتمتع بأفراح الملكوت فى أحشائنا، لأن من يؤمن بالله يجرى فى باطنه أنهار ماء حية.. ويعد نشيد الأنشاد لغة غزل، هو تسبيح الرب ،عريس النفس البشرية.. كما تقدم الكنيسة فى صلواتها طقس التسبيح من خلال ترديد لغة التسبيح بلحن كنسى يهز أوتار القلوب..

٦. الأمثال والتشبيهات الإلهية: وردت فى الكتاب عدة أمثال تشبه فيها العلاقة مع الله بعلاقة صاحب الكرم مع الكرامين.. والكرمة نفسها هى الإنسان الذى زرعه الله وإنتظر منه الأثمار.. والأمثال هنا هى .BAR BLESS..

٧. الرموز: وهو نوع من الحديث به نفهم شيئاً بتشبهه بشىء آخر.. والرمزية ALLE go Rism.. وهى وسيلة لتفسير الحقائق السماوية بطريقة رمزية.. وهى مجرى مستمر بين المجازات..

٨. الأحداث التاريخية: إن الله هو سيد التاريخ ، وهو يتكلم معنا من خلال التاريخ، من خلال الأحداث الشخصية.. من خلال فشل ونجاح الناس لكى ندرك طريق النجاح..

٩. الأمثال PROBVERBS: وهو مجموع خبرات البشر فى الحياة ، مثل أمثال سليمان ، وحكمة يشوع بن سيراخ، وحكمة حكماء مصر الفرعونية.. والله مستعد للكلام معنا.. هو يطاطىء السموات وينزل لكى يلتقى بنا كما إلتقى بالبشر من خلال السيد المسيح الذى هو كلمة الله وروح منه.. ولكن إذا كانت هذه هى وسائل كلام الله معنا، فهل لنا آذان تسمع ؟ ومن له أذنان للسمع فليسمع..

٧٥. اللقلق أو اللقلاق

إسأل الطيور: فى وسط ضيقة أيوب وتجربته القاسية كان أيوب متجهاً نحو الرب طالباً منه التعزيات.. وكان له أصدقاء حوله أتوا من أماكن بعيدة لكى يقفوا معه فى تجربته.. ويواسونه فى مأساته المعقدة.. ودار بينه وبين الأصدقاء حوار طويل ، وإمتلأ هذا الحوار بالدروس الروحية والعبر القوية..

وذات مرة وجه أيوب أنظار من حوله إلى البهائم والطيور لكى يتعلموا منها قائلا: فإسأل البهائم فتعلمك وطيور السماء لتخبرك أو كلم الأرض فتعلمك ويحدثك سمك البحر.. من لا يعلم من كل هؤلاء إن يد الرب صنعت هذا الذى بيده نفس كل حى وروح كل البشر.. أفليست الأذن تمتحن الأقوال ؟.. كما أن الحنك يستطعم طعامه ؟ عند الشيب حكمة وطول الأيام فهم (أيوب ١٢)..

وهنا يوجهنا أيوب بحكمته السامية وأدبياته الرفيعة أن نتعلم من البهائم ومن طيور السماء.. وبعد هذا بعدة أجيال يتكلم معنا السيد المسيح طالباً منا أن نتأمل فى طيور السماء مؤكداً لنا إننا أفضل وأفضل ويتساءل : أليست خمسة عصافير تباع بفلسين وواحد منها ليس منسياً أمام الله ؟ بل شعور رؤوسكم أيضا جميعها محصاة، فلا تخافوا انتم أفضل من عصافير كثيرة.. تأملوا الغربان إنها لا تزرع ولا تحصد وليس لها مخدع ولا مخزن والله يقيتها.. كم أنتم بالحرى أفضل من الطيور ومن منكم إذا إهتم يقدر أن يزيد على قامته ذراعاً واحدة ؟ (لوقا ١٢)..

طائر اللقلق: ويذكر لنا الكتاب المقدس عن طائر اللقلق أو اللقلاق ، إنه طائر الولاء والحنان، فهو يبدى من الحنان نحو شريكة الحياة ونحو الصغار ما يجعله بطل الولاء بين طيور الأرض والسماء.. وصغاره تحيا مدة إعالة أكثر من أى طائر آخر تحت حماية الوالدين.. كما إنه أيضا طائر الموازنات فى البيئة..

فلقد حرم الكتاب المقدس أكله فى العهد القديم، وإعتبره بين الطيور النجسة لأنه يأكل الجرذان والسحالى وصغار الحيوانات والضفادع والأسماك، ويأكل أيضا الجيف والقاذورات (لاويين ١١:١٨.. تثنية ١٤:١٨).. وفى جزيرة صقلية هناك قوانين تحرم وتمنع قتل اللقلق لأنه من الطيور النافعة فى القضاء على الآفات وإقامة الموازنات البيئية..

ووصف أرميا النبى هذا الطائر بالذكاء فى معرفة الآزمنة والأوقات ، فهو طائر يعرف ميعاد هجرته.. وهذا فهم يحتاج إليه الإنسان فى معرفة قضاء الرب.. وهنا يقول أرميا: اللقلق فى السموات يعرف ميعاده.. واليمامة والسنونة المزقزقة حفظتا وقت مجيئهما، أما شعبى فلم يعرف قضاء الرب (أرميا ٨:٧).. ومشكلة الأنبياء هى عدم معرفة الشعب لقضاء الرب ..

ولهذا يوجه الأنبياء بنى البشر لكى يستلهموا معرفة من طيور السماء وحيوانات الأرض، ولا يعيشوا غير فاهمين، وفى هذا قال أشعياء النبى : الثور يعرف قانيه والحمار معلف صاحبه، إما إسرائيل فلا يعرف، شعبى لا يفهم (أشعياء ١)..

وقبل أن يقول أشعياء قصيدته الشعرية هذه ، إستهل كلامه : إسمعى أيتها السموات وأصغى أيتها الأرض لأن الرب يتكلم.. ربيت بنين ونشأتهم، أما هم فعصوا على..

طائر أفريقى: وفى حياتى لم أر طائر اللقلق رغم إنه طائر أفريقى ، ولكن جهل بعض الولاة دمّر حديقة الحيوان فى وطنى وصرنا نفتقد إلى معرفة طيورنا وحيواناتنا حتى هذه التى تعيش فى بلادنا.. وأعتقد إنه عندما نراجع سياسات هوجاء ينبغى أن نرجع لكى تؤسس حكومتنا الرشيدة التى شتت حيوانات حديقة الحيوانات ، تؤسس حديقة حيوانات جديدة وكبيرة وقريبة لموقع عاصمتنا حتى لا تكون أجيالنا بلا ثقافة ولا تعليم من طيور السماء وحيوانات الأرض..

أما طائر اللقلق فهو من الطيور القواطع ، كبير وطويل الساقين والعنق والمنقار، احمر الساقين والرجلين والمنقار.. وهو يشبه النعام ولكنه يطير، وعندما يفرد جناحيه فى منظر خلاب وتكون مساحة الجناحين نحو سبعة أقدام.. ولقد رأى زكريا النبى إمرأتين خرجتا والريح فى أجنحتها ولهما أجنحة كأجنحة اللقلق فرفعتا الأيفة بين الأرض والسماء (زكريا ٥)..

ويقضى طائر اللقلق الشتاء فى أفريقيا ثم يعبر البحر المتوسط إلى أوربا ، وهناك يستقر فوق سطوح المبانى ويصل إلى هولندا وبريطانيا.. ويوجد اللقلق الأبيض كما يوجد اللقلق الأسود CICONIA-NIGRA... وهو أصغر حجماً

وأسود الظهر والعنق ويعيش فى الغابات على حدود الصحراء ويبنى عشه فى الأشجار العالية ، لذلك يقول المرنم : أما اللقلق فالسرو بيته (مزمور ١٠ :١٧)..
وهكذا يعلمنا طائر اللقلق الكثير من الفهم ومن الحنان الأسرى ، وأعتقد إننا نحتاج إلى أن نتعلم من طيور أخرى ومن حيوانات أخرى وكلها تقدم لنا " دعوة محبة وهي : إسأل البهائم فتعلمك وطيور السماء لتخبرك.. وكلها تحمل إلينا الخبر السعيد وهو : إن الإنسان هو أعظم كائنات الأرض عندما يتعلم من كل شىء حوله..

٧٦. القرون ونهاية العالم

كتاب القرون: يكثر الحديث اليوم عن نهاية العالم.. وكثيراً ما نسمع تاريخاً محدداً لهذه النهاية ، ويأتى الميعاد ولا تحدث النهاية ، والغريب إننا فى حالة تحديد موعد آخر ننسى الموعد الفائت ويرتبك الناس.. وكأن أمر القيامة فى يد الناس، ونحن كمؤمنين نعلم إن هذا الأمر فى يد الله وفى علم الله فقط.. ولكن يقف وراء هذا كله عالم فرنسى كان عرافاً.. ويسمى هذا العراف- ونحن لا نؤمن بالعرافة – يسمى " نو ستراو موس"..
ونظراً لرغبة الإنسان فى معرفة المستقبل كان هذا الكتاب هو أكثر الكتب توزيعاً بإستثناء الكتب المقدسة.. ويضم هذا الكتاب ألف ومائة وواحد وأربعون نبوة.. وقد كتبت النبوات فى شكل رباعيات شعرية ، وهو مكتوب بلغة فرنسية قديمة أقرب إلى اللاتينية ، وبأسلوب غامض يفتح باب التأويل على مصراعيه..
وكانت آخر نبوات القرون : إن ملك الرعب سوف يهبط من السماء فى شهر يوليو ١٩٩٩م.. وإنه سوف ينشر الرعب والحرب التى تجلب له السعادة.. وفى نفس الشهر وتبعاً لقدوم ملك الرعب إلينا سوف يحدث حادث رهيب فى يوم عيد إستقلال أمريكا فى الرابع من يوليو لنفس العام.. وبناء على هاتين النبوتين قام المهووسين بنبوات " موس" بإقناع الناس إن نهاية العالم كله سوف تكون فى يوم أحد من آحاد شهر يوليو..
وقد تجاوب كثيرون مع هذا الهوس وبدأوا فى إتخاذ الإحتياطات اللازمة ، ويحكى عن راهب فى بريطانيا إعتزل الحياة ومعه الكتاب المقدس إنتظاراً ليوم الحشر.. وإحتاطت جماعة يابانية بأن جمعت مؤونة غذائية مجففة لكى تخزنها فى

الملجأ الذى سوف تهرب إليه إذا وقعت الواقعة.. ولقد مرّ شهر يوليو وشيئاً من هذا لم يحدث..

مخاطر الكتاب: وكتاب " القرون" يجعل من يلتجىء إليه يسير فى طريق محفوف بالمخاطر، فهو يشتمل على نصوص غامضة وصعبة التفسير، وما وصل إلى أيدى الباحثين منه مختلف تماماً عن الأصل ، هذا عدا أن موس يعتمد التقويم اليوليانى وهذا التقويم فيه فروق عن التقويم الميلادى بإحدى عشر يوماً.. كما أن ترجمة الكتاب من اللغة القديمة إلى الحديثة ليست فى المستوى المطلوب..

وقد ثبت من الممارسة إن نبوات موسى تتحدث عن الأمر بعد وقوعه، وهذا تحايل فى التفسير ويدلك على هذا بما جاء عن حرب الخليج حيث يقول كتاب " القرون" إن طاغية جباراً سوف يستسلم الغاضبة، وفسروا هذا بأن الطاغية هو صدام حسين ، ولكن من قال إن صدام حسين إستسلم.. إنه لم يزل مصادماً قوياً.. وأكبر مشكلة تقابل أهل تفسير نبوات القرون إن التفسير الخطأ للنصوص يؤدى إلى كوارث، وهذا ما حدث مع جماعة " أوم" اليابانية.. حيث ذهب زعيم الجماعة إلى كبار خبراء نبوات القرون وحمل معه كتباً وأشرطة ميكروفيلم للنصوص الأصلية، وكانت النتيجة هجوم هذه الجماعة على محطة مترو وقطار طوكيو بقنابل غاز السارين السام، ووقوع عديد من الضحايا..

وقد ظهر تأثير هذه المخاطر واضحاً فى آخر إستطلاع للرأى فى اليابان، والذى تبين منه إن عشرون فى المائة من السكان يؤمنون بأنه قبل نهاية يوليو ١٩٩٩ان سوف تقع حرب ضروس يقع ضحية لها ثلث سكان العالم.. وطبعاً مر شهر يوليو فى خير وسلام وكذب المنجمون ولو صدقوا، لأن صدقهم هو مجرد مصادفة غريبة فى تلاقى نبواتهم مع أحداث بعينها..

موعد النهاية:

وموعد نهاية العالم هو فى علم الله فقط.. ولا يمكن لأحد أن يدعى إنه يعرف الوقت ولا الساعة التى فيها ينتهى العالم.. هناك شعارات روحية تؤكد: غن الموعد قريب وان الرب قريب، ولكن التعامل مع هذه الشعارات الروحية لا يكون إلا بالإستعداد الروحى والسهر على الحياة مع الله..

وفى القرن الأول كان حديث بولس الرسول إلى أهل تسالونيكى عن قرب نهاية العالم والمجىء الثانى للسيد المسيح وتجاوب أهل تسالونيكى مع الدعوة الروحية وتركوا كل شىء وصعدوا إلى الجبال فى إنتظار نهاية العالم وقربت مؤنتهم على النهاية، وعندما علم بولس بهذا أسرع ليكتب إليهم عن عنصر المفاجأة فى المجىء

الثانى وطالبهم بالعودة إلى العمل وقال قولته الشهيرة : من لا يشتغل لا يأكل أيضا..

وقد قال السيد المسيح لتلاميذه : ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التى جعلها الرب فى سلطانه (أعمال ١:٦).. وتحدث عن نهاية العالم ستأتى فجاة ووسط الحياة العادية التى يمارسها الناس كما حدث أيام الطوفان، كان الناس يأكلون ويشربون ويزوجون ويتزوجون إلى اليوم الذى دخل فيه نوح الفلك وطالب المؤمنين بالسهر الروحى المستمر قائلا: إسهروا إذن لأنكم لاتعلمون فى أية ساعة يأتى ربكم، وأعلموا هذا إنه لو عرف رب البيت فى هزيع يأتى السارق لسهر ولم يدع بيته يسرق ، لذلك كونوا أنتم أيضا مستعدين لأنه فى ساعة لا تظنون يأتى إبن الإنسان.. جعلنا الله من الساهرين روحياً المدركين لرهبة الساعة ، المستعدين للوقوف قدام الرب..

٧٧. الضحك مقياس حضارة الشعوب

لعلك تضحك: هذا عنوان لكتاب للأديب المتفوق والمتميز أنيس منصور، والذى صارت كل حياته أدباً فى أدب.. ورحلاته حول العالم هى أدب الرحلات.. ومنذ صغره كان عضواً فى صالون العقاد، وكان لا هم له سوى الأدب وما حول الأدب من أدباء وشعراء وكتاب.. وفى كتابه لعلك تضحك ، يقول: إن مقياس حضارة الشعوب قدرتها أن تضحك.. وإن الحظ يضحك لمن يضحك على نفسه كثيراً.. وإذا لم تضحك على نفسك كثيراً أعطيت للآخرين هذه الفرصة..

وإن المرأة التى تضحك لنكت زوجها إما أن النكت مضحكة فعلا ، وإما إنها زوجة مخلصة.. ومن يضحك لنكت رؤسائه ليس مجاملا، وإنما هو إنسان عملى جداً.. يوم لم أضحك فيه يوم من عمرى ضاع.. الضحك موسيقى الروح.. وكما يتكلم الناس بدرجات مختلفة ، فكذلك يضحكون .. يقهقهون.. يقفزون.. يصرخون.. يرقصون.. فالضحك يهون علينا مشاكل الدنيا.. إنه مثل ماسحات المطر فى مقدمة السيارات.. يجلو الزجاج لكى نرى أوضح..

والضحك مثل التثاؤب يعدى أى ينتقل منى إليك.. ويعتبر أنيس منصور إن كتابه هو محاولة إنتشار عدوى الضحك.. وإن نجح فى هذا ، فسوف يحاول مرة أخرى أو يحاول القارىء بنفسه محاولة أخرى.. ويقول فى مقدمة كتابه : إن من يضحك يجد الناس حوله، ومن يفكر يجد نفسه وحيداً ، وإن العالم المصرى أحمد زكى

يقول: إضحك ترقص معدتك أى أن الضحك يقضى على التوتر والتقلصات ، وكلها تساعد العقل أن يستريح والمعدة على أن تهضم.. وكل الذين يشكون من إضطرابات المعدة هم العصبيون هم الذين لم يعرفوا كيف يكون الضحك وعلى أى شيء..

وما يحدث فى الضحك من قهقهة عالية وصراخ وإنفعالات، إنما هو كله محاولات لإطلاق طاقات مكتومة.. لفك مؤثرات عضلية وتقلصات عصبية، وفى النهاية يكون لهم الإسترخاء الذى هو دليل على الهدوء التام، والراحة الشاملة، وهى حالة تشبه الشفاء من كل داء.. أو حالة تفكك كل العقد، فلو حدث ذلك كل يوم أو أسبوع، كان ذلك أحسن وأرخص وأكبر دواء لكل داء.. وكما أن هناك أناس يتذوقون الطعام ، فهناك آخرون لا يجدون فيه متعة..

وهناك أناس يتذوقون النكتة.. والقفشة.. والعبارة المضحكة والكاريكاتير الساخر، فهناك آخرون يمرون على ذلك دون أن يروه أو يسمعوه، فلم يعتادوا على التذوق ولم يعتادوا على أيسر أنواع الراحة وهو الضحك.. ويرى أنيس منصور إن الذى يضحكنا لا يخلُ من معنى.. والمعنى إن كل شيء جانباً يبعث على الضحك من أخطائنا أو من إندفاعنا أو من غباوتنا، فنضحك من الصورة التى بدت أمام كثير من الناس.. فأنت تجد شخصاً فقط فجأة على الأرض.. ونهض من الأرض يضحك على ما حدث له.. إنه بسرعة إستعار موقف الآخرين وبدلا من أن تجدهم يضحكون عليه، فإنه ينضم إليهم ويضحك على نفسه..

والكتاب " لعلك تضحك " كله مواقف فيها يضحك المؤلف على نفسه.. فهو له ظروف خاصة وعادات خاصة وهو نباتى لا يأكل اللحوم.. ولكنه يأكل الجبنة، وهذا جعله فى إشكال سياسى مع زعماء اليهود الذين لا يأكلون الجبنة مع اللحم عملى بالقول: أنت لا تطهو العجل الصغير فى لبن أمه، وهذا حدث ذات مرة عندما أحضر الطباخون أطباق الجبنة للرئيس السادات على مائدة جمعته مع رئيس دولة إسرائيل..

الضحك حضارة: وأرى الآن إتجاه كبير نحو حضارة الضحك، وكثير من الرؤساء عندما يلتقون وبعدما يحدث من فك للتوترات يحكون النكت ويضحكون أو يضحكون على تصرفات الآخرين ، هم دوماً يبتسمون، ولكن إبتسامة دبلوماسية تتحول بصعوبة إلى ضحكات.. ورجل الدين أحياناً يقول بعض النكات المضحكة حتى يخفف حدة التوتر بسبب الأوامر الدينية الصعبة..

وأذكر هنا بعض وعاظ الكنائس إنهم يبدأون الكلمة بنكات ظريفة ولطيفة تملأ الوجوه بالضحكة والإبتسامات ، وبعد هذا يتحول الكلام إلى دموع توبة نصوح أمام

الله.. وقد قال سليمان الحكيم: لكل أمر تحت السماوات وقت.. للضحك وقت.. وللبكاء وقت.. وتكلم الحكيم عن المرأة الفاضلة: إنها إمرأة تضحك على الزمن الآتى أى إنها تعمل من أجل المستقبل ولا يزعجها ما يخفيه الزمن الآتى..

وسارة زوجة سيدنا إبراهيم ضحكت عندما قال لها الوفد الإلهى الزائر إنها سوف تلد ، وكان ضحكها سخرية على نفسها كيف تلد ولها من العمر تسعون عاماً.. وداوُد فى الزابور إمتلأت أفواهنا ضحكاً، وأنا أصلى إلى الله أن يملأأفواهنا ضحكاً، وأن لا تغادر الإبتسامة وجوهنا حتى تكون دوماً وجوهاً مشرقة.. وأن لا يتحول ضحكنا إلى نوح وألم، وثقتى فى الرب قوية إننا سوف نسعد ونضحك على الزمن الآتى بوحدتنا وتوحدنا وقبول كل واحد منا للآخر..

٧٨. وسط النار يتمشون ويتحاورون

الثلاثة فتية: أعود لكى أحيا معكم قصة الثلاث فتية وهم وسط آتون النار يتمشون ويتحاورون وما بهم من ضرر.. ومعهم شخص رابع لم يكن فى الحسبان إنه شبيه بإبن الآلهة ، ولا شك إنهم كانوا يتحاورون معه وكان يقدم لهم رسالة الأبد السامية التى فيها يقف معنا الله فى وسط نار التجربة ويحولها إلى برد وسلام.. وتكون النار للتنقية والتصفية وليس لأكل الجسد وإلتهامه..

وإننا عندما نكون أمناء لله نحيا فى ولاء ووفاء لإسمه القدوس، فإن الله لن يتركنا سوف يكون معنا يخفف من حدة التجربة ومن قسوة الإمتحان، ونخرج منه أنقياء كالذهب الذى يوضع فى النار لكى يخرج منه الوغل ويصبح ذهباً خالصاً.. وقد أعجبنى تأمل القس إيلياس مقار مؤلف " رجال الكتاب المقدس" عندما قال: لست أعلم لماذا يطلق الناس عليهم على الدوام الثلاثة فتية ؟..

من الحق إنهم وصلوا إلى بابل وهم فتيان صغار فى طراوة العمر وربيع الحياة، ولكن من المؤكد إنهم تقدموا مع الزمن وتجاوزوا على الأغلب الخامسة والثلاثين من العمر عندما واجهوا إمتحانهم الأعظم أمام نبوخذ نصر.. ولقد وصفوا فى القصة سبع مرات بأنهم رجال ، ومع ذلك فنحن نصفهم بأنهم الثلاثة فتية.. هم فى عقولنا كذلك..

هل توقف الزمن لكى يمنحهم شباباً خالداً لا يمكن أن ينال منه الضعف ولا الوهن أو العجز بأى صورة من الصور؟.. إننى أعتقد إننا فى الأبدية سوف نكون شباب حياتنا.. أصحاب الفلسفات، سوف يتحرروا بعد القيامة من عاهاتهم لأننا

نزرع فى فساد ونقوم فى غير فساد.. وعندما رد الرب سبى أيوب بعد آتون نيران تجربته القاسية ، صار أيوب أو عاد شاباً يافعاً لأنه ولد سبع بنين وثلاث بنات ، نفس العدد الذى كان له، ومات فى يوم واحد..

إن الثلاثة الفتية الذين رفضوا الخضوع لغير الله سوف يظلوا فى نظر التاريخ فتياناً أقوياء أشداء متماسكين غير متوترين.. فى تصميم مستعدون للموت، فى النار حتى لو لم ينقذهم الله ، ولكنهم فى ولائهم يرفضون السجود لتمثال الذهب.. هؤلاء الثلاثة فتية عند سماع الموسيقى لازمت جميع الرؤوس الأرض عدا رؤوسهم التى لا تنحنى إلا لله وحده..

للرب إلهك تسجد، وإياه وحده تعبد.. وتقدم زملاؤهم بشكوى إلى الملك وأسباب الشكوى غيظ الرأس المنحنى من الرأس الذى لا يعرف الإنحناء للبشر والناس دائماً يبحثون عن الرؤوس المتساوية ، ولا يقبلون رأساً يرتفع فوق رؤوسهم ليكشف ضعفهم ونقصهم وهزالهم وهزيمتهم.. بل إن صراعات اليوم هى تناطح الرؤوس وتصارع الرياسات وتقاتل المناصب وما وراء ذلك من حسد وأحقاد..

الولاء لله: تميز الثلاثة فتية بالولاء لله، ولهذا حفظهم الله ولم تحرقهم النيران، وكان الله بنفسه معهم، فلقد وجد الملك إنهم أربعة وتساءل: كيف صاروا أربعة ؟.. والرابع أبرع جمالا من بنى البشر.. إذا إجتمع إثنان أو ثلاثة بإسمى أكون فى وسطهم.. لقد كان هؤلاء الثلاثة فتية قد إنتصروا على أنفسهم، وهنا إستطاعوا الإنتصار على الإمبراطور العظيم الطاغية.. إن الثلاثة فتية.. عُزل من كل سلاح ، يقفون أمام أعظم إمبراطور دانت له الدنيا.. وقهر الممالك..وأذل أعناق الرجال..

لقد كان الملك مغتاظاً وفى شدة غيظه أمر أن تحمى النار سبعة أضعاف.. لقد خاض هؤلاء معركة من أجل الله، ووقفوا فى شجاعة أمام الملك ينادونه بإسمه دون تزلف أو تملق أو خوف.. كانت المعركة بين نبوخذ نصر والثلاثة فتية هى ذات المعركة القديمة.. هى نفسها المعركة المتجددة والتى أبطالها هم" الواقفون على خط النار ".. والمستعدون أن يدخلوا إلى الآتون المحمى لأجل الله.. والمعركة هنا هى معركة بين المنظور وغير المنظور.. بين الحق والباطل.. بين الخير والشر.. بين الأمانة والخيانة.. بين الحكمة والحماقة..

من المؤكد إنه لا يوجد تكافؤ بين الطرفين والكفة راجحة حسب رأى البشر إلى الملك الذى يملك قوة الدنيا بأكملها، بينما الثلاثة فتية لا حول لهم ولا قوة، ولكن هؤلاء العُزل كانوا يملكون قوة هى قوة رب الجنود، قوة جعلت الملك يخجل من نفسه ويعتز بإلههم القوى.. لقد كان الفتية الثلاث واثقون فى الإنتصار.. وعندما رماهم فى النار مربوطين وجدهم محلولين..

فلقد حرقت النار كل الربط التى هى قيود ، وصاروا يتمشون وهم لابسون ملابسهم التى لم تحرقها النار.. إن الثلاث فتية رمز للمؤمنين الذين لا يعيشون لنفسهم ، بل لله يعيشون ويحتملون، ويراهم العالم ويرى الله معهم فى آتون النار..

٧٩. تعزيات على خط النار

فيض التعزيات: يقف المؤمن على خط النار فى أحداث حياته.. والنار هنا هى نار الخطر إذا لم يكن الإنسان حريصاً.. والنار النور إذا تمسك الإنسان بالتقوى.. وكانت له القيم الفاضلة خير كنز فى الحياة.. وناجى نفسه مع الشاعر السودانى توفيق صالح جبريل قائلا:

يانفسى عوذى بالذى أبقاك فى آمن وحرز..
حمداً لمن أنجى ضميراً مرهقاً من شر وخز..
ما ضرنا فأضلنا، فأذلنا ذهب المعز..
إن العفاف مع التمسك بالمبادىء خير كنز..

ويقول المزمور: عند كثرة همومى فى داخلى تعزياتك يارب تلذذ نفسى.. وعندما تتعاظم الهموم تتجه النفس نحو تعزيات الله وتكون خطوط النار خطوط مطهرة لأنها من نار التطهير وليس من نار التدمير.. وهنا نلقى همومنا على الرب وهو يتعهدنا ونحيا وصية : لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون ولا لأجسادكم بما تلبسون.. لا تهتموا بشىء بل فى كل شىء بالصلاة والدعاء مع الشكر..

إن الإيمان هو المحبة فى أبهى صورها، والألم فى مفهوم جديد ومذاق جديد لغرض مجيد، ويصبح الألم من أجل متعة روحية وكأساً لذيذاً يرتشفه المؤمن.. ويصبح الصبر فى الطريق زاداً نتزود به.. ونتغنى مع الشاعر :

تنكر لى الدهر ولم يدر إننى..
أعز وأحداث الزمان تهون..
فبات يرينى الخطب كيف إعتداؤه..
دبت أريه الصبر كيف يكون..

ويقدم أشعياء شاعر القرن الثامن قبل الميلاد رسالة تفيض تعزية ويقول: عزوا عزوا شعبى يقول إلهكم طيبوا قلب أورشليم ونادوها بأن جهادها قد كمل، إن إثمها قد عفى عنه، إنها قد قبلت من يد الرب ضعفين عن كل خطاياها.. على جبل عال أصعدى يامبشرة صهيون.. هوذا السيد الرب يأتى وذراعه تحكم له.. هوذا

أجرته معه.. وعملته قدامه.. ألم تفهموا من أساسات الأرض ؟.. الجالس على كرة الأرض وسكانها كالجندب الذى ينشر السموات كسرادق .. ويبسطها كخيمة للسكن الذى يجعل العظماء لا شيئاً (أشعياء ٤٠)..

ولا شك هنا إن الحديث عن الله ضابط الكل الذى لا يتركنا نحترق على خط النار، بل يجعل النار تطهرنا مثلما يتطهر الذهب.. إن الله الجالس على كرة الأرض ليس حديثا فقط عن كروية الأرض منذ عام ٧٤٠ ق.م، إنما هو حديث عن إن الله يبسط سلطانه على كل الأرض فهو ضابط الكل الذى بيده كل خيوط حياتنا..

على خط النار: وكلنا على خط النار وكلنا عرضة للتجارب والإبتلاءات.. وعلى هذا فنحن فى إحتياج شديد إلى التعزيات، وكما يقول هاملتون: أطلبوا من الله أن يمنحكم حكمة فى خدمة التعزية.. لكى تستطيعوا أن تشتركوا فى عواطف الآخرين لأنه ما أثقل النفس المتألمة الحزينة.. وما أكثر الحاجة لمعزين حقيقيين إمتلأت قلوبهم بالعاطفة الروحية المعزية..

ويرى " ماير" إن دخولنا إلى الآلام الضيقات يعنى إننا فى الطريق المستقيم.. وهذه علامة أكيدة على ان الله معنا، لأنه إذا كنا نسير فى بلاد غريبة ونعرف من قبل إننا ينبغى أن نجوز وادياً إختفت عنه الشمس أو نسلك طريقاً صخرياً ، فإن كل دقيقة لا نرى فيها نور الشمس تعنى إننا نسير فى الطريق المستقيم.. وعندما نعلم ببلايا الأرض نتطلع إلى التعزية ونجدها آتية إلينا يقيناً، حتى لو أمسكت أعيننا عن رؤيتها..

لقد عاش يوحنا بنيان فى السجن إثنى عشر عاماً ، ثم كتب كتابه " سياحة المسيحى" وقال فيه: فى كل أيام حياتى لم أتغلغل فى أعماق كلمة الله مثل الآن.. مما جعلنى أقول مراراً : أيحل لى أن اطلب المزيد من الآلام للحصول على المزيد من التعزية ؟.. إن الله لا يمكن أن ينسانا.. إنه معنا دوماً.. إنه يتضايق لضيقتنا ، فى كل ضيقتهم تضايق وملاك حضرته خلصهم.. إنه لا يتركنا على خط النار بمفردنا.. إنه يركض ليعانق الإبن الضال.. ويركب على كاروب، بل يطير على أجنحة الريح لإنقاذ تلاميذه من الغرق..

والتعزية تأتى تعزية إلهية ، وعلينا أن نقف فى المخرج الواضح لطائرتنا،وأن ننظر لخريطة المطار حتى لا تفوتنا الطائرة، ونعرف أيضا أين ننتظر التعزية، هل من الجبال الراسخة أكثر من رسوخ الأر ض ؟ أم من البشر الذين لم يستطيعوا أن يصلوا إلى أعماق القلب ؟.. أم من الملائكة الذين يندر أن يرسلهم الله يحملون رسالة عزاء لأن طبيعتهم تختلف عن طبيعتنا .. إن التعزية آتية من الله ، من روحه القدوس المعزى.. إن إلهنا هو إله كل تعزية والذى يعزينا فى كل ضيقة

بالتعزية التى تحتاج إليها وفيها نحيا على خط النار وسط فـيض مـن التعزيـات الإلهية..

٨٠. الحب الإلهى

مسيرة الحب: لا يشك أى إنسان فينا إنه يحيا فى محبة الله لأن لذته مـع بنـى البشر، ولأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل إبنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يـؤمن به.. ولأنه بالإختصار الله محبة.. الله أحبنا أولا وخلقنا على صورته ومثالـه فـى البر وقداسة التقوى..

وبدأت مسيرة الحب منذ الأيام الأولى للأسرة الأولى ، وعندما عصى آدم وحواء أمر الله وأكلا من الشجرة المُحرمة ، حاول الله مـع آدم أن يعتـرف بالـذنب لأن الإعتراف هو بداية الغفران، ولكن آدم وقع فى المراوغة وأسند الخطية إلى حواء.. وهى أسندتها إلى إبليس، ونظر الله بعطف وحب نحو خليقته وقال فى وعد حقيقى واعد: إن نسل المرأة يسحق رأس الحية..

وهذا يعنى العودة إلى الجنة.. وقد كانت مريم العذراء صاحبة المكـان الحـسن والمكانة العظيمة عند المسلمين والمسيحيين هى التى أتمت هذا الوعد، حيث ولدت السيد المسيح ، والذى سحق الشيطان حتى إن الأحاديث الشريفة تقول : إنه ما من إنسان يولد إلا وينخسه الشيطان ما خلا عيسى إبن مريم ومريم أمه..

ولقد إنتصر السيد المسيح على الشيطان وسحق قوته وعناده وصار كل مـؤمن يقدر أن يربط الشيطان عندما يذكر إسم الله أو عندما يرشم علامة الـصليب عنـد المسيحيين، حتى صار تقليد عند الرهبان عندما يتلاقون وهم لا يعرفـون بعـضهم البعض يبدأون برشم الصليب، وأحياناً يكون من أتى إليهم شـيطاناً فيحتـرق فـى الحال..

الحب الإلهى: وحديثنا عن الحب الإلهى عند رجال الصوفية بل ونساؤها أيـضا، فهناك نساء تصوفوا وأحبوا الله حباً كبيراً من بينهم: رابعة العدوية، رابعة أخواتها البنات، والتى كانت تعمل خادمة فى بيت وسمع رب الأسرة إبتهالاتها إلى الله وهى تقول: يارب إن كنت أحبك طمعاً فى الجنة فأحرمنى منها.. وإن كنت أحبك خوفاً من النار فأحرقنى بها.. إننى أحبك يارب لأجلك فقط..

وفى بحث عن الأدب الصوفى للأستاذ أحمد محمد علـى تحـت عنـوان" الأدب الصوفى نحو نظرية جديدة للأبداع" فى مجلة الخرطوم العدد الحادى والعـشرون ، حديث عن الحب الإلهى يبدأه بقوله: إن كلمة حب ترتبط بالله وهـى ليـست مـن إختلاق الصوفية .. فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه.. قل : إن كنتم تحبـون الله يحببكم الله..

وفى الحديث الشريف : فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ،وبـصره الـذى يبصر به.. ومن منازل أياك نعبد وأياك نستعين يقول القيم عن منزلة المحبة وهى المنزلة التى فيها تنافس المتنافسون، وإليها شخص العاملون، وإلى علمهـا شـمّر السابقون، وعليها تفانى المحبون، وبروح نسميها تروّح العابـدون، فهـى قـوت القلوب، وغذاء الأرواح، وقرة العيون، وهى الحياة التى من حرمها فهو من جملـة الأموات، والنور الذى من فقده ففى بحار الظلمات ، والشقاء الذى من عدمه حلـت بقلبه جميع الأسقام.. واللذة التى من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام..

ويتحدث أحمد على عن تقسيم الدكتور إبراهيم البسيونى لـدرجات التـصوف، ويجعلها ثالوثاً مؤكداً هو البدايات والمجاهدات والمذاقات.. وجعل للمـذاقات ثـلاث درجات : الحب ، الفناء، المعرفة.. وكأنه يتوافق مع قول داؤد المرنم فى الزابور: ذوقوا وأنظروا ما أطيب الرب..

وقد عبّر الصوفيون عن الحب بشعر روحى عذب حيث وجد الصوفية إن الشعر هو أحلى وسيلة للتعبير عن مرحلة الإلهام التى يوشك العقل فيها أن ينعدم وينطلق، والقلب والوجدان وحيدين فى ساحة الحب ويسجلان الرائع الصافى ، وتتميز كلمـة الحب عند الصوفية بميزتان هما: الميل إلى التركيز وضولا إلى الجوهر.. والحيوية الشفافة الصادقة.. وعن المعنى الأول يقول الصوفى صابراً :

صابر الصبر فإستغاث به الصبر
فصاح المحب بالصبر صبـــراً

وعن المعنى الثانى للحب عند الصوفية يقول أبو زيد :

غرست الحب غرساً فـى فـؤادى   فلا أسلو إلى يوم التنادى
جرحت القلب منـــى بإتصـــال   فشوقى زائد والحب بادى

نحتاج نحن جداً أن نجلس إلى أنفسنا ونراجع مدى محبتنا لله إن كانت باردة نرفعها إلى حارة، وإن كانت فاترة لا تقصر فى رفع درجتها ، وإن كانت حارة نطلب أن تكون حارة أكثر فأكثر، لأن الحب الإلهى هو أنقى أنواع الحب، ونحن مطالبون أن نحياه..

٨١. مناجاة الله فى الخلوة

ركب الحياة: يدور رتم الحياة من حولنا سريعاً وقاسياً.. ونحن نجرى ونجرى ولا ندرى إننا نجرى.. تمر بنا الأيام لكى تفرغ سلتنا الروحية من دسم الروح.. وتصبح حياتنا خاوية وفارغة.. ونعمل ليل نهار ونبذل الوقت والجهد ونصير ترساً فى عجلة المجتمع الكبير.. لا نقدر أن نتحرك بغير مسار الإله الكبيرة.. وتئن أرواحنا فينا طالبة منا الفرصة أن نختلى ونجلس مع الله..

وفى صمت اللسان نتحدث مع الله.. ونناجيه.. ويسمعنا صوته ونشعر به فعلا من خلال صمت الخلوة فى زقزقة العصافير.. فى خرير الماء الهادىء.. فى حركة أوراق الشجر.. فى هدوء النسيم.. وجيد للرجل أن يحمل النير فى صباه.. يجلس وحده ويسكت.. ويبحث عن سكون النفس، والذى هو أحد أسرار الحياة الآتية.. ويحتاج هذا منا إلى ترك كل العالم والإلتصاق بالكل الإلهى..

ولكن حياتنا لم تزل حتى الآن فيها تمسك بالعالم الزائف.. ومسايرة للناس فى هذا التمسك.. وعجيب حقاً أن نرى خطأ الناس واضحاً ولا نكف عن مسايرة هذا الخطأ، ونرى شر الناس فاضحاً ونصر على مسايرتهم ، بل نتمادى فى الزج بأنفسنا وسط موكب البشرية الصاخب ، كأنه مسّنا نوع من جنون الحياة، ولا نحاول أن نستخلص أنفسنا من وسط هذا التيار الجارف..

بل على النقيض نحاول أن نسرع فى طريقنا وندعو الآخرين أيضا ليشاركوننا رحلة السير المبهم نحو المصير المجهول، وننسى إننا أصحاب هدف ورؤيا.. وإننا مطالبون أن لا نشترك فى أعمال الظلمة غير المثمرة بل بالحرى نوبخها.. نرفضها، نصلى من أجل من يصغونها ولا نصغها نحن.. ونحن فى حياتنا ينبغى أن نكون متمردين وخداعنا إننا ننشغل بأوراق خضراء وجميلة فى شجرة حياتنا، ولكنها أوراق تجف يوماً وتتركنا عراة..

وإذا شئنا أن يكون لنا ثمار روحية ، فعلينا أن ندخل إلى مخادعنا ونغلق أبوابنا ونجلس فى صمت ونفحص أعماق نفوسنا، وحينئذ سوف يدرك الواحد منا عريه وخزيه وفقره، وإنه ليس غنياً بل هو الفقير الشقى العريان..

الخلوة مع الله: حينما نخلو إلى الله.. عندما نجلس مع الله.. سوف نجد أنفسنا أولا ونرى نفوسنا فارغة ، ونرى إن ما ملأنا بهى الجو من صياح هو لا شىء.. يغيب مثلما الصياح.. والحل هو الإختلاء مع الله.. والجلوس فى حضرته صمتاً.. وهنا نرى صورتنا فى مرآة الله.. ونكتشف إننا لم نسير فى الطريق كما أراد هو أن نسير.. وعند الصوفية الخلوة بمثابة الأجنحة التى تصعد بها النفس إلى الله.. إلى عالم الملكوت..

وإن الفتنة تأتى لآولئك الذين يدخلون الخلوة بغير شروطها.. وكما يقول أبو سعيد الخرّاز : المعرفة تأتى القلب من وجهين من عين الجود ومن بذل المجهود، والمتصوف فى خلوته دائم المجاهدة يتنقل من ذكر إلى صلاة إلى صيام بالنهار إلى قيام بالليل إلى تلاوة إلى مناجاة إلى تركيز للإنتباه فى موضوع واحد لفترة طويلة من الزمن..

وهنا يكون الصوفى فى معانات ومجاهدات ، ويبدو للناس ساكناً ولكن قلبه متحرك مثلما تقول عروس النشيد: أنا نائمة وقلبى مستيقظ.. وعن طريق الصوفية نشأ فن المناجاة وهو لون أدبى رفيع لا يقدر عليه إلا من جرب صمت اللسان لكى يتكلم الله.. ونظراً للفروق الفردية فى المجاهدات فإن الصوفية يتنوعون إلى قسمين: المتعبدون والمحبون..

المتعبدون مناجاتهم لله هى ترديد المعانى الدينية العامة وكلمات الإستغفار من الذنوب، والشكر على النعم مثلما مناجاة الروزبارى:

لو كل جارحة منى لهـا لغـة..
تثنى عليك بما أوليت من حسن..
لكان ما زاد شكرى إذ شكرت به..
إليك أزيد فى الإحسان والمنـن..

ويقول يحيى بن معاذ:

أشكو إليك ذنوباً لست انكرها..
وقد وجدتك يا ذا المن تغفرها..

أما المحبون فلهم رياضات روحية ويتخذون الخلوة وسيلة للفنـــاء فـــى المحبـــوب والتغنى بذكر الله..

ذكرنا وما كنا نسينا فنذكـــر ولكن نسيم القرب يبدو فيبهر
فأحيا به طوراً وأغدوا به له إذا الحق عنه مخبر ومعبـــر

وهنا تكون مناجاة الله فى الخلوة لقاء مع الله وصفاء للنفس ، ونقاء للسريرة، وحياة مجيدة مع الله الذى نرجو أن لا يحرمنا نعمة الإختلاء معه..

٨٢. درجات الحب الإلهى

أحبك يارب: إن حب الإنسان لله هو أرقى وأسمى أنواع الحب ويقول داؤد المرنم: أحبك يارب ياقوتى.. الرب صخرتى وحصنى ومنقذى.. إلهى صخرتى به أحتمـــى.. فى ضيقى دعوت الرب وإلى إلهى صرخت فسمع من هيكله صوتى وصراخى قدامه دخل أذنيه.. لأنك أنت يارب تضىء سراجى.. الرب إلهى ينير ظلمتى.. الله طريقـــه كامل.. قول الرب نقى.. ترس لجميع المحتمين به.. لأنه من هو إله غيـــر الـــرب ومن هو صخرة سوى إلهنا ؟ (مزمور ١٨)..

ولقد قال أوغسطينوس يناجى الله: إن من أحب شيئاً آخر أكثر منك فقد أحبـــك حباً قليلا.. وهناك حالة روحية تسمى حالة الدهش تحدث عنها الأب متى المسكين فى كتابه " حياة الصلاة" ويقول: إن الدهش هو الـــذهول أو الإغمـــاء أو إنخطـــاف العقل حيث يخرج الإنسان عن وعيه ..

وترجمت كلمة " دهش" فى اللغة العربية إلى حيرة، حيث يقول داؤد النبى: أنـــا قلت فى حيرتى إن كل الناس كاذبون.. والحيرة هنا ليست إرتباكاً، لأن تكملة كـــلام داؤد : بماذا أكافىء الرب عن كل ما أعطانيه كأس الخلاص آخـــذ وبإســـم الـــرب أدعو.. وداؤد هنا يعترف بمقدار النعمة التى رفعت إليها نفسه أثناء الدهش.. ولقد وردت كلمة حيرة بمعنى دهش عدة مرات قبل:

١. فأخذت الجميع حيرة ومجدوا الله قائلين : إننا رأينـــا اليـــوم عجائـــب (لوقـــا ٥:٢٦)..

٢. وعن المشلول الذى كان يقف على باب الهيكل، وإلتقى بطرس ويوحنا، وسمع لبطرس يقول: ليس لى ذهب ولا فضة ولكن الذى لى فإياك أعطى، بإسم يسوع المسيح الناصرى قم وأمشى.. وعندما قام ومشى فإن الذين عرفوا إمتلأوا دهشة وحيرة (أعمال ٣)..

٣. عند قيامة السيد المسيح ذهبت المريمات ولم يجدن يسوع فى القبر، فخرجن سريعاً وهربن من القبر، لأن الرعدة والحيرة أخذتاهن، ولم يقلن لأحد شيئاً أى إنعقد لسانهن لأنهن كن خائفات (مرقس ١٦)..

والدهش حالة إختطاف روحى.. غيبوبة روحية.. وجاءت فى إصطلاحات مثل: وكان روح الرب عليه، وكانت يد الرب عليه.. إختطف إلى السماء الثالثة أفى الجسد لست أعلم أم خارج الجسد لست أعلم ، الله يعلم؟ أو كنت فى الروح؟ ويرى الأب متى المسكين : إن إختبار الدهش أو الغيبوبة الروحية يستلزم أن يكون الإنسان فى حالة إستعداد روحى داخلى لقبول إعلانات الله.. ويكون ملازماً لحالة الهدوء الكامل والسكينة ، والتى بعدها يتوقف إتصال الإنسان بنفسه وبالعالم المحيط به.. ويصبح تابعاً لله بكل كيانه..

وفى الدهش يفقد الإنسان السيطرة الحرة على عقله وحواسه، لأن الروح القدس هو الذى يقوده فى هذه اللحظات فتبتلع حريته فى مشيئة الروح، ويكون تحت تدبيره وإعلاناته.. والدهش واضح فى العهد القديم عندما كان الله ينقل كلامه إلى الأنبياء، حينما كان عقل النبى يخطف فجأة ويصير فى غيبوبة ثم يعود إلى نفسه وينطق بكلمة الله لمن حوله..

درجات الحب: وإذا كان الدهش هو درجة من درجات الحب الإلهى.. وعند الصوفية: إن الحب درجات ومذاقات.. والدرجات هى البدايات والمجاهدات والمذاقات.. والمذاقات هى ثلاث درجات: الحب.. الفناء.. المعرفة.. وعن الحب يقول أحد المتصوفين :

إنى أجلك عن روحى وأبذلها
فداء عبدك روح أنت واهبها
وكيف تفديك روح أنت واهبها ؟
قد مننت على من يفتديك بها

وعند الحب الإلهى يكون الله هو العيد السعيد للمحب الحبيب، وهنا يقول الشبلى:

إذا كنت لى عيداً

فماذا أصنـــع بالعيـــد؟
جـرى حبـك فى قلبـــى
كجرى المـاء فى العـــود

أما سمنون فيرى : إن الحب تبادل للكلام وقبول للعتاب :

يعاتبنى فينبســط إنقباضــى
وتسكــن روعتى عند العتــاب
جرى فىّ الهوى مذ كنت طفلا
فمالى قد كبرت عن التصابــى ؟

وتدخل رابعة العدوية إلى أعمق درجات الحب الإلهى، وتكـون رابعـة لكـأس والخمر والنديم.. لأن الله هو كأسها وخمرها، فهى تسكر بمحبة الخالق وتقول :

كأسى وخمرى والنديــم ثلاثة
وأنا المشوقة فى المحبة رابعة
كأس المســرة والنعيم يديرها
ساقى المدام على المدى متتابعة
فإذا نظرت فلا أرى الإلـــه
وإذا حضرت فلا أرى إلا معـه
يا عازلى إنى أحــب جمالــه
تا لله ما أذنى لعذلــك سامعـــة
كم بتُ من حرقى وفرط تعلقــى
أجرى عيوناً من عيونى الدامعــة
لا عبرتى له ترقاً ولا وصلى له
يبقى ولا عينى القريحة هاجعــة

وحب الصوفية فيه ملازمة للمحبوب أو جلوس عند قدمى المحبوب مثلما كانـت مريم تجلس عند قدمى المسيح، وقد إختارت النصيب الصالح الذى لن ينزع منها..
ويقول أبو عبد الله المغربى:

يامن يعد الوصـــال ذنبـــاً
كيف إعتذارى ولى ذنـــوب ؟
إن كان ذنبى إليك حبــــى
بأننى منــــه لا أتــــوب

ويقول الجنيد فى صوفية : إن الله مع أنفاسه التى يتنفس بها..

وما تنفست إلا كنت فى نفســـى..
تجرى بك الروح منى فى مجاريها..

وعندما يتوجه الحب إلى العالم الأعلى فإنه يسمو فوق كل حب ويصبح الإنسان صاحب إحساس ناعم رهيف:

وإذا كان حب الهائمين من الورى..
بليلى وسعدى يسلب اللب والعقلا..
فماذا عسى أن يصنع الهائم الذى..
سرى قلبه شوقاً إلى العالم الأعلى..

إن درجات الحب الإلهى لا يمكن أن تحصرها الكلمات ولكن يظل الحـب درجـات كلما صعدنا درجة إشتقنا للصعود درجة أخرى..

٨٣. المنتصرون داخل النار

الثلاثة فتية: يُحكى سفر دانيال قصة الثلاثة فتية ولكنه يبـدأ بـأن يـذكر إنهـم أربعة.. ويذكر أسماؤهم : دانيال حنانيا ميشائيل وعزريـا.. وتقـول القـصة : إن أورشليم وقعت تحت حصار نبوخذ نصر ملك بابل والذى طلب أن يحضر مجموعـة فتيان لا عيب فيهم، حُسان المنظر، حاذقين فى كل حكمة، وعارفين معرفة ، وذوى فهم بالعلم، وهؤلاء يدخلون إلى مدرسة فى داخل القصر لمدة ثلاث سنوات بعـدها يقفون أمام الملك..

وبدأت رحلة التعليم بتغير الأسماء اليهودية إلى أسماء بابلية ، وقبل الأربعة هذا بدون غضاضة، ولكن المشكلة التى وقفت أمامهم هو موضوع الأكل، وعند أبناء يعقوب محرمات ليست عند أهل بابل.. وقرر الأربعة أن لا يأكلوا من أطايب الملك وطلبوا من الأساتذة أن يأكلوا بقولا أو قطانى فقط.. ولما خاف المسئولين طلب منهم دانيال تجربة لمدة عشرة أيام ونجحت التجربة ..

وعند نهاية العشر أيام ظهرت مناظرهم أحسن وأسمن لحماً من كل الفتيان الآكلين من أطايب الملك ، ورفعوا عنهم الخمور واللحوم، فلقد كان هؤلاء الشباب قد نذروا أنفسهم للرب وعاشوا له.. ورنموا ترنيمة فى أرض غريبة.. وعاشوا قوة العبادة ونسك النسّاك.. وبعد نهاية مدة الثلاث سنوات وقف الفتيان الأربعة أمام الملك ليمتحنهم فى كل أمر حكمة وفهم..

وسألهم الملك وكانوا عشرة أضعاف فى تفوقهم على الآخرين فى كل المملكة.. وعاش هؤلاء الأربعة مع غيرهم من المجوس والسحرة بجوار الملك فى قصره، وهنا ظهرت مشكلة غريبة فلقد حلم نبوخذ نصر حلماً وإنزعجت روحه وطار عنه نومه وأرسل يستدعى المجوس والسحرة لكى يفسروا له الحلم.. وتعقدت المشكلة لأن الملك نسى الحلم ، وكانت مهمة السحرة ليس أن يعرفوا تفسير الحلم فقط، إنما أن يعرفوا ما هو الحلم..

ولما لم يعرف أحد قرر الملك قتل المجوس والسحرة، وجاء دور دانيال ورفاقه الثلاث، وفهم الأمر وطلب مهلة للصلاة وصلوا وبعد الصلاة كشف لدانيال السر فى رؤيا الليل، ومثل دانيال أمام الملك وحكى له الحلم وقدم له تفسير الحلم ، وهنا خرّ نبوخذ نصر الملك وسجد لدانيال وقال له: حقاً إن إلهكم إله الآلهة ورب الملوك وكاشف الأسرار.. وعظم الملك دانيال وأعطاه مكاناً رفيعاً.. وصار ثانياً للملك ورئيس وزراء له وظل دانيال فى باب الملك، أما رفاقه فقد صاروا ولاة على أعمال ولاية بابل العظيمة..

فى آتون النار: نحن نتحدث عن الواقفين على خط النار، وكيف تكون لهم النار قوة للتطهير وليست للتدمير، ولكن هؤلاء الفتية الثلاث دخلوا إلى آتون النار وكانت النار لهم برداً وسلاماً.. وتبدأ القصة بأن الملك نبوخذ نصر صنع تمثالاً من ذهب طوله ستون ذراعاً وعرضه ستة أذرع، وفى دورا والتى هى حى من أحياء بابل نصب التمثال.. وجاء الولاة والشحن والمرازبة من أنحاء إمبراطورية بابل ليحضروا تدشين التمثال.. وناد منادٍ بشدة : قد أمرتم أيها الشعوب والأمم والألسنة عندما تسمعون صوت القرن والناى والعود والرباب والسنطير والمزمار وكل أنواع العزف، أن تخروا وتسجدوا لتمثال الذهب الذى نصبه نبوخذ نصر الملك ومن لا

يخر ويسجد ففى تلك الساعة يلقى فى وسط آتون نار متقدة.. وقد كان ، إلا حكام بابل الثلاث فتية الذين رفضوا السجود لغير الله..

ووصل الخبر إلى الملك وإستدعى الفتية الثلاث وهو مغتاظ ووجهه متغير، وسألهم مستنكراً عدم سجودهم لآلهة الملك وتمثال الملك، وطالبهم بالسجود عند سماع الموسيقى، وإن لم يسجدوا فالنار فى إنتظارهم لتأكل أجسادهم وتنهى عدم طاعتهم وقال مستنكراً : من هو الإله الذى ينقذكم من يدى ؟.. وكانت إجابة شدرخ وميشخ وعبدنغو: يانبوخذ نصر لا يلزمنا أن نجيبك على هذا الأمر، هوذا يوجد إلهنا الذى نعبده يستطيع أن ينجينا من آتون النار المتقدة، وأن ينقذنا من يدك أيها الملك.. وإلا فليكن معلوماً لك أيها الملك إننا لا نعبد آلهتك ولا نسجد لتمثال الذهب الذى نصبته..

والكلام هنا واضح وضوح شمس النهار فى سوداننا الحار.. إن أنقذهم الرب كان بها، وإن لم يحدث الإنقاذ فهم مصممون على موقفهم.. وهنا إزداد نار غيظ الملك وأمر أن تحمى النار سبعة أضعاف مما كان معتاداً أن تحمى.. وأمر جبابرة القوة فى جيشه بأن يوثقوا الثلاثة فتية ويلقونهم وسط النار.. ومن حيث أن كلمة الملك شديدة والآتون قد حمى جداً قتل لهيب النار الرجال الذين رفعوا الثلاث فتية.. وكان الملك يراقب الموقف فرأى إن الثلاثة أربعة ومنظر الرابع شبيه بإبن الإله..

ووقف الخلق جميعاً ينظرون هذه القوة الإلهية والحماية من الله لهم، ولم تكن للنار قوة على أجسادهم وشعرة من رؤوسهم لم تحترق وسراويلهم لم تتغير ورائحة النار لم تأت عليهم ، وأعلن نبوخذ نصر: إنه لا إله إلا الإله الواحد الذى يعبده الثلاثة فتية.. ومن يتكلم عنهم يقطع إرباً إرباً.. وهكذا إنتصر هؤلاء الفتية داخل آتون النار وكل مؤمن مطالب أن ينتصر وسط نيران هذا العالم وسوف لا يكون وحده ، إنما الله معه..

٨٤. التطهير بالنار

مفهوم الطهارة: إن كلمة طهر طهراً وطهارة ، إنما تعنى التنقية من النجاسة والدنس أو البراءة من كل ما يشين.. وطهّر الشىء نقاه وخلصه من الدنس والعيوب.. وفى اللغة العبرية هناك جملة كلمات تعبر عن هذا المعنى، ولكن أكثرها إستخداماً فى العهد القديم هى كلمة " طاهر" وهى نفس الكلمة فى العربية ، وتذكر فى الكتاب المقدس أكثر من مائتى مرة وتدل على الطهارة بأنواعها الجسيمة

والطقسية والأدبية حسب القرينة، فواضح مثلا إنها تشير إلى الطهارة الطقسية فى عبارة " فتطهر من ينبوع دمها (لاويين ١٢: ٧)..

ولكنها تعنى الطهارة الأدبية فى قول داوُد : طهرنى بالزوفا فأطهر أغسلنى فأبيّض أكثر من الثلج.. والطهارة فى العهد الجديد تعنى القداسة الداخلية وهى لا تأتى من مجهود أدبى بل نعمة الله فى القلب.. طوبى لأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله.. وأنقياء القلب هم الذين نالوا غفران خطاياهم بالنعمة المعطاة من الله..

وعندما كان السيد المسيح يخدم حدثت مباحثة بين اليهود وتلاميذ يوحنا المعمدان من جهة التطهير.. كان مؤتمراً لمناقشة قضية التطهير، ولكن الذين تحدثوا عن التطهير لم يكونوا طاهرين لهذا إنتقلوا إلى قضية أخرى وتكلموا مع المعمدان : إن يسوع الذى شهد له يوحنا يعمد وكثيرون يأتون إليه.. ولكن المعمدان لم يهتز لهذا الكلام غير الطاهر، ولكنه قال : لا يقدر إنسان أن يأخذ شيئاً إن لم يكن قد أعطى من السماء.. أنتم أنفسكم تشهدون لى إنى قلت لست أنا المسيح بل إنى مرسل أمامه..

وهناك عدة أنواع للتطهير بالماء بالدم برماد الذبائح، بخشب أرز مع قرمز وزوفا.. وهناك التطهير بالماء موضوع حديثنا.. وقد تحدث القرآن الكريم عن التطهير وعن الطهارة وقال عن مريم العذراء الطاهرة : إن الله إصطفاك وطهرك وإصطفاك على نساء العالمين.. وذكر إن الصدقة تطهر وتزكى : خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتذكيهم بها..

وتحدث عن رفض الله لتطهير الرافضين أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم.. وتحدث عن التطهير بالماء : وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به.. وطالب بتطهير الثياب : وثيابك فطهّر والرجز فأهجر.. وتحدث عن تطهير بيت الله وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن : طهرا بيتى للطائفين والعاكفين .. وإن هناك رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين.. وتحدث عن الشراب الطهور والقلب الطهور، وإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين..

التطهير بالنار: وعرف العهد القديم التطهير بالنار فكانت الآوانى المعدنية تطهر بالنار.. وهذا ما يحدث حتى الآن فى تجهيز حجرة العمليات عند الأطباء.. وكانوا يحرقون بقايا خروف الفصح بالنار حتى لا يتنجس.. وهكذا كان يحرق ما يفضل من ذبيحة السلامة إلى اليوم الثالث كما كانت ذبيحة الخطية عن الكاهن وعن كل الجماعة تحرق على مرمى الرماد خارج المحلة..

وكانت عقوبة الخطايا الأدبية الشنيعة الحرق بالنار، وذلك لتطهير المجتمع من هذه النجاسة.. وكان يجب تدمير الأوثان بحرقها بالنار كما فعل موسى بالعجل

الذهبى فى البرية.. وفى حالة إرتكاب سكان مدينة عبادة الأوثان كان يضرب سكانها بالسيف وتحرق المدينة وكل ما فيها بالنار، ولا تبنى مرة أخرى أبداً..

وتأكيداً بأن النار للتطهير ، رأى النبى أشعياء والذى عاش عمره الطويل الذى إقترب من المائة عام ، يذكر هذه الرؤية العذبة والتى كان دافعاً له أن يخدم الرب وينشر رسالة التطهير وسط الناس، مطالباً أن يطهروا قلوبهم .. وإستمر حتى مات شهيداً حيث تم نشره بالمنشار لتنتهى حياته..

والرؤيا هى إنه رأى السيد الرب جالساً على كرسى عالٍ ومرتفع وأذياله تملأ الهيكل.. السيرافيم واقفون فوقه لكل واحد ستة أجنحة.. وهذا نادى ذاك وقال: قدوس قدوس قدوس رب الجنود، مجده ملء كل الأرض.. فإهتزت أساسات العتب من صوت الصارخ، وإمتلأ البيت دخاناً فقلت : ويل لى إنى هلكت لأنى إنسان نجس الشفتين، وأنا ساكن بين شعب نجس الشفتين، فطار إلىّ واحد من السيرافيم وبيده جمرة من نار أخذها بملقط من على المذبح ومسّ بها فمى وقال: إن هذه قد مست شفتيك فإنتزع إثمك وكفّر عن خطيتك..

ثم سمع أشعياء صوت السيد الرب قائلا: من أرسل ومن يذهب لأجلنا.. فقال أشعياء : هانذا أرسلنى .. ومنذ تلك اللحظة بدأ أشعياء الطاهر يتكلم عن الطهارة ويقرب القلوب الطاهرة لى الله الطاهر فى كل شىء.. أما سليمان الحكيم فإنه يتحدث عن الكلام الطاهر الذى يخرج من أفواهنا: من أحب طهارة القلب فلنعمة شفتيه يكون الملك صديقه (أمثال ٢٢:١١)..

ونأتى إلى العهد الجديد حيث كان الكلام عن نار الروح القدس والذى ظهر للتلاميذ والذى صار بغتة من السماء، كما من هبوب ريح عاصفة ، وملأ البيت حيث كانوا جالسين ، وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار وإستقرت على كل واحد منهم.. ولم يزل حتى الآن عندما تحتفل الكنيسة بصلاة السجدة فى يوم العنصرة ، تشتعل ناراً تذكرنا بطهارة الله..

وفى كل صلاة تمل المجمرة بنار وبخور إقتراباً إلى عرش الله.. وتأتى كلمات الرسل تنادينا أن نحيا طاهرين : إقتربوا إلى الله فيقترب إليكم.. نقوا أيديكم أيها الخطاة وطهروا قلوبكم.. ملاحظين سيرتكم الطاهرة.. والله طاهر ولا يقترب منه الإنسان إلا إذا كان طاهراً..

٨٥. أشعياء على خط النار

بداية الخدمة: يأتى بدء خدمة أشعياء خلال رؤياه العظيمة التى وقف فيها على خط النار.. وأخذ السيرافيم جمرة نار بملقط من على المذبح ومس بها فم أشعياء.. ومن هنا بدأت خدمته الطاهرة بكلمات من نار للخطاة حتى يتوبوا..وكلمات فى حرارة النار للمؤمنين حتى يتعزون بتعزية الله..

وكان أشعياء شاعراً ساحر البيان.. أديباً يملك زمام الكلمة.. قوياً فى البلاغ.. بليغاً فى التعبير.. وعاصر خمسة ملوك ، وكان أقوى من الملوك، لأنه يملك الحق.. وقدم بلاغاً لهؤلاء الملوك أن يتوبوا حتى لا يأتى عليهم غضب الله.. عاش حتى بلغ التسعين من عمره ، ما بين عامى ٧٨٠-٦٩٠ قبل الميلاد..

كان شجاعاً جريئاً وتسال : كيف صارت القرية الأمينة زانية ؟.. وصور إسرائيل فى مرتبة أدنى من مرتبة الحيوان : الثور يعرف قانيه والحمار معلف صاحبه أما إسرائيل فلا يعرف، شعبى لا يفهم، و للأمة الخاطئة، الشعب ثقيل الإثم.. ورغم هذا كان هذا الشاعر الرقيق يبكى تجاه آلام الآخرين ، لذلك قلت: إقتصروا عنى فأبكى بمرارة.. يصرخ قلبى من أجل موآب.. كان يندد بالخطية وفى الوقت نفسه يبكى على الخطاة..

وفى ذلك أيضاً كان رجلا عميق التعبد والإحترام لله.. وكانت عبادته عبادة حقيقية.. ودعى الناس أن يعبدوا الله بالقلب: لماذا كثرت ذبائحكم يقول الرب ؟ إتخمت من محرقات كباش وشحم مسمنات وبدم عجول وخرفان وتيوس ما أسر..وهو يدعو إلى الحياة مع الله فى طاعة لوصاياه : إن شئتم وسمعتم تأكلون خير الأرض.. وقدم للناس إلهاً متواضعاً محباً يسكن الأبد.. وأيضا مع المنسحق والمتواضع الروح ليحي روح المتواضعين وقلب المنسحقين..

وكان أشعياء واسع الثقافة ، بلغ القمة بين الأنبياء، ولم يتفوق عليه أحد منهم، من الوجهة الإنسانية فى فخامة اللفظ وجلال التعبير ورصانة الأسلوب.. وقيل : إنه لم يشبهه أحد قط فى الجمع بين فخامة العبارة ودسامة التفكير، ولم تكن فصاحته على حساب المعنى أو معناه على حساب التعبير الجزل الجميل..

وكان أشعياء ليس شاعر فلسطين فقط، إنما كان أيضا شاعر وادى النيل.. فلقد إقتبس الملك السودانى بعنخى عدة عبارات من أشعياء لرفع معنويات الجنود عندما تحدث معهم عن التطهير بماء النيل.. وعندما قال : إن الواحد فى جنوده ألفاً مثلما ذكر أشعياء الصغير يصير ألفاً والحقير أمة قوية.. وقد حاول بعنخى أن يجعل من

كل جندى بطلا، بل من أضعف الجنود أقوى الأبطال مثلما قال أشعياء: ليقل الضعيف بطل أنا..

على خط النار: لم يتمتع أشعياء بالتطهير بالنار فى فمه فقط ، بل كان واقفاً على خط النار، وكان البعض لا يحبون كلام توبيخه وعلى الأخص الملوك حتى إن أحدهم أمر بنشره بمنشار لكى يفصل جسده ويزهق روحه.. وكانت نار التجربة بالنسبة إليه نار تطهير وليست نار التدمير.. وماذا يفعل ملك يحكم على شاعر قدير بالموت والشاعر كان قريباً إلى الموت لأنه وصل إلى أرذل العمر ؟..

ولكن هذا هو تسرع الطغاة فى كل عصر الذين يصممون أن ينهوا حياة الإنسان ويرتكبون ذنبه فى حين لو صبروا لمات هؤلاء.. لقد عاش الناس فى عصر أشعياء يحلمون بالأرض الجديدة وبالسماء الجديدة ويحيون على الأمل والرجاء.. هكذا قال الرب : كما إن السلاف يوجد فى العنقود فيقول قائل: لا تهلكه لأن فيه بركة ، هكذا أعمل لأجل عبيدى حتى لا أهلك الكل..

وكان أشعياء ينادى الرب أن ينزل ويطهر الناس : ليتك تشق السموات وتنزل من حضرتك تتزلزل الجبال.. والآن يارب أنت أبونا، نحن الطين وأنت جابلنا وكلنا عمل يديك.. إفرحوا وإبتهجوا إلى الأبد، فيما أنا خالق لأنى هانذا خالق أورشليم بهجة وشعبها فرحاً.. ولا يسمع بعد فيها صوت بكاء ولا صوت صراخ.. لا يكون هناك بعد طفل أيام ولا شيخ لم يكمل أيامه، لأن الصبى يموت إبن مئة سنة.. لا يتعبون باطلا ويكون إنى قبلما يدعون أنا أجيب.. وفيما هم يتكلمون بعد أنا أسمع.. لقد وقف أشعياء على خط النار ورأى المستقبل البعيد، ورأى المسيا القادم ، ورأى السماء، وأعلن هذا فى كلمات من نار..

٨٦. الدكتور هاشم القاسمى ومقدمة الإنجيل

دعوة محبة: قام نفر كريم من المسلمين أغلبهم ومن المسيحيين أقلهم لكى يقدموا دعوة محبة حول إنجيل السيد المسيح، وإختاروا إنجيل لوقا البشير وهو إنجيل يحمل إلينا الخبر الطيب بقلم أديب لبيب هو الدكتور لوقا.. وكان لوقا طبيباً أى حكيماً، وكان لابد لصاحب مهنة الطب أن يكون مُطلعاً على " الحكمة".. ولهذا سمى الحكيم.. وحتى الآن وبعض البلدان يقول الناس : لقد مرضت مرضاً شديداً حتى ذهبت إلى الحكيم..

وكانت كلمة حكيم تطلق أيضا على الصيدلانى الذى يقوم بدقة الحكماء في تركيب الدواء.. وهذه المجموعة من أصحاب دعوة محبة كتبوا كتاباً عنوانه "الإنجيل كما أوحى إلى القديس لوقا " قراءة شرقية ..وطبعته دار الجيل ١٩٩٨م بيروت –لبنان.. وقد كتب التقديم : الأستاذ الدكتور هاشم القاسمى رئيس شعبة التاريخ ، جامعة فاس المغرب..

وهكذا من المغرب بلد الخضرة والماء والملك الحسن ، جاءتنا دعوة المحبة تقول لنا : أيها البشر إقتربوا من بعضكم البعض.. ولا داعى لتبادل الإتهامات.. فالإنسان عدو ما يجهل.. لهذا علينا أن نقترب إلى بعضنا البعض لكى نتبادل الفهم.. ولكى ندخل إلى أعماق المعرفة وما يدعيه البعض من تحريف الإنجيل ليس له أى دليل..

وكما يقول المستشار محمد سعيد العشماوى فى مقدمة الكتاب : إن القرآن الكريم لم يذكر فى أى من آياته إنه يوجد تحريف أو تزوير مادى فى التوراة أو فى الإنجيل.. كما إنه لم يتهم المسيحيين بأى تحريف أو تزوير معنوى أو تغيير الحقيقة المقصودة من النصوص.. وإقتصر على ما جاء فيه: على أن اليهود حرفوا معنى آيات كتبهم بتفسير الألفاظ على غير المقصود منها أو تأويلها على صورة توافق أهوائهم أو تفسيرها على نحو يخالف ما هدفت إليه..

ومن كلام هذا العالم الكبير أنتقل إلى مجتمع الصغار فإننى أعرف إن ولداً ذات مرة صمم على أن يأخذ لعبة من يد أخيه ولكن أخاه رفض.. وكان هو نفسه لديه لعبة موازية.. وضرب الأخ أخاه لكى يقلع ما عنده.. وعندما عاتبناه قال : إن السيد المسيح قال: أحبوا بعضكم بعضاً.. هذا هو تفسيره.. وفى طرفة أخرى خرجت الفتاة الصغيرة من البيت تحمل من والدها جنيهان ، واحد لكى تضعه فى طبق التبرعات والثانى لكى تشترى به ما تريد من حلوى أو مشروبات.. وفقدت جنيه من الجنيهين وفتشت عليه فلم تجده ثم قالت: لقد ضاع جنيه التبرع أما الثانى فهو لى..

هاشم العلوى: وفى مقدمة الإنجيل يقول رئيس شعبة التاريخ بجامعة سيدى محمد فاس المغرب :نزولا عند رغبة صديقنا الأخ مظهر الملوحى يطيب لى أن أعبر عن تصورى الخاص للإنجيل.. الكتاب المقدس.. لقد شغلت منذ زمن طويل بمسألة حوار الأديان اليهودية والمسيحية والإسلام.. وبالنسبة قراءاتى الخاصة للإنجيل فقد إعتنيت خاصة بإنجيل لوقا الذى أملك منه نسخة خاصة موثقة ، وإطار المقارنة بين الكتب المقدسة تأكد عندى " المشرب السماوى" الأول لها كلها..

وبالنسبة للإنجيل متى مرقس لوقا يوحنا ، يعتبر ترجمة للسيد المسيح فى مجموعة العهد الجديد، تمثل تعبداً لاهوتياً تجمع تعاليم السيد المسيح عليه السلام..

ولقد كان إهتمامى بإنجيل لوقا راجعاً إلى كونه الإنجيل الوحيد الذى يتكلم ويروى ولادة السيد المسيح ، كما يعرض لصلبه وبعثه، وفيه نصوص لم ترد فى الأناجيل الأخرى.. وكثيراً ما يعرض للصراع اليهودى المسيحى، وعلى المستوى الظاهراتى تشدنى إليه مسألة الخلق، مما جعلها صورة لإبداع الكون وخلق الصراع بين الإنسان المخلوق والقوى الإلهية الخالقة للكون.. إنها قصة الوجود والعدم بين الأديان كلها " هذه سيدى الأخ مظهر" لمحة خفيفة من تصوراتى.. وإلى لقاء وفى البدء كان الكلمة والسلام..

كلمة لابد منها: وكتب مظهر الملوحى من الرباط المغرب ١٩٩٧م ، كلمة لابد منها فى مقدمة الكتاب قال فيها : حين بدأت وشلة من الأصدقاء بإعداد وشرح للإنجيل كما أوحى إلى القديس لوقا الأنطاكى الطبيب الأديب الذى جمع بين الثقافتين السورية والإغريقية محتضناً العبقريتين الآرامية واليونانية ، وبهدايته إلى المسيحية وإختياره من قبل الله لينزل عليه الإنجيل المقدس.. إكتسب أيضا روح المسيحية المثلى.. لم يغب عن بالنا ما يدور فى الوطن العربى من خلق متناقضات ومتاعب من قبل قوى ظالمة والتلاعب بها..

ولد سيدنا المسيح سلامه علينا فى فلسطين، وكانت محتلة آنذاك كما اليوم.. كان إبن التراث الشرقى الغنى بحضارته وثقافته.. وفى فلسطين بدأت رسالته وعذابه.. وفى فلسطين أيضا أناس مازالوا يحملون رسالته رغم المعاناة اليومية والإضطهاد.. لقد حدثت فجوة بين رسالة سيدنا المسيح " سلامه علينا" التى نادى بها .. ومفهومها لدى الإنسان العربى بسبب غربته وما أعنى بغربته هو تبنى الغرب للمسيحية.. هذا التبنى شكل لدى الإنسان العربى ردة فعل عنيفة ضد المسيحية أنسته أن سيدنا المسيح هو إبن تراثنا، إبن شرقنا.. رسالته رسالتنا.. ولهذا صرفنا فترة نعيد فيها نصوص الإنجيل ومحاولة شرحها بطريقة سلسة لإعادة مفهوم الرسالة إلى موطنها الأصلى حيث يجب أن تكون..

نحو الآخر: الإنسان عدو ما يجهل وإذا إزددنا حكمة لقلنا إنه صديق من يعرف.. وإن معرفة الآخر مطلب حضارى وثقافى وإنسانى وأساسى لوجودنا وكينونتنا وكيف الحال وهذا الآخر جزء غنى من تراثنا وحضارتنا .. معرفة الآخر يجب أن تكون كمعرفة الذات، فنحن أهملنا معرفة ذواتنا، ومعرفة الآخر.. وهذا شكل لنا لون من الضياع.. لقد حكمنا على الآخر حكماً قاسياً دون أن نترك له حرية الشهادة عن نفسه ونسينا إن حرية الآخر هى قاسم حريتى.. وربما بشكل أقسى لأن الذى

يأخذ بالسيف بالسيف يؤخذ.. علينا أن لا نخاف من أن نفتح أبوابنا لثقافات العالم إن كنا ثابتين على صخرة معتقدنا وإيماننا..

إن رأى الآخر يجب أن لا يخيفنا إن كانت قناعتنا ثابتة بل إن رفض الآخر معناه ضعف فى قناعتنا.. إن التحدى عامل صحى ويصقّل أفكارنا ومعتقدنا.. وهكذا يستمر مظهر الملوحى فى محاولة نحترمها جداً.. هى محاولة إحترام الآخر وعلى الأخص إن الآخر ليس عنا بغريب، إنما هو جزء لا يتجزأ منا.. فلقد جمعنا الشرق جميعاً وأضفى علينا من كرم صفاته وجوهر شخصيته وصرنا كلنا نسيجاً واحداً ونحتاج إلى ان نقترب إلى بعضنا أكثر.. وأكثر.. وأن نختزل المسافات ونتلاقى ، وسوف نتلاقى لأن دعوة المحبة تنبع من مبادىء فاضلة فى كل الأديان..

٨٧. المجد عن طريق الأشواك

طريق الأشواك: نحن فى هذا العالم نسير فى طريق كله أشواك فى أشواك.. نحن على خط النار نقف والأشواك تحاول أن تخنق الأنفاس.. وكان حكم الله على آدم: يا آدم ملعونة الأرض بسببك بالتعب تأكل منها طول أيام حياتك وشوكاً وحسكاً تنبت لك.. والسيد المسيح حمل هذه الأشواك تاجاً على رأسه ، وكما يقول إنجيل متى: وضفروا إكليلا من شوك وجعلوه على رأسه.. أما بولس الرسول فقال : أعطيت شوكة فى الجسد.. من جهة هذا تضرعت إلى الرب ثلاث مرات أن يفارقنى فقال لى: تكفيك نعمتى ..

ويقولون: إن هذه الشوكة كان رمداً فى العين .. ويقولون: إن هناك جرح غائر كان ينز صديداً ومن الصديد كانت أمراض الناس تشفى.. ولكن ظل بولس يحمل الشوكة فى جسده.. ونحن فى كثير من الأحيان نحصد ما زرعه الآخرون.. وفى أحيان أخرى نزرع نحن الشوك بأيدينا، فإعتلال الصحة شوكة ، والأبناء الأشرار شوكة أخرى.. فلقد قال داوّد النبى: إن بيته ليس كاملا أمام الله وإن الأشرار يجب أن يستأصلوا كشوك ..

والميل للشر شوكة .. فالغيرة والحسد وحب المديح من الناس والتملق وعدم الإعتدال والطمع والطبع الحار سريع الغضب والطبع البارد عديم المبالاة ، والتشكل فى كل كلمة ولو كانت صادرة من أخلص الأصدقاء.. هذه كلها تملأ حقول حياتنا شوكاً وحسكاً حتى يصعب أن ننتفع بما فيها من خيرات.. وتتعدد الأشواك والنتائج

واحدة ، فالإضطرار لمعاشرة رفقاء غير متجانسين وحين تنصب الفخاخ فى طريقنا أشواكاً قاسية تهددج حياتنا بعدم الإستقرار وتعطل تقدمنا الروحى..

وهكذا الإرتباكات والإضطرابات والمضايقات تمرر حياتنا لأنها تمزق اللحم العفن وتدمى القلب وتقضى على كل أمل فى النفس .. وربما نتساءل : لماذا كل هذه الأشواك ؟.. هل لكى نحاول أن نتخلص منها واحدة واحدة ؟.. أم هذا لازم لطريق السمو الروحى لأننا لا نحقق المجد إلا عن طريق الأشواك، لأنه فى العالم سيكون لكم ضيق ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم ، فالحياة ليست سهلة ولكن تؤخذ الدنيا غلابا ومن طلب العلا سهر الليالى.. والإنسان لا يبلغ أسمى درجات التقدم إلا من خلال عناء الحياة.. وكما يقول الشاعر الأدربى :

الآن القلب الكسير وصراع النفس الشديد..
وغداً النصر الأكيد وإكليل الحياة المجيد..
الآن دور التدريب بما يكتنفه من غموض وعناء.
وغداً الخدمة المقدسة وصوت السيد أدخل إلى السماء..

الشوك والمجد: والأمل مفتوح بابه أمامنا أن يحول الله أشواك الحياة إلى أكاليل مجد وفخار.. وسوف ننتصر بالمجد إن إحتملنا أشواك الحياة والوعد لنا : لأنكم بفرح تخرجون وبسلام تحضرون.. الجبال والآكام تشيد أمامكم ترنماً وكل شجر الأرض تصفق بالأيادى عوضاً عن الشوك ينبت سرو ، وعوضاً عن القريس يطلع آس.. ويكون للرب إسماً علامة أبدية لا تنقطع (أشعياء٥٥).. وهذا هو موكب المنتصرين الغالبين عندما تشاركنا الطبيعة فى فرحة الإنتصار..

إن الأمجاد تأتى من الجهاد فى الأرض التى تحتاج إلى مجهود شاق لكى تنبت، وهنا يصل الإنسان إلى أسمى درجات التقدم وتفتت كل قواه العقلية والبدنية بسبب شح الطبيعة وبخلها.. بسبب جهاد الإنسان الطويل معها فى الظلام.. بسبب تحمل العناء ومرارة التعب.. ولعل هذا هو ما قصد من وضع إكليل الشوك على رأس السيد المسيح ، فالإنسان لا يصل إلى العظمة الحقيقية إلا عندما يواجه عناصر التعب وخسائر الحياة، وكيفية التغلب عليها ..

لقد أقامنا الله وسط هذه الأشواك ليعطينا فرصة لتبديل أرض الأشواك إلى جنة يحاء تفيض ريا.. وتتحول إلى إكليل ، وتجعلنا نفتخر بضعفاتنا ونسمو ونتجدد ونحمل الأشواك فوق رؤوسنا ونتغلب عليها.. إن الله يكشف عن بصائرنا فننظر إلى الأشياء نظرة جديدة ، وما كنا نحسبه قصاصاً يتحول إلى تأديب وتهذيب، لأن

السكين ليس فى يد المهلك، إنما هى فى يد الجراح، وما كنا نحسبه مؤدياً للموت يتكشف أمامنا بأنه يؤدى إلى حياة أكمل، والنار التى كانت تهددنا بالفناء لا تفعل أكثر من أن تحل الوثق فنمشى بسهولة فوق الجمر الملتهب..

ويسمح الله أن نفهم أكثر ونتعمق أكثر وندرك إن المرض الذى يسمح به الله قد كان لإنقاذنا من السموم التى لولا تدخل الله لصارت قاسية.. إنه عوضاً عن الشوك ينبت سرو، وعوضاً عن القريس يطلع آس.. إن الله يستخدم الأحزان والخسائر والأشواك لكى يعطى نعمة أعظم.. وكما يقولون هناك طريقتان لمساعدة النفس الرازجة تحت عبء ثقيل، إما أن يرفع ذلك العبء عن كاهلها أو أن تمنح قوة أعظم مساوية للعبء..

ومن الحكمة ألم نصلى لا أن تخرج الشوكة بل أن نعطى نعمة أعظم لنتبين عظمة الألم وتتحول غرفة التأديب إلى عتبة للسماء، ويتحول الشوك إلى سرو ، والقريس إلى آس، وتتحول حتى الأميال الشريرة فينا إلى فضائل عميقة.. الصلابة تتحول إلى وداعة.. والجُبن إلى رقة.. والإندفاع إلى غيرة.. والشح إلى إقتصاد وحسن تدبير.. والبخل إلى كرم .. والقسوة إلى شفقة على الآخرين.. وسرعة الإنفعال إلى صبر وطول أناة.. ونقترب عن طريق الأشواك إلى الله الذى ينزع قلب الحجر منا ويعطنا قلب لحم.. ونتمتع بالمجد عن طريق الأشواك إحتمالا وصبراً وتغييراً ؟..

٨٨. الحبر اليهودى والعذراء على خط النار

العذراء مريم: تحت هذا العنوان كان كتاب الحبر اليهودى الألمانى المنتصر شوليم آزاك، والذى نقله إلى العربية الدكتور عزت زكى وطبعته دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية مصر.. والكتاب قطعة أدبية كتبها يراع المؤلف الذى يعتز بمكانة مريم العذراء، ولا غرو فى هذا ، فلقد جذبت مريم إلتفات كل الناس مسلمين ومسيحيين ويهوداً.. وقد أكسبته يهوديته معرفة غويطة وجوينة بعادات اليهود ، فصار أسلوبه واقعياً معاشاً..

وهنا يقول عن مريم : لقد كانت كل فتاة فى إسرائيل تحلم بالذهاب إلى أورشليم لتقوم بنصيبها فى العمل فى الحوانيت الملحقة بالهيكل لتجهيز اللوازم التى يحتاجها، وعلى الأخص عمل الستائر التى تكسو الجدران والأقمشة التى تصنع

منها ثياب الكهنة، وكانت أنبل الفتيات من أعرق البيوتات تتمنى هذه الزيارة وتلك الخدمة المقدسة لهيكل الرب..

ولم يكن الناموس مدققاً بخصوص الواجبات المطلوبة من المرأة ، فالشرع اليهودى لم يكن يقدر المرأة لذاتها ، ولكن كمكمل للرجل ومعين له.. وكانت أعظم خدمة يمكن أن تؤديها هى أن تنجب لزوجها أولاداً ، فلا الزوجة ولا البتولية هى التى تقيم المرأة بل الأمومة.. وكل فتاة يهودية كانت تحلم بالعثور على الزوج الذى تسعده بإنجاب الأطفال.. حتى فى الأسماء ما كان الوالد يتعب نفسه فى إختيار إسم لإبنة..

ولقد شاع إستخدام إسم مريم تيمنا بأخت موسى العظيم التى كانت تحمل نفس الإسم ، حتى لو تكرر الإسم فى الأسرة الواحدة عدة مرات.. وهكذا كان ليواقيم إبنتان مريم الكبرى ومريم الصغرى.. ومع ذلك لا تغفل أسماء أخرى وجدت ذيوعاً بسبب مواقفها البطولية التى إقترن بها تاريخ اليهود أمثال: دبورة وحنة وغيرها.. أما إسم حنة أم صموئيل فقد كان له مقامه ، وهناك أيضا أسماء أممية إحتلت مكانها نظير: راعوث وإبنة فرعون التى قامت برعاية موسى، كما أصبح إسم راحيل رمزاً للزوجة المحبوبة والأمومة المتألمة..

ولقد كانت راحيل بطلة مريم العذراء وكانت تحلم بها، ونظرات راحيل العذبة تنفذ إلى أعماقها وتكسر قلبها ، فلا تتمالك نفسها من البكاء بدورها وكأنهما مشتركتان معاً فى حزن كبير.. أما أروقة هيكل سليمان حيث عاشت مريم ردحاً من الزمان، فقد كانت تحدها ممرات ذات أعمدة توصل إلى الأجنحة المتعددة.. بعضها مفتوح أمام الجماهير ، وكانت تروج إشاعات عن وجود ممرات سرية تحت الأرض توصل إلى غرف منحوتة فى الصخر ترجع إلى عصر الملك سليمان، وهناك قصص أكثر خيالا إن أحد تلك الممرات يوصل إلى جنة عدن، وإن ممراً واحداً يوصل إلى قبر الآباء الكبار.. وكانت مريم تؤمن بوجود هذه الممرات السرية وما يدور حولها من قصص وتقاليد..

فى إنتظار المسيا: ويتحدث الحبر اليهودى عن مريم وكيف كانت تنسج أفكارها عن المسيا فى مخيلتها.. وكانت تحلم بأن تكون أمه ثم تتوارى فى خجل وتشعر إنها تعالت فوق ما ينبغى، ولكن الحلم كان يراودها.. وكانت تركع فى الهيكل طالبة النعمة الإلهية وتهمس بكلمات المرنم: كما يشتاق الآيل إلى المياه هكذا تشتاق نفسى إليك يا الله عطشت نفسى إلى الله.. وكانت تفيق من غيبوبتها ، ويبدو للناظر إليها وكأن وجهها يتلمع بنور جديد..

فى تلك الأيام حدث أمر غريب لزكريا الكاهن والذى كانت مريم فى رعايته.. لقد كان داخل القدس.. وتاخر فى الخروج، وخرج وكأنه فقد مقدرة على الكلام، وإنتشرت الشائعات إنه رأى رؤيا، ولكن ولا أحد يستطيع أن يعرف مضمون هذه الرؤيا لأن صاحبها ما كان يستطيع أن يتكلم.. وكانت مريم تفكر كثيراً فى المسيا المنتظر وتحس برابطة قوية تربطها به.. بل كدت أقول بقرابة له ، فهى تشعر بقربه وبنوره الخفى العجيب يتغلغل فى كيانها ويمتزج به..

ويصف الكاتب مشاعر مريم، وحديثها مع نفسها: لماذا قبلت خطوبة يوسف النجار لها ؟.. وعادت ترفع عينيها إلى فوق فإذا بها تشاهد نوراً هادئاً عجيباً يبدد الظلام ، وظنت فى بادىء الأمر إنه ضوء القمر قد تسلل من النافذة، ولكن دائرة النور تميزت فيها صورة ملاك قد رفع يديه إلى أعلى فوق رأسها وكأنه مزمع أن يبلغها رسالة هامة..

كان وجهه الهادىء المبتسم وملامحه التى تفيض رقة تشير إلى إنها رسالة ومحبة.. وأحست العذراء بالغرابة وتوقع المجهول.. وإستمرت العذراء تحدق فى الملاك.. والملاك ينظر إليها فى هدوء.. وكانت بنظراتها نظراته وهمس لها الملاك قائلا: سلام لك يا إبنة يواقيم ، الرب معك، وهنا بدأ قلبها يدق فى عنف وعاد الملاك يقول لها: لا تخافى يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله وها أنت ستحبلين وتلدين إبناً وتسمينه يسوع..

فقالت مريم بصوت مرتعد: كيف يكون لى هذا وأنا لست أعرف رجلا ؟.. وأجابها الملاك: الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظللك، لذلك القدوس المولود منك يدعى إبن الله.. وهكذا وفى تعابير جميلة يستمر الحبر اليهودى حتى آخر الكتاب فى وصف مشاعر مريم ، ومجىء المسيا منها، وما تلازم معه من أحداث عاشت فيها مريم على خط النار الإلهى، ووصف الحبر اليهودى هذا..

٨٩. الآفاق السماوية فى حياتنا الأرضية

أفكار الله: يقول الله فى أشعياء: لأنه كما علت السموات عن الأرض هكذا علت طرقى عن طرقكم وأفكارى عن أفكاركم لأن أفكارى ليست كأفكاركم ولا طرقكم طرقى.. وكان كلام الله موجه أولا إلى الإنسان لكى يترك طرقه ويتبع طرق الله: أيها العطاش جميعاً تعالوا إلى المياه والذى ليس له فضة تعالوا.. إشتروا وكلوا.. هلموا وإشتروا بلا فضة وبلا ثمن ، خمراً ولبناً، لماذا تزنون فضة لغير خبز وتعبك

لغير شبع؟.. إستمعوا لى إستماعاً وكلوا الطيب ولتتلذذ بالدسم نفوسكم، أميلوا آذانكم وهلموا إلىّ إسمعوا فتحيا أنفسكم وأقطع لكم عهداً أبدياً مراحم داوُد الصادقة، أطلبوا الرب ما دام يوجد، أدعوه فهو قريب ليترك الشرير طريقه ورجل الإثم أفكاره، وليتب إلى الرب فيرحمه ، وإلى إلهنا فيكثر الغفران (أشعياء٥٥)..

والغريب هنا إن الله أعد للإنسان مائدة دسمة من كلمته المقدسة، ولكن الإنسان يفكر بغير خط الله.. ومع إن غذاء الله مجانى لا ثمن له فإن الإنسان يذهب إلى موائد أخرى ويدفع الثمن، ولهذا يفقد الآفاق السماوية فى حياته الأرضية وتزداد المسافة بعداً بينه وبين الله.. ونحن يمكننا أن نكون فكرة عن طرق الله من أعمال يديه فى الطبيعة الخلابة فى الفلك البديع ، فى السماء الصافية، فى الزروع النامية، فى الأشجار والثمار..

ولقد عاش داوُد فى مزاميره هذه المعرفة الإلهية، فالله يعرف كل شىء عنا.. ونحن ينبغى أن نحاول معرفة كل شىء عن الله..وسوف نرى الله يمسكنا فى كل طرقنا.. يارب قد إختبرتنى وعرفتنى.. أنت عرفت جلوسى وقيامى، فهمت فكرى من بعيد.. مسلكى ومربضى ذريت وكل طرقى عرفت لأنه ليس كلمة فى لسانى إلا وأنت يارب عرفتها كلها.. من خلف ومن قدام حاصرتنى وجعلت علىّ يدك عجيبة هذه المعرفة ، فوقى إرتفعت لا أستطيعها.. أين أذهب من روحك ومن وجهك أين أهرب ؟

إن صعدت إلى السموات فأنت هناك، وإن فرشت فى الهاوية فها أنت.. إن أخذت جناحى الصبح وسكنت فى أقاصى البحر فهناك أيضا تهدينى يدك ويمينك تمسكنى، لأنك أنت إقتنيت كليتى ، نسجتنى فى بطن أمى ، أحمدك لأنى قد إمتزت عجباً.. عجيبة هى أعمالك ونفسى تعرف ذلك يقيناً.. لم تختف عنك عظامى حينما صنعت فى الخفاء ورُقمت فى أعماق الأرض، ما أكرم أفكارك يا الله عندى، ما أكثر جملتها إن أحصها فهى أكثر من الرمل (مزمور ١٣٩)..

إن الله يعرفنا منذ أن، بل قبل أن نصير رقماً من أرقام المسكونة.. فلماذا لا نقترب إليه لكى نتعرف عليه.. وتمتلىء حياتنا الأرضية بآفاق سماوية تحملنا إلى عالم الروح وتسموبنا وبأخلاقنا وبأفكارنا وبطرقنا ؟.. وطريق الله فى بحر الأسرار .. فى لجة الأحزان.. ونحن علينا أن نتعلم..

كيف نقترب؟: إن طرق الله عالية جداً ونحن ينبغى أن نعرف أسرار الحركة إلى أعلى.. السموات عالية جداً ولهذا فهى طاهرة جداً وعزيزة جداً وكريمة جداً.. إن السماء لن يدخلها شىء دنس ولا ما يصنع رجساً وكذباً.. إن الأبخرة العفنة المتصاعدة من المياه الآسنة يمكنها أن تلوث البيئة من حولنا ولكنها لا تقوى على

تلويث هذا الجو الطاهر.. والسماء خير ما يمثل طهارة الله الذى إسـمه قـدوس، والذى يسكن الأقداس فى العالى..

إننا حقاً لا نستطيع أن نصل إلى حدود طـرق الله وأفكـاره وحركاتهـا وعـدم محدوديتها أو إتساع مداها، وهذا ليس مطلوباً، ولكن طالما نحن خلقنا على صورة الله فواضح إنه ممكن أن نظهر شبهاً كبيراً لأفكاره وطرقه.. إن تصوير عمـل الله بواسطة الرسام أو النحات يدل على أن هنالك وجهاً للشبه من ناحية تقدير الجمـال وإنتاج الشعراء دليل مقدرة الإنسان على التشبه بالله.. وكما توجد المحبة والطهارة والعطف والتواضع فى الله، توجد كذلك فى الإنسان ، ولدى فحص أعمـاق قلوبنـا فحصاً دقيقاً نستطيع أن نكون فكرة عن أعماق الله..

لأننا وإن كنا نحيا على الأرض فنحن أبناء السـماء، ولهـذا دعينـا لا لطلـب الأشياء التى من تحت بل التى من فوق، الأشياء الإلهية وطلب الأبدية.. ونحن فى هذه الحياة ننتظر أمجاد السماء .. ولقد وعدنا الله أن يعطنا أيـام السـماء علـى الأرض.. أن نبدأ حياة السماء ونحن على الأرض.. ونطهر قلوبنا، ونوسع مداركنا، ونتجنب التلوث الأخلاقى، وليس التجنب فقط، بل بالحرى أن نوبخ أعمال الظلمـة غير المثمرة..

٩٠. شهيد المحبة

يوم الحب: فى منتصف فبراير إحتفل كثيرون فى عالم اليوم بعيد الحـب.. وأنـا سعيد أن يكون للحب عيد.. وللحب يوم مجيد.. والإحتفال حتى الآن على مـستوى شعبى ومن يدرى ربما تدرج الأمم المتحدة يوم الحب العالمى مع الأيام التى تهـتم بها كيوم الطفل ، ويوم المرأة، ويوم مكافحة المخدرات.. وربما نسمع قريبـاً عـن عام الحب مثل عام حقوق الإنسان، وعام حوار الحضارات، وعام الطفل..

وتقول معلومات الإنترنت : إن هذا اليوم يتبادل فيه المحبون بطاقات التهنئة ، وإن العام الماضى حمل البريد العادى ، والبريد الإلكترونى ما يقرب مـن مليـون بطاقة محبة.. وفي هذه السنة تضاعفت عدد البطاقات لكى تصل إلى ما يقرب مـن ثلاثة بلايين بطاقة محبة.. والأمل واعد بأن تسود المحبة عالم الكراهية من خـلال هذه الرسائل..

فلقد ضغطتنا أخبار الحروب والخصومات والتوترات ، ومن يدرى ربما تـشق المحبة طريقها إلى قلوب الناس لكى تعود إلى حياة المحبـة ونختبـر معـاً إن الله

محبة.. ومن أكثر البلدان إهتماماً بهذا العيد: بريطانيا وكندا والمكسيك وهولندا وفرنسا وأستراليا.. هذا بحسب معلومات البريد الإلكترونى والإنترنت.. ولكن أعتقد إن مياه المحبة تجرى فى عروق كل أهل المحبة فى العالم، وإنه لا يوجد مكان فى العالم إلا ويعبر فيها ماء المحبة لأن المحبة قوية كالموت مياه كثيرة لا تطفئها والسيول لا تقدر أن تغمرها..

شهيد المحبة: ويسمى يوم الحب VALANTINE,S DAY.. وفالنتين هذا هو قديس عظيم مشهور عند أهل الغرب يرجع تاريخه إلى القرن الثالث الميلادى، وعاش هذا القديس وهو قسيس وقور فى كنيسة الغرب فى عهد الإمبراطور كلوديوس الثانى، وكان هذا الإمبراطور رجل حرب ودماء.. ودخل فى حروب دامية ومكروهة ولم يتجاوب الشباب للدخول فى جندية الملك، وإقتنع هذا الحاكم المستبد بأن السبب هو الحب والرغبة فى الزواج، فأصدر قراراً متعسفاً بإلغاء الزواج ، صار الشباب عندما يتزوجون يتعرضون للمحاكمة.. وأمر الكنائس أن لا تعقد لأعضائها أى زيجات..

وهذا أمر ضد طبيعة الناس ولهذا وقف فالنتين ضد هذا القرار وقام بعمل رحيم وعظيم، وكان يعقد الزواجات ، وإجتمع حوله المحبون وصار هو نصيراً للمحبة فى وسط الشباب والشابات الذين يرغبون أن يتزوجوا تحت لواء الكنيسة ، حيث الزواج سر مقدس إلهى يجعل الزوج والزوجة جسد واحد من خلال الحب وعمل الروح القدس فى القلب..

ووصل الخبر إلى الإمبراطور الذى حكم عليه أن يضرب حتى الموت فى ميدان عام ويقطع جسده عدة قطع ، ويأتوا بهذه القطع المهشمة إلى الإمبراطور خشية أن يقوم نصير الحب بعد الموت ويدمر خطة الملك المستبد.. وكان يوم ١٤ فبراير هو يوم إستشهاده ، لهذا صار نفس اليوم هو يوم المحبة.. وعندما كان هذا القديس فى السجن كان كثيرون يأتون إليه فى زيارة يشكرونه لأنه أسعدهم بالحب ويؤكدون له إنه لا توجد قوة تقدر أن تقف ضد المحبة.. وصار يوم إستشهاده هو يوم المحبة.. وصار تقليداً أن تتجدد مشاعر المحبة النبيلة والصداقة النزيهة فى هذا اليوم المجيد..

تقاليد المحبة: ومن بين تقاليد المحبة فى يوم المحبة إنه فى بريطانيا يخرج الشباب والشابات ويذهبون من بيت إلى بيت وهم ينشدون أناشيد المحبة وترانيم الحب.. ومن بين الكلمات حديث محبة مع القديس الشهيد فهم يشعرون بأنه معهم ويقولون: صباح الخير، وصباح المحبة لفالنتين.. وفى بعض البلدان يكتبون أسماءهم على جدار الشجر ، ويظلون أسبوعاً يعيشون دفء المحبة ، وينتظرون

إشارة القديس الشهيد لهم بأن ينتهى الحب بالزواج المقدس.. ويرسمون على الملاعق صورة قلب ومفتاح كدليل أن الحب مفتاح القلوب..

ويحلمون بالزواج المنجب أبناء فيكسرون تفاحة ثم يعدون البذور داخلها فيعرفون عدد الأولاد.. ويختارون عدة أسماء لأولاد وبنات لكى تكون أسماء أفراد أسرتهم المرتقبة أو يمسكون حبوباً ويلقونها فى الهواء والتى تبقى هى عدد الأولاد والبنات القادمين للأسرة.. وهكذا إنتشرت المحبة فى يوم المحبة وصار هذا اليوم من الأيام السعيدة فى تاريخ البشر..

دعوة محبة: وسوف تستمر المحبة .. ولا يقدر أحد أن يوقف مسيرة المحبة.. ونحن نأمل إنه كما ينتهى كل حب بالزواج كمحطة سعادة ، نأمل أن تسود المحبة بين شعوب الأرض.. وأن يكون السودان هو نموذج المحبة.. وهو وطن مؤهل جداً لهذا لأنه متعدد الأعراق والثقافات والأديان، وهذا ليس بؤرة صراع، إنما بوتقة محبة وتوادد وتعايش.. وأنا ما زلت أحلم بسودان المحبة، وطن بلا أعداء يحب كل الأوطان ويسعد بكل البلدان.. وطن لا يعادى أحداً، إنما يتخطى قيود الكراهية ويعبُر بالمحبة إلى قلوب الجميع.. وطن يجمع الكل تحت لواء المحبة .. والمحبة كرامة عظيمة أمام الله.. وجوهرة كريمة كل اللآلىء لا تساويها.. والمحبة هى التى تدوم إلى الأبد.. وهى التى نعبُر بها إلى السماء ونحيا هناك مع الله ومع أهل السماء، ونحن نتكلم لغة المحبة..

٩١. فلسفة عيد الأضحى المبارك

عاد العيد: عاد إلينا عيد الأضحى المبارك.. عاد يحمل إلينا بركة الذكرى ونور الطريق الذى رسمه الله للمؤمنين.. وعندما يعود العيد وتجتمع الأسرة حول مائدة العيد يكون التلاقى والتجمع بركة من بركات العيد المجيد.. ويتذكر الكل هذه الذكرى الطيبة، والذكرى هى نافعة للمؤمنين ومؤصلة لرباط الدين، وهى أيضا تعميق لمبدأ الفداء.. والفداء هو إستنقاذ الآخر بالمال أو بالنفس..

وفكرة الفداء هى فكرة دينية قديمة.. ودخلت هذه الفكرة من عالم الدين إلى عالم السياسة فيما يسمى بإطلاق سراح أسرى الحرب، حيث تدفع الدولة مبلغاً من المال يسمى" فدية" لإطلاق أسرى الحرب أو يتم تبادل الأسرى، حيث يكون الناس أنفسهم هو فدية للآخرين..

فلسفة الفداء: وفلسفة الفداء بدأت منذ تكوين العالم ومنذ الحياة الأولى لأول أسرة ، وهى آدم وحواء.. ويذكر سفر التكوين : إن آدم وحواء بعد خطية العصيان شعرا بالخجل والخزى بسبب العرى، وقد كانا فيما سبق لا يخجلان.. ولكن المرأة رأت إن الشجرة جيدة للأكل وإنها بهجة للعيون، وإن الشجرة شهية للنظر، فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضا معها فأكل فإنفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان ، فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر..

وبعد هذا بدأ الحوار بينهما وبين الله.. وقال آدم للرب : لقد سمعت صوتك فى الجنة فخشيت لأنى عريان فإختبأت.. وقال له الرب: من أعلمك أنك عريان ؟ هل أكلت من الشجرة التى أوصيتك أن لا تأكل منها ؟.. وهنا كان آدم وحواء يحتاجان إلى السُترة.. ولم تكن أوراق الشجر كافية، ولم يكن آدم وحواء يذبحان الحيوانات..

ولكن الرب صنع لهما أقمصة من جلد وألبسهما ، وهذا يعنى إن ذبيحة حيوانية قد ذبحت، لكى بجلدها يتم ستر آدم.. وقد كان الوعد لآدم بالفداء فى قول الرب: نسل المرأة يسحق رأس الحية..

إبراهيم والفداء:

ويذكر لنا سفر التكوين فى الأصحاح الثانى والعشرين قصة إبراهيم مع إبنه الوحيد ، ويذكر لنا إمتحان الله لإبراهيم عندما قال له الرب: خذ إبنك وحيدك الذى تحبه وأذهب إلى أرض المريا وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذى أقول لك.. وبكرّ إبراهيم لكى ينفذ طلب الرب، وهناك مدّ يده ليأخذ السكين ليذبح إبنه، فناداه ملاك من الرب من السماء وقال: إبراهيم.. إبراهيم.. لا تمد يدك إلى الغلام، ولا تفعل به شيئاً، لأنى الآن علمت إنك خائف الله، فلم تمسك إبنك وحيدك عنى..

ورفع إبراهيم عينيه ونظر وإذا كبش وراءه ممسكاً فى الغابة بقرنيه، فذهب إبراهيم وأخذ الكبش وأصعده محرقة عوضاً عن إبنه.. وهكذا تمّ فداء إسحق.. ومن بعده أعلن : إنه بدون سفك دم لا تحدث مغفرة (عبرانيين ٩:٢٢).. وصارت الذبائح العديدة تذبح وتحرق إسترضاء لله.. ثم جاء السيد المسيح ليبذل نفسه فدية عن كثيرين ، فهو الفادى والمخلص..

٩٢. حول الضمير

درس قديم: أذكر إننى عندما كنت طالباً فى الكلية الإكليريكية بمصر أدرس اللاهوت، درست من ضمن دراساتى اللاهوتية علم اللاهوت الأدبى.. وكلمة لاهوت

تشير إلى العلوم المختصة بالله.. أما اللاهوت الأدبى فهو يدرس السلوك الأدبى للإنسان.. وقد درست اللاهوت الأدبى على يد العّلامة الكبير نيافة الأنبا غريغوريوس أسقف البحث العلمى والدراسات العليا.. وهو رجل عظيم كان يحفظ الكتاب المقدس كله عن ظهر قلب، وكان يرحل بنا عبر أسفاره ويحضر إلينا فى إجتماع الصلاة المسائى ويجيب على كل تساؤلاتنا..

وأنا منذ أمد بعيد لدى الرغبة أن أقدم لقراء " دعوة محبة" دراسات حول الضمير ، وذلك لأن الضمير هو نور الله فينا.. وهو أحسن ما فينا، وأعظم ما فى قلوبنا.. وهو الذى يسير بنا فى طريق العظماء عندما نخطىء يوبخنا توبيخاً شديداً.. وعندما نصيب يشجعنا.. ويسرق النوم من عيوننا عندما نسلك سلوكاً منحرفاً.. ولا يهدأ إلا بعد أن نتوب عن خطايانا ونتمسك بالصراط المستقيم..

حول الضمير: وحول الضمير سوف ألقاكم فى عدة لقاءات ، فالضمير يظل دوماً فى قلب الإنسان دعوة محبة لكى يحيا الإنسان فى سلام الله.. والضمير سلام إلهى.. والضمير عذاب وشقاء عندما ننحرف.. والضمير موجود فى الإنسان منذ أن بدأ الإنسان حياته على الأرض.. فالإنسان لم يعرف الشريعة المكتوبة إلا بعد عشرات السنين من بدء الحياة، ولكن الإنسان قبل الشريعة المكتوبة كان الضمير هو شريعته.. شريعة طبعها الله فى أذهان الناس، وبها كانوا يسيرون..

شريعة لم يأخذها الإنسان من سلطة أبوية أو مدرسية أو حكومية، وإنما وجدها فى أعماق نفسه، تكشف له عن الحق والواجب، تأمره أن يفعل الخير، وتنهاه عن إرتكاب الشر.. تحدثه بأن الصدق فضيلة، وان الكذب رذيلة.. فإذا هو فعل الخير شجعته أثناء فعلته ومدحته وحكمت له بالثواب بعد الفعل، أما إذا فعل الشر فإنها تثبطه فيحس بالضيق فى أثناء الفعل ثم بالألم ووخز الضمير بعد الفعل..

شجرة الضمير: ويرى بعض رجال اللاهوت إن شجرة معرفة الخير والشر هى شجرة الضمير.. وهى الشجرة التى أوصى الرب آدم وحواء أن لا يأكلا منها، ففى سفر التكوين إن الرب أخذ آدم ووضعه فى جنة عدن ليعملها ويحفظها، وأوصى الرب الإله آدم قائلا: من جميع شجر الجنة تأكل أكلا، وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت (تكوين ٢)..

ويتحدث القرآن الكريم عن هذه الشجرة وعن أن وصية الله هى: ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين، ولكنهما أكلا من الشجرة المحرّمة ، فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما.. وناداهما ربهما : "ألم أنهكما عن تكلما الشجرة ؟.."

فجر الضمير: وعندما نبحث عن الزمن الذى طبع الله فيه شريعة الضمير فينا لا نستطيع أن نهتدى إلى معرفته على وجه الدقة، ولكن الأمر الذى لا مرية فيه: إن

هذه الشريعة قديمة قدم الإنسان نفسه ، فنحن نقرأ إنها شريعة الإنسان الأول آدم وشريعة آبائنا من بعده قبل أن يظهر موسى بآلاف السنين.. ولكن فى أى مرحلة من مراحل حياة آدم ظهر الضمير الإنسانى ؟.. يجيب أستاذنا فى اللاهوت الأدبى : إن هناك ثلاثة إحتمالات :-

١. أن يكون الضمير قد خلق مع النفس البشرية ، وحينئذ يكون الضمير قوة من قوى النفس أو ملكة من ملكاتها، وجد بوجودها ويشاركها فى خلودها..

٢. أن يكون الضمير قد خلق فى الإنسان بعد سقوطه فى الخطيئة، وكأنه تعويض عما أصابه من ظلمة أدركت عقله وقلبه فأصبح الضمير نوراً لنفسه وهدياً يقوده للتمييز بين الخير والشر..

٣. أن يكون الضمير قوة تولدت فى باطنه بمجرد أكله من شجرة معرفة الخير والشر، ولهذا يسمون الشجرة " شجرة الضمير".. وهنا يكون الضمير عطية من مراحم الله بالإنسان حتى لا يتركه بلا هادى ولا دليل ،خاصة وإنه سوف يطرد من جنة عدن..

والضمير هو الذى نعرف به الخير والشر.. ومهما يكن من شىء فالضمير قديم قدم الإنسان ويرجع تاريخه إلى حياة الإنسان الأول حيث إستيقظت فيه زوجته عند المعصية فإنفتحت أعينهما وعرفا إنهما عريانان ، وهنا بدأ آدم وحواء فى الهروب من صوت الضمير بعد العصيان.. وفى الإختفاء من وجه الرب وعندما ناداه الرب: أين أنت ؟.. كانت إجابته : سمعت صوتك فى الجنة فخشيت، لأنى عريان فإختبأت.. ويستمر البحث حول الضمير..

٩٣. حوار الأشقاء حول إخوة غير أشقاء للمسيح

مواقف: فى عمود" مواقف " الذى يكتبه أنيس منصور فى الأهرام الغراء تحدث هذا الأديب الكبير عن وجود شقيق للسيد المسيح ، وهو يستند فى هذا إلى تفسير حرفى لما ذكر فى إنجيل متى البشير ومرقس البشير.. ففى متى : ولما جاء إلى وطنه كان يعلمهم فى مجمعهم حتى بهتوا وقالوا من أين لهذا هذه الحكمة والقوات؟ أليس هذا إبن النجار ؟ أليست أمه تدعى مريم وإخوته يعقوب(جيمس) ويوسى وسمعان ويهوذا ؟ أوليست إخوانه جميعهن عندنا ، فمن أين لهذا هذه ؟ (متى ١٣:٥٤)..

أما فى مرقس: فجاءت حينئذ إخوته وأمه ووقفوا خارجاً وأرسلوا إليه يدعونه أو يستدعونه، وكان الجمع جالساً حوله ، فقالوا له: هوذا أمك وإخوتك خارجاً يطلبونك ، فأجابهم قائلا: من أمى وإخوتى ؟ ثم نظر حوله إلى الجالسين وقال: ها أمى وإخوتى لأن من يصنع مشيئة الله هو أخى وأختى وأمى (مرقس ٣١:٣).. وقد كان مقال أنيس عن أنان بن أنان الذى حاكم القديس جيمس حتى مات مرجوماً بالرجم..

وقد كان جيمس من دعاة المسيحية والمبشرين بها، وكان أنيس منصور يريد أن يتحدث عن تحليل لإسم كوفى عنان أو أنان.. ولكن الرياح أتت بما لا تشتهى السفن.. فبالرغم من مكانة أنيس منصور ولكنه طرق موضوعاً حساساً خلال شهر مايو لعام ٢٠٠٢م ويبدو إن الأقباط بعد حرب جريدة النبأ صاروا ينتبهون لكل ما يكتب ومن حقهم أن يرفضوا ما لا يتفق مع التقاليد والإنجيل..

ولهذا بدأت تظهر مواقف متعددة ضد عمود " مواقف" ، وبدأ كتاب مسيحيون يكتبون.. ولم يقف أشقاء من المسلمين مع مواقف، بل إنتقدوا كاتب " مواقف" نقداً شديداً مما جعله يسحب مقالاته مدافعاً عن موقفه، وإن ما كتبه إنما هو من الأناجيل التى يؤمن بها ألف مليون مسيحى، وذكر أدلته وذكر إنه ليس طرفاً فى صراع ..

وبالرغم من أن أنيس منصور قارىء عظيم فإن كثيرون تحدثوا ضده بأن هذه تخريفات متقدم فى الأيام، وإنه لا ينتبه لما يقول، وإنه صار بعيداً عن الأضواء ويريد أن تعود إليه الأضواء.. ولكننى أعتقد إن الأمر ليس كذلك، وإنه لم يقصد أن يغضب الناس ..

ولكنه لم يدقق فى الأمر، وإنه خاض موضوعاً حساساً.. وإن مرجعه فيما قال هو كتابات قديمة ومواقف قديمة للكنائس الإنجيلية التى يرى بعضها إن رسالة مريم إنتهت بميلاد المسيح، وإنه لا لزوم للحديث عنها، وإنها تزوجت من يوسف النجار وولدت منه بعدما ولدت السيد المسيح..

ورغم أن الكنائس الإنجيلية تراجعت عن موقفها وجائت لتؤكد : إن الأمر يختلف وفى آخر كتاب لهم وهو التفسير التطبيقى شرح أمر إخوة المسيح بأنهم ليسوا أشقاء، إنما يسوع هو الإبن الوحيد لمريم، وإن إخوته هؤلاء هم أبناء خالته بحسب تقليد المجتمع، إذ أن إبن العم وإبن الخال أخاً..

كما ذكر التفسير التطبيقى عن مريم العذراء فى شخصيات الكتاب: إن أقارب مريم هم يوسف خطيبها ، زكريا وأليصابات نسيبان ويسوع إبنهما.. وربما تسبب هذا الإشكال لأن الذين كتبوا وفسرّوا الإنجيل هم من أهل الغرب الذين لا يعرفون

عادات وتقاليد مجتمعاتنا الشرقية.. وفى فترة الحديث من الكنائس الإنجيلية عن إخوة أشقاء ليسوع من يوسف النجار ،كثر الحديث فى هذا.. كما كثرت الردود على هذا الإدعاء..

ولم تكن هناك عظة عن مريم تخلوا من إثارة هذا الإختلاف، ولم يحاول خدام الشرق فى الكنيسة الإنجيلية أن يرفضوا هذا الرأى بل إنساقوا وراءه وأتوا بأدلة أخرى بأن الكتاب قال : إن يوسف لم يعرفها حتى ولدت إبنها البكر (متى ١:٢٥).. وهذا يعنى إنه عرفها أى تزوجها بعد ولادة يسوع، ورغم أن الآية يمكن جداً أن تفيد غير هذا لأن "حتى" تعنى الإستمرارية ، ويقول العهد القديم : إن داؤد لم يعرف ميكال حتى ماتت.. وهذا لا يمكن أن يكون معناه إنه تزوجها بعد أن ماتت.. كيف يكون هذا ؟..

حوار الأشقاء: وبدأ الأشقاء من أخواننا المسلمين يتحاورون.. وبادىء ذى بدء نحن نقول : أشقاء بالروح وهم ليسوا أشقاء بالجسد.. وفى صفحة كاملة وتحت عنوان" حقيقة الأخ غير الشقيق للمسيح" كتب الصحفى المحترم محمد الباز ووقف ضد مواقف أنيس منصور وقال عنه" إن انيس منصور سحب مقالاته ولم يسحب رؤيته، وأراد أن يخدعنا بتراجعه، وإن مريم العذراء كان لها أخت إسمها مريم، وهى أم يعقوب الذى ظن أنيس إنه أخ شقيق للسيد المسيح.. وإن أنيس إستند فى رأيه المذهب البروتستانتى الذى يرفع شعار إجتهاد مع النص..

وإن يوسف النجار كان خطيب السيدة مريم وراعيها ولم يكن زوجها، وإلا كان الكتاب المقدس ذكر هذا.. وأعتقد إنه ليس محمد الباز فقط هو الذى كتب فى صوت الأمة ٢٠٠٢/٥/٢٠م بل أن كثيرون من الأشقاء المسلمين كتبوا فى موضع آخر.. كما جاء فى"وطنى" رد كتبه طارق حجى عنوانه" هل كان للمسيح إخوة؟ يؤكد فيه إن هذا لم يحدث وإن أنيس منصور إستند إلى يوسيفوس المؤرخ اليهودى الذى لا يكن تقديساً لا لمريم ولا ليسوع..

وقال: إنه يكتب المقال وأمامه الأعمال الكاملة للمؤرخ اليهودى يوسيفوس.. وإن الإعتماد على رأى هذا اليهودى إعتماد ضعيف.. وقال: إن الذين يقولون بأن للسيد المسيح إخوة من يوسف النجار يغيب عنهم أن يوسف النجار توفى قبل إرتفاع السيد المسيح إلى السماء بعشرين سنة.. ولو كان الأمر كذلك لما طلب السيد المسيح من والدته أن تعتبر تلميذه يوحنا إبناً لها.. والحقيقة إن الكاتب لم يوفق لأن معظم دارسى الأناجيل فى العالم يعرفون إن كلمة إخوة وأبناء خالة هى كلمة واحدة فى اللغة الآرامية..

قضايا ملتهبة: ولقد إلتهبت هذه القضية.. وزادها إلتهاباً إن إعتذار أنيس منصور لم يكن واضحاً.. وإن شرقية أنيس منصور كان ينبغى أن تكون له مرجعاً وضابطاً.. فنحن فى الشرق نسمى إبن العم أخاً.. وإبن الخال أو الخالة أخاً.. ونعتبر العم لنا أباً.. والخال والد.. ولم يكن هناك داعى لكى يشرح أنيس منصور إسم كوفى عنان، ولا أن يدخل فى منطقة حساسة تزيد حساسيتها كارثة جريدة الأنباء التى تسببت فى مظاهرات ساخنة فى البطريركية التى أسرع إليها نقيب الصحفيين يستنكر ما حدث، وأن نشر كلام غير مناسب عن راهب مخلوع أمر يضر الوحدة الوطنية..

ونعود إلى حديث محمد الباز فى صفحة" قضايا ملتهبة" الذى وضح موقف الإسلام بأن السيد عيسى إبن مريم ولد من غير أب، وليس له إخوة ، لا من أب ولا من أم.. وإن هذا هو كلام السماء التى يؤمن المسلم بربها ورسله ويقدسهم ويجلهم.. وقد طالب ببحث الأمر بحثاً علمياً بمعلومات موثقة.. وبدأ فى دخول هذا البحث ليؤكد إن مفسرو الكنيسة القبطية الأرثوذكسية قد إستقر رأيهم على أن أم العذراء لم تلد، وعندما أعطاها الرب مريم نذرتها للهيكل، ثم ولدت فتاة أخرى وإسمها مريم، كما ذكر يوحنا: وكانت واقفات عند صليب يسوع أمه وأخت أمه مريم زوجة كلوبا (يوحنا ١٩:٢٥)..

وذكر أن الكنيسة القبطية كانت إلى وقت قريب تمنع الزواج بابن العم وإبن الخال بإعتبارهم أشقاء، وطالب الكنيسة أن تصدر بياناً فيه مواجهة للقضية ، وفيه أدلة من الكتاب المقدس.. والحقيقة إننى سعيد جداً بما ذكرته " مواقف" وإن كنت لا أوافقه، ولكن ما جاء بعد هذا من مواقف الأشقاء أمر مشكور ومغبط ومغبوط..

٩٤. كشف الأذن

أسرار روحية: هناك أسرار روحية يصعب أن تنكشف أمامنا ، فنحن نؤمن بالله وبملائكته، ونؤمن أيضا بأن هناك ملاك حارس يترصد خطواتنا حراسة روحية ، بل يؤمن البعض فينا بأن هناك ملاكاً يكتب لنا الحسنات وملاك يسجل السيئات.. ولكننا لا نرى هؤلاء الملائكة، وإن كان بعض الناس يرون بعض الملائكة احياناً.. ويذكر سفر العدد : إن بلعام النبى كان ذاهباً لكى يؤدى مهمة ما طلبت منه ولم تكن المهمة متوافقة مع إرادة الله، وكان بلعام يركب حماره.. وظهر ملاك الرب فى

الطريق رآه الحمار، ولكن بلعام النبى لم يره فضرب الحمار.. ونطق الحمار معترضاً، و كشف الرب عن عينى بلعام فرأى ملاك الرب واقفاً يمنعه من المرور..

وفى مرة أخرى كان أليشع النبى يعطى مشورة للملك ضد ملك آرام الذى كان يحاربه.. وإعتقد ملك آرام: إن هناك جواسيس من ذويه يحملون الأخبار إلى ملك فلسطين ، ولكن واحداً من الحاضرين قال له: كلا.. إن ملك فلسطين عنده رجل الله الذى إسمه أليشع هو يعلم بالنبوة الكلام الذى تتكلم به فى مخدع مضجعك، وقرر ملك آرام أن يحارب أليشع والذى كان يحيا فى بلدة صغيرة ليس فيها جنود للحماية، وأرسل إلى هناك خيلا ومركبات وجيشاً ثقيلا، ورأى تلميذ أليشع القوات القادمة إليه..

وخاف.. وقال : ماذا تفعل ياسيدى ؟.. وأجاب أليشع : إن الذين معنا أكثر من الذين علينا.. وصلى يارب إفتح عينى الغلام فيرى.. وإنفتحت أعين جيحزى ورأى، وإندهش ، الجبل مملوء خيلا ومركبات نار حول أليشع.. وبعد هذا أصيب كل هذا الجيش بالعمى فأخذهم إلى مليكه ورفض أليشع للملك أن يقتلهم، وطلب منه أن يقدم لهم الطعام والماء ليعودوا حيث أتوا.. الأمر إذن واضح هناك أسرار روحية ، وهناك قوات روحية لا نراها نحن بعيوننا المجردة إلا إذا كشف الرب عن عيوننا ، ويبدو هذا أيضا بالنسبة للأذن، فنحن لا نسمع كل ما فى الكون من حولنا.. وكما إن هناك كشف للعين لكى ترى، هناك كشف للأذن لكى تسمع..

كشف الأذن:

إننى لا أخفى إعجابى بسفير سودانى هو محب للإستماع.. منصت جيد للكلمات، وذات مرة قلت له: من له أذنان للسمع فليسمع.. وهذا هو كلام السيد المسيح الذى طلب آذاناً صاغية لكلامه.. فالإنسان يثير حوله جو من الضوضاء وأحياناً لا يحب أن يسمع.. ولا يحب أن يسمع حتى آخر الكلام، ولكن هناك أناس عندهم الرغبة فى الإستماع مثلما سفيرنا هذا، ومثلما تحدث أنيس منصور عن نفسه : إنه يكون حيثما تكون الكلمة الحلوة، وإنه يمشى وراء أذنه..ونحن نعلم طبعاً إن الأذن تعشق قبل العين أحياناً ..

وقد قال الأديب عن نفسه: إنه واحد من الذين يلمسون الدنيا بآذانهم.. الكلمة الجميلة.. النغمة الحلوة.. الحساسية الشديدة فى أذنيه لا تجعله ينام بعمق.. ولكى يرى الدنيا يغمض عينيه ويفتح آذانه ويتخيل ما يشاء..

إنه وفى الأيام الأولى للمسيحية كان يتم تعميد من يسموا بالموعوظين ، وكانوا يدخلون إلى المسيحية كباراً وبعد المعمودية كان طقس الإنفتاح والذى فيه يمسك الأب الكاهن أذن الموعوظ وينفخ فيها ويقول: إفثا أى إنفتح.. وطقس الإنفتاح هذا

يعنى أن يفتح المعمد أذنيه على كلام الله.. أن تجد كلمة الله منـه آذانـاً صـاغية واعية.. وفى العهد القديم كان العبد ينال الحرية فى أعياد اليهود الكبيرة ، ولكن إذا شاء العبد أن يستمر مع سيده يجرى له طقس ثقب الأذن، وهو يعنى بإرادته إنه لا يرغب فى الخروج من عند سيده، وهنا يقدمه سيده إلى الله ويقربه إلى البـاب أو إلى القائمة ويثقب سيده أذنه بالمثقب فيخدمه إلى الأبد (خروج ٢١)..

ويذكر الكتاب المقدس : وكشف الرب إذن صموئيل وهذا يعنى إنه فـتح آذانـه لأمر ما.. وهوذا أيوب يقول: بسمع الأذن قد سمعت عنك.. والآن رأتـك عينـى.. وهذا يعنى إن العين سوف تتمتع ببهاء الرب بعد إمتلأ الأذن به.. وقال أحد أصدقاء أيوب: إنه سوف يأتى وقت حينئذ يكشف الرب آذان الناس ويختم علـى تـأديبهم.. أما أشعياء الشاعر فيقول: أعطانى السيد الرب لسان المتعلمين لأعرف أن أغيـث المعيى بكلمة يوقظ كل صباح يوقظ لى أذناً لكى أسمع كالمتعلمين ، السيد الرب فتح لى أذناً وأنا لم أعاند إلى الوراء، لم أرتد (أشعياء ٥٠:٤،٥).. أعتقد إنه لا مـانع أن نرى العالم بآذاننا، وأن نطلب من الرب أن يكشف عن آذاننـا لنـسمع صـوت الأبدية فى قلوبنا ويسمع له أيضا لدعواتنا..

٩٥.يدخل والأبواب مغلقة

أصل الكلام: هناك إيمان كبير لدى كل المؤمنين إنه لا توجد حواجز تقـف أمـام عمل الله.. وإنه مهما كانت الأبواب مُغّلقة فإن الله يدخل إلينا ويـتكلم معنـا فـى مخدعنا.. إن الله ليس شيء عسير قدامه.. وعندما تضيق بنا الأحوال نعلـم أن الله موجود ، وإنه خلف الغيمة.. وإنه سوف يعمل معنا ويفتح أمامنا الأبواب المّغلقة.. وكلمة مُغّلقة هنا لديها شدة على الغين أى ليست المُغلقة.. إنما المحكم إغلاقها..

ويرجع إستعمال هذا القول الممتلىء بالأمل العامر بالرجاء إلى قصة قيامة السيد المسيح ، وهى قصة واقعية تحكى أن السيد المسيح بعدما صلب بل فى يوم الصلب مات على خشبة الصليب ودفن فى قبر جديد لم يدفن فيه أحد.. وذهبت المريمـات إلى القبر لكى يضعن الحنوط على الميت ، وكانت المشكلة أمامهن هى من يـدحرج لهن الحجر؟..

وكان الحجر كبيراً ودائرياً، ولقد رأيت مثل هذا الحجر فى الأردن فى جبل نبـو الذى دفن فيه موسى.. والحجر كبير دائرى ضخم يحتاج إلى قوة عدد من الرجـال لكى يدحرج لأنه دائرى.. وكانت المفاجأة أمام النساء إنهن رأين أن الحجر مدحرج

والقبر فارغ ، لأن المسيح قام من بين الأموات.. ووعد المسيح المريمات أن يذهبن ويخبرن التلاميذ، وإنه سوف يأتى إليهم هناك ويجتمع بهم جميعاً..

ظهور المسيح: وفى عشية يوم أحد القيامة.. كان التلاميذ معاً مجتمعين بسبب الخوف من اليهود، فلقد كانت الأحداث صعبة ، وكانت قسوة اليهود واضحة.. فهم بعد أن مات المسيح تذكروا إنه قال: إنه سيقوم .. وخافوا من قيامته.. وذهبوا إلى بيلاطس حاكم ذلك الزمان وقالوا له: لقد تذكرنا إن ذلك المضل قال وهو حى : إنى بعد ثلاثة أيام أقوم..فمر بضبط القبر لئلا يأتى تلاميذه ليلا ويسرقوه ويقولوا للشعب إنه قد قام من الأموات فتكون الضلالة الآخيرة أشر من الأولى..

فقال لهم بيلاطس: عندكم حراس إذهبوا وأضبطوه كما تعلمون.. فمضوا وضبطوا القبر بالحراس وختموا الحجر (متى ٢٧).. وكان واضحاً إن بيلاطس غير راضى عما يفعلوه.. فلقد ورطوه فى الحكم على إنسان بار قال عنه: إنى برىء من دم هذا البار.. ولكن الغريب إن أعداء يسوع كانوا يتوقعون قيامته، بينما تلاميذه لم يكونوا للقيامة متوقعين..

وقام يسوع وظهر للمريمات، وظهر لتلميذى عمواس.. وبعد هذا دخل على التلاميذ والأبواب مُغلقة.. كانوا كلهم معاً عدا توما.. ووقف يسوع فى الوسط وقال لهم: سلام لكم: كما أرسلنى الآب أرسلكم أنا.. ولما قال هذا نفخ وقال لهم: إقبلوا الروح القدس من غفرتم خطاياه غفرت.. ومن أمسكتم خطاياه أمسكت (يوحنا ٢٠)..

ظهوران متتاليان: لقد دخل يسوع إلى التلاميذ والأبواب مُغلقة ليس مرة واحدة بل مرتان.. الأولى فى الأحد الأول يوم قيامته.. والثانية فى الأحد التالى بعد القيامة.. وتبدأ القصة هكذا: بأن توما الذى يقال له التوأم لم يكن معهم فى الظهور الأول.. وهو لم يكتفى بأنه غاب وغابت عنه الرؤيا العظيمة، إنما أعلن إنه لا يصدق ما حدث.. لأن ما حدث كان أغرب من الخيال.. ورغم أن توما كان مع المسيح متابعاً له أينما كان، ورغم أن المسيح تحدث معهم عن موته وعن قيامته فى حضور توما، ولكن مأساة الصليب وما صاحبها من أحداث قاسيات جعله ينسى كل شىء لقد قال: إن لم أبصر فى يديه أثر المسامير وأضع أصبعى فى جنبه لا أؤمن..

ولقد ظهر السيد المسيح بعد ظهوره الأول.. فى اليوم الثامن لقيامته وهو يوم الأحد.. ودخل على التلاميذ مرة ثانية والأبواب مُغلقة ووقف فى الوسط وقال: سلام لكم.. وكان من الطبيعى أن يوجه الحديث إلى توما فقال له: هات أصبعك إلى هنا وأبصر يدى، وهات يدك وضعها فى جنبى ، ولا تكن غير مؤمن بل مؤمناً.. أجاب

توما وقال له: ربى وإلهى.. قال له يسوع: لأنك رأيتنى ياتوما آمنت..طوبى للذين آمنوا ولم يروا..

الله معنا: وهذه دعوة محبة تؤكد لنا إن الله معنا.. وإه عندما يحكم العالم أبوابه ضدنا.. عندما يرغب أن يدخلنا فى سجن إنفرادى ويهزأ بنا.. عندما تكثر فى حياتنا الكوارث والملمات ، فإن الله لابد أن يظهر لنا.. أن يأتى إلينا.. أن يخرج من مكانه.. وينزل إلى حياتنا.. ويمشى على شوامخ الأرض.. ويسند الإنسان المؤمن الذى يلجأ إلى إسم الرب الذى هو برج حصين يركض إليه الصديق ويتمنع .. ثقوا أن الرب معنا.. وإن الفرج قريب.. ولابد أن يأتى إلينا الرب ويدخل حتى ولو كانت الأبواب مُغّلقة.. ويحكم إغلاقها، لأنه ليس شىء غير ممكن لدى الله فاحص القلوب والكلي، والذى يشعر بآلامنا وضيقاتنا..

٩٦. رحلة نحو السعادة

أمل كبير: لدى كل واحد فينا أمل كبير أن يكون سعيداً.. بل أن الحياة نفسها ينبغى أن تكون رحلة نحو السعادة.. وكثيراً ما تكون السعادة وهماً من الأوهام عندما لا نفهم المعنى الحقيقى للسعادة.. والسعادة حلم من الأحلام ليس من الصعب تحقيقه.. والسعادة تختلف عن اللذة، فقد يجد الإنسان اللذة، ولكنه لا يجد السعادة، لأن اللذة هى وقتية.. مؤقتة.. أما السعادة فهى نعمة دائمة على الإنسان.. والسعادة تنبع من أعماقنا.. وعندما نكون سعداء سوف يكون كل شىء حولنا جميلا وسعيداً..

والبحث عن السعادة هو رحلة الحياة كلها، ولكن هناك تصريحات لكثيرين عن السعادة أو عن سر السعادة فهناك فيلسوف قال: إن العالم بأجمعه يسعى سعياً جنونياً وراء الإطمئنان والسعادة.. ويقول أستاذ جامعى : إن العالم يفتش عن عقيدة يؤمن بها.. وعن ترنيمة يرنمها.. فالسعادة ترنيمة عذبة نسمع صداها داخل قلوبنا.. وهذا أحد أصحاب الملايين يقول: ظننت المال كفيلا بأن يوفر لى السعادة، فإذا الواقع يؤكد إن هذا وهم كبير..

وإحدى نجمات السينما تقول: لدى من المال والجمال والشهرة ما يجعلنى أسعد إمرأة فى العالم، ومع ذلك فإننى تعيسة.. ونتساءل: لماذا هذا ؟.. وأحد القادة الإجتماعيين يقول: لقد فقدت كل رغبة فى الحياة مع أن كل ما أستطيع أن أعيش لأجله متوفر لدى.. فهل لى أن أعرف السبب؟.. ويحكون عن شخص متعب ذهب إلى طبيب نفسانى وقال له شاكياً: أنا أشعر بالوحدة واليأس والشقاء فهل تستطيع

أن تساعدنى ؟.. وما كان من الطبيب إلا أن أشار إليه أن يذهب إلى السيرك ، وهناك يجتمع بمهرج إشتهر بإثارة الضحك فى قلوب أشد الناس بؤساً، وغماً، وإكتئاباً.. وعندئذ يجيب المريض بسرعة: ليتك تعلم سيدى إنى أنا هو ذلك المهرج بعينه..

ويقول أحد رجال السياسة: أنا رجل مسن والحياة فى عينى عديمة المعنى ، غير إننى الان على أتم الإستعداد أن أخاطر وأقفز إلى المجهول الذى ينتظرنى ، أفليس لديكم شعاعة من الرجاء تقدمونها لى ؟.. الإنسان يسعى نحو السعادة.. يلهث جارياً وراءها وكما قال الشاعر:

" ولست أرى السعادة جمع ما ولكن التقى هو السعيد.."

السعادة فى التقوى.. فى التلاقى مع الله.. فى تسليم الإرادة له.. ومن يسلم إرادته لله ويتجرد عن العالم سوف يجد السعادة.. يجدها فى الحياة مع الله، ويكرس نفسه ووقته لخدمة عبيد الله فى كل مكان.. وما أشبه الحياة ببحر مضطرب وسفينة الإنسان فيه تتقاذفها الأمواج.. وإذا ما وجد بعض المسرة هنا فقدها هناك، لأنها مسرة لا تشبع جوعة ، ولهذا يواصل السعى.. ومن يشرب من ماء العالم يعطش ويظل يعطش، أما الماء الذى يعطيه الله فمن يشرب منه لا يعطش إلى الأبد..

هناك صوت خافت يهمس فى أعماقنا ويقول: نحن لماذا وجدنا ؟.. نحن وجدنا لأشياء صالحة قد سبق الله فأعدها لنا.. إن هناك ينبوع علينا أن نصل إليه، وهذا الينبوع فى داخلنا.. فى كياننا.. أنتم هياكل الله وروح الله ساكن فيكم.. عبثاً نفتش عن السعادة خارجاً عن دواخلنا، ولكن كيف تكون دواخلنا ؟.. وإذا كان الله فينا فكيف نكون ؟.. إننا لا نجد إشباعاً إلا فى الحياة مع الله حيث لا نحيا فى خداع العالم، إنما فى حقيقة الله الذى خلقنا على صورته ومثاله..

سر السعادة: والسعادة فى الحياة ليست سعادة سطحية ترتبط بالأحوال والظروف، لأن السعادة الحقة تملأ شغاف القلب وتغمر أغوار النفس حتى فى أشد الساعات ألماً وأصعب الظروف، وأمّر الحالات إنها سعادة تجعلنا نبتسم حتى وسط وادى الدموع، ونتألم عندما نرى الإعوجاج فينا أو من حولنا.. إن السعادة التى تتوق إليها نفس المؤمن هى سعادة لا تحمل على الزهو والإفتخار عند النجاح أو الإضطراب عند الفشل..

إنها سعادة تعطينا سلاماً داخلياً ولا نعتمد على المؤثرات الخارجية، ولا تجعلنا نطلب السلام من أفواه الناس، إنما من أعماقنا ينبوعاً يتفجر فينا.. يكفى أن نعرف

أن الله موجود.. وإنه هو الذى يرعانا ويملأ قلوبنا بالسعادة.. والله الموجود فينا يعطنا السلام الذى يفوق كل عقل والذى يحفظ أفكارنا فيه.. إن السعادة هى الطوبى التى أعطاها السيد المسيح فى العظة على الجبل ، هى تطويبة للمساكين.. للحزانى.. لصانعى السلام.. للجياع والعطاش إلى البر.. للمطرودين من أجل البر.. وهذا يجعلهم يسعون نحو البر أكثر وأكثر.. إن نفوسنا لن تجد السعادة إلا مع الله، وهذا لا يحتاج منا إلى مشقة، إنما إلى تسليم الحياة لله الذى يعطنا السعادة الحقيقية كلما إقتربنا إليه..

٩٧. دكتوراة عبد العزيز فى فقه الطبابة

أحمد عبد العزيز: الدكتور البروفسور أحمد عبد العزيز الجراح الماهر فى القلب أهدانى كتاباً عنوانه" فقه الطبابة" إستجابة الفقه الإسلامى للمستجدات فى العلوم الطبية.. إطلاعات فى الفقه المقارن والقوانين الوضعية.. رسالة دكتوراة من الدراسات الشرقية شعبة القانون جامعة لندن.. وكان لابد أن تكون صفحات الكتاب كبيرة لكى تستوعب هذا العنوان الكبير..

وقد نشر هذا البحث باللغة الإنجليزية فى يناير عام ٢٠٠١م.. وفى أبريل عام ٢٠٠٤م للنشر باللغة العربية.. وقبل أن أبدأ الحديث عن هذا البحث القيم، أتحدث عن هذا الأستاذ المتحضر بروفسور أحمد عبد العزيز الذى بعد أن أبلى بلاءً حسناً فى ميدان الطب عاد ليقدم دكتوراة عن" فقه الطبابة ".. وهو ليس طبيباً فقط، إنما هو طبيب حكيم أديب..

وأذكر إنه حتى زمن قريب كان الطبيب يسمى حكيماً، وذلك لأن الطبيب ينبغى أن يكون حكيماً لكى يقدم علاجاً معنوياً عن طريق الحكمة، وكان الأطباء فلاسفة حكماء، وهناك فى أعماق كل طبيب جانب إنسانى ممتع، فهو يخدم الناس ليس للحصول على معيشة، إنما لكى يخفف آلام الإنسانية .. وأذكر هنا لوقا الطبيب كاتب إنجيل لوقا، والذى هو من المسيحيين الآوائل وهو طبيب حكيم اديب فنان.. قال عنه بولس الرسول: لوقا وحده معى.. وقد كتب إنجيل لوقا وسفر الأعمال فى أسلوب أدبى جميل تتبع فيه كل شىء من الأول بتدقيق..

وكان لوقا فناناً، رساماً.. وقد رسم لوحة للسيد المسيح تحمله أمه مريم العذراء.. فهو فنان رسم اللوحات الفنية كما رسم بالكلمات نقشاً روحياً فى الإنجيل وسفر الأعمال.. وقد لقب لوقا الحبيب، لأنه كان يملك وجهاً بشوشاً مبتسماً يضحك

فى لحظة المحنة ويساعد الآخرين على البشاشة والضحك.. وقال عنه بولس أيضا: يسلم عليكم لوقا الطبيب الحبيب..

ولقد كان لتدين لوقا كمسيحى أثره الروحى على مهنته ، لقد حول المهنة إلـى رسالة روحية، والرسالة تبدأ بإحساس الإنسان ، إنه فى عمله مرسل من الله إلـى الأرض بالمهنة التى تلزمه ان يمجد الله فيها.. وأذكر هنا إن مجموعة من الأحباء المسلمين إهتموا بإنجيل لوقا وكتبوا كتاباً عنوانه" الإنجيل قراءة شـرقية" إعـداد نخبة من المختصين ، وتقديم الدكتور هاشم العلوى القاسمى، رئيس شعبة التاريخ بجامعة فاس المغرب.. وطبعته دار الجيل ببيروت ١٩٩٨ م..

وحوى الكتاب مقدمة جميلة من كتاب مسلمين تـرفض أن يقـال: إن الإنجيـل مُحّرف.. فالإنسان عدو ما يجهل، والإنجيل كلمة الله.. وإختـزال التباعـد أسـاس لمستقبلنا وبقائنا.. وهو كتاب كما قال مظهر الملوحى: يقدم خبرة الـشيخ الكبيـر محيى الدين إبن العربى حين قال: لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبى.. إذا لـم يكـن دينى إلى دينه دانى.. أدين بدين الحب أنا توجهت.. ركائبه فالحب دينى وإيمـانى.. لقد صار قلبى قابلا كل صورة.. فمرعى لغزلان ودير لرهبان..

الطبيب الأديب: إن الجانب الإنسانى عند أحمد عبد العزيز ليس إنه طبيباً فحسب، إنما هو أديب تجلس إليه فتأنس إلى كلماته.. يكلمك أدباً رفيعـاً.. ويحتـرم رأيـك وفكرك.. ويحاول أن يستفيد منك.. وهو نفسه يجلس إلى نفسه ويتعلم ويفكر ولـم يكن محتاجاً إلى رسالة دكتوراة يقدمها.. ولكنه كان راغباً فى البحث والمزيد مـن الفهم وإضفاء الجانب الإيمانى على رسالته الإنسانية.. وله مواقـف جميلـة مـع كثيرين وهو وزوجته أخصائية النساء والولادة دكتورة سيدة الدرديرى.. ولقد كان مدخلى للعلاقة معها عندما كنت أنتظـر أول أولادى ليـشرق علـى حيـاتى أمـلا ومستقبلا ونعمة.. وكانت هى اليد الحنون التى ساندتنى وإهتمت بـشريكة حيـاتى عام ١٩٦٨م..

وكان مدخلى للعلاقة مع الدكتور أحمد عبد العزيز منذ عـام ١٩٧٢م.. عنـدما رزقت بالإبن الثانى وكان عنده ثقب فى القلب وأجرى له الـسيد مجـدى يعقـوب العملية الجراحية وبعدها أتى لزيارة السودان وفكرت فى أن أهتم بإكرامه مثل مـا أكرمنى.. وأن يرى إبنى مينا بعد العملية.. وكانت المعادلة صعبة مع ضيق الوقت، فلقد كنت أرغب أن يزورنى فى بيتى ويرى إبنى ، وأن يزور الرجل العظيم قـديس القرن العشرين مطران الخرطوم الأنبا دانيـال، وكـان حـل المعادلـة أن يـزور المطران.. وعلى سرير المطران رقد الطفل مينا لكى يتابعه مجدى يعقوب.. والأهم

من ذلك إننا خلال اللقاء والتجهيز للقاء كان حديثنا عن تاريخ المسيحية في السودان..

وكان كلاهما فى إهتمام شديد بهذا الأمر، ولقد ذهبت إلى الأب يوحنا فانتينى لكى أطلب منه كتابه باللغة الإنجليزية، وقد كان وأهديت هذا الكتاب إلى مجدى يعقوب وفرحت جداً أن تعرفت على الجانب الثقافى عند الرجل البارع دكتور أحمد عبد العزيز.. وتمر الأيام ونحن على علاقة ود ومحبة، ويزورنى فى منزلى فى عيد الميلاد المجيد مع زوجته الوقور التى تقف وراء عظمته وعلمه الغزير، وأهديته بحثاً عن "المسيحية فى عيون المسلمين"..

وذهبت إليه فى عيد الأضحى لأراه قد تحمس لهذا البحث وطلب منى نسخاً أخرى لأحباء له.. وهذا يعنى إن مسيرته مستمرة.. وإنه كما هو طبيب وأديب.. أما كتابه" فقه الطبابة فهو كتاب يفتح باب الإجتهاد فى القضايا الطبية لأنه كما يقول السرخسى فى القرن الحادى عشر: النصوص معدودة والحوادث ممدودة فكيف للمعدود أن يسمع الممدود ؟..

أو كما يقول الشهرستانى فى الملل والنحل: إن الحوادث والوقائع فى العبادات والتصرفات مما لا يقبل الحصر والعدد ونعلم قطعاً إنه لم يرد فى كل حادثة نص ولا يتصور ذلك أيضا، والنصوص إذا كانت متناهية والوقائع غير متناهية وما لا يتناهى لا يضبطه ما يتناهى، علم قطعاً إن الإجتهاد والقياس واجباً الإعتبار حتى يكون بصدد كل حادثة إجتهاد.. والعلماء هم المهتمون بالإجتهاد لأنهم ورثة الأنبياء، ولأن مداد أقلامهم فى مقام دم الشهداء.. والكتاب يهتم بقضايا كبيرة سوف أعرض لها مرة أخرى وأقدم هنا التحية للدكتور أحمد عبد العزيز وهو لم يزل يجلس على مقاعد الدراسة ، تلميذاً ذكياً..

وهو رقم فى عالم الطب، كما قال عنه الأستاذ محجوب محمد صالح الذى قدم الكتاب.. ما قاله الأستاذ محجوب وما كتبه دكتور أحمد عبد العزيز يحتاج إلى لقاء آخر، وإلى أن يحدث هذا اللقاء أخاطب الأطباء أن يكونوا أدباء.. وأخاطب الحكام أن يكونوا أدباء، وأن يكون لحديثهم مع الناس وجه إنسانى يخاطب قلوبهم ويقنع عقولهم..

٩٨. قضايا مكافحة المخدرات

اللجنة القومية: فى حركة قوية نحو محاربة المخدرات أقامت اللجنة القومية لمكافحة المخدرات سمناراً بالتعاون مع وزارة الرعاية الإجتماعية.. والأمر هام جداً والقضية تحتاج إلى الجهود المشتركة والوضعية ألم شديد، لأنه دمار يتجه نحو تدمير شباب مجتمعنا فى وقت نحن فى أمس الحاجة إلى جهود الشباب للبناء.. والشباب ثروة قومية تحتاج إلى رعاية وحكيم الجامعة يقول: إفرح أيها الشاب فى حداثتك، وليسرك قلبك فى أيام شبابك وأسلك فى طرق قلبك وبمرأى عينيك وأعلم إن على هذه الأمور كلها يأتى بك الله إلى الدينونة فأنزع الغم عن قلبك وأبعد الشر عن لحمك لأن الحداثة والشباب باطلان (جامعة ١١)..

وهذا يعنى إنه لا مانع للشباب أن يفرح ولكن الضوابط موجودة.. والدينونة فى الإنتظار والإهتمام ينبغى أن يكون بأن يبعد الشباب الشر عن لحمه وليس هناك شر أشر من المخدرات.. والشباب وهو فخر الأمة يحتاج إلى أن يزكى طريقه أمام الله وهنا يتحدث داؤد النبى ويتساءل: بم يزكى الشاب طريقه؟ ويجيب بحفظه إياه حسب كلامك (مزمور ١١٩:٩)..

وكلام الله يرفض أن يكون من خلق على صورة ومثاله هارباً من الواقع متناسياً رسالته كخليقة لله على الأرض عنده السلطان على الطبيعة والعالم بكل ما فيه ، بينما المخدرات تفقد الإنسان سلطانه وتتركه صريعاً تائهاً مدمراً.. وكان سمنار قضايا مكافحة المخدرات قد أخذ يوماً كاملاً هو يوم الإثنين السادس من مارس ٢٠٠٦ م..

وكنت أتمنى أن يكون فى السادس من أبريل يوم الإنتفاضة وعلى الأخص أن رئيس اللجنة القومية لمكافحة المخدرات هو رجل الإنتفاضة القوى والذى تمكن بحماسه المتدفق ووطنيته الحارة وعباراته البليغة وخطبه النارية أن يقود إنتفاضة الشعب.. والحقيقة إن موضوع مكافحة المخدرات يحتاج إلى إنتفاضة يبدأها رجل الإنتفاضة الدكتور الجزولى دفع الله حتى تصل الرسالة إلى كل الشعب وكل فئاته ، وتكون المحاضرات والسمنارات ليست فقط فى وزارة الداخلية ، إنما فى الأحياء الشعبية.. فى زقلونا.. وجبرونا.. ومدن السلام.. والوزير دقس.. وفى الخرطوم إثنين وثلاثة وميادين بحرى وأم درمان.. والجامعات والمدارس.. إنتفاضة توجه نحو هذا الخطر المدمر الخطير..

سمنار المكافحة: وكان السمنار قد قدم أربعة اوراق بدات بورقة عالم وخبير المخدرات الفريق كمال عمر، فلقد كتب أكبر وأجمل وأقوى كتاب عن المخدرات ..

وله أحاديث منفعة وجميلة أرجو أن لا يحرم شباب هذا الجيل منهـا.. والورقـة الثانية عن الجانب العملى وهو علاج الإدمان تقديم اللواء الـدكتورة نـور الهـدى محمد وهى وجه مشرق يمتلىء بصبر المرأة السودانية العظيمة لتحقيق الأهـداف العظيمة.. أما الورقة الثالثة فهى واقع مكافحة المخـدرات فـى الـسودان قـدمها بالأرقام والإحصائيات العميد شرطة حبيب أمباشى، والورقـة الرابعـة ورقـة ذات مستوى لغوى رفيع وتعبيرات رنانة للدكتور عثمان خيرى مـن مركـز دراسـات المجتمع وتهتم بدور المجتمع المدنى فى مكافحة المخدرات وتقدم القناعات الأممية والقناعات الإقليمية، والقناعات القطرية ..

ثم تتحدث عن فضاءات ومجالات المجتمع المدنى وتطالب المجتمع بعدم الركون لمصدات الموروث الإجتماعى الثقافى، والإرتكاز على المرافىء الأخلاقية لمجابهـة ومكافحة المخدرات لأن القضية أخطر من أن يركن فيها إلى أحد ، إنما هى تحتـاج إلى جهود علمية مدروسة خاصة وان المجتمع له تركيبة سكانية قابلـة للتـأثير، حيث تكثر فئة الشباب.. وبكل أسف تزداد بينهم نسبة العطالة..

ولهذا ينبغى أن يحدث ما أسماه عثمان بالتشبيك ويقصد به إقامة شـبكات مـن المجتمع المدنى تتشابك معاً وتتناغم معاً قبل أن تتفاقم المشكلة، ولم يخلُ المـؤتمر من الغناء والدندنة فبرنامج بسيط وشيق قدمه الدكتور الفنان عبد القادر سالم.. أما حديث الأرقام فهو يتحدث عن واقع مكافحة المخدرات فـى الـسودان مـن خـلال البلاغات ، ولكن هذا الواقع بضعفه إنه لا يعبر سوى عن عشرة فى المائـة مـن المشكلة ، لأن عدد البلاغات يتزايد عاماً بعد عام ، والكميات المضبوطة تقل جـداً عن الكميات التى تهرب من الضبط ، وبلاغات النساء والأحداث تتضاعف وتتفاقم ، إن الأمر ياأعزائى يخص أغلى ما نملك وهو شبابنا السودانى ، والمـشكلة أكبـر كثيراً وتحتاج إلى تضافر الجهود وجهد اللجنة القومية لمكافحة المخـدرات، جهـد مقدر ومشكور .. وأعتقد إنه بداية الإنتفاضة الشعبية ضد المخدرات..

٩٩. صلاة الملائكة

توفيق الحكيم: فى كتاب توفيق الحكيم الأديب الحكيم " الخروج من الجنة" ضـمن كتب المسرح المنوع، ويحتوى الكتاب على ثلاث مسرحيات: الخروج من الجنة فى ثلاث فصول صدر منها سنة ١٩٢٨م، وصلاة الملائكة صدر عام ١٩٤١م، ومهدى إلى أصدقاء الإنسانية، والمسرحية من ست مناظر، وأخيراً أمام شباك التذاكر وضع

بالفرنسية فى فصل واحد عام ١٩٢٦م، وترجم للعربية عام ١٩٣٥م بقلم أحمد الصاوى محمد..

وبرغم قوة المسرحيات الثلاث فإننى سوف أقتصر حديثى عن مسرحية " صلاة الملائكة"، وهذه المسرحيات وما لدى توفيق الحكيم من إنتاج أدبى غزير يؤكد أموراً روحية من أهمها: إن الحكيم يحفظ الكتاب المقدس وآياته ونصوصه ويستفيد بها فى الوقت المناسب ويرغب فى تقديم صورة روحية مشرقة للإنسان وللإنسانية، ولا أنسى هنا كتابه " نشيد الإنشاد" والذى كتبه سنة ١٩٤٠م وحاول أن يقدمه باقة حب فى زمان الحرب ولم يقدر أن يصنع شيئاً فيه أو يغير منه بالزيادة أو النقصان، إنما قدمه للقارىء كما جاء فى التوراة، وصدقونى إننى فى خلوتى عندما أمسك كتاباً لتوفيق الحكيم لا أقدر أن أتركه، وأستمر فى قراءته سعيداً حتى الصفحات الآخيرة فيه..

صلاة الملائكة: وفى صلاة الملائكة والذى قدمه إلى أصدقاء الإنسانية والأصدقاء هنا هم ملائكة السماء يتحدث الحكيم عن حوار فى السماء دار بين ملاكين، قال الملاك الأول للثانى: أنظر ما هذا الدخان الصاعد إلينا من الأرض ؟ وأجاب الثانى: إنهم هم البشر يحرق بعضهم بعضاً .. ويستمر الحوار بينهما: أتراهم نسوا قول إلهنا لقابيل: ماذا فعلت .. صوت دم أخيك صارخ إلىّ من الأرض التى فتحت فاها لتقبل من يدك دم أخيك ؟ وما ترى الأرض قائلة وهى تفتح اليوم فاهاً لتقبل لججاً متلاطمة من دماء مليون هابيل..

ياللويل.. أو نظل نحن فى عليائنا نطل عليهم فى سكون ؟ ويقول أحد الملائكة : وما فى مقدورنا أن نصنع.. ويرد الثانى: نهبط إليهم لنرد عقولهم إلى الصواب ونفتح بصائرهم على نور الحق.. ويقول الآخر: إنهم سكارى لا يبصرون ولا يصغون ولا يعون.. وفى نفس الوقت يسمع الملاكان أصواتاً جميلة تصعد إلى السماء من بعض العقلاء فى الأرض من الشرق والغرب والوسط.. ويتحرك ملاك منهما لكى يهبط إلى الأرض تحية وتجاوباً مع الدعوات الخارجة من قلوب نبيلة ، ويرفض أحدهما النزول إلى الأرض ويصمم الآخر على إنه ينبغى أن يصنع شيئاً من أجل هؤلاء المصلين الراكعين.. وينزل الملاك الأول ويترك الثانى فى السماء ويهبط الملاك ويختار إحدى الغابات، وهناك فى الغابة يرى فتاة فقيرة من بين الأشجار تحمل متاعها وفى يدها إناء ملأته من الجدول..

وتسأله الفتاة: من أنت ؟.. فيجيب: انا قادم من المدينة ، وتحاول الفتاة أن تقدم له من ماء الجدول ولكنه يعتذر بأنه إنما متعطش إلى قليل من الهدوء، وعندما تراه هكذا تفكر أن تتركه للهدوء، ولكنه يطلب منها أن تجلس معه وتحدثه، وكان

حديثها إليه حديث دموع وأحزان فلا أهل لها.. أمها ماتت مريضة، أخواتها فقدوا فى الحرب، ويسأل الملك: ولماذا يقتتلون ؟.. وتحاول الفتاة أن تسأله أن يجد لها عملا ، ثم تشعر إنه متعب ويمسك التفاحة التى تبقى فى يده حتى عودته ثانية إلى السماء..

وتستمر التأملات بينهما فى الغابة، الملاك سعيد بها يسير معها ويقول: ما أجمل الأرض لو إستطاع الإنسان فيها أن يبصر وأن يحب وأن يجعل الرحمة تتدفق من نفسه تدفق الماء من الجدول، وتتأمل الفتاة جدول المياه بجانبه، طير يرد الماء، وأرنب أذنيه تفتحتا كأنهما زنبقتان ، وعينيه قد لمعتا كأنهما فيروزتان، وتسأل : ماذا يقول العصفور ؟ وترى إنه يخاطب الزهرة البرية، يانسمة الصبح للكائنات، هذا الندى ليس قطرة ماء، يازهرة الأمل للكائنات، إن دمعك دمع السماء، ويعجب ملاك الرب بهذا النشيد..

وخلال رحلة التنزه فى الغابة يظهر راهب يحمل متاعه فوق منكبيه ويسأل: من أنتما ؟ ويسأل الملك : من أين أنت قادم أيها الراهب ؟.. فيجيب: من الويل الأكبر، والليل الأبهم، والخطب الأعظم الذى حاق بالبشر.. هنالك حيث يمطر الإنسان من أخاه الإنسان ناراً محرقة دونها نار جهنم.. ويجلس الراهب وتعطه الفتاة ماء وتفاحة، ويسأل الملاك: لماذا يقتتلون ؟ ويجيب الراهب: لأنهم يعبدون اليوم إلهاً جديداً يحل قتل الشعوب ويأمر لشريعة الأقوى إلهاً ذا مخالب وأنياب مصفحة بالصلب والفولاذ..

ويسأل الملاك: لماذا لا تزود عن الإله الحق ، بسلاحك القدسى، الحق ؟.. ولكن الراهب فى تشاؤوم يرى : إن سلطة القوة تطفىء كل نور سواء ما أشع فى المدن أو الطرقات أو القلوب، وتخاف الفتاة أن تكون السماء قد تخلت عن البشر ثم يظهر رجل آخر هو عالم فى الكيمياء ويعتقد أن الفتى الملك والفتاة أمام الراهب لكى يتزوجا.. وعالم الكيمياء قد فقد رسالته وتبددت أحلامه، وتدوى الإنفجارات..

ويقترح الراهب أن يختبئوا لئلا تصيبهم الشظايا ولا يوافق أحد على الإقتراح ويوافق الراهب أن يثبت الجميع وليأخذوا هذه الرمم والأشلاء ويؤكد العالم إنهم مجرد رمم وأشلاء بعد أن تجردت من الحرية والتفكير والعقيدة والإيمان والهناء وحتى الآدمية.. ومجموع الناس هنا أربعة الفتاة والراهب والعالم والرابع هو ملاك الرب الذى هبط متجاوباً مع الصلوات لينقذ بنى البشر، ولم يكن أحد يعرف إنه ملاك الرب.. وبقية المسرحية نجدها فى مثال آخر عنوانه " إستشهاد ملاك "..

١٠٠. ذكريات العودة إلى أكل البصل

ذكريات العودة: لم يذكر البصل فى الكتاب المقدس سوى مرة واحدة أتت فى سفر العدد الأصحاح الحادى عشر والذى يقول بأن اللفيف الذى فى وسطهم إشتهى شهوة فعاد بنو إسرائيل أيضا وبكوا وقالوا: من يطعمنا لحماً ؟ قد تذكرنا السمك الذى كنا نأكله فى مصر مجاناً.. والقثاء والبطيخ والكرات والبصل، والآن قد يبست أنفسنا ليس شيء غير أن أعيننا على هذا المن، وأما المن فكان كبزر الكزبرة ومنظره كمنظر المقل، كان الشعب يطوفون ليلتقطوه ثم يطحنونه بالرحى أو يدقونه فى الهاون ويطبخونه فى القدور ويعملونه ملات، وكان طعمه كطعم قطائف بزيت ، ومتى نزل الندى على المحلة ليلا كان ينزل المن معه..

وكانت شهوة شعب إسرائيل فى البرية هى بداية النكوص إلى الوراء، فلقد كانوا كثيراً ما يتذمرون على موسى وهارون وعلى قيادة رحلة الخروج من مصر، وكانوا يقولون: أليس هناك مقابر ندفن فيها فى مصر بدلا من أن نموت فى البرية؟..وفى هذا الأمر بالذات تضايق موسى من الشهوات، شهوات أكل اللحم والتوم والكرات والبصل، وعرض الأمر على الله قائلا: من أين لى لحم حتى أعطى جميع هذا الشعب ؟ وكانوا يقتربون إلى إثنين مليون شخص، كان موسى يشعر بثقل المسئولية لهذا طلب منه الرب أن يجمع سبعون شيخاً لكى يشاركونه القيادة..هنا بدأ أول مجلس وطنى للحكم، أول برلمان.. أول مجلس إستشارى، الله بنفسه هو الذى إختاره وأيده بروح من عنده، أما عن أكل اللحم فطلب الرب من موسى أن يتقدس الشعب للغد..

وفى الغد خرجت ريح من قبل الرب وساقت سلوى من البحر وألقتها على المحلة، والسلوى طائر ممتلىء لحماً، وسقطت طيور السلوى على الأرض بكثرة، وبدأوا يأكلون كثيراً وأفرطوا فى الأكل وضربوا بالتخمة ومات كثيرون ودعى الموضع " قبور الشهوة"، وهكذا راح العدد الكبير من الشعب ضحايا للشهوة فى معركة الحياة، لقد تذكرت كل هذه القصة وأنا أسمع مونت كارلو تتحدث عن البصل تحت عنوان " عندما تقشر البصل" وهذا كتاب لأديب مشهور، والبصل محبوب جداً فى بلادنا وهو من الفصيلة الزنبقية ينمو بكثرة فى مصر والسودان، وله فوائد جمة لذلك كانت ذكريات أبناء يعقوب عن قدور اللحم وأكل البصل..

أكل البصل: وكما أن البصل يتخلل كل أنواع الطعام فالحديث عنه فى الأمثال واضح وله معنى حيث يقول المثل: يامحشور بين البصلة وقشرتها ما ينوبك منها إلا صنانتها، لأن البصل عندما ينفصل عن القشرة يتعرض للتأكسد، وهكذا مطلوب

من الإنسان أن لا يتدخل فيما لا يعنيه حتى لا يشم ما لا يعنيه ويسمع ما لا يرضيه، وهناك مثل آخر يقول: أفتكر لك أيه يابصلة وكل حتة منك بدمعة وهو حديث عن الذكريات الأليمة لبعض الناس الذين يملأون عيوننا بالدموع بسبب تصرفاتهم غير اللائقة..

وقد تحدث العلماء عن البصل بإعتباره مضاداً حيوياً يحافظ على سلامة القلب لأنه دواء طبى يقى من خطر الإصابة بالعديد من الأمراض، وهناك أبحاث حول فاعليته وفائدته أولا: فى تنظيف العين بالدموع التى تجرى مطهرة مجارى العين، وثانية: فى الوقاية من خطر الإصابة بالسكتات الدماغية والنوبات القلبية، وثالثاً: فعاليته فى خفض الضغط والكلسترول والسكرى، ورابعاً: إنه وقاية من مرض السرطان الخبيث وعلاج للمشاكل الجلدية وقتل العديد من أنواع البكتريا، وهذا ينطبق أيضاً على التوم ، لذلك كان شعب إسرائيل يفكر فى التوم والبصل..

ويضاف إلى أن البصل عندما يؤكل نيئاً أو مطبوخاً فإنه نافع لتخفيف ضرر المياه الملوثة.. ويقوى المعدة وينظف البلغم ويفتح السدد ويلين المعدة، وعندما يخلط مع العسل وتكتحل به العيون ينجو الإنسان من ضعف البصر، ولكن هكذا عسل وبصل معاً.. وأنا قرأت عن هذا وغير مسئول عن أى شخص ينفذ نصيحتى وعلى الأخص فى تكحيل العيون، لقد قدّس الفراعنة البصل وخلدّوا إسمه على جدران الإهرامات، وها هو مذكور عند اليهود فى كتاب التوراة، وكان الفراعنة يضعون البصل مع أدوات الميت بإعتباره يساعد على التنفس عندما تعود الحياة للميت..

وقد قدّس أهل اليونان البصل ووصفوه علاجاً لعدة أمراض، ونسجت الإعتقادات القديمة حوله خرافات كثيرة منها: إن القشور الرقيقة التى تحيط بالبصل تقدم تنبؤات عن الطقس الجوى، فإذا كانت عديدة ورقيقة وشفافة كان الشتاء قاسياً، أما الهنود الحُمر فى أمريكا فقد عرفوا البصل وإسمه عندهم شيكاغو بمعنى القوة والعظمة، وهكذا سميت ولاية شيكاغو.. ويقول النطاسى البارع يوحنا الأنطاكى: إن البصل يفتح السدد ويذهب اليرقان ويدر البول ويفتت الحصى.. وقال إبن البيطار: البصل فاتح للشهية ولطف وتعطس وملّين للبطن، ومطهر للفم هذا رغم أن زوجتى تقول: أن لا أستعمله عندما أكون ذاهباً لمقابلة أحد، لأن رائحته غير جميلة، ولا أدرى ماذا سأفعل بعد أن عرفت فوائد البصل، هل آكله مهما حدث أم أتحفظ إحتراماً لنصيحة زوجتى المحترمة، ما زال البحث مستمراً عن الفوائد المتعددة لأكل البصل..

١٠١. الشاعر والملك الجائر

نبضات الشاعر: إن الشاعر بلاشك هو من يشعر بشعور غير شعور الشخص العادى، الشاعر يتميز بالإحساس المرهف الرقيق بكل ما يدور حولنا، وهو عندما يرى منظراً قد لا يراه الآخر، وهو ايضاً يقدم تفسيراً لا يقدمه الآخر، عندما كان موسى يرعى غنم حميه يثرون رأى عليقة تشتعل ناراً، والنار لا تحرق شجرة العليق فقال : أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم، وما ونظر وسمع صوتاً يدعوه: إخلع حذاءك عن نعليك لأن الموضع الذى أنت واقف موضع مقدس، وأشعياء النبى أحد شعراء أورشليم فى القرن الثامن قبل الميلاد كان شاعراً قد رأى ما حوله وشعر بأنه يحيا وسط شعب معاند وشرير..

وجاءت الدعوة من الله إلى أشعياء عندما رأى رؤيا: رأى فيها السيد الرب جالساً على كرسى عالٍ ومرتفع، وأذياله تملأ الهيكل، السيرافيم واقفون فوقه لكل واحد ستة أجنحة، بإثنين يغطى وجهه، وبإثنين يغطى رجليه، ويطير بإثنين، وهذا نادى ذلك : قدوس قدوس قدوس رب الجنود مجده ملء كل الأرض، فإهتزت أساسات العتب من صوت الصارخ، وإمتلأ البيت دخاناً فقال أشعياء: ويل لى إنى هلكت لأنى إنسان نجس الشفتين، وأنا ساكن بين شعب نجس الشفتين ، لأن عينى قد رأتا الملك رب الجنود، فطار إلى أشعياء واحد من السيرافيم وبيده جمرة قد أخذها بملقط من على المذبح ومسّ بها فم أشعياء وقال: إن هذه قد مسّت شفتيك فإنتزع إثمك وكفر عن خطيتك..

وبعد هذا سمع أشعياء صوت السيد قائلا: من أرسل ومن يذهب من أجلنا؟ فقال أشعياء: هأنذا أرسلنى، فقال الصوت: ولا تفهموا وأبصروا إبصاراً ولا تعرفوا.. وبدأ بعد هذا ندأ الشاعر العظيم والنبى الكريم، لقد كان شاعراً بالطبيعة والإحساس يعرف كيف يجعل الكلمة قلادة من لؤلؤ فى عقد فريد.. وهوذا أخذ النبوة من الله.. وتطهر بالنار.. نار من على مذبح الرب وإنطلق أشعياء يؤدى رسالته ويقدم قصائد شعره إنتقاداً للشر ودعوة للحياة مع الله، تعالوا نتحاجج يقول الرب: إن كانت خطاياكم كالقرمز تبيّض كالثلج، وإن كانت حمراء كالدودى تصير كالصوف النقى..

كلمات تنبع من البيئة المحيطة فى مجتمع يعرف إحمرار الدودى ونقاء الصوف.. وكتب أشعياء شعراً عن كطوش السودان : ياأرض حفيف الأجنحة التى فى عبر أنهار كوش، المرسلة رسلا فى البحر، وفى قوارب من البردى على وجه المياه، إذهبوا أيها الرسل السريعون إلى أمة طويلة وجرداء، إلى شعب مخوف منذ كان

فصاعداً، أمة قوة وشدة ودوس، قد خرقت الأنهار أرضها، وقدم أشعياء كل نبوءاته شعراً ..

الشاعر والملك الجائر: وفى ديوان " الخمائل" للشاعر الرقيق إيليا أبو ماضى قصيدة تحكى قصة ملك طاغية، عقله فارغ، وفكره فارغ، رؤياه ضائعة، وأهدافه مفقودة، ولكنه إستدعى الشاعر:

أمر السلطان بالشاعر يوماً فأتاه..
في كساء حائل الصبغة واهٍ جانباه..
وحذاء أوشكت أن تفلت من قدماه..
قال صف جاهى ففى وصفك لى للشعر جاه..
إن لى فى القصر الذى لا تبلغ الطير ذُراه..
ولى الروض الذى يعبق بالمسك ثراه..
ولى الجيش الذى ترشح بالموت ظباه..
ولى الغابات والشم الرواسى والمياه..
ولى الناس.. وبؤس الناس منى والرفاه..
إن هذا الكون ملكى أنا فى الكون إله..

هذا الملك الذى ألهّ نفسه ملك ضعيف، لأن يملك كل ما يملك، ولكنه لا يملك نفسه الأمّارة بالسوء والتى نسيت حسنات الإله وملأت جوفها بأن الملك إله، وكان من الطبيعى أن يسخر الشاعر بالملك وأن يضحك مما يسمع :

ضحك الشاعر مما سمعته أذناه..
وتمنى أن يداجى فعصته شفتاه..
قال: إنى لا أرى الأمر كما أنت تراه..
إن ملكى قد طوى ملك عنى ومحاه..

وإذا كان كل واحد يقول ما يريد أن يقول، فإن وجهات النظر تختلف وهذا الشاعر المهلهل الثياب المتهرئ الحذاء الذى يكاد أن يفلت من قدماه له رؤيا أخرى هذه هى :

القصر ينبئ عن مهارة شاعر..
لبق ويخبر بعده عنكا..
هو للآلئ يدرون كنه جماله..
فإذا مضى فكأنه دكّا..

ستزول أنت ولا يـزول جلالـــه..
كالفلـــك تبقـــى أن خلـــت فلكـــا..
والروض إن الـــروض صنعـــه شاعــر..
سمـــح طـــروب رائـــق جـــزل..

وهنا الملك الجائر إضطرب من كلام الشاعر :

فإحتـــدم السلطـــان أى إحتـــدام..
ولاح حـــب البطـــش فى مقلتيـــه..
وصـــاح بالجـــلاد يسعـــى إليـــه..
فقـــال: دحـــرج رأس هـــذا الغـــلام..
فرأســـه عـــبء علـــى منكبيـــه..

وفى كل عصر، ولكل شاعر ملك جائر، وحاكم فاتر، لا يحب أن يـسمع إلا مـن يمدحه، وعندما يسمع الرأى الآخر ليس له سوى سيف يقطع به الرؤوس، وهنـا يكون هذا الحاكم رأسه تصل على منكبي..

١٠٢. إستشهاد ملاك

الملاك روح: نحن نعلم إن الملائكة أرواح، وإن الروح لا يمكن أن يسيطر عليهـا الإنسان ويحدث الإستشهاد للجسد فقط، أما الروح فلا سلطان لأحد عليهـا، ولكـن الملائكة عندما يأتون إلينا يحملون رسالة روحية ، فهُم يظهرون فى مظهر البشر، وفى سفر القضاة قصة ملاك الرب الذى تراءى لجدعون القاضى وشجعه علـى أن يخلص شعب يعقوب من ظلم المديانيين، وضع جدعون وليمة لهذا الملاك من لحـم وفطير، وقال الملاك لجدعون: خذ اللحم والفطير وضـعهما علـى تلـك الـصخرة وأسكب المرق، ومد ملاك الرب طرف العكاز الذى فى يده فصعدت نار من الصخرة وأكلت اللحم والفطير، وذهب ملاك الرب عن عينيه، وعندما ظهر ملاك الرب أيضاً

فى شكل رجل وقور إلى منوح والد شمشون الجبار وصمم منوح علـى عمـل وليمة له وذبح له جدى (معزة)، وكان وزوجته واقفان فرأيا عند صعود اللهب عن المذبح نحو السماء إن هذا الرجل صعد فى لهيب المذبح، وهنا علمـا إنـه مـلاك الرب..

إستشهاد ملاك: وفى مسرحية صلاة الملائكة التى أهداها توفيق الحكيم سنة ١٩٤١م إلى أصدقاء الإنسانية وطبعت ضمن كتابه " الخروج من الجنة" يحدث أن ملاكان يتحاوران معاً فى شأن الإنسان وويلات الحروب التى يحياها.. وتصعد صلوات البشر ويرى ملاك واحد إنه ينبغى أن يهبط من السماء لمساعدة البشر على الأخص بعد سماعه صلوات الأتقياء.. ويهبط الملك السماوى ويجلس فى غابة من غابات أوربا الفيحاء.. وتظهر فتاة وحيدة تلتقى معه وقد فقدت أمها فى المرض وأخوانها فى الحرب، والملاك يسأل: لماذا يتقاتلون ؟..

ثم يظهر شخص ثالث وهو راهب تقى، ولكنه بسبب الحرب يعتقد إن الأديان وقعت فى يد قوة طاغية تدعى حمايتها وتضع عليها رايتها كانها قطع من الأرض، وإن السماء إذا كانت لم تسمع دوى المدافع وإنفجار القنابل فهل تسمع صلواتهم هم الراهب والفتاة والملك؟.. وتسأل الفتاة الراهب الوقور: متى نستطيع أن نهتف: ترنمى أيتها السموات وإبتهجى أيتها الأرض لتشدو الجبال بالترنم لأن الرب قد عزىّ شعبه وعلى بائسيه يترحم، ويسمع الثلاثة حفيفاً بين الشجر يقول عنه الراهب: إنه طريد آخر، ويقول عنه الملاك: إنه رجل هائم على وجهه ويظهر الرجل وهو يحمل عصاه ومتاعه ويترنح قليلا، وعندما يرى ثلاثتهم يخمن تخميناً: إن هذا حفل عرس فتى وفتاة ،وراهب يعقد القران..

ولكن الراهب يسأل: من أنت أيها المخلوق ؟ ويجيب الرجل : عالم فى الكيمياء.. لم يأت إلى الغابة إلا لأنه رجل ذو ضمير.. ويشجعه ملاك الرب قائلا: إنى أرى نقاء ضميرك، ويوجه العالم كلامه إلى الملاك لأنه يثق فيه، ويحاول أن يشرب كأساً من الخمر ويقول: إنه يريد أن يملأ رأسه خمراً ليقتل العلم غرقاً، ويقول: لا تحسب إننى خرجت عن وقار العلماء، لم يبق للعلم ولا للعلماء وقار..

ويحكى: إن الزعيم الطاغية قال له: إطرح من رأسك هذه البحوث الخرافية ووجه علمك إلى طريق المجد.. نحن نريد قنابل، نريد مدافع، نريد من الكيمياء أن تحول اللبن إلى قنابل، والزبد إلى مدافع، وهكذا تبددت أحلام العلِم ومعه أحلام البسطاء والودعاء فى الأرض، لأن آتون النار قد إنفتح وكل بلاد الأرض تلقى كنوزها فيه، وفجأة دوت القنابل ونظر الراهب إلى السماء قائلا: إستيقظى.. إستيقظى.. ألبسى درع القوة يا ذراع الرب، إستيقظى كما فى أيام القدم، ألست أنت طاعنة التنين ؟ ألست أنت مجففة البحر ومياه الغمر العظيم ؟ الجاعلة أعماقه طريقاً لعبور المفديين ؟..

وترنم الملاك: أنا هو معزيكم.. من أنت حتى تخافى من إنسان يموت ؟.. ومن إبن الإنسان الذى يجعل كالعشب.. ثم يودع الملاك الجميع ولكنه يقول للفتاة:

ياشجرة الحب للكائنات، لن تفارقينى تفاحتك.. ولا ذكـراك يـاألطف المخلوقـات، ويدخل الملاك بعد هذا، وفى مشهد آخر من المسرحية إلى قاعة مـؤتمر، ويـرى طاغيتان واقفان وحدهما يتأملان خريطة الدنيا فوق مائدة والأبواب عليها مغلقـة.. إنهما يقسمان العالم فيما بينهما ويعترض الملاك: إن الأمم والـشعوب خلقهـا الله حرة لا تقتسم ولا تستلب، وينذعر الطاغيتان ويتساءلان: من هـذا ؟.. ويـذكرهما الملك السماوى بكلام التوراة: ها إنى أرفع إلى الأمم يدى، أقيم رايتى.. هل تـسلب من الجبار غنيمة؟ وهل يفلت سبى المنصور ؟ هكذا قال الله حتـى سـبى الجبـار يسلب، وغنيمة العالى تفلت.. وأنا أخاصم مخاصـمك، وأخلـص أولادك، وأطعـم ظالميك لحم أنفسهم ويسكرون بدمهم..

ولكن الطاغيتان لا يتحملا كلام الملاك ويستدعيا رجال الأمن ويقبض على الملك وهو ممسك بالتفاحة، وهم يعتقدون إنها قنبلة، وتعقد له محاكمة عسكرية ويحكـم عليه بالإعدام رمياً بالرصاص قبل غروب شمس النهار، لأنه خطر علـى الأمـن.. والملاك يقول: هل من يقول لكم أحبوا بعضكم بعضاً يُعـد خطـراً علـى الأمـن.. وتتأسف المحكمة إنها لم تضع الملاك على الصليب لأن الصليب ليس عقوبة مقررة فى قانون المحاكم العسكرية، وينفذ منه الحكم ويصبح الملاك شهيداً، ولكنه يأخـذ معه التفاحة ويعود إلى السماء وتقابله الزملاء من الملائكة، وعندما يرون التفاحة يقولون له: هل طردت بتفاحة مثل آدم ؟.. ولكن الملاك يتـرنم: ياشـجرة الحـب للكائنات إن دمعك .. السماء..

١٠٣. المجدلية وأوهام المتوترين

مريم المجدلية: إن مريم المجدلية هى قديـسة التوبـة، وهـى مـلاذ التـائبين والتائبات.. لقد أخرج منها السيد المـسيح سـبعة شـياطين كـانوا يـصارعونها ويتركونها على الأرض خائرة القوى، وبعد أن عرفت السيد صارت تحبه من كـل قلبها، ولا أدرى لماذا يحول البعض الحب الطاهر إلى حب يبغى الجنس ؟ لم يكـن حول يسوع إمرأة واحدة حتى نقول بمثل هذا، مرفوض ولكن كان نـساء كثيـرات حوله، كن يخدمنه من أموالهن.. كن رفيقات وخادمات لأمه مريم العـذراء التـى يرسمون حولها ثلاثة نجوم تعنى إنها بتولية قبل المسيح، وعنـد ولادة المـسيح، وبعد ولادة المسيح..

لقد كانت إمرأة جذابة ليست بفكر الأشرار إنما بفكر التائبين الطاهرين، وصارت مريم المجدلية قديسة العصور، وإنتشر إحترام المجدلية فى كل أنحاء أوربا، ففى بريطانيا أصبحت المجدلية شفيعة المصابين بمرض الجزام، وفى فلورنسا يقيم الشبان والشابات سباقاً يوم عيدها ويدعى فيه الساقطات، والشباب الخائرة قواه الروحية لكى يؤكد الكل إن باب السماء مفتوح أمام التائبين، وإن السماء تفرح بخاطىء واحد يتوب أكثر من تسعة وتسعين لا يحتاجون إلى توبة.. وإن السيد المسيح لم يأت ليدعوا أبراراً بل خطاة إلى التوبة..

وفى ألمانيا جماعة تسمى " الأخوات التائبات للمجدلية المباركة" وهن رائدات فى إصلاح النساء العاصيات.. وفى أسبانيا يحتفل بالمجدلية إحتفالا شبابياً فيه يتغنى ويترنم الشبان ويرقصون وهم يحملون عصى طويلة وفوقها صورة المجدلية.. أما فى فرنسا فيقول البعض: إن المجدلية إختتمت حياتها بالمعيشة فى بلاد الغال، ولهذا يحبها الفرنسيون ويعتبرونها فرنسية نالت الجنسية بمكوثها بينهم بحسب قوانين الهجرة..

وتعتبر روح المجدلية حماية روحية للبلاد والعواصم الفرد، وعندما جاء عصر النهضة فناً ورسماً ونحتاً ونقشاً تغنى الفنانون بشخصية مريم المجدلية ورسموها كأجمل إمرأة فى لوحة " تيتان" الذى رسمها ممتلئة تفيض أنوثة، أما لوحة دوناتيلو فقد رسمتها هزيلة وزاهدة وناسكة، ويقولون: إن دافينشى رسمها بجوار السيد المسيح، وهذا محض إفتراء، فالذى كان بجوار المسيح يوحنا، هو يوحنا الشاب الصغير الجميل الذى كان يتكىء على صدر يسوع الحنّان..

والشعر الذى يزيّن رأس يوحنا كان أمراً طبيعياً لأنه حتى السيد المسيح كان تاركاً شعره.. وقد حظيت المجدلية بمكانة كبيرة فى قلوب المؤمنين والمؤمنات وبقى تأثيره قوياً ليس لأنها جميلة، إنما لأن جمالها فى توبتها.. وأثناء الثورة الصناعية قدم الواعظون مريم المجدلية التائبة علاجاً للإفرازات السالبة للثورة الصناعية.. أما فى القرن العشرين فقد إلتف النساء حول شخصية المجدلية وأعتبرت رمزاً لمناصرى الحركة النسائية..

وإعتبرت الكنيسة الكاثوليكية : إن مريم المجدلية هى مبشرة المبشرين، وأشار البابا يوحنا بولس إليها بأنها خلال أقسى إختبارات الإيمان والإخلاص ألا وهو صلب السيد المسيح أثبتت المرأة إنها أقوى من تلاميذ يسوع.. ولم تذكر الكنيسة القبطية الكثير عن مريم المجدلية لأنها إنشغلت بمريم العذراء وأفردت للعذراء شهراً للتغنى بفضائلها.. ولقد عاشت المجدلية فى أيام المسيح قديسة تائبة، وبعد المسيح مبشرة كارزة، فهل ..

١٠٤. المنتصرون داخل النار

الثلاثة فتية: يحكى سفر دانيال قصة الثلاثة فتية، ولكنه يبدأ بأن يذكر إنهم أربعة، ويذكر أسماؤهم : دانيال، حنانيا، ميشائيل، عزريا.. وتقول القصة: إن أورشليم وقعت تحت حصار نبوخذ نصر ملك بابل والذى طلب أن يحضر مجموعة فتيان لا عيب فيهم، حُسان المنظر، حاذقين فى كل حكمة، وعارفين معرفة، وذوى فهم بالعلم، وهؤلاء يدخلون إلى مدرسة فى داخل القصر لمدة ثلاث سنوات، بعدها يقفون أمام الملك، وبدات رحلة التعليم بتغيير الأسماء اليهودية إلى أسماء بابلية، وقبل الأربعة هذا بدون غضاضة، ولكن المشكلة التى وقفت أمامهم هو موضوع الأكل، وعند أبناء يعقوب محرّمات ليست عند أهل بابل..

وقرر الأربعة أن لا يأكلوا من أطايب الملك وطلبوا من الأساتذة أن يأكلوا بقولا أو قطانى فقط، ولما خاف المسئولين طلب منهم دانيال تجربة لمدة عشرة أيام ، ونجحت التجربة وعند نهاية العشرة أيام ظهرت مناظرهم أحسن وأسمن لحماً من كل الفتيان الآكلين من أطايب الملك، ورفعوا عنهم الخمور واللحوم، فلقد كان هؤلاء الشباب قد نذروا أنفسهم للرب وعاشوا له ورنموا ترنيمة فى أرض غريبة.. وعاشوا قوة العبادة ونسك النسّاك..

وبعد نهاية مدة الثلاث سنوات وقف الفتيان الأربعة أمام الملك ليمتحنهم فى كل أمر حكمة وفهم.. وسألهم الملك وكانوا عشرة أضعاف فى تفوقهم على الآخرين فى كل المملكة، وعاش هؤلاء الأربعة مع غيرهم من المجوس والسحرة بجوار الملك فى قصره، وهنا ظهرت مشكلة غريبة فلقد حلم نبوخذ نصر وإنزعجت روحه وطار عنه نومه وارسل يستدعى المجوس والسحرة لكى يفسروا له الحلم، وتعقدت المشكلة لأن الملك نسى الحلم وكانت مهمة السحرة ليس أن يعرفوا تفسير الحلم فقط، إنما أن يعرفوا ما هو الحلم ؟..

ولما لم يعرف أحد قرر الملك قتل المجوس والسحرة ، وجاء دور دانيال ورفاقه الثلاث، وفهم المر وطلب مهلة للصلاة، وصلوا وبعد الصلاة كشف دانيال السر فى رؤيا الليل، ومثل دانيال أمام الملك وحكى له الحلم وقدم له تفسير الحلم، وهنا خرّ نبوخذ نصر الملك وسجد لدانيال وقال له: حقاً إن إلهكم إله الآلهة ، ورب الملوك، وكاشف السرار، وعظم الملك دانيال وأعطاه مكاناً رفيعاً، وصار ثانياً للملك،

ورئيس وزراء له، وظل دانيال فى باب الملك، اما رفاقه فقد صاروا ولاة على أعمال ولاية بابل العظيمة..

فى آتون النار: نحن نتحدث عن الواقفين على خط النار وكيف تكون لهم النار قوة للتطهير وليست للتدمير، ولكن هؤلاء الفتية الثلاث دخلوا إلى آتون النار وكانت النار لهم برداً وسلاماً.. وتبدأ القصة بأن الملك نبوخذ نصر صنع تمثالا من ذهب طوله ستون ذراعاً وعرضه ستة أذرع، وفى " دورا" والتى هى حى من أحياء بابل نصب التمثال، وجاء الولاة والشحن والمرازبة من أنحاء إمبراطورية بابل ليحضروا تدشين التمثال، وناد منادٍ بشدة : قد أمرتم أيها الشعوب والأمم والألسنة عندما تسمعون صوت القرن والناى والعود والرباب والسنطير والمزمار وكل أنواع العزف أن تخروا وتسجدوا لتمثال الذهب الذى نصبه نبوخذ نصر الملك، ومن لا يخر ويسجد ففى تلك الساعة يلقى فى وسط آتون نار متقدة..

وقد كان، إلا حكام بابل الثلاثة فتية الذين رفضوا السجود لغير الله، ووصل الخبر إلى الملك وإستدعى الفتية الثلاثة وهو مغتاظ ووجهه متغير وسألهم مستنكراً عدم سجودهم لآلهة الملك وتمثال الملك وطالبهم بالسجود عند سماع الموسيقى، وإن لم يسجدوا فالنار فى إنتظارهم لتأكل أجسادهم وتنهى عدم طاعتهم، وقال مستنكراً : من هو الإله الذى ينقذكم من يدى ؟.. وكانت إجابة شدرخ وميشخ وعبدنغو: يانبوخذ نصر لا يلزمنا أن نجيبك على هذا الأمر، هوذا يوجد إلهنا الذى نعبده يستطيع ان ينجينا من آتون النار المتقدة وأن ينقذنا من يدك أيها الملك.. وإلا فليكن معلوماً لك أيها الملك إننا لا نعبد آلهتك ولا نسجد لتمثال الذهب الذى نصبته.. والكلام هنا واضح وضوح شمس النهار فى سوداننا الحار.. إن أنقذهم الرب كان بها، وإن لم يحدث الإنقاذ فهم مصممون على موقفهم..

وهنا إزداد نار غيظ الملك، وأمر أن تحمى النار سبعة أضعاف مما كان معتاداً أن تحمى.. وأمر جبابرة القوة فى جيشه بأن يوثقوا الثلاثة فتية ويلقونهم وسط النار ومن حيث أن كلمة الملك شديدة والآتون قد حمى جداً قتل لهيب النار الرجال الذين رفعوا الثلاث فتية.. وكان الملك يراقب الموقف فرأى إن الثلاثة أربعة، ومنظر الرابع شبيه بإبن الآلهة، ووقف الخلق جميعاً ينظرون هذه القوة الإلهية والحماية من الله لهم، ولم تكن للنار قوة على أجسادهم، وشعرة من رؤوسهم لم تحترق، وسراويلهم لم تتغير ، ورائحة النار لم تأت عليهم..

وأعلن نبوخذ نصّر : إنه لا إله إلا الإله الواحد الذى يعبده الثلاثة فتية، ومن يتكلم عنهم يقطع إرباً إرباً، وهكذا إنتصر هؤلاء الفتية داخل آتون النار، وكل مؤمن مطالب أن ينتصر وسط نيران هذا العالم، وسوف لا يكون وحده، إنما الله معه..

١٠٥. ممنوع الموت

هل يمكن منعه؟: هل يمكن لأحد أن يقول : ممنـوع المـوت ؟ كيـف هـذا ؟.. والموت أمر عام مكتوب على جميع الناس أن يموتوا مـرة واحـدة وبعـد ذلـك الدينونة.. وعمومية الموت تعنى ما قاله أبى العلاء المعرى: يموت راعى الـضأن فى جهله، ميتة جالينوس فى طبه، ويحكى عن ديوجينوس فيلسوف زمانه: إنه كان ذات مرة واقفاً ممسكاً فى يده جمجمة ميت ومرّ به الملك فسأله : مـا بـك أيهـا الفيلسوف ؟ فقال: إننى أتأمل هذه الجمجمة، هل هى لملك عظيم أم لواحد من عامة الناس؟ وقال أحد الشعراء :

أتيـــت القبـــور فناديتهـــا
فأيـــن المعظـم والمحتقـــر ؟
وأيـــن المـــذل بسلطانـــه ؟
وأيـــن المذكـــى إذا ما إفتخـــر ؟
فنوديـــت مـــن بينهـــم لا أرى
شخوصـــاً لهـــم ولا مـــن أثـــر
تفانـــوا جميعـــاً فلا مخبـــر
وماتـــوا جميعـــاً ومـــات الخبر

هكذا الموت أينما كنتم يدرككم الموت، ولو فى بروج مشيّدة، فالقبر بـاب، وكـل الناس تدخله، والموت كأس وكل الناس تشربه، بعد حياة حافلة وآمـال عريـضة يعود التراب إلى التراب، ويدخل الجسد إلى أعماق الأرض، ويصير تراباً لـلأرض تدوسه الأقدام فى أنفة وكبرياء وتصلف ورياء، ولهذا يخاطب أبو العلاء المعـرى متكبرى الناس ويذكرهم إنهم من أديم الأرض :

سر إن إستطعت فى الهواء رويداً..
لا إختيالا على رفات العـــاد..
خفف الوطء فما أظن أديم الأرض إلا..
مـــن هـــذه الأجســـاد..
رب قبر قد صار قبراً مراراً..

ضاحكاً مــن تزاحم الأضـــداد..

نحن من تراب وإلى التراب منقلبون ومنجذبون، لأن شبيه الشيء منجذب إليه..

ياتـــراب الأرض ياجـــدى..
وجـد النـــاس طـــراً..
أنـــت أصلـــى أنـــت يا..
أقـــدم مــن آدم عمـــراً..
وسأمضـــى لـــك يومـــاً..
إذا مـــا وســـدت قبـــراً..

ممنوع الموت: عندما أتى الرهبان النسّاك إلى السودان يحملون معهم الدواء والعزاء والطب والتعليم لم يسلموا من الموت، فلقد كانوا يجهلون طبيعة السودان ويجهلون أمراض السودان، ودخلت الملاريا والحمى السوداء إلى أجسادهم وفتكت بهم ولكنهم لأجل الهدف الروحى وخدمة إخوانهم فى الإنسانية والذين هم إخوة المسيح الأصاغر إحتملوا.. وفضلوا الموت فى غندكرو، وواو، وجوبا، وملكال، عن الحياة فى قصور إيطاليا وحضارة أوربا العظيمة.. لقد كان هدفهم هدفاً مقدساً، إننى واثق من شفافيتهم وصفاء سريرتهم، وعندما يتحدثون عن الشفافية أرى أن هذا التعبير لا ينطبق إلا عليهم..

لقد أغلق كزمبونى مدارسه بسبب موت رفاق الخدمة، ولكنه عاد ليفتتح الخدمة من جديد، ويفتتح المدارس الأكاديمية والمدارس الفنية نجارة وحدادة وبناء وتشييداً، ومات هو نفسه ودفن فى الخرطوم، وسمىّ أبو السودان لنه كان حنوناً على كل أبناء وطننا العزيز، ونحن قد شوّهنا سيرة المبشرين، وظناً منا أن لهم اغراض أخرى، حاولنا قتل طموحاتهم ونحن الخاسرون.. لقد مات كثيرون هنا من المبشرين، وعندما مات خمسة من القساوسة فى ريعان الشباب قال الأب" أربى" رئيس الرهبان: إننى بموجب نذر الطاعة الذى نذرتموه آمركم بأن لا يموت أحد منكم دون إذنى لمدة عشرة أعوام على الأقل، وكان هذا عام ١٩٠٥م..

وقد تحقق أمره وإنفتحت السموات لطلبته، وفعلا ولمدة عشر سنوات لم يمت أى أحد من أفراد البعثة الخادمة المضحية رفعاً للمستوى الإجتماعى ونشراً للمبادىء الإيمانية الفاضلة، وللمحبة المسيحية المسالمة، وعاشوا ضنك الحياة لأجل الآخر..

١٠٦. حديث الهمس والحب مع الله

عمق المناجاة: إن المناجاة هى الهمس حباً مع الله، والهمس حواراً مع النفس، والناس دوماً يتهامسون حديثاً عن الآخرين أو مع الآخرين.. وأرقى أنواع الهمس هو مناجاة الله، وهنا نذكر كيف كان داؤد النبى والمرنم يناجى الله، أذكر الله فأئن، أناجى نفسى فيغشى على روحى، أمسكت أجفان عينى.. إنزعجت فلم أتكلم، تفكرت فى أيام القدم، أذكر ترنمى فى الليل مع قلبى أناجى ، وروحى تبحث هل الدهور يرفض الرب ولا يعود للرضى بعد ؟..

أذكر أعمال الرب إذ أتذكر عجائبك منذ القدم وألهج بجميع أفعالك، وبصنائعك أناجى (مزمور ٧٧).. جلس أيضا رؤساء تقاولوا علىّ، أما عبدك فيناجى بفرائضك، طريق وصاياك فهمنى فأناجى بعجائبك، وأتلذذ بوصاياك التى أحببت وأرفع يدى إلى وصاياك التى وددت وأناجى بفرائضك، ليخز المتكبرون لأنهم زورا إفتروا علىّ، أما أنا فأناجى بوصاياك ليكن قلبى كاملا فى فرائضك لئلا أخزى (مزمور ١١٩)..

أما سليمان الحكيم فإنه يناجى نفسه، بل يناجى قلبه ويقول: أنا ناجيت قلبى قائلا: ها قد عظمت وإزددت حكمة أكثر من كل من كان قبلى على أورشليم، وقد رأى قلبى كثيراً من الحكمة والمعرفة، ووجهت قلبى لمعرفة الحكمة ولمعرفة الحماقة والجهل، فعرفت إن هذا أيضا قبض الريح لأن فى كثرة الحكمة كثرة الغم، والذى يزيد علماً يزيد حزناً (جامعة ١).. وعندما كان السيد المسيح على الأرض كان الناس يتهامسون أو يتناجون حوله، بعضهم يقولون: إنه صالح وآخرون يقولون: لا بل يضل الشعب..

وعندما سمع الفريسيون إن الجمع يتناجون حوله ويتهامسون أرسلوا خداماً لكى يمسكوه، ولكن الخدام رجعوا دون أن يمسكوه لأنهم سمعوه وفهموه ولم يكن الوقت قد أتى بعد ليُسلم يسوع إليهم حتى الصليب..

الهمس مع الله: والذين يتهامسون مع الله مناجاة هم كثيرون، بعضهم يتفرغ لهذه المناجاة وبعضهم يعترف لله فى المناجاة مثل أوغسطينوس الذى عندما وجد الله بدأ يناجيه ويذكر ماضيه ويطلب من الله الغفران فى كتاب كامل هو الإعترافات، والصوفية هى السكون إلى الله، والسكوت عن الكلام ومناجاة الله، وهوذا رابعة العدوية الصوفية العابدة تقول إلى الله :

- إلهى أتحرق بالنار قلباً يحبك..

- إلهى بك تقرب المتغربون فى الخلوات ولعظمتك تصافقت الأمواج المتلاطمات..
- إلهى أغرقنى فى حبك حتى لا يشغلنى شيء عنك..
- ياسيدى إن كنت أعبدك طمعاً فى الجنة فأحرمنى منها، وإن كنت أعبدك خوفاً من النار فأحرقنى به، وإن كنت أعبدك من أجل محبتك فلا تحرمنى من مشاهدة وجهك..
- إلهى أنت تعلم إن قلبى يتمنى طاعتك..ونور عينى فى خدمتك..
- إلهى عرفنى نفسك فإننى إذا عرفتك خفتك، ومحال أن يعصيك من يخافك..
- يارب أما كان لك عقوبة ولا أدب غير النار ؟..
- سيدى أنت الذى سجد لك سواد الليل، وضوء النهار، والفلك الدوار، والبحر الزخّار، والقمر النوّار، والنجم الزهار، إلهى نارت النجوم ونامت العيون، وغلقت الملوك أبوابها، وخلا كل حبيب بحبيبه، وهذا مقامى بين يديك..

مناجاة أرواح: وجبران خليل جبران فى كتابه " مناجاة أرواح " ناجى ربه وناجى نفسه، وناجى كثيرون وتحول همسه وتهامسه إلى كلمات باقيات، وهنا يقول: إننى أعبدك يارب، عندما إرتعشت شفتاى بالنطق لأول مرة، صعدت إلى الجبل المقدس، وناديت الله قائلا: إننى أعبدك ياربى، مشيئتك الخفية شريعتى، وسأظل خاضعاً لك سحابة الحياة، فلم يجبنى الله وإختفى عن ناظرى..

وبعد ألف سنة صعدت ثانية إلى الجبل المقدس وخاطبت الله قائلا: أنا جبلة يديك ياخالقى، من تراب الأرض صنعتنى، وبنفخة من روحك العلوية أحييتنى، فأنا مدين لك بكليتى، فلم يجبنى الله، وكألف من الأجنحة الخاطفة إجتاز بى عابراً، وبعد ألف سنة صعدت إلى الجبل المقدس أيضا وناجيت الله ثالثة قائلا: ياأبتاه القدوس، أنا إبنك الحبيب، بالرأفة والمحبة ولدتنى، وبالمحبة والعبادة سأرث ملكوتك، ولم يجبنى الله فى هذه المرة أيضا، وكالضباب الذى يغشى قصى التلال توارى عنى..

وبعد ألف سنة صعدت إلى الجبل المقدس وخاطبت الله رابعة قائلا: ياإلهى الحكيم العليم، أنا أمسُك وأنت غدى، أنا عروق لك فى ظلمات الأرض، وأنت أزاهر لى فى أنوار السموات، ونحن ننمو معاً أمام وجه الشمس فعطف الله إذ ذاك علىّ، وإنحنى فوقى وهمس فى أذنى كلمات تذوب حلاوة ورقة، وكما يطوى البحر جدولا منحدراً إليه توارى الله فى أعماقه، وعندما إنحدرت إلى الأودية والسهول كان الله هناك أيضا.. ولك أيها القارىء أن تحاول دوماً أن تناجى الله.. وتناجى نفسك.. ولا تطلب فى هذا كل مرة ألف سنة، إنما أطلب فقط أن تلتقى الله فى المناجاة، وسوف تلقاه..

١٠٧. أحلام الفلاسفة

سلامة موسى: إختار سلامة موسى عنواناً واقعياً لكل النظريات اليوتوبية التى درسها علم الإجتماع، فاليوتوبيا هى الخيال، وكان العلماء والأدباء يحلمون بمدن خيالية فيها تنتشر الفضيلة وتحارب الرذيلة، وتتحقق العدالة الإجتماعية، ويجد كل إنسان حقوقه ويؤدى واجباته ولا يكون هناك داع لجمعيات حقوق الإنسان ، ولا نشطاء فى حقوق الإنسان يهدر أولا حقهم وتنتهك حريتهم، وهم يزودون عن حقوق الإنسان، والعنوان الذى إختاره سلامة موسى هو " أحلام الفلاسفة" فى مجموعة له تحت عنوان " كتابات هادفة" ، حياة إنسانية شريفة، ويبدو إن لم يتوقع هذه الحياة الإنسانية الشريفة فى عالمنا فإنسحب إلى عالم الخيال، مع خيال الأدباء وأحلام الفلاسفة، وهو يطالب الناس بإحترام هذه الأحلام وعدم السخرية بهذا الخيال..

ويقول هنا: لكل منا حياتان، حياة الواقع التى يعيشها الإنسان متأثراً بالوسط الزمانى والمكانى، وحياة الخيال التى يرغب فى أن يعيشها، والفرق بين الحياتين هو فرق بين الوجود الناقص وبين التخيل الكامل، أو بين ما هو موجود على الرغم منا، وبين ما يجب أن يوجد وفق خيالنا وطبق رغباتنا، والعقل الإنسانى مطبوع على أن يتم بخياله ما يراه ناقصاً فى الحقائق الواقعة حوله، ومهما قيدنا العقل ومنعناه من التفكير فيما يهوى، فإنه ينفلت منا، ولو وقت النوم فيعوضنا من نقصنا الحقيقى كمالا متوهماً..

فمن جاع فى النهار وقت صحوه أكل فى الليل أشهى الأطعمة وقت نومه، ومن تحّرق فى النهار لرؤية حبيبته رأى طيفها يتهادى فى الليل وهو مستغرق فى سباته.. بل نحن نحلم فى يقظتنا، ونستسلم للخواطر الجميلة، نرى القصر الفخم الذى نسكن فيه بخيالنا، والجياد المطهمة تجر عرباتنا، ونخاطب الآخر الذى يخدمنا بلهجة الرئاسة، ونحن فى فراش وثير لنا زوجة محبة وأولاد مطيعون، وحدائق غناء نتنزه فيها، كل هذا نراه فى خيالنا..

هذا رأى سلامة موسى وهو رأى يتوافق مع رأى علماء النفس فى الأحلام، وليس هناك تفسيراً للأحلام أصدق من مثل الجوعان يحلم بسوق العيش، ولكن لماذا لا نحلم ؟ حتى الحلم يحرموننا منه، من حقنا أن نحلم وكل ما نراه الآن من تقدم بدأ حلماً ثم تحقق، كنا نحلم بأن نرى من نكلمه فى التليفون أو المسرة، وكنا نعلم إن بعض الناس عندما نسألهم بالتليفون عن شخص ما يقولون: إنه غير

موجود.. وكنا نود أن نرى وجوههم هل هم صادقون، أم هم كـاذبون يتغمـزون ؟ اليوم تحقق هذا الحلم وغيره من الحلام العديدة..

وكما يقول سلامة موسى نفسه: لولا أحلام الفلاسفة فى الآزمنة الماضـية لكـان الناس يعيشون إلى الآن كما كانوا يعيشون قديماً، عُراة أشقياء فى الكهوف، كـان إنشاء أول مدينة خيالا من أخيلة المفكرين، ومن الأحلام السخية ظهرت الحقـائق النافعة، فالخيال هو مبدأ التقدم وفيه محاولة إيجـاد المـستقبل الحـسن.. ويـرى موسى: إن قراءة أحلام الفلاسفة سوف تجعل القارىء يحلم هو أيضاً حلماً قد يظن لأنه جدير بأن يحشر بين هذه الأحلام ، حتى موسى نفسه حلم حلماً جعله طـوبى مصرية توهمها كاملة مستوفية شروط السعادة لمن به كفاية السعادة..

أحلام الفلاسفة: وعرض سلامة موسى فى كتابه عدة أحلام بعدة مـدن فاضـلة، وقد لاحظت إنه لم يورد " مدينة الله" للقديس أوغسطينوس وسط مدنـه الفاضـلة، ربما لأن مدينة الله حلماً أكبر لأنها مدينة موقعها سماء المجد ولـيس أرض الآلام، والسماء لاشك حلم سعيد سوف يتحول فى آواخر الدهور إلى حياة أبديـة سـعيدة ومجيدة لكل من إلتزم المحبة والخير والحق والجمال فى عالمنا هذا..

وقد أورد موسى فى أحلام الفلاسفة جمهورية أفلاطون، حلم توماس مور، أتريا وحلمه، أضغاث أحلام، عصر الصناعة وأحلامه، مـن أحـلام الإشـتراكية، سـنة ٢٠٠٠م وكان يحلم بهذا عام ١٩٢٦م تاريخ كتابة الكتاب، ثلاثـة مـن الإنجليـز، الحقيقة بنت الوهم، تطور الأحلام، نقد ومراجعة، وإختتم بمقدمة لطوبى مصرية، وقد تخيل أصحاب المدن الفاضلة حياة فى هدوء الإيمان والسلام وعدل هو إيجـاد مكان لكل إنسان، وكل إنسان فى مكانه..

وقارن موسى بين جزيرة توماس مور ورؤيا يوحنا اللاهوتى، وإنتقد وضع مور الذى قال: إن الذهب والفضة والجواهر ليست ذات قيمة فى جزيرته، وإستغرب أن يدعو رجل الدنيا إلى ملكوت خلو من الجواهر بينما رجل الدين يرى الجواهر فـى ملكوت السموات، ويبقى الحلم حلماً، والواقع واقعاً..

١٠٨. العدل يبكى ويبكينا

بكاء العدل: فى روائع شعر جبران خليل جبران وتحت عنوان " المواكـب تـأتى المواكب" فى قصيدة المواكب تشرح نفسيات الناس ومواقفهم وخيـرهم المـصنوع وشرهم المطبوع، الذين خلقوا عبيداً للذى يأبى الخضوع والذى إذا ما هـبّ يومـاً

سائراً سار الجميع، وفى كل موكب يطلب جبران أعطنى الناى وغنى ، فالغنا عنده موقف فى كل موكب، فالغنا يرعى العقول، والغنا يمحو المحن، وأنين الناى يبقى بعد ان يفنى الزمن، والغنا خير الشراب وأنين الناى يبقى بعد أن تفنى الهضاب، والغنا خير الصلاة وأنين الناى يبقى بعد أن تفنى الحياة، والغنا عزم النفوس وأنين الناى يبقى بعد أن تفنى الشموس، والغنا خير العلوم وأنين الناى يبقى بعد أن تطفأ النجوم، والغنا مجد أثيل وأنين الناى يبقى من لئيم وجليل، والغنا لطف الوديع وأنين الناى أبقى من ضعيف وضليع، والغنا ظرف الظريف وأنين الناى أبقى من رقيق وكثيف..

والغنا حب صحيح وأنين الناى أبقى من جميل ومليح، والغنا خير الجنون وأنين الناى أبقى من خصيب ورصين، والغنا نار ونور وأنين الناى شوق لا يدانيه الفتور، والغنا جسم وروح وأنين الناى ابقى من غبوق وصبوح.. والغبوق هو شراب اللبن ليلا، والصبوح هو شراب الصباح.. والغنا جسم يسيل وأنين الناى أبقى من مسوخ ونغول، والمسوخ هو قبيح الصور، والنغول هو .. والفساد تهشماً، والغنا سر الخلود وأنين الناى يبقى بعد أن يفنى الوجود..

ويصل جبران إلى نتيجة مهمة يقول فيها: أعطنى الناى وغن وأنسى داء ودواء، إنما الناس سطور، إنما كتبت بماء، وكأنه يقول: باطل الأباطيل الكل باطل وقبض الريح، وبدلا من قبض الريح هو كتابة على الماء لا تبقى ولا تستمر لأنك لا تنظر إلى الماء مرتين، ومن يكتب على الماء مصيره الزوال والفناء، وهكذا الإنسان الذى يختال على الأرض ولا يدرى إنه سوف يكون جزء من الأرض، وما أظن أديم الأرض إلا من هذه الأجساد ورفات العباد كما يقول أبو العلاء المعرى..

العدل يبكى: وعندما يتحدث جبران فى المواكب عن العدل يقدم لنا العدل باكياً حزيناً لأن الناس تركوا العدل وحفروا آباراً مشققة من الظلم والجور، لأن الناس يبرئون المذنب ويذنبون البرىء، ويدفنون القيّم الفاضلة ويتبنون محاباة الوجوه، ويتوجه جبران نحو عدل القلوب، أعطنى الناى وغنى فالغنا عدل القلوب، وأنين الناى يبقى بعد أن تفنى الذنوب، وعن بكاء العدل :

والعدل فى الأرض يُبكى الجن لو سمعوا
به ويستضحك الأموات لو نظروا
فالسجن والموت للجانين إن صغروا
والمجد والفخر والإثراء إن كبروا
فسارق الزهر مذموم ومحتقر
وسارق الحقل يدعى الباسل الحظر

وقاتـــل الجســـم مقتـــول بفعلتـــه
وقاتـــل الـــروح لا تـــدرى بـــه البشـــر
****

ليــس فــى الغابــات عــدل
لا ولا فيهـــا العقـــاب
فـــإذا الصفصـــاف ألقى
ظلـــه فـــوق التـــراب
لا يقـــول الســـرو هـــذى
بدعـــة ضـــد الكتـــاب
إن عـــدل النـــاس ثلـــج
إن رأتـــه الشمـــس ذاب
****

وعدل الإنسان هنا سراب كالإنسان ، وفناء كالدنيا، وبيت العـدل نـسجه مـن عنكبوت ليس له بقاء ولا ثبوت، وجبران يرى: إن العدل كالثلج يذوب عند شروق الشمس أو ما يقوله المثل: كلام الليل أو عدل الليل مدهون بزبد عندما يخرج النهار يسيح، وإذا كان العدل يبكى فإنه أيضاً يبكينا ويئن فينا، ويعلن ثورته على سـلوكنا الظالم، لأن روح الله الساكن فينا روح قدسى وعادل يبكت الإنسان علـى خطيئـة وعلى بر وعلى دينونة..

وروح العدل يئن فينا ويقض مضاجعنا ويطالبنا أن نكون عادلين مـع الآخـر، وبعد أول جريمة لأول قاتل صرخ العدل فى أحشائه وصرخ دم أخيه إلى الـسماء، وعاش قابيل تائهاً وهارباً فى الأرض، ورغم أن الله جعل له علامة لكى لا يقتله كل من يجده، ولكنه عاش معذباً لأن العدل فيه كان يبكى ويبكيه ومات مقتولا..

١٠٩. مطران النوبة على غلاف كتاب بخت الرضا

بخت الرضا: عندما إطلعت على كتاب السنة الرابعة وسطى تحت عنوان " تـاريخ السودان من أقدم العصور إلى قيام الأحزاب الـسياسية" قلـت: ياحظنـا الـسعيد

ويالبختنا الجميل ببخت الرضا، الكتاب الطبعة الآخيرة له عام ١٩٦٩م، وهو كتاب قيّم من تأليف شُعبة التاريخ ببخت الرضا، والكتاب يتصدر غلافه صورة جميلة لأحد مطارنة النوبة مع نماذج لتصويرات من آثارنا القديمة..

وأعتقد إن هذا الكتاب هو جزء من الوحدة الوطنية الجميلة التى ظلت إلى عهد قريب سمة واضحة للمجتمع السودانى، وأريد أن أتساءل: أين موقع تاريخ مطارنة السودان فى تاريخ السودان ؟ لقد رسم أول مطران لنوبة تحت إسم لنجينوس، وكان هذا فى القرن السادس الميلادى وبعدها تعددت الأساقفة وإتسعت الإيبارشيات، وتنامت الكنائس المسيحية، وصار الصليب رمزاً وشرفاً يتقدم موكب الملك فى كل حين صليب من ذهب يحمله عدد من الآباء الكهنة..

وأصبحت جهة الشرق جهة محبوبة لأهل الشرق، تبنى الكنائس إلى جهة الشرق ويدفن الميت وجهه نحو الشرق فى إنتظار المجىء الثانى للسيد المسيح.. وإعجابى بكتاب الرابعة وسطى إعجاب بكل السودان، بشُعبة التاريخ بمعهد التربية بخت الرضا، وإعجاب بسياسة المناهج فى السودان والتى تهتم بكل صفحاته وترفع قصته علماً بين الأمم، والكتاب يمتلىء بصور للآثار لملوك النوبة، ولسيف من البرونز سودانى فى يده من العاج، جزء من معبد ىمون عند جبل البركل، والمعبد طويل يمتد ما يقرب من خمسمائة قدم..

وأهرامات مروى التى كانت مدافن للأسر المالكة، المصورات الصفراء والتى يظن إنها كانت ديراً أو قصراً ريفياً لملك من ملوك مروى، وأسقف كنيسة " فرس" وهو يرتدى زيه الدينى الكامل ممسكاً بالصليب والإنجيل المقدّس وصورته تزين غلاف الكتاب، وتعود لتطل علينا ثانية فى صفحة ٤٤ ومنظر لكنيسة نوبية، وصورة لكنيسة فرس الجميلة التى على غرارها بنيت كنيسة الشهيدين فى حبرية الأنبا يؤنس ورئاسة الوطنى الغيور دكتور وديع جيد الذى أحبّ وطنه السودان حباً شديداً، وعندما أبعد بمؤامرة لمدة عام كان عندما عاد كأنه عاين ملكوت السموات..

وقد تم إفتتاح الكنيسة فى ١٩٦٨/٤/٦م، وحضر الإحتفال لفيف من كبار رجال الدولة إعتزازاً بدور القباط فى بناء الإقتصاد السودانى وتجاوباً مع علاقة دكتور وديع جيد الطيبة مع الزعيم الأزهرى ورئيس الوزراء محمد أحمد محجوب، وفى نفس اليوم خطب مولانا الشيخ طنون فى الكنيسة خطبة بليغة أكدّ فيها أهمية بيوت الله فى خدمة الوطن، وفى نفس اليوم أمر إسماعيل الأزهرى بقطعة أرض طولها سبعة أمتار بعرض الكنيسة..

أين التاريخ ؟: ونحن نسأل الآن: أين هذا التاريخ ؟ أين موقعه في مناهجنا الجديدة التى تقصى الآخر ولا تعطه مكاناً ؟ المنهج بكامله تغافل العصر المسيحى فى السودان، وأهمل دور الحضارة المسيحية فى المجتمع السودانى، بل تجاهل وجود المسيحيين، وإمتلأ بآيات من الذكر الحكيم دون أن يسجّل آية واحدة من الكتاب المقدّس، أما آن الآوان لإلغاء هذا المنهج بسلبياته وبداية إعداد لمنهج جديد يدعم الوحدة الوطنية ؟.. إن الطفل السودانى عندما يقرأ عن تاريخ السودان يظن أن السودان وطن لدين بعينه دون الأديان الأخرى، وهنا يتهم من هم من غير دينه بأنهم كفرة وحطب النار فى الأبدية التى لا تحتاج إلى تحطيب الحاقدين..

أذكر أن أحد وزراء الثقافة والإعلام أعلن عند توليه الوزارة: إنها وزارته لا أعلم من أين ورثها؟ وقال: إنه سوف يؤسلم متحف السودان، وذهبنا إليه مجموعة من الناس من بينهم محمد توفيق وزير الخارجية السابق، وبشير محمد سعيد مؤسس جريدة الأيام، والصحفى المخضرم سيد أحمد خليفة، وتقابلنا وإعترضنا على طريقته لأن التاريخ مضى ولا يقدر أحد أن يغيره، وفعلا أقيل من الوزارة بعد أمد قصير..

يا سادتى إن التاريخ بدأ منذ اول الأيام وكل ما حدث هو جزء من حياتنا، وأذكر هنا كيف إن الدكتور أسامة عبد الرحمن النور عندما كتب سفره " تاريخ السودان القديم" تحدث بمرارة منتقداً الرؤيا الأحادية الإنسدادية التى تدخل التراث السودانوى فى قوقعة صدفية منيعة لا تأخذ ولا تعطى، ويتباهون بتمسكهم برؤية عرقية للعالم ويقولون: إنه لا تراث للمحليين قبل وصول الحضارة العربية الإسلامية، وهذه ليست سوى ثقافات تيه وضلال ومصيرها الضياع والذوبان فى الثقافة المركزية، إن البروفسور أسامة طالب أن نهتم بكل جزء فى تاريخ السودان، وأرجو أن أرى على أغلفة الكتب لمدارس الأساس والثانوية صوراً جميلة من المسيحية والإسلام تؤكد توادنا وتعايشنا..

١١٠. عندما لا تجد ورقا أكتب على طرف جلبابك

كلام من ذهب: منذ الأيام القديمة والإنسان تستهويه الكلمات العذبة ويرى : إنها كلمات من ذهب ذات قيمة، وقد لقب القديس يوحنا بذهبى الفم لأن كلامه كان من ذهب بل أغلى من الذهب.. وكان بعض الناس يذهبون إلى حضور لقاءات الفلاسفة

والأدباء ويكتبون ما يسمعون ثم يحفظوا ما كتبوا، وقيل عن أحد العظماء فى عالم الروح : إنك عندما تستمع إليه ولا تجد ورقاً لتكتب كلماته فأكتبها على طرف جلبابك حتى لا تغيب منك هذه الكلمات الرقيقة القدر، العظيمة الشأن..

وقد طالب سليمان الحكيم أن يكون تأديب الأب وشريعة الأم قلائد فى عنق الإنسان معلقة، ويبدو إن بعض الناس نفذوا هذا حرفياً وكتبوا كلام الشريعة وحكمة الآباء وعلقوها قلائد فى أعناقهم.. وعندما قرأت مذكرات الشاعر عزيز أندراوس، قرأت له شعراً ونثراً قد كتب بأى قلم وعلى أى ورق، ويبدو أن ملاك الشعر عندما كان يزوره بغتة مفاجئاً إياه ولا يجد ورقاً يكتب على أى ورق، أحياناً على ظهر خطاب، وأخرى على ورق صغير، ومرات على ورق كبير، المهم إنه كان يسجل سريعاً خواطره وتأملاته، وأعتقد إن البعض لديهم أجمل الأقلام وأكثر الأوراق أناقة ولكن ليس عندهم ما يكتبونه..

مبارك وناجى: وفى كتاب شخصيات مصرية والذى كتبه عبد المنعم شميس حديث عن إثنين من الآدباء هما: الدكتور ذكى مبارك، والدكتور إبراهيم ناجى، وقال عن ذكى مبارك: إن فترة السهرة عنده تبدأ عند منتصف الليل ومكانها مقهى صغير فى ميدان التوفيقية صيفاً على الرصيف وشتاء داخل المقهى، وكان ذكى مبارك يكتب مقالاته الشهيرة " الحديث ذو شجون" على منضدة رخامية ذات قاعدة حديدية، وكان يكتب على أى أوراق يجدها بين يديه، ولو كانت ورقة لف فيها سندوتش فول أو ظهر علبة سجائر فارغة، أو ورقة يقطعها له أنجلو الجرسون من كراسة حسابات المقهى..

وكان ذكى مبارك يكتب بالقلم الكوبيا ويحتفظ به فى جيبه الأعلى وعندما يتحرك القلم يسود الصمت، وعندما يدس ذكى الورقة فى جيبه تعود الحركة فى القهوة كما كانت، وهكذا كان ذكى مبارك يكتب مقاله إلى جريدة البلاغ والتى كان ثمنها خمسة مليمات، ولكنها تصل إلى عشرة قروش بسبب مقال ذكى مبارك " الحديث ذو شجون".. وكان يكتبها فى أسلوب ثائر كالبركان، وذات ليلة تأخر الوحى وإنصرف المريدون واحداً بعد الاخر، وظل مبارك ينتظر أن يكتب وتأخر الليل، وكان لابد للخواجة أنجلو صاحب المقهى أن يعود إلى داره وقال له الدكتور: أغلق الباب وإذهب إلى شيطانك فقد جاءنى شيطانى، ولكن أترك المصباح مضيئاً، وأغلق أنجلو الباب وجاء وحى الشعر وبحث ذكى مبارك عن ورقة ليكتب القصيدة الشهيرة " ليلة الثلاثاء"، يئس ذكى مبارك من عدم وجود ورقة داخل المقهى، أخرج قلم الكوبيا من جيبه، بدأ يجرب الكتابة على الرخامة، نجحت التجربة عندما بلل الرخامة بالماء، وكتب القصيدة على الرخامة..

وفى الصباح جاء أنجلو مبكراً وفتح الباب، وجد باسماً منتشياً، نظر إلى الرخامة فوجدها مكتوبة وكأنها لوحة فرعونية قديمة، إطمأن انجلو على الدكتور ذكى مبارك الذى خرج مهرولا وبيده عصاه إلى دار البلاغ قال لسكرتير التحرير إبراهيم نوّار: إذهب إلى مقهى التوفيقية وأنقل القصيدة من الرخامة، تناول إبراهيم اوراق الحديث ذو شجون وأسرع إلى المقهى ونقل القصيدة التى نشرت مع المقال، وفى المساء ذهب ذكى مبارك إلى محمد فتحى وطلب منه تسجيل قصيدة " ليلة الثلاثاء" فى الإذاعة وتم تسجيلها ولكنها لم تذع..

أما الدكتور إبراهيم ناجى فقد كان مأساة متنقلة فى شوارع القاهرة، إنه طبيب شاعر أحب الحياة ولم تمنحه الحياة الحب، وكان مثل الشاعر الذى قال: أهيم بالحسن كما ينبغى وأرحم القبح فأهواه، كان يكتب الشعر بأى قلم يجده بين يديه وعلى أى شىء ترسم عليه حروف الكلام، كتب أشعاراً على مناديل المائدة وعلى علب السجائر، كانت حياته قصيدة تائهة ، هائمة، لا تجد لها مأوى ولا مرسى، عاش بحاراً بلا ميناء، كان يحب الصعود إلى السماء ولا يستهويه المشى على الأرض أو الإبحار فى البحار التى ليس لها شاطىء عليه ميناء، وكتب مبارك وناجى أجمل ما كتب شعراً ونثراً، ولهذا نصيحتى إليك ان تكتب أجمل ما تسمع، وعندما لا تجد ورقاً فأكتب على جلبابك إن كان لك جلباباً..

١١١. الإحساس بالعدل

الحق والعدل: فكرت كثيراً فى الكتابة عن الإحساس بالعدل، والحق إن العدل حق، والحق عدل وكل واحد منا لديه إحساس بالعدل يجعله يوبخ نفسه عندما لا يكون عادلا، والعدل أمر نسبى لأنه لا يقدر إنسان ان يقول عن نفسه : إنه عادل حتى فى منازلنا مع أبنائنا وبناتنا كثيراً ما نظلم الإبنه لأنها أنثى، وأحياناً تعطى فوق حقها لأنها كما يقولون: مكسورة الخاطر، ولم يكن يعقوب عادلا مع أبنائه عندما ميّز يوسف أخوهم عليهم وألبسه القميص الملوّن، وجر هذا القميص على يوسف ألواناً متعددة من حقد إخوانه عليه، وعندما ذهب ليفتقدهم قرروا أن يفقدوه وباعوه للتجار الإسماعليين، وكان هذا بعد توسل أحد إخوته لأنهم كانوا قد قرروا أن يقتلوه..

وفى حالة تعدد الزوجات الذى يسمح به القرآن الكريم هناك ضابط مهم وهو العدل، وإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة، ولن تعدلوا، ويحاول بعض الرجال الذين

يتزوجون بأكثر من واحدة أن يتوخوا العدل فى تقسيم الوقت بينهن وتعطى كل واحدة من المال ما تأخذه الأخرى، وهذا عدل يجرى على الأمور التى يمكن أن يجرى عليها العدل، ولكن هل يقدر الرجل أن يوزع محبته وعاطفته الزوجية بالعدل ؟.. أعتقد إن هذا أمر صعب جداً، وقد وجد حل لهذا بان الإنسان يقدر أن يعدل فيما يملك، ولا يقدر أن يعدل فيما لا يملك، وما لا يملك هو عاطفته وميوله.. وعندما نحس بالعدل فإن أعماقنا ترفض أن نظلم أحداً لأن الله طالبنا بالعدل :

١. لا ترتكبوا جوراً فى القضاء، لا تأخذوا بوجه مسكين ولا تحترم وجه كبير، بالعدل تحكم لقريبك، لا تسع فى الوشاية بين شعبك، لا تقف على دم قريبك، (لاويين ١٩: ١١: ١٢)..

٢. لا ترتكبوا جوراً فى القضاء، لا فى القياس ولا فى الوزن، ولا فى الليل، ميزان حق ووزنات حق، أيفة حق، وهين حق تكون لكم (لاويين ١٩: ٣٥)..

٣. لا يكن لك فى كيسك أوزان مختلفة كبيرة وصغيرة، وزن صحيح وحق يكون وكيال صحيح وحق يكون لك لكى تطول أيامك على الأرض، كل من عمل غشاً مكروه لدى الرب إلهك، (تثمنية ٢٥: ١٣،١٦)..

٤. موازين غش مكرهة الرب، والوزن الصحيح رضاه (أمثال ١١: ٩)..

٥. قبّان الحق وموازينه للرب كل معايير الكيس عمله (أمثال ١٦: ١١)..

٦. أزيلوا الجور والإغتصاب، وأجروا الحق والعدل موازين حق وإيفة حق وبث حق تكون لكم، البث عشر الحومر وإيفة عشر الحومر، (حزقيال ٤٥: ٩)..

٧. إسمعوا هنا أيها المتهمهمون المساكين لكى تبيدوا بائسى الأرض، قائلين : متى يمضى رأس الشهر لنبيع قمحاً، والسبت لنعرض حنطة، لنصغر الإيفة، ونكبّر الشاقل، ونعوج موازين الغش، قد أقسم الرب أنى لن أنسى أعمالهم إلى الأبد (عاموس ٨)..

٨. ويل للقائلين للشر خيراً، وللخير شراً، الجاعلين الظلام نوراً، والنور ظلاماً، الجاعلين المر حلواً، والحلو مراً، الذين يبررون الشرير من أجل الرشوة، وأما حق الصديقين فينتزعونه منهم، (أشعياء ٥)..

الإحساس بالعدل: إن أكثر من يفتقدون العدل هم أكثر من لديهم الإحساس بالعدل، إن زوجة بيلاطس كان لديها إحساس بالعدل عندما أرسلت تقول لزوجها: إياك وهذا البار لأنى تالمت اليوم كثيراً من أجله، ولقد وصلت رسالتها إلى زوجها بيلاطس عندما كان يحاكم يسوع وهو نفسه كان لديه إحساس بالعدل جعله يأخذ ماء ويغسل يديه قدام الجمع ويقول: إنى برىء من دم هذا البار (متى ٢٧)..

هذا ويطالب بولس الرسول المؤمنين أن يفكروا دوماً فيما هو عادل، أخيراً أيها الإخوة كل ما هو حق، كل ما هو جليل، كل ما هو عادل، كل ما هو طاهر، كل ما هو مُسر، ففى هذه إفتكروا (فيلبى ٤:٨).. وهكذا يكون الإحساس بالعدل لدى جميع الناس، وأيضا لدى القضاة المحترمين الذين يعتبرون إجراء العدل جزء لا يتجزا من شريعة الله، ويرفضون الرشوة التى تعوّج طريق القضاء..

وهكذا عدم الإحساس بالعدل يؤدى إلى الدينونة والخراب، وكما يقول سليمان الحكيم الملك بالعدل يثبت الأرض والقابل الهدايا يدمرها (أمثال ٢٩:٤).. والحاكم المصغى إلى كلام كذب كل خدامه أشرار، والملك الحاكم بالحق يثبت كرسيه إلى الأبد..

١١٢. الماء الحى وترعة الإنقاذ

حيوية الماء: من المعروف جداً إن الماء هو الحياة وإنه لا يمكن للإنسان أن يستغنى عن الماء، وأحياناً يتحدثون عن العلاقة المائية بين بلاد وادى النيل .. وكان الإنسان قد بدأ حضارة الإستقرار زراعة بجوار الماء وعلى شريط النيل الكبير، والذى يقترب إلى سبعة آلاف كيلو كانت الحضارة والإستقرار على شطآنه، بدأ الزرع والفرع مستمداً حاجاته من الماء من نهر النيل.. وإذ يقول القرآن الكريم: وجعلنا من الماء كل شىء حى إشارة ورمزاً إلى الحياة بكل معناها، والماء مصدر لهذه الحياة، فإن الكتاب المقدس يتحدث عن الماء ويعتبر كلمة الله مثل الماء، والذى يقدم مجاناً لخدمة الإنسان والبشرية..

وفى القرآن الكريم : وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به، أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها، وأرسلنا الرياح لوافح فأنزلنا من السماء ماء.. وفى الكتاب المقدس أروع حديث عن الماء بين السيد المسيح والمرأة السامرية وكانت هى تتحدث عن الماء العادى بينما كان السيد المسيح يتحدث عن ماء النعمة، ولذا قال لها: من يشرب من هذا الماء يعطش، أما من يشرب من الماء الذى أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد..

وعند داؤد النبى مزمور يؤكد فيه إن سواقى الله ملآنة ماء (مزمور ٦٥:٩).. أما أشعياء فيؤكد إن الرب لن يحرم الإنسان من الماء ويعطيكم السيد خبزاً فى الضيق، وماء فى الشدة، وسفر الرؤيا يقول : أنا هو الألف والياء البداية

والنهاية، أنا أعطى العطشان من ينبوع ماء الحياة مجاناً، والروح والعروس يقولان: تعالَ ومن يسمع فليقل تعالَ، ومن يعطش فليأت، ومن يرد فليأخذ ماء حياة مجاناً..

الماء والبيئة: يرى كثيرون إن المشكلة القادمة هى مشكلة الماء، وإنه سوف يكون هناك صراعات حول الماء بدأت الصراعات بين الرعاة حول الماء والكلأ، ولكن القادم أكبر وأخطر لأن نقص المياه يفضى إلى تدهور البيئة كما يذكر تقرير أحمد الشربينى فى عدد أكتوبر ٢٠٠٦م من العربى ويستلهم الشربينى حديثه من تقرير الأمم المتحدة عن الماء، وهذه بعض حقائق من هذا التقرير:

١. فى العديد من أماكن العالم تتبدد نسبة تتراوح بين ٣٠، ٤٠ % من المياه نتيجة الضخ غير القانونى والتسرب من الأنابيب والقنوات، وهنا أسأل: ماذا فعلت الأمم المتحدة لنا فى السودان عندما تغرقنا الأمطار وتهدم منازلنا السيول ؟ ولم تنشأ أى آلية للحفاظ على هذا الماء، ونحن نشكر الله إن شمسنا الحارة تبدد الماء بعد أن نتمتع برائحته غير المقبولة، ونتمتع أيضا بأسراب البعوض التى تقهرنا بالملاريا..

٢. مع التوسع العمرانى المتزايد تعين على الكثير من المدن الكبرى جلب مياه الشرب من مصادر أبعد وأبعد، نتيجة عجز مصادرها الجوفية والسطحية عن تلبية الطلب المتزايد على المياه أو نتيجة لإستنزاف هذه المياه وتلوثها، ونحن ماذا عنا؟ إننا نمتلك ماء جوفياً كثيراً، ولكن عندما نستخرجه للزراعة نجد إنه غير ذو جدوى إقتصادية بسبب إرتفاع سعر الكهرباء..

٣. فى العام ٢٠٠٠م كان تسعمائة مليون من سكان المدن يشكلون ثلث سكان المدن فى العالم يعيشون فى أحياء الصفيح ، ومتوسط حصة الفرد من المياه فى مدن الصفيح يتراوح بين خمسة وعشرة لتر ماء يومياً، بينما ترتفع هذه الحصة فى أحياء الطبقة الوسطى إلى ٥٠، ١٥٠ لتراً إن لم يكن أكثر..

٤. توفر المياه الجوفية على مستوى الكوكب بين ٢٥، ٤٠ % من مياه الشرب فى العالم..

٥. إتسمت السنوات الخمس الآخيرة من القرن العشرين بتزايد متسارع فى معدلات وبان الأنهار الجليدية وسيؤثر هذا على إستدامة الماء، وطبعاً هذا تخزين للماء ولكنه فى مخازن مثقوبة..

٦. تؤدى الزيادة السكانية والتوسع فى الأنشطة الإقتصادية إلى إلقاء أعباء ثقيلة الوطأة على الأنظمة البيئية للسواحل والمياه العذبة، وقد تضاعفت كمية المياه الجوفية المستخرجة من باطن الأرض..

٧. من أجل تلبية الحاجات الإنسانية الأساسية يحتاج كل فرد يومياً إلى ما يتراوح بين عشرين وخمسين لتراً من المياه العذبة الخالية من الملوثات..

٨. فى الوقت الراهن يعانى ١٣ % من سكان العالم عدم تـوافر الغـذاء الكـافى للعيش فى حياة صحية ومنتجة رغم إنه يملك الماء ولكنه لا يملك المال والإمكانيات لإستخراجه..

أما نحن : ويستمر التقرير ليؤكد ندرة الماء، أما نحن فإننا نملـك المـاء مطـراً وأنهاراً وجوفاً للأرض، ولكن نغرق فى شبر ماء ولا نعرف كيف نستفيد من هـذا الماء، وهنا أذكر إن محمد على زرع القطن فى منطقة القاش، زرع سـتة مليـون فدان، وسدد قطن السودان بعض ديون إسماعيل باشا، وقد ناديت وإقترحـت ومـا زلت : أن تقدم ثورة الإنقاذ بحفر ترعة الإنقاذ، وآل المهدى بحفر ترعة المهـدى ، وآل الميرغنى بحفر ترعة الميرغنى، وأن تشق ترعة كبيرة أرضاً كبيرة فى منطقة القاش، الماء فى أيدينا ولكننا عطشى أيها السادة، متى نهتم بأن نحافظ على الماء الذى أعطاه لنا الله ماء حياً ؟..

١١٣. تعالوا بالعدل نتغنى للعدل

يحيا العدل: تهز أعماقى عندما أسمع هتافاً يدوى ويقول: يحيا العدل، وهذا يحـدث حماساً فور سماع حكم يعتقد المستمع إنه حكم عادل، ومن العدل أن نتغنى للعـدل ونحن نتمناه فى كل حين، ونطلب أن تأخذ العدالة مجراها وسيرها ومكانتهـا، وإذ أهدى هذا المقال إلى الوزير العادل محمد على المرضى، وزير العدل فى الحكومـة الوطنية أشكره دوماً قائماً على تحقيق العدالة قانونا، وأعتـز فـى نفـس الوقـت بالقضاء السودانى النزيه العادل، والإنسان يتوخى العدل دوماً للحصول على حقوقه وبنفس المستوى ينبغى أن نحافظ على حقوق الآخرين لأن هذا هو العدل..

وفى الأحاديث الشريفة إنتظار وتوقع للعدل الشريف الذى سوف يقيمـه السـيد المسيح فى مجيئه الثانى، حيث لن تأتى الساعة إلا إذا أتى عيسى بن مـريم ديانـاً للناس بالقسط، وإلى السيد المسيح ينسب الحكم العادل فى أخطر قضية على وجـه الأرض، قضية يتم فيها الحكم على ملايين البشر منذ آدم أول المخلوقات حتى آخر إنسان يتحرك على وجه الأرض، وهى قضية خطيرة وحسّاسة وكبيرة ويستند فيها الإسلام الإدارة إلى السيد المسيح فقط الذى سوف يملأ الأرض عدلا بعد أن إمتلأت جوراً وظلماً..

وفى نظام قضاء الأرض ما يؤكد إن المشرّع يخشى على الناس من الظلم ويهاب الله لكى يتحقق العدل ويقوم نظام التحقيق قبل القضاء عند النيابة العامة على العديد من الإستئنافات حتى لا يظلم أحد ، وعندما يصل الأمر إلى القضاء فإن محكمة الموضوع بعدها عدة إستئنافات قد تصل إلى مراجعة الموضوع بأكمله من جديد، وذلك تحقيقاً للعدل، ويذكر عن حكامنا القدماء فى السودان إنهم كانوا يحبون العدل حتى إن جماعة المهاجرين فى أول الإسلام أتوا عند ملك لا يظلم الناس عنده هو ملك الحبشة والتى يقصد بها السودان منذ أول الآزمان، لأن السودان إسم جديد بدأ فقط مع الحكم التركى منذ عام ١٨٢٠م..

ويطالب القرآن الكريم أن يحيا الناس فى محبة ، وأن يقسطوا إلى بعضهم البعض لأن الله يحب القسط، ويطلب من الناس أن يوفوا الكيل والميزان بالقسط، يا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط، والذى يعدل مقسطاً إنما يجهز نفسه ليوم القيامة فهو يوم الحساب بالقسط ونضع الموازين القسط ليوم القيامة.. والحق منزل من عند إله الحق وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط، وقال السيد المسيح: كلامى هو حق، أنا هو الطريق والحق والحياة..

وعندما يتعرض أهل العدل والقسط لأى شر من الذين يحبون الظلمة أكثر من النور هؤلاء يبشرهم القرآن الكريم بعذاب أليم، ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله، وتحدث القرآن الكريم عن القسطاس وهو أضبط الموازين وأقومها" وأوفوا الكيل إذا كلتم، وزنوا بالقسطاط المستقيم"..

عدالة الله: وتغنى رجال الله بعدالة الله الذى عنده وحده العدالة الكاملة الشفافة ، فهو لا يحابى الوجوه، ولا يساند أحداً إلا إذا كان الحق معه، وقد تغنى موسى كليم الله بعدل الله هكذا :

١. لأن الرب إلهكم هو الآلهة ورب الأرباب ، الإله العظيم الجبار المهيب الذى لا يأخذ بالوجوه ولا يقبل رشوة، الصانع حق اليتيم والأرملة والمحب الغريب (تثنية ١٠:١٨)

٢. أنصتى أيتها السموات فأتكلم، ولتسمع الأرض أقوال فمى، يهطل كالمطر تعليمى، ويقطر كالندى كلامى، كالطل على الكلا وكالوابل على العشب، إنى بإسم الرب أنادى، أعطوا عظمة لإلهنا، هو الصخر الكامل صنيعه، إن جميع سُبله عدل، إله أمانة لا جور فيه، صديق وعادل هو (تثنية ٣٢:٤)..

٣. وأمر الله العادل أن يقيم موسى قضاة يقضون للشعب، قضاء عادلا وقال : لا تحرّف القضاء ولا تنظر إلى الوجوه ولا تأخذ رشوة، لأن الرشوة تعمى أعين الحكماء وتعوّج كلام الصديقين، العدل العدل تتبع لكى تحيا (تثنية ١٦:١٨، ٢٠)..

١١٤ . السودان من زمان وطن حوار الأديان

مؤتمر الحوار: فى أوائل شهر يوليو لعام ٢٠٠٧م إنعقد مؤتمر الحوار الإسلامى المسيحى وسط زخم إعلامى كبير وبرعاية رئيس الجمهورية وإشراف وزارة الإرشاد والأوقاف، ولقد كان المؤتمر ناجحاً بكل المقاييس، فلقد دار الحوار بمحبة وإحترام للآخر ووصل المؤتمر إلى عدة توصيات محترمة ترفض إقصاء الآخر وتطالب بالخطاب الإعلامى المتزن والذى يسهم فى جمع الصف بكلمات منتقاة مملوءة محبة وتوادداً ومحاولة لتهيئة بيئة صالحة للتعايش الدينى، وعلى الأخص إن المسيحية تقدم لاهوتاً يحترم الآخر ويكرمه ويطلب له النمو والزيادة ويجتهد قدر طاقته ليسالم جميع الناس، ويحب جميع الناس، حتى الأعداء، أحبوا أعداءكم باركوا لأعنيكم صلوا لأجل الذين سيئون إليكم، إن جاع عدوك فأطعمه وإن عطش فأسقه، لا تخرج كلمة ردية من أفواهكم ، بل كل ما كان صالحاً للبنيان..

ويؤكد علماء الإسلام إن الحوار أمر إلهى وضرورة وطنية، وما كان الناس إلا امة واحدة فإختلفوا، كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين، يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتتعارفوا، والحوار أمر إلهى ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ؟ أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين.. وعندما نقف أمام موقف المسيحية من الحوار وموقف الإسلام جدالا حسناً ندرك معاً إننا ضيعنا الوقت جهلا كل واحد منا بأخيه وبحثنا عن الفرقة ، وضيعنا الوقت فى الشتات بينما القواسم المشتركة موجودة والأمل فى التعايش السلمى ليس صعب المنال، وعلينا أن نغلق ملف المرارات ونفتح ملف التعايش ونقرّب المسافات، ونجتمع معاً على كلمة سواء، وعندما نحيا بالمحبة نشعر بالخير الذى أعطاه الله إيانا ونبنى مجتمعاً متحاباً كل له دين، ولكم دينكم ولى دين، وكل يحترم الآخر ويقبله فى الله بدينه وفكره وسحنته وكل كيانه..

وطن الحوار: والسودان من زمان هو وطن حوار الأديان، عاش فى السودان على مستوى التاريخ عدة أديان عاشت فى حقب مختلفة، كان السودان قبل المسيحية متديناً وكان محباً للعبادة وكان موكب الخريف فى السودان يبدأ بزيارة متحف الإلهة " إيزيس" فى أسوان، ومن معبدها يحمل رجال الدين من أهل النوبة تمثال الملكة إيزيس إلهة الخصب والنماء ويمرون به على مزارعهم لكى يأتى الأمطار ومعها خيرات النماء وبركات الأرض، وظل هذا الطقس معمولا به حتى

القرن السادس الميلادى عندما أصدر الإمبراطور الرومانى جوستنيان أمره بإغلاق معبد الإلهة إيزيس..

وفى نفس القرن دخلت المسيحية فى هدوء وسلام وإلتف حولها الناس فى النوبة حاكماً ومحكوماً، وعاش السودان حوار الأديان وسلمت الأديان القديمة قيادتها إلى المسيحية السمحاء، وظلت المسيحية ديانة حوار حتى القرن السادس عشر ودخل الإسلام وإنتشر فى سهولة ويُسر، ولم تنتهى المسيحية بل ظلت موجودة وكلاهما دينان متحابان معاً لأن السودان وطن حوار الأديان، ومنذ الأيام القديمة عرف السودان تعايش الأديان، وصار الرهبان فى المسيحية والصوفية فى الإسلام متواصلان متحابان لأن المحبة هى أساس العلاقات ومن لا يحب الناس لا يقدر أن يحب الله..

وكان التعايش فى وطن التعايش أمرا طبيعياً ولم نكن فى حاجة إلى مؤتمرات لحوار الأديان لأننا متعايشون، ولكن فُرض علينا هذا بسبب إتهامات أتتنا من الخارج بأننا فى صراع ، مع إن وطننا لا تحتمل أرضه الصراعات ولا ينمو زرعه إلا بالمحبة والتراضى، وقالوا عنا: إننا متصارعون، وإن هناك شوارع يمر بها المسلمون وأخرى يمر منها المسيحيون، ولها كان لابد أن نقيم مؤتمرات حوار الأديان..

وأذكر هنا أول المؤتمرات فى عام ١٩٩٣م والذى كان الرئيس يعتز به فخوراً ويأمل أن يكون بداية للسلام ونهاية للصراعات، وأذكر عندما قابلت بابا روما وحدثته عن حوار الأديان فى مطار الخرطوم، إنه وقف صابراً ليستمع ويشجع ويؤيد هذا المؤتمر عن حوار الأديان، وبعدها إنعقد المؤتمر وكان مؤتمراً ناجحاً وكلما أذكر هذا المؤتمر أذكر الرجل الذى وقف معنا دون أن يظهر أمام أحد.. فضل الدين أبو قصيصة الذى ساند المؤتمر وأنجح طرقه ثم مضى بعد هذا إلى خالقه .. ألم أقل لكم إن السودان من زمان هو وطن حوار الأديان ؟..

١١٥. ميثاق التعايش الدينى فى السودان

ميثاق التعايش: بعد بحث مستفيض وحوار هادف وجلسات أوراق أكاديمية دخلت إلى أعماق البحث ومناقشات ساخنة حارة خلال أربعة أيام طوال هى أيام مؤتمر الحوار الإسلامى المسيحى والذى إنعقد من ٤-٦ يوليو، وكنت أتمنى أن يصدر الميثاق يوم ٢٠٠٧/٧/٧ م، ولكن لم ينتبه أحد إلى ذلك بينما إنتبه المحبين

ليعقدوا قرانهم فى هذا التاريخ السعيد، والذى عقدت فيه عدة زواجات أرجو أن لا تحتفظ بالتاريخ كذكرى، إنما أن تكون فعلا أسرة إلهية مقدسة تحيا القداسة والبر والترابط والتقوى كل أيام الحياة..

وعن مؤتمر الحوار تواثق المشتركون وكتبوا ميثاقاً وإتفقوا على نقاط مشتركة وأعلنوا إن هذا الميثاق إلتماساً لرحمة ربنا الواحد ومغفرته ومرضاته، وإستناداً إلى قيم الديانتين المسيحية والإسلامية التى بها يؤمنون وحولها يجتمعون ولأجلها يتواثقون ويتوافقون، وإنهم إنطلاقاً من الحرب إلى السلام يعتبرون تجربة الشعب السودانى وسعيه الدؤوب والمتواصل للخروج من نفق الكراهية والإحتراب إلى ساحة الود والسلام، والإعمار والإقتراب، وقد كانوا سعداء بكلمة الرئيس التى وضعت النقط فوق الحروف وأكدت إننا فى زمن السلام ينبغى أن نحيا السلام ، وتوافق المؤتمرون على ثلاثة عشر بنداً " هى الميثاق "..

بنود الميثاق: يبدأ البند الأول ليقر أن الأصل الواحد للديانتين الإسلامية والمسيحية يوجب أن نتعاون على البر والخير لمصلحة شعبنا العظيم والإنسانية جمعاء، ويأتى البند الثانى ليقول: إن الدعوة للدين والتمسك بمبادئه إنما تكون بالحسنى والرفق، ومن واجبنا نبز الإثارة وإجتناب التهيج والعنف وأنواع العصبيات الطائفية والحرص على نشر ثقافة السلام والتسامح والتكامل، وضرورة المحافظة على كرامة الإنسان فى بلادنا بإعتبارها قيمة عليا فى ديننا العظيمين، ومن واجبنا الدعوة لصون هذه الكرامة وتشجيع السياسات والجهود التى من شانها ترقية هذه القيمة العليا وصونها وذلك لأن السلام الذى تحقق فى بلادنا نعمة من الواجب علينا أن نعمل على إستدامتها وتعزيزها..

وذلك بدعم جهود الدولة لتثبيت السلام ودعم الإستقرار، ولأن وحدة السودان هدف من أهدافنا ويجب أن تتكامل المساعى والجهود للوصول إلى الوحدة الإختيارية الطوعية، وذلك بتعريف المواطنين بمنافعها وتحذيرهم من عواقب التقسيم والتجزئة، وقدم الميثاق تأكيداً وتعهداً، والتأكيد هو أن العدل الإجتماعى بمظاهرة المختلفة من أهم ركائز الوحدة ووسائل تعزيز السلام، ولذا يجب العمل على ترسيخ مفاهيم العدل الإجتماعى فى مناحى الحياة..

أما التعهد فهو أن نعمل معاً جميعاً مسلمين ومسيحيين على ترسيخ الأخلاق الفاضلة وحماية الأسرة ،ومنع أسباب التفكك الأسرى والإنحلال الخلقى صوناً لمجتمعنا، وحماية له، والتعهد بأن نعمل معاً على تنمية بلادنا وتطويرها والقضاء على الفقر والجهل والمرض، والمحافظة على سلامة البيئة والسعى لإشباع الحاجات المادية والمعنوية لسائر الأعضاء، والتعهد بأن نتعاون جميعاً على تشجيع

التفاهم والتقارب العرقى والقبلى وتعميق التفاهم بين المجموعات الدينية والقبلية المتعددة من أجل وطن واحد مستقر ومزدهر، وهنا يقتضى الأمر السعى معاً لمواجهة الدعاوى اللادينية والإلحادية التى تحاول إبعاد الإنسان عن الله جلّ وعلا، وتسعى لتقويض القيم الدينية الفاضلة..

ولهذا نقف صفاً واحداً فى وجه كل أنواع العدوان والتدخل الخارجى الذى يهدف إلى تمزيقنا وإستغلالنا وإذلالنا، وفى إعتقادى إننا ينبغى أن نتوقف عن تحميل الآخرين مسئولية فشلنا لأننا لو كنا فعلا متحابين لن يقدر أحد أن ينفذ إلى ترابطنا القوى، ويستمر ميثاق التعايش مستعداً للإستفادة من تجارب الدول الشقيقة والصديقة فى مجال التعايش الدينى وتفعيل قنوات الحوار المبنى على قيم الفهم والتفاهم ، والإحترام المتبادل وتواثق المؤتمرين على علاج المشاكل وإزالة العقبات والتشاور مع بعضنا البعض لنحقق الحياة الفضلى..

والميثاق قطعاً كله أمل واعد، ورؤيا روحية للمستقبل المجيد، وسوف تكون هناك آلية لمتابعة ، آلية فاعلة توجه وسائل الإعلام نحو خطاب ملتزم وتوجه مناهج الدراسة نحو مناهج تؤكد الوحدة الوطنية ومحاولة سريعة من الآلية لإخماد أى تصرف شائن، وتأكيد أن حوار الأديان هو الطريق المستقيم لتحقيق وطن يحيا إستدامة السلام ويعزز الوحدة الوطنية..

١١٦. أفق وشفق

توفيق جبريل: فى كتاب مولانا هنرى رياض، توفيق صالح جبريل شاعراً وثائراً نجد انفسنا أمام واحد من كبار شعراء السودان عاش الإحساس الأدبى الرقيق النبيل، وقد عاش بيننا ثلاث وسبعون عاماً وكان لديه إحساس جميل بالحياة والموت، بالشروق والغروب، فكتب ديوانه " أفق وشفق".. والأفق بحسب القاموس هو خط دائرى يرى فيه المشاهد السماء كأنها ملتفية بالأرض ويبدو متعرجاً على اليابس ومكوناً دائرة على الماء، أما الشفق فهو حمرة تظهر فى الأفق حيث تغرب الشمس وتستمر من الغروب إلى قبل العشاء تقريباً.

وديوان توفيق وجد مكاناً فى الجرائد اليومية قصائد متفردة، وقد كان يرى إن الشعر معاناة قد تستغرق تفكيراً لأيام أو لبضع سنوات، وإن الشاعر يختزن مشاعره وأحاسيسه ونبضات قلبه وتجارب حياته فى ذاكرته يستعين بها عندما يصادفه إنفعال يدفعه لإنشاد الشعر فى لحظة معينة.. وفى ديوانه وصف متكرر

للأفق والشفق، وإرتباط ذلك بفكرة الموت والحياة، البداية والنهاية، ويرتبط الشاعر بالطبيعة، وهنا يصبح للأفق والشفق مضموناً إنسانياً يهز مشاعره فى الأعماق فى كل مطلع للشمس أو غروب..

والإنسان كلما أشرقت الشمس يتذكر شروق الحياة والفرصة التى أعطاها له الله لكى يمجد الله فى حياته، وعند غروب شمس كل يوم يذكر الإنسان غياب هذا الكائن الجبار والذى يعبر عن غروب الحياة، حتى إن الكتاب المقدس عندما يتحدث عن ذبول مدينة أورشليم بعد أمجادها العظيمة يقول: غربت شمسها إذ بعد نهار، وعندما ينتقل شاباً من هذا العالم يقولون عنه: غربت شمسه إذ بعد نهار، وفى كل غروب فى الكنيسة القبطية هناك صلاة الغروب وفيها إنجيل يقول: ولما مال النهار وعند غروب الشمس قدم إلى يسوع مرضى كثيرين فشفاهم..

أما النوم فيسمى الموت الصغير ويعتبر آخر ساعات عمر الإنسان فى نهاره، وهنا يسلم الإنسان نفسه إلى أحضان الله وهو لا يعلم هل سوف يكون له يوم آخر ويصفى حسابه فى الصلاة قائلا: يارب جميع ما أخطأنا به إليك، إن كان بالفعل أو بالقول، أو بالفكر، أو بجميع الحواس فإصفح وأغفر لنا من أجل إسمك القدوس، أنعم لنا اللهم بليلة سالمة وبهذا النوم طاهراً من كل قلق، وأرسل لنا ملاك السلامة ليحرسنا من كل شر ومن كل ضربة ومن كل تجربة العدو..

ويعتبر إنه بالنوم سوف يقف أمام الديان العادل مرعوباً ومرتعباً من كثرة الذنوب لأن العمر المنقضى فى الملاهى يستوجب الدينونة ، ويقول: توبى يانفسى ما دمت فى الأرض ساكنة لأن التراب فى القبر لا يسبّح وليس فى الموتى من يذكر ولا فى الجحيم من يشكر، بل إنهضى من رقاد الكسل وتضرعى إلى المخلص بالتوبة..

أفق وشفق: وتوفيق جبريل فى ديوانه ثلثمائة قصيدة فى أربعة أبواب، وقد قامت دار التأليف والنشر فى جامعة الخرطوم بطبعه لأول مرة سنة ١٩٧٢م بعد وفاة الشاعر بستة أعوام، فهو لم ير ديوانه مطبوعاً مثل التيجانى يوسف بشير والذى خرج ديوانه متألقاً للنور بعد أن خبت حياة البشير، حيث نشر عام ١٩٤٢م وتوفى هو فى ١٩٣٧م.. ويتحدث جبريل عن الأفق والشفق :

أفلا تهتز عاطفتى: إن بدا كالعسجد الشفق..
أو كفيض جاش من لهب : زاخر والشاطىء الأفق..
فنظر أهواه يخلبنى : بسناه والهوى طرق..

وله قصيدة عنوانها " شفق وأفق " قال فيها :

هذه الربوة ما أبهجها..
حولها الزهر نما مختلفا..
رقد الينبوع فى جانبها..
كلما رق له الجو صفا..
والأصيل البر ما أروعه..
فاض ضوءاً وتجلى ترفا..
شفق متسق تحسبه..
رفرف الديباج زان الغرفا..
وكأن الشمس ألقت من ألوانه..
فتوارى أمن الليل إختفى..
فإنتحى أفق وولى شفق..
ثم همنا بربانا شغفا..
ها هنا البلبل غنى طربا..
وهنا القمرى شوقاً هتفا..

لقد كان توفيق جبريل من رواد رجال الإدارة فى السودان وهو خريج مدرسة وكلاء المآمير، وقد عمل بالإدارة وطاف أرجاء السودان مما جعله فاها لبلاده شاعراً بالآمها وآمالها.. وقد أسس جمعية الإتحاد السودانى عام ١٩٢١م وهى جمعية سرية شكلت من خلايا متعددة كل خلية من خمسة أعضاء وكان شعارها السودان للسودانيين والمصريون أولى بالمعروف..

وكان أول مرتب لجمال أبو سيف فى الإدارة العامة هو مبلغ ثمانى جنيهات دفعه هدية لإخوانه فى الإتحاد توفيق البكرى وبشير عبد الرحمن ليذهبا إلى مصر للمزيد من التعليم وبعدها ذهب الدرديرى أحمد إسماعيل فصاروا ثالوثاً يتلقون العلم فى مصر، وهناك ضاقت بهم سبل العيش وتعرضوا للعديد من المشاكل منها حبسهم فى إغتيال ستاك وكتب أحدهم وهو البكرى قصيدة يعبر فيها إنه يبكى والناس لا يسمعونه.. وكان رد جبريل: أن لقبه بالأسد الباكى:

أرى الأسد الباكى يقلب طرفه.. وحيداً كئيب النفس فى الظلمات
جيوش من الأحزان بدّد شملها.. بسيف من الصبر الجميل مواتى
ولم يبك من ضعف فإن بكاءه.. حنين إلى مجد تعثر آتى

١١٧. بحر النسيان

طلبة قديمة: أذكر طلبة قديمة كنت أصليها وقد تسلمتها من آخرين.. حفظتها منذ حداثتى فى مدارس الأحد فى كنيسة بلدى الصغير الآمن.. الطلبة موجهة نحو الله وتقول: يارب إرمى خطاياى فى بحر النسيان ولا تعد تذكرها أبداً، وإعتقدت إن هذا بحر من بحار الله وهو طبعاً لا يجد موقعاً على خريطة العالم، وفى الكتاب المقدس فى صلوات داوُد لا يتحدث عن بحر النسيان إنما عن أرض النسيان ويساءل أو يسائل الله قائلا: هل تعرف فى الظلمة عجائبك وبرك فى أرض النسيان ؟ (مزمور ٨٨:١١)..

وهو يخاطب الرب أيضاً مترجياً لا تذكر علينا ذنوب الأولين.. مراحمك سريعاً لأننا قد تذللنا جداً (مزمور ٧٩:٨).. وفى أشعياء يفتح الرب حواراً معنا، هلم نتحاجج يقول الرب إن كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج، وإن كانت حمراء كالدودى تصير كالصوف، وهذه بداية الإصحاح الأول من اشعياء والتى يطلب فيها أن يتطهر الناس من الخطيئة حتى نصل فى الإصحاح السادس إلى التطهير بالنار الذى تم لأشعياء عندما كان يرى السموات مفتوحة وفيها عرش الله الذى مجده كل أرض والصراخ يرتفع من السيرافيم قدوس قدوس مجده ملء كل الأرض..

وإهتز أساس العتب من الصوت الصارخ وإمتلأ البيت دخاناً وقال أشعياء: ويل لى إنى هلكت لأنى إنسان نجس الشفتين وأنا ساكن بين شعب نجس الشفتين، وهنا طار واحد من السيرافيم وبيده جمرة قد أخذها بملقط من على المذبح ومسّ بها فم أشعياء وقال له: إن هذه قد مست شفتيك فإنتزع إثمك وكفّر عن خطيئتك.. ولم يغلق الرب باب الحوار معنا، إنه يرغب منا أن نعرض عليه خطايانا وننال منه التطهير ولا يعود هو يذكر خطايا صبانا ومعاصينا..

بل يقول الرب: أنا أنا هو الماحى ذنوبك لأجل نفسى وخطاياك لا أذكرها، ذكرنى فنتحاكم معاً حدّث لكى تتبرر (أشعياء ٤٣).. قدموا دعواكم يقول الرب أحضروا حججكم يقول ملك يعقوب، ليقدموها ويخبرونا بما سيعرض، ما هى الأوليات أخبروا فنجعل عليها قلوبنا ونعرف آخرتها أو علمونا المستقبليات.. غنوا للرب أغنية جديدة تسبحة من أقصى الأرض لأنى أسكب ماء على العطشان وسيولا على اليابسة.. أنا الأول وأنا الآخر، ولا إله غيرى.. لا تخف لأنى فديتك، دعوتك بإسمك أنت لى..

التسامح عقاباً: وإذا كان الله يسامحنا وإذا كنا نطالب الله أن ينسى خطايانا لا يعود يذكرها، وأن يلقيها فى بحر النسيان، فإننا مطالبون أيضا أن نلقى خطايا الغير

نحونا فى بحر النسيان، أن ننساها، أن نغفر لمن أساء إلينا حتى يغفر لنا الله.. أغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضا للمذنبين إلينا، وهذه دعوة للتسامح أطلقها كثيرون ومن بينهم على أمين فى عموده" فكرة" والذى قال فيه: لماذا نتعارك ونتخاصم ونتشاتم ؟.. لماذا لا ننسى الإساءة الشخصية وندفنها تحت تراب النسيان؟.. ولماذا نفقد عقولنا فى خلافاتنا الخاصة ونحول الأخطاء البسيطة التى يقع فيها الناس إلى جرائم كبرى لا يجوز فيها العفو والغفران ؟..

لماذا نضيّع الوقت ونحطم الأعصاب ونفقد إحترام الناس بالدخول فى معارك لا مبرر لها ؟.. إن كل إنسان معّرض للخطأ.. فلماذا أمسك بخناق كل من أخطأ فى حقى ؟.. لماذا أتصور إنه تعمد الخطأ وتعمد إهانتى وجرح كرامتى ؟.. ولماذا أقحم كرامتى فى هذه الخلافات التافهة ؟.. ولماذا أتصور إن كل من هبّ ودبّ يستطيع أن يدوس على هذه الكرامة ؟.. لماذا ألقى كرامتى على الأرض حتى يدوسها كل الناس ؟.. لماذا لا أبعدها عن الأرض حتى أحافظ عليها من أقدام الذين أصطدم بهم فى الطريق العام ؟..

إن الذين يقحمون كرامتهم فى المناقشات الشخصية يفقدونها دائماً وسط الشتائم والمعارك ؟.. إن الناس لا تدوس عليها، إن صاحب هذه الكرامة هو الذى يدوس عليها بحماقته وإندفاعه.. فالناس لا تستطيع أن تدوس على كرامتك إلا إذا ألقيت بها على الأرض ، شتائم الناس لا تلوث هذه الكرامة، خناجر الناس لا تستطيع ان تجرح هذه الكرامة، أكاذيب الناس أضعف من أن تمس هذه الكرامة..

فلماذا نتدخل فى معركة للدفاع عن سلامة شىء لا يستطيع غيرك أن يمسه بسوء ؟ لماذا لا تعاقب الناس بالتسامح والنسيان ؟.. لماذا لا توفر جهدك ووقتك لمعارك الحياة بدلا من إضاعة هذا الجهد فى معارك ساذجة لا هدف لها ولا إتجاه ؟ أذكر دائماً إنك كرامتك بخير، وإنك وحدك الذى يرميها فى الوحل والطين، ويومها ستتسامح مع الناس، وأقدم شكرى لله ساجداً لأننى طالبت الرب أن يلقى خطاياى فى بحر النسيان، وطولبت شخصياً أن ألقى خطايا الناس فى بحر النسيان هارباً من القيل والقال حافظاً كرامتى تاركاً الأمر للرب ليس للإنتقام، وإنما ليملأ قلوبنا جميعاً بالمحبة التى تحتمل كل شىء..

١١٨. متاع الغرور وباطيل الأباطيل

متاع الغرور: فى سورة آل عمران جاء فى القرآن الكريم : إن كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زُحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور.. والإنسان دوماً يروح ضحية الغرور، ولقد كان الغرور سبباً فى شعور آدم وحواء بالعرى حيث جاء الشيطان فى شكل الحية الناعمة الملمس وبكلمات ناعمة ملساء دل آدم وحواء بغرور على شجرة الحياة، فلما ذاقا الشجرة شعرا بالعرى وطفقا يخصفان عليهما من من ورق الجنة وجاء نداء الله : آدم آدم أين أنت ظ فقال: سمعت صوتك فخشيت لأنى عريان فإختبأت.. فقال: من أعلمك إنك عريان هل أكلت من الشجرة التى أوصيتك أن لا تأكل منها ؟ وهنا بدأ يلقى المسئولية على حواء المرأة التى جعلها الله معه..

وحواء تلقى المسئولية على الحية قائلة: الحية أغرتنى فأكلت.. وهنا تأتى كلمة غرور فى سفر التكوين، فلقد وقعت حواء ضحية الإغراء، والإغراء هو تسليط كل عوامل الترغيب، ولكن كل هذا وهم وغرور وليس من الواقع فى شىء، وإن الكافرون لفى غرور.. تغرهم ملاهى الدنيا ويظنون إنهم سوف يعيشون إلى الأبد، والمرء عندما يتملكه الغرور يمشى مختالا ولا يدرى مصلحته، ولا يدرى إنه تراب ورماد، ولهذا قال أبو العلاء المعرى :

سر إن إستطعت فى الهواء رويدا..
لا إختيالا على رفات العباد..
خفف الوطىء فما أظن أديم الأرض..
إلا من هذه الأجساد..
رب قبر قد صار قبراً مرارا..
ضاحكاً من تزاحم الأضداد..

باطل الأباطيل: ويبدأ سليمان الحكيم سفر الجامعة بقوله: باطل الأباطيل الكل باطل، ما الفائدة للإنسان من كل تعبه الذى يتعبه تحت الشمس، دور يمضى، ودور يجىء، والأرض قائمة إلى الأبد، والشمس تشرق والشمس تغرب وتسرع إلى موضعها حيث تشرق، الريح تذهب إلى الجنوب وتدور إلى الشمال، تذهب دائرة دوراناً وإلى مداراتها ترجع الريح، كل الأنهار تجرى إلى البحر، والبحر ليس

بملآن، إلى المكان الذى جرت منه النهار إلى هناك تذهب راجعة، كل الكلام يقصر، لا يستطيع الإنسان أن يخبر بالكل، العين لا تشبع من النظر، والأذن لا تمتلىء من السمع، ما كان فهو ما يكون، والذى صنع فهو الذى يصنع فليس تحت الشمس جديد، إن وجد شىء يقال عنه أنظر هذا جديد، فهو منذ زمان كان فى الدهور التى قبلنا، ليس ذكر للآولين والآخرون أيضا الذين سيكونون لا يكون لهم ذكر عند الذين يكونون بعدهم..

إن سفر الجامعة وهو إثنى عشر إصحاحاً يتحدث عن إن الدنيا متاع غرور وإن الإنسان مغرور يعتقد إنه يصنع جديداً بينما لا جديد تحت الشمس، يعتقد إنه حقق الإشباع بينما العين لا تشبع من النظر، يعتقد إنه صار ملء السمع بينما الأذن لا تشبع من السمع، ويطالب الشباب أن: أذكر خالقك فى أيام شبابك قبل أن تأتى أيام الشر أو تجيء السنون إذ تقول ليس لى فيها سرور..

ويختتم الجامعة بقول جامع يقول فيه: فلنسمع ختام الأمر كله، إتق الله وإحفظ وصاياه، لأن هذا هو الإنسان كله، لأن الله يحضر كل عمل إلى الدينونة على كل خفى إن كان خيراً أو شراً.. وقبلها يقول: أنظر وجدت فقط أن الله صنع الإنسان مستقيماً أما هم فطلبوا إختراعات كثيرة.. وتأتى جامعة سليمان فى عام ٩٣٥ قبل الميلاد وسليمان نفسه الجامعة وقد رأى أن يوفر على الأجيال القادمة مرارة ما يتعلمونه عن طريق خبراتهم الشخصية من أن الحياة لا معنى لها بعيداً عن الله..

إن سليمان يوضح فى سفر الجامعة مسالك الحياة التى تؤدى إلى الخواء، إلى قبض الريح، ويساعدنا على إكتشاف هدف حقيقى للحياة، إن المعنى فى الحياة لا يوجد فى المعرفة ولا فى المال ولا فى السرور ولا فى الشهوة لأن الشبع الحقيقى يأتى من معرفة الله ومعرفة قصده من حياتنا.. بحث سليمان عن الشبع عن الرضا وما زال الناس يبحثون ولكنهم كلما حاولوا الفوز يدركون ضآلة ما حصلوا عليه، حاول سليمان أن يهز ثقة الناس فى جهودهم وقدراتهم وحكمتهم ويوجههم إلى الإيمان بالله والتقوى فى الحياة الدنيا إلا متاع غرور ومن يجرى نحوها ولا يدرى إنه يجرى، إنما باطل الأباطيل الكل باطل وقبض الريح..

١١٩. حديقة النبى

فنان أم فيلسوف: يأتى كتاب " حديقة النبى" للأديب الفنان جبران خليل جبران وهو مشروع فنان حاول أن يكون فيلسوفاً ولكنه كما يرى عدنان الذهبى فى مقدمة

حديقة النبى، حاول التفلسف ولكنه أخفق فى هذه المحاولة، وكشفت كتاباته عن تحكم الفن وأساليبه فى كتاباته تحكماً يدفع إلى التساؤل: هل نعد جبران فى عداد المفكرين أم ندرجه فى زمرة الأدباء والشعراء المجددين ؟ أم نعتبره كما قالوا همزة الوصل الجميل بين الغرب الذى عاش فيه غريباً.. والشرق الذى كان إلى وجدانه قريباً وعاش فى كيانه رغم أن تواجده الجسدى لم يكن فى الشرق..

إن جبران أديب وفنان يعيش فى أوهامه وأحلامه، يطرب للجمال، ويتغنى للخيال، ويهيم بمالهما من ثمار، أكثر من هيامه بالمنطق وقيوده، إنه عاش نزعة فنان.. ونفسية أديب، وعندما حلق فى سماء الفلسفة ظل أديباً إنسانياً إمتلأت نفسه بآلام المجتمع من حوله ومتابعها الفكرية والروحية والمادية، كما إمتلأت كتاباته فى كيانها وأصدائها بالآلام الإجتماعية المتنوعة، وفى خياله الإبداعى فى " حديقة النبى"..

وعندما يتحدث عن عودة النبى إلى الجزيرة التى كان قد إستشرف طهرة أيامه فيها وعادت سفينة إلى الميناء وقف فى مقدمتها يحيط به ملاحوه، وقد إهتز قلبه بشعور العائد إلى الوطن وتكلم بصوت يهدر كالبحر وقال: ها هى الجزيرة التى ولدنا فيها، هنا فى هذا المكان، قذفت بنا الأرض أغنية وأحجية، أغنية إلى السماء وأحجية إلى الأرض، وأى شىء هناك بين السماء والأرض غير آلامنا يسعه أن يرتل الأغنية ويفسر الأحجية ؟..

وهنا ينبرى أحد الملاحين ليسأل النى مندهشاً : ياسيد لقد حدوت بأشواقنا إلى هذا الميناء، وها نحن قد وصلنا، بيد إنك تتحدث عن الألم وعن قلوب سوف تتحطم، أجابه المصطفى وقال: ألم أتحدث أيضا عن الحرية وعن الضباب الذى هو حريتنا العظمى ؟.. ها أنا فى ألم قد حجبت إلى هذه الجزيرة التى ولدت فيها كما يأتى شبح مذبوح ليركع أمام أولئك الذين ذبحوه..

لقد كان جبران شاعراً إبن بيئته وتجاربه، وكانت تجاربه ثرة ومتعددة وثرية، ويمكن القول إنه لم يترك بيئة جميلة كانت أم قبيحة، عالية أم دنيا إلا وعاش فيها بل عاشها، وبهذا مرّ على أنواع وأنواع من العواطف والوجدانات والإنفعالات معرف مرارة الحياة كما يعرف حلوها وذاق الفقر كما ذاق الغنى، وعانى الألم مثلما عانى اللذة، وعرف قلق الكفر وطمأنينة الإيمان، ولكن عدنان الذهبى والذى قدم " حديقة النبى" سنة ١٩٥٠م يرى إن جبران كان مسيحياً فى أعماقه رغم ثورته على رجال الدين والكهنوت..

وترجع أغراس المسيحية فى نفسه إلى تلك البذور التى ألقتها فيه امه والتى كانت تسمى" كاملة".. وكانت كاملة فى إيمانها وفى تربيتها لجبران، وهى حفيدة

كاهن خورى وقور، وعندما إستقبلته مولوداً فى بشرى بلبنان ١٨٨٣م أرضعته تعاليمها ومكنت فيه أساسها الفلسفى الإجتماعى والذى ظل يشدو به تحت مسمى جميل هو " المحبة" وظل طيلة حياته لا يبتعد عن هذه التعاليم، وحتى وإن إبتعد يوماً لعاصفة هبت عليه تراه في اليوم الثانى يعود إلى تعاليمه المسيحية بصوفية أكثر عمقاً، كما يعود إلى المحبة بإيمان أكثر أصالة.. ولم يهضم " نيشة" ولم ينحنى معه بالكفر ولم يقوى على أن يكون كافراً بل رجع يؤمن بالله إيماناً قريباً من الحلول المسيحى..

حديقة النبى: وجبران من خلال " حديقة النبى" يعتبر المبشر الأول بالرمزية العربية المعاصرة، لقد نشر فى نيويورك ١٩٣٣م بعد وفاة جبران بعشرة أعوام، وترجم هذا الكتاب كمال زاخر لطيف وقال في تقديمه: نعم عزيزى القارىء أدعوك أن تقرأ هذا الكتاب مرتين، تقرأه فى المرة الأولى لشاعر، والمرة الثانية لمفكر عظيم ، تقرأه لشاعر يعزف كلماته ألحاناً وعباراته أنغاماً وموسيقى، ثم يحملها جميعاً إلى مفارق الطرق، وعند الأسواق التى تملأ ساحات الجزيرة التى ولد فيها حيث ينتظره شعبه بلهفة وشوق..

وأدعوك أن تقرأه فى المرة الثانية لمفكر وعالم أراد أن يسجل فيه وصيته الآخيرة للعالم الذى إختلطت فيه الطرق وتشابكت المسالك وتناقصت المفاهيم، وتاهت المعانى، ولم يعد للناس من مفر إلا أن يفيقوا ويتمسكوا بالمعرفة، ومن ثم إلى التخلص من الفجاجة التى باتت تمرر حلوقهم، وتفضح طفولتهم المعرفية وتدمر علاقاتهم، وتقتلع كل أشكال الحياة فوق سطح هذا الكوكب من حولهم..

ويقول لطيف عن نفسه: إنه قرأ هذا الكتاب مرتين، مرة فى عام ١٩٥٠م وحلق أيامها مع النبى الذى تحدث عنه جبران، وعن تلك الآفاق السامقة التى جعلت العالم أحجبة عسرة الفهم، وأغنية لا مكان لها على شفاه الكون، وقرأه مرة ثانية بعد ما يقرب من نصف قرن سنة ١٩٩٥م، فإذا بالشاعر الذى عرفه يذوب ويتلاشى ويحل محله العالم المفكر الذى كان يرهص بالحقيقة الإنسانية التى لا مفر من أن تحكم حياة البشر وهى تتمثل فى أن المعرفة طريق الحياة، وهذا يدعونا إلى أن نتساءل: هل الشعر فينا ليس إلا المهم فى عقولنا ينشد دائماً المعرفة الحقيقية التى لم تتكشف لنا بعد ، أو كما يقول الفيلسوف الألمانى" فنحشتاين" هناك بالفعل أشياء لا يمكن أن نعبر عنها بالكلمات، ولكنها تتجلى لنا بذاتها وليس علينا إلا أن نقول ما يمكن أن نقوله..

١٢٠. الصراع على السلطة داخل الأسرة

السلطة والثروة: عرف السودان فى تاريخه الحديث موضوع السلطة والثروة وتنازعت أطراف السودان حول المطالبة بهذا الحق، وجاء وسطاء من خارج السودان أو بالأحرى ذهبنا نحن إلى هؤلاء الوسطاء لكى نقتسم الثروة أو السلطة، وإتسعت هوة الإختلاف وبعدنا عن الإئتلاف وتعددت شكوانا وكثرت مواثيقنا وصارت فى السودان بؤر توتر وتشنج شملت جامعاتنا ومؤسساتنا العلمية وطالت شوارع الخرطوم وأحياؤه وسكانه..

وحديثى هنا عن الصراع حول السلطة فى داخل الأسرة تلك التى صار فيها زوج وزوجة وأولاد يقتسمون الحياة معاً ويتعايشون فى محبة ويأكلون معاً لقمة العيش ويتمتعون معاً بالمحبة السرية التى تجعل كل واحد متعاطف مع الآخر منجذباً إليه يخرج اللقمة من فمه ويعطيها عن رضى للآخر.. والصراع حول السلطة كثيراً ما يكون بين الأب والأم، الأب يريد أن يكون له السلطة ، والمرأة تريد أت تسحب بساط السلطة من تحت قدميه، ورغم وصايا ما قبل الزواج يصر كل واحد على رأيه، ونحن نقول قبل الزواج للعروسين: لا ينفرد أحدكما برأى دون الآخر لتكون ذريتكما صالحة..

وهنا يكون الود هو الحكم حتى نبتعد عن سلبيات صراع السلطة والتى تنعكس على الأبناء وتجعلهم يتبرمون بالحياة، وعندما تبدأ معركة السلطة فإن كل طرف يقوم بالتهجم على الطرف الآخر إنطلاقاً من قاعدة " أفضل طريقة للدفاع هى الهجوم" فيأخذ باللوم والإتهام وإساءة العبارات، وقد يدعى الإنسان إنه مخلص وأمين فيما يقول مع إنه فى الحقيقة غير موضوعى، ويجانب الصواب ويحاول لى عنق الحقيقة للإنتقام من الآخر والإستهزاء والسخرية منه..

وعندما لا يحصل على ما يريد فإنه يبدأ بالغضب والإنفعال والصراخ والبكاء، وربما يكسر الأشياء أو يرمي بها ذات اليمين وذات الشمال، بل إنه أحياناً يتبنى الزوج والزوجة طريقة معينة تتكرر عند كل خلاف فيها يدخلان إلى دائرة مفرغة من الجدال وينتهيان لنفس النتيجة وهى " اللاحل"، وهذا الخلاف يغير من شكل الزوج والذى يتحول إلى كائن متوحش.. ويغير من شكل الزوجة التى بكل أدب قد تلجأ إلى البكاء، وإن لم يكن فإنها تتبادل معه الكلام القبيح وتسىء إلى أنوثتها وتتحول من العذوبة الجميلة إلى العذاب المؤلم ..

ويقولون: إن الإنسان عندما يضع قطعة أثاث جديدة فى المنزل فإنه قد يرتطم بها عدة مرات قبل أن يتعلم أن يتجنبها كلما مرّ بها، ولكن الكثير من الأزواج قد لا

يتعلمون من أخطاء الحوار والتخاطب بينهم، وتراهم يعيدون الخطأ يوماً بعد يوم، وأسبوعاً بعد أسبوع، ويحاول كل منهما الإنتصار لموقفه والجدال مع الآخر، وربما جرحه بالكلام مرة بعد أخرى، وبدل أن يتعلم فإنه يصبح اكثر سلبية، وربما إرتفع الصوت أكثر وكثرت العبارات الجارحة..

كسب المعركة: إن الإنسان الحكيم هو الذى يكسب الجولة، ويحوّل المعركة عن دائرتها إلى محور آخر، وهذا يحتاج منا إلى فطنة، من قال إن السلطة هى الصراع؟.. ومن قال إننا نتصارع لكى نتسلط ؟.. ولماذا نتسلط ؟.. إن الرجل له وظيفته الإجتماعية وهكذا المرأة.. ولا يستغنى أحد عن دور الآخر، ولا يمكن أن يكون الصراع وتبادل عبارات هو الحل، الحل أن لا نتصارع، لا تغرب الشمس على غضبكم.. الحل أن لا نسمح لأنفسنا أن نتخاصم أو نتصارع، إنما أن نتحد لكى نؤدى رسالتنا فى الحياة..

إن غضب الإنسان لا يصنع بر الله، ولا يمكن أن يكون الغضب والإنفعال طريقاً للحل، إنما هو مزيد من التوتر، يعنى إننا تناسينا المحبة التى بدأنا بها.. المحبة التى تحتمل كل شىء وتصبر على كل شىء، المحبة التى لا تقبح ولا تطلب ما لنفسها، المحبة التى تجعل كل واحد ملكاً للآخر، وتجعل كل واحد يقدم الآخر عن نفسه، مقدمين بعضكم بعضاً فى الكرامة، إن الصراع حول السلطة داخل الأسرة الواحدة يؤدى إلى الجفوة ويباعد المسافات وليس هناك منتصر فى هذه المعركة..

الأمر يحتاج إلى جلسة حساب مع النفس لنتذكر كيف بدانا ونكمل فى نفس الطريق، ونتذكر عبارات الحب وعبرات الريدة فى أول الطريق، وكيف يحكى الرجل شاباً للمرأة إنه سوف يبنى لها قصراً عالياً ويحقق لها كل الأمانى، يتذكر يوم أن كان يلغى أى إرتباط ليلتقى بالمرشحة أن تكون شريكة عمره.. من السهل أن نهدم الحياة الزوجية وليس من الصعب أن نحيا حياة سعيدة، وفى وسط إضطراب العالم وأمام وهج النار الذى يحرق البشر ننسكب نحن أمام الله ونستريح فى أحضانه ونسلك كأولاد النور، ونحيا فى نور المحبة..

أيها الرجال أحبوا نساءكم كما أحب المسيح الكنيسة، يجب على الرجال أن يحبوا نساءهم كأجسادهم ، من يحب إمرأته يحب نفسه، فليحب كل واحد إمرأته هكذا كنفسه، وأما المرأة فلتهب رجلها، أيها النساء إخضعن لرجالكن كما للرب (أفسس٥).. وهنا تبطل معركة السلطة وتكون السلطة لله، ويتنازل كل واحد عن ما يملك للآخر ويصير الرجل ملكاً للمرأة، والمرأة ملكاً للرجل، والله هو الملك المهيمن على البيت كله..

١٢١. كيف نهزم الشيطان ؟

حرب روحية: من المعروف على مستوى الحياة الروحية التى فيها يعلى الإنسان شأن الروح: إن الإنسان ليس له عدو سوى الشيطان والوسواس الخنّاس الذى يوسوس فى صدور الناس، وقد بدأ هذا الوسواس يوسوس فى أذنى آدم وحواء، فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما ورى عنهما، ولآدم وسوس إليه الشيطان قال: ياآدم هل أدلك على شجرة الخلد ؟ وهنا يأتى دعاء القرآن الكريم : قل أعوذ برب الناس، ملك النّاس، إله النّاس، من شر الوسواس الخنّاس الذى يوسوس فى صدور النّاس من الجنة والنّاس..

أما القديس بولس الرسول فيقول: أخيراً ياإخوتى تقووا فى الرب وفى شدة قوته ألبسوا سلاح الله الكامل لكى تقدروا أن تثبتوا ضد مكايد إبليس فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء، مع السلاطين، مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر، مع أجناس الشر الروحية فى السماويات من أجل ذلك إحملوا سلاح الله الكامل لكى تقدروا أن تقاوموا فى اليوم الشرير، وبعد أن تتموا كل شىء أن تثبتوا (أفسس ٦)..

ولقد تعرض السيد المسيح له المجد للتجربة من الشيطان فى البرية الواسعة بعد صوم لمدة أربعين نهاراً وأربعين ليلة، وكان قد جاع، وتقدم إليه المجرّب، وعزف على الوتر الحساس قائلا: إن كنت إبن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزاً، ولكن السيد المسيح رفض مثل هذا الخبز، ورفض الشبع الذى يأتى عن طريق الشيطان، وكانت إجابته مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله، كانت هذه هى التجربة الأولى ..

ولم يتوقف الشيطان ولم يسلم أوراقه، إنما أخذه إلى المدينة المقدسة وأوقفه على جناح الهيكل وقال له: إن كنت إبن الله فأطرح نفسك إلى أسفل لأنه مكتوب إنه يوصى ملائكته بك فعلى أياديهم يحملنك لكى لا تصدم بحجر رجلك، قال له يسوع: مكتوب أيضاً لا تجرب الرب إلهك، وبعدها كان فى جعبة إبليس تجربة ثالثة حيث ذهب مع المسيح إلى جبل عالٍ جداً وآراه جميع ممالك العالم فى لحظة من الزمان وقال له: أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لى، حينئذ قال له يسوع: إذهب عنى ياشيطان لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد..

وبعد هذا فشل الشيطان وترك المكان، ولكن هذه المفارقة كانت إلى حين (متى٤).. وهذا يعنى إن الشيطان لا يفارق الإنسان إنما يحاربه دوماً كما إنه يحفظ

الكتب المقدسة، ولكنه يفسرها لمصلحته وعلى الإنسان أن يكون دوماً حريصاً ولا يسمح للشيطان أن يدخل إلى بيته ولا إلى قلبه ولا إلى فكره..

الناسك والشجرة: ويقدم توفيق الحكيم فى كتابه " مدرسة المغفلين" فى قصته إبليس ينتصر طريقه مثلى للتحكم فى إبليس والسيطرة عليه، وتقول القصة: إتخذ قوم شجرة، صاروا يعبدونها، فسمع بذلك ناسك مؤمن بالله فحمل فأساً وذهب إلى الشجرة ليقطعها فلم يكد يقترب منها حتى ظهر له " إبليس" حائلا بينه وبين الشجرة وهو يصيح به:

❖ مكانك أيها الرجل، لماذا تريد قطعها ؟
❖ لأنها تضل الناس..
❖ وما شأنك بهم ؟ دعهم فى ضلالهم !
❖ كيف أدعهم ومن واجبى أن أهديهم..
❖ من واجبك أن تترك الناس أحراراً يفعلون ما يحبون..
❖ إنهم ليسوا أحراراً ، إنهم يصغون إلى وسوسة الشيطان..
❖ أو تريد أن يصغوا إلى صوتك أنت ؟
❖ أريد أن يصغوا إلى صوت الله !
❖ لن أدعك تقطع هذه الشجرة !
❖ لابد لى أن أقطعها !

فأمسك إبليس بخناق الناسك.. وقبض الناسك على قرن الشيطان، وتصارعا طويلا، إلى أن إنجلت المعركة عن إنتصار الناسك فقد طرح الشيطان على الأرض وجلس على صدره وقال له : هل رأيت قوتى ؟ فقال إبليس المهزوم بصوت مخنوق: ما كنت أحسبك بهذه القوة ، دعنى وأفعل ما شئت.. فخلى الناسك سبيل الشيطان وكان الجهد الذى بذله فى المعركة قد نال منه، فرجع إلى صومعته وإستراح ليلته، فلما كان اليوم التالى حمل فأسه وذهب يريد قطع الشجرة وإذا إبليس يمنعه من هذا وتنتهى هذه المحاولة الثانية بإنتصار الناسك وإعتراف الشيطان بقوته..

وفى المرة الثالثة تفكر إبليس ورأى إن النزال والقتال والمصارعة مع هذا الرجل لن تتيح النصر عليه، وهنا لجأ إبليس إلى الحيلة وقال له: إنى أخاف عليك أيها الناسك من حقد الناس عندما تقطع الشجرة، لا تجلب على نفسك المتاعب، أترك قطعها وسوف أجعل لك كل يوم دينارين تستعين بهما على نفقتك، ووافق الناسك وتعاهدا.. وفى كل صباح كان الناسك يمد يده تحت الوسادة ويجد دينارين،

وكان هذا لمدة شهر وبعدها إنقطعت الدينارات فحمل الناسك الفأس وذهب لقطع الشجرة، وهنا أوقفه إبليس وقال له : هل تقطعها لأنى قطعت عليك الثمن ؟.. وبعد حوار إنقض الناسك على إبليس وقبض على قرنه ولكنه لم يقدر الإنتصار، وفى نومة الهزيمة سأل الشيطان: كيف إنتصرت علىّ ؟ وكانت الإجابة من إبليس: لما غضبت لله غلبتنى ! ولما غضبت لنفسك غلبتك ! لما قاتلت لعقيدتك صرعتنى، ولما قاتلت لمنفعتك صرعتك! أليس هذا هو الطريق لهزيمة الشيطان والإنتصار عليه؟!..

١٢٢. الهادئون فى الأرض

المعذبون البؤساء: إننى أذكر كيف قرأت " المعذبون فى الأرض" للأديب طه حسين، وكيف قرأت " البؤساء" لفيكتور هيجو.. وكلاهما يسيران فى خط واحد هو ما تحمله الدنيا من عذاب للإنسان رجلا كان أو إمرأة.. وتأتى قصة العذاب فى عدة مواقع وبعدة شخصيات يجمعها العذاب والمعاناة وحتى عندما تنفرج أساريرهم بإبتسامة ما فإن العذاب يسرع الخطى نحو تخاطفها، والمعذبون لا يجدون راحة فى الدنيا وهم بالتالى بعيدون عن أعمال الآخرة أو الأعمال التى تؤدى بهم إلى آخرة صالحة..

وكما يقول المثل: هم قليلو حظ.. وقليل البخت يجد العظم فى الكرشة، والأمور ليست بمثل هذه الحبكة القصصية التى يكتبها الأدباء والحياة ليست بمثل هذا السوء الذى جعل أحد الفنانين يقول : إن أول جنيه يربحه كان مزوراً، وإنهم عندما طلبوا مائة شخص للعمل وتقدم فوق المائة واحد فقط كان هو هذا الواحد الذى ضاعت فرصته في العمل، وإذا كان المعذبون فى الأرض كتاباً قصصياً يشكل قطعة أدبية رائعة فماذا يكون موقف الهادئون فى الأرض ؟..

الذين يعيشون فى هدوء وسلام، وآمن وأمان ، مهما إضطرب العالم من حولهم، هم فى هدوء مع أنفسهم ومع الله، هؤلاء الذين عبر عنهم صاحب الزابور على فمه قائلا: إن إنقلبت الجبال إلى قاع البحار لا أخاف شيئاً لأنك أنت معى.. هؤلاء إذن هم بشر يحتمون فى الله وفى إسم الله الذى هو برج حصين يركض إليه الصديق ويتمنع، ويعتزون بأبوة الله الحانية، ويترنمون ولا يخافون ولا يحزنون لأن الله بإحسان أبدى يرحمهم، وهم دائماً مستيقظون يلبسون ثياب عزهم بالله ويتحلون من ربط الشر ويتطهروا فى إستقبال بركات الله التى تفيض عليهم،

ويعيشون فى مواعيد الله الذى قطع معهم عهداً أبـدياً أن تعطـيهم الأرض زرعـاً للزارع، وخبزاً للآكل..

لأنكم بفرح تخرجون وبسلام تحضرون، الجبال والآكام تشيد أمامكم ترنماً وكل شجر الحقل تصفق بالأيادى ويكون للرب إسماً علامة أبدية لا تنقطع، وكـل واحـد من الهادئين فى الأرض يكون فرحاً بالرب ويقول: قد ألبسنى ثياب الخلاص، كسانى رداء البر مثل عريس يتزين بعمامة، ومثل عروس تتزين بحليهـا لأنـه كمـا أن الأرض تخرج نباتها وكما أن الجنة تنبت مزروعاتها، هكذا السيد الرب ينبت بـراً وتسبيحاً إلى الأبد لآولئك الذين أحبوه إلى الأبد، وركزوا كل آمالهم وتطلعاتهم فيه، ووجهوا كل صلواتهم نحوه وكل إتصالاتهم به، والهادئون فى الأرض يعيشون فـى نور الرب، الظلمة تغطى الأرض والظلام الدامس يغطى الأمم .. أما عليهم فيـشرق الرب بمجد ويسير الأمم فى نورهم ويحيا العالم فى ضياء إشراقهم..

الفقراء إلى الله: والهادئون فى الأرض هم الفقراء إلى الله والذى قال عنهم السيد المسيح طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات وهـذه أول التطويبـات وهؤلاء يعشقون السماء ويعيشون أيام السماء على الأرض ويبدأون الملكوت قبـل أن يأتى الملكوت يعيشون فى أرض جديدة وسموات جديدة يسكن فيها البر بهجـة وفرحاً وإستنارة روحية ، سلامهم كنهر ومجدهم كسيل جارف، هـؤلاء يرضـعون وعلى الأيدى يحملون وعلى الركبتين يدللون، وكما تعزى الأم أبناءها هكـذا يحيـا هؤلاء فى تعزية الرب، والهادئون فى الأرض هم الفقراء إلى الله، والذين عاشـوا لله منذ آدم ويعيشون له حتى آخر الدهور وهم دوماً ينتظرون الخلاص الآتى وقـد إمتلأ زمن ما قبل السيد المسيح بأمثال هؤلاء.. فى داخـل الهيكـل وفـى خـارج الهيكل..

١٢٣. ضبط عقارب ساعة الحساب

ساعة الحساب: فى عام ١٩٤٧م إبتكرت مجلة علماء الطاقة الذرية مـا يـسمى ساعة يوم الحساب وراحوا يقدمون الساعة ويؤخرونها وفقاً للتطـورات العالميـة ووفقاً للحركة الذرية والنووية فى العالم، وتزايد مخاطر إنتشار الخطـر النـووى، وعندما تزداد المخاطر تقترب ساعة الحساب لأن من علامتها إنفلات ترتيب الحياة وظهور إختراقات ذرية ونووية مما يعجل بنهاية الدنيا، ونهاية الحياة عندما يـأتى يوم ليس بعده يوم، وساعة ليس بعدها ساعة والتى تخيلها أحـد الأدبـاء بأنهـا

الساعة الخامسة والعشرون والتى سوف تصنع نهاية للحياة عندما يأتى يوم الرب فجأة وتزول السموات بضجيج وتنحل العناصر محترقة وتحترق الأرض والمصنوعات التى فيها لأننا ننظر سموات جديدة وأرض جديدة..

وقبلها تحدث ضيقات شديدة والشمس تظلم والقمر لا يعطى ضوءه ونجوم السموات تسقط وقوات السموات تتزعزع، ويقول أصحاب ساعة الحساب : إن عقارب الساعة تتحرك نحو النهاية بسبب التهديدات النووية والمناخية المتزايدة للعالم، وإن هذه الساعة الرمزية التى تشرف عليها مجلة علماء الطاقة الذرية تقف حالياً عند سبع دقائق قبل منتصف الليل، ومنتصف الليل هو الموعد المحدد لوقوع كارثة عالمية، ويقولون: إن مجموعة العلماء لم تذكر فى أى إتجاه ستتحرك عقارب الساعة، لكن فى بيان إخبارى قيل : إن هناك تغييراً سيحدث بسبب تسارع خطى التهديدات النووية التى يمكنها أن تدمر العالم كله فى لحظة من الزمان..

وفى بيان لعلماء الطاقة الذرية: إن التغيير فى عقارب الساعة يعكس القلق المتنامى إزاء عصر نووى ثان تشوبه تهديدات خطيرة من بينها الأطماع النووية لبعض البلدان والمواد النووية وخطر الإرهاب المتصاعد والضغوط الجديدة الناتجة عن تغير المناخ نتيجة التوسع فى إستخدام الطاقة النووية للأغراض المدنية والذى يمكن أن تؤدى إلى زيادة مخاطر إنتشار الخطر النووى.. وكانت عقارب الساعة قد تقدمت دقيقتين عما هى عليه الآن لتكون خمس دقائق قبل منتصف الليل، وهذا يعنى إننا وبحسب " ساعة الحساب" قاب قوسين أو أدنى من نهاية العالم..

وإذا لم تلتزم الدول بالإنضباط وخفض الأسلحة النووية فإن الكارثة سوف تقع وسوف تكون فى مواجهة أهوال اليوم الآخير.. وهنا يقول القرآن الكريم: يا أيها الناس إتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شىء عظيم، يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سُكرى وما هم سكارى، ولكن عذاب الله شديد.. وهو عين ما قاله الإنجيل المقدس: إن الذى على السطح لا ينزل ليأخذ شيئاً من بيته والذى فى الحقل لا يرجع إلى ورائه ليأخذ ثيابه، وويل للحبالى والمرضعات فى تلك الأيام لأنه حينئذ يكون ضيق عظيم لم يكن مثله منذ إبتداء العالم.. والسماء والأرض تزولان ولكن كلام الله لا يزول، وسوف يأتى اليوم الآخير مثلما أتى الطوفان مفاجأة وبغتة ودون أن يعلم أحد الوقت ولا الساعة حينئذ يكون إثنان فى الحقل يؤخذ الواحد ويترك الآخر، إثنتان تطحنان على الرحى تؤخذ الواحدة وتترك الأخرى (متى ٢٤)..

وهذا ما يسمى بالإختطاف والذى فيه يختطف الأبرار مع السيد المسيح الديان على السحاب، وهكذا تكون عقارب ساعة الحساب قد وصلت مداها إذا زلزلت

الأرض زلزالها، وأخرجت الأرض أثقالها، وقال الإنسان مالها، يومئذ تحدث أخبارها، بأن ربك أوحى لها، يومئذ يصدُرُ الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره، ويوم القيامة يبرق البصر ويخسف القمر، ويجمع الشمس والقمر ويقول الإنسان : أين المفر ؟ وإلى ربك يومئذ المستقر، وهل يقدر أحد أن يهرب من وجه الله، الأفضل أن نستعد بالسهر الروحى لمقابلة اليوم والساعة..

من الذى يعرف ؟:

لا أحد فينا يعرف اليوم ولا الساعة التى تأتى فيها ساعة نهاية العالم، ومهما تحرك العقرب فى ساعة الحساب التى أقامتها جماعة الطاقة النووية سواء بالتقديم أو التأخير فإن أحداً لا يدعى معرفة الموعد المحدد، إنها مفاجأة محتمة لكى نجهز أنفسنا لها بإستعداد روحى وسهر روحى ، ويقظة روحية، لأن ألف سنة عند الرب كيوم ، ويوم كألف سنة ..ولأننا لا نعلم ماذا يلده اليوم ؟، ولأننا لا نعرف الآزمنة والأوقات التى وضعها الآب فى سلطانه..

وقد أقام بعض الجماعات الدينية ما يسمى برج المراقبة ، يراقبون فيه موعد يوم الحساب، وأريد أن أقول لأهل برج المراقبة ما قاله السيد المسيح : إن ملكوت الله لا يأتى بمراقبة، والرب قريب على الأبواب، وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا ملائكة السموات إلا الآب وحده.. وليس لنا أن نعرف الآزمنة والأوقات التى جعلها الآب فى سلطانه، ولكن الله سوف يقوينا ويؤازرنا ويقترب إلينا..

إن إقتربنا إليه.. فى وقت مقبول سمعتك، وفى يوم خلاصك أعنتك، وهوذا الآن وقت مقبول، هوذا الآن يوم خلاص، والوقت منذ الآن تقصّر وعلينا أن نهتم فيما لله.. ولنسلك بالتدقيق لا كجهلاء بل كحكماء مفتدين الوقت لأن الأيام شريرة، وحتى لا نفاجأ بعقارب الساعة وقد وصلت إلى ساعة لا ساعة بعدها..

١٢٤. الحياة برج حمام وبحر خضم

تعبير شعرى:

قال الشاعر فى تصويره لحياة الإنسان :

وهذى الحياة كبـــرج الحمـــام
فطيـــر يحـــط وطيـــر يطيـــر
وهـــذى الحيـــاة كبحـــر خضـــم
ومـــا المـــرء إلا سفيـــن حقيـــر

ولقد عبر الكتاب والأدباء والشعراء عن الحياة فى معان كثيرة وعديدة، نظـــروا إليها مثل نظرة يعقوب البار لأنه ما هى حياتكم إنها بخار يظهر قليلا ثم يـــضمحل.. وعاشوا وجهة نظر موسى، أفنينا سنينا كقصة، وقالوا ما قاله أيوب: أيامنا علـــى الأرض ظل، الإنسان مولود المرأة قليل الأيام، وشبعان تعباً.. يخـــرج كـــالذهر ثـــم ينحسم ويبرج كالظل ولا يقف.. ويخاطب الرب: إن كانت أيامـــه محـــدودة وعـــدد أشهره عندك ، وقد عينت أجلا فلا يتجاوزه فأقصر عنه ليـــسترح إلـــى أن يـــسر كالأجير بإنتهاء يومه (أيوب ١٤)..

أليس جهاد للإنسان على الأرض وكأيام الأجير أيامه، كما يتشوق العبد إلى الظل وكما يترجى الأجير أجرته هكذا تعين لى أشهر سوء وليالى شقاء قسمت لـــى، إذا إضطجعت أقول: متى أقوم ؟ الليل يطول وأشبع قلقاً حتى الصبح، أيامى أسرع مـــن الوشيعة وتنتهى بغير رجاء، أذكر إن حياتى إنما هى ريح وعينـــى لا تعـــود تـــرى خيراً، هذا هو ايوب وهو واقف على خط النار بعد تجربة مريرة فقد فيهـــا الولـــد والسند والبنت وحنانها، وكانت معه زوجته قلقة جاهلة لا تقبل التجربـــة الآتيـــة، والتى كادت خطوط النار أن تحرقها لولا صلوات أيوب..

لقد كان يخاطب الله ويقول: أخطأت.. ماذا أفعل لك يارقيب الناس ؟.. قد ذبت لا إلى الأبد أحيا.. كف عنى لأن أيامى نفخة، ما هو الإنسان حتى تعتبره وحتى تضع عليه قلبك وتتعهده كل صباح وكل لحظة تمتحنه، حتى متـــى لا تلتفـــت عنـــى ولا ترخينى ريثما أبلع ريقى ؟ (أيوب ٧).. وفى شوارع الخرطـــوم ومـــن كاتدرائيـــة العذراء كان شمامسة الكنيسة يرأسهم المعلم يرنمون وهم يحملون بساط الرحمـــة، المرء فى الدنيا خيال يسرى وينسخه الزوال، وإذا إرتضى رب الكمال زكت تجـــارة كسبه، وأضاف هؤلاء إلى الحياة معنى جديداً ليس إنها خيال فقط، إنما هى تجـــارة

عظيمة، التقوى مع القناعة تجارة عظيمة، نقصد الله الذى عندما تـربح تجارتنـا فضائلا جميلة وقيماً نبيلة وصبراً طويلا وحباً عميقاً يكـون هـذا ربحـاً لملكـوت السموات وهذا أعظم الأرباح..

برج وبحر: ويأت تشبيه الشاعر بأن الحياة برج يتطاول صاعداً نحـو الـسماء، وطير يحط وطير يطير، وهذا يعنى إن الإنسان يتطلع إلى الحياة بإعتبارهـا قمـة روحية، برج يتجه نحو السماء، وهكذا يختار أن تكون حياته فى شـموخ البـرج ويلجأ إلى الله ويتمسك بإسم الرب الذى هو برج حصين يـركض إليـه الـصديق ويتمنع..

والله برج خلاص لأبنائه، ونحن طير نحلق فى الـسماء، وهـل نقـدر الآن أن نحلق فى السماء ؟ إلا غذا تحررنا من ثقل العالم وأوزار الخطيئة.. والعـالم بحـر ونحن نمخر عباب هذا البحر، نحن سفين صغير ولكننا عندما نكون مـع الـرب لا نكون سفيناً حقيراً لأن الله عندنا يجعل الصغير ألفاً والحقير أمة قوية.. كـان أحـد الحكماء صياداً وعندما يبدأ رحلة جهاده ليتحصل صيداً بحرياً كان يقول: يـارب إن بحرك كبير وسفينى صغير، إحمى يارب سفينى الصغير حتى لا ينكسر قبل الميناء، وهذا رجاء للمساندة حتى يصل الإنسان إلى البر وقد حافظ على نفسه وحقق نجاح الوصول سليماً..

فالديانة الحقيقية المقبولة أمام الله أن يحفظ الإنسان نفسه بلا دنس فى العـالم.. وسوف يظل البحر بحراً غداراً هادراً فأحذروه، فلقد تطاول البحر فى رياح غريبـة هى " سونامى" قتل فيها كثيرون بسبب غدر البحر، وهكذا الدنيا إن لم نحافظ علـى أنفسنا تغدر بنا وتضيع منا نصيب الملكوت الذى أعد لنا والـذى نحتـاج إلـى أن نستعد له.. وعندئذ نموت موت الأبرار ونقول: لتمت نفسى موت الأبـرار ولـتكن آخرتى كأخرتهم (عدد ٢٣: ١٠).. ولنسمع قول شاعر يوصينا كيف نكون طيراً فى برج وسفيناً فى بحر وتقدم لآخرتنا ما ينفعنا :

قـدم لنفسـك خيـراً
وأنـت مالـك مالـك
مـن قبـل أن تتفانـى
ولـون حالـك حالـك
لـم تـدر نفسـك حقـاً
أى المسالـك سالـك

ونحن عالمون إننا طير سماوى يحلق فى سماء البر والخير، وسفين صغير تمخر عباب البحر نحو الأبدية السعيدة، وتستريح فى البرج كباراً وفى الميناء هدوءاً وسلاماً..

١٢٥. هل كان السيد المسيح سياسياً ؟

ما هى السياسة ؟: إن كلمة سياسة وسياسى يمكن أن يوضع لهما تعريف واسع أو ضيق، والسياسة بالمعنى الواسع تشير إلى حياة المدينة ومسئوليات المواطن، وهى تعنى بمحمل حياتنا فى المجتمع الإنسانى أى إن السياسة هنا هى فن العيش معاً فى جماعة، أما التعريف الأضيق فالسياسة هى علم الحكم وتعنى بتطوير وتبنى سياسات معينة بقصد جعلها قانوناً.. وأمام هذا التفريق لنا أن نتساءل عما إذا كان السيد المسيح قد إنخرط فى السياسة أم لا ، حسب المعنى الضيق للسياسة ؟..

لم يكن يسوع منخرطاً فى السياسة ولم يتبن برنامجاً سياسياً أو ينظم إحتجاجاً له صيغة سياسية ، ولم ينظم حزباً سياسياً، بل إنه لم يحاول أن يؤثر فى سياسات قيصر أو بيلاطس أو هيرودس، بل بالعكس إنه رفض أن يكرّس حياته للسياسة إلا إنه بالمعنى الآخر الأوسع للسياسة بإعتبارها فن العيش معاً فى جماعة فإن حياة السيد المسيح كانت كلها سياسة فى سياسة لأنه إنما جاء إلى العالم ليشارك فى حياة الجماعة الإنسانية، كما أرسل أتباعه إلى العالم ليفعلوا الشىء نفسه، علاوة على أن ملكوت الله الذى نادى به ودشنه كان بصورة جذرية منظمة إجتماعية مختلف وجديدة تحدث الجماعة القديمة الساقطة بمعاييرها وقيمها، ومن هذه الناحية كانت لتعاليم يسوع مضامين سياسية ، ومن ثم قدمت بديلا للوضع الراهن بل إن مُلكه إعتبر لمُلك قيصر، ولهذا إتهم بالتحريض على الفتنة..

وعلى مستوى الحياة هناك ملامح للنشاط الإجتماعى وهو من مهام المبادىء المسيحية تربطه بالنشاط السياسى والفصل بين ما هو إجتماعى وما هو سياسى، يبدو متعذراً حيث تتعذر مثلا إعانة المحتاجين دون نشاط سياسى، فالسامرى الصالح يهتم فعلا بالطريح الجريح الملقى على الأرض بسبب هجمات اللصوص، ولكن هذا لا يصرف النظر عن الحاجة إلى سن قوانين تزيل السطو المسلح، وإذا إستمرت الحوادث فى الوقوع عند تقاطع بعض الطرقات فلن تحل المشكلة بالمزيد من عربات الإسعاف بل تركيب إشارات ضوئية تمنع وقوع الحوادث..

إن إطعام الجياع أمر حسن دائماً ولكن الأحسن منه هو أن نتمكن من إستئصال الجوع، وهكذا إذا كنا نحب أقربائنا ونريد خدمتهم فلن تستطيع ذلك دون إتخاذ عمل سياسى من أجلهم.. ويرى اللاهوتى " جون ستوت" فى كتابه " المسيحية والقضايا المعاصرة" إنه لا داعى لهذا العداء لفكرة إنخراط الكنيسة فى السياسة وإن مجموعة محاضرات ريث عن المسيحية والنظام العالمى لم تنكر إن للتعاليم الكتابية نتائج إجتماعية وسياسية وإن محبة الله سوف تدفع المسيحيين إلى الإنخراط فى عمل إجتماعى وإقتصادى وسياسى مشترك، ولكن لا يمكن أن نضع المسيحية فى سجن السياسة ، ولا يمكن تقليص المسيحية لكى تصبح برنامجاً سياسياً أو إعتبارها مطابقة لبرنامج سياسى لأن المسيحية أكبر وأوسع وأشمل من السياسة، وهناك محاذير ينبغى مراعاتها، فالمؤسسة الدينية ينبغى أن تكون حذرة جداً حتى لا تضيع المبادىء الروحية فى خضم السياسة وبحورها الجريئة التى تقصف بالمبادىء الروحية، وتبدو كثيراً غير ملتزمة بالأخلاق المسيحية..

المشاركة السياسية: ومطلوب أن نميز بين المسيحيين كأفراد وبين الجماعات والكنائس المسيحية، وبينما هناك تحفظ عند اللاهوتيين نحو الكنيسة والسياسة فإنه على المستوى الفردى هناك مناداة واضحة بأن المسيحى ملزم كفرد أن يمارس نشاطه السياسى فهو مواطن صاحب ضمير حى وعليه المشاركة والإدلاء بصوته فى الإنتخابات والإطلاع على القضايا المعاصرة والمشاركة فى النقاش العام والكتابة فى الصحف والتأثير على الممثل البرلمانى والدخول إلى البرلمان لأجل إستماع صوت ضميره لرجال الدولة والإشتراك فى الإعراب عن الإحتجاج عندما تدعو الضرورة لذلك، ولا مانع أبداً من أن يكرّس بعض الأفراد حياتهم للخدمة السياسية فى الإدارة المحلية والحكومة، بل ويرى بعض رجال اللاهوت إنه ينبغى تشجيع المسيحيين الملتزمين بأخلاقيات إجتماعية معينة أن يشكلوا مجموعات، أو أن ينضموا إلى مجموعات تدرس القضايا على مستوى أعمق وتتخذ الإجراء المناسب ولا مانع من أن تكون هذه المجموعات أحزاب سياسية تضم كل أبناء الوطن على إختلاف أديانهم..

وعلى مستوى السودان فإن الكنائس ليس لها إنخراط فى السياسة ولكنها لا تمنع أبنائها من المشاركة السياسية ولا تفرض عليهم حزباً معيناً، وعلى مستوى الكنيسة القبطية فإن هناك عدة محاضرات تقام فى الكنائس وتطالب الأقباط بالمشاركة السياسية والتى تعتبرها أساسية فلا يمكن أن نقضى أعمارنا على الأرض نشكو من النظم السياسية دون أن نعطى صوتنا ونشارك، ويمكن خلال التواجد داخل الأحزاب السياسية أن تقدم الخلاص من الإستبداد والظلم بواسطة

مشاركتنا السياسية، أما الكنيسة فيفضل أن تبقى مؤسسة روحية ملتزمة بمبادىء الإنجيل، وعندما تستنتج الكنيسة أن الإيمان المسيحى أو البر يتطلبان منها موقفاً علنياً من قضية ما فينبغى عليها أن تطيع كلمة الله وتثق من ناحية النتائج حتى تكون الكنيسة صاحبة رأى إنجيلى ينير طريق الحياة الإجتماعية والسياسية..

١٢٦. الكون عدد ونغم

التعبير الموسيقى: إن الموسيقى هى ألصق الفنون بأعماق الذات الإنسانية، وتتسم الموسيقى بصفتين هما: الإستقلال والعمومية، لقد بلغ فن الموسيقى حداً من الإستقلال جعل له كياناً قائماً بذاته ويستحيل أن يرد إلى غيره، فبينما نجد الشعر قابلا لأن يفهم إذا ترجم إلى لغة أخرى هى لغة النثر، وبينما نجد الفنون المقلدة تفهم بالرجوع إلى الأصول التى تقلدها نجد ان الموسيقى لا تقبل أن تترجم إلى لغة أخرى لأنها مستقلة، ولأنها لغة يفهمها العالم كله رغم تعدد اللغات..

إن تجربة الموسيقى تجربة لا نظير لها ، وتذوقها يتم عن طريق عملية فريدة لا تفهم إلا من خلال سياقها الداخلى وحده والإنفعال الذى تثيره الموسيقى يستحيل أن يعبر عنه بلغة أخرى أو بوسيلة أخرى من وسائل التعبير، ولا يمكن تصوره إلا بسماع هذه الموسيقى ذاتها، ومن هنا قيل: إن الموسيقى لغة مستقلة مكتفية بذاتها، وصفة العمومية ترجع إلى أن الفن الموسيقى مستقل ويستحيل على الموسيقى أن تقدم وصفاً مباشراً لأى موضوع خاص، وإنما تصور دائماً إنفعالات وأحاسيس عامة ، ومهما حاول المرء أن يأتى بروابط بين المؤلفات الموسيقية وبين موضوعات معينة، فلابد أن نعترف بأن الموسيقى لا تصور فى هذه الموضوعات جوانبها الجزئية، إنما تعبر عن الأوجه العامة فيها والذى لاشك فيه إن الفنون الأخرى أقدر على تصوير الخصوصيات والجزئيات من الموسيقى..

وقديماً قال أتباع " فيثاغورس" : إن الكون عدد ونغم..العدد هو الكم، والنغم هو الكيف، ويرى " شوبنهاور": إن كل النوازع والخلجات التى تنتاب الإرادة وكل ما يجرى فى باطن الإنسان ويطلق عليه العقل إسماً سلبياً خاصاً هو الشعور، كل ذلك يجد خير تعبير عنه فى الألحان التى لا تتناهى إمكانياتها ولكن ذلك التعبير فى عموميته أشبه بالصورة الخالصة التى تجردت عن كل مادة، فهو يعبر عن الشىء فى ذاته لا مجرد الظواهر.. من تلك الصلة الوثيقة بين الموسيقى وبين الماهية الحقيقية لكل شىء يتضح لنا إنه إذا عبّرت الموسيقى تعبيراً ملائماً عن منظر أو

سلوك أو جو أو حادث فإن كلا من هؤلاء يتبدى لنا ويبين معناه الباطن أمامنا بوضوح، وبهذا تكون الموسيقى خير شارح له ومن يتجاوب لتأثير الموسيقى يرى كل أحداث العالم والحياة فى ذاتها..

إن الموسيقى تختلف عن كل ما عداها من الفنون فى إنها ليست صورة مقلدة للمظاهر، وإنما هى صورة مباشرة للإرادة ذاتها، وعلى ذلك فكما يمكن تسمية العالم إرادة متجسدة كذلك يمكن تسميته موسيقى متجسدة، لقد إهتدى شوبنهاور إلى الإرادة فى الكون عن طريق الموسيقى والتى هى صالحة كفهم الطبيعة الكامنة فى العالم، فالموسيقى فن إنسانى مرتبط بحياة الإنسان وصراعه..

الحفاظ على الموسيقى: وقد يبدو من هذا الكلام الفلسفى عن الموسيقى إنه من الصعب الحفاظ عليها، لقد وضعت الكنيسة القبطية كل روحانياتها فى الألحان القبطية، ويُعد الحفاظ على هذه الألحان حتى الآن وبقاؤها راسخة آلاف السنين إحدى معجزات الزمان، والمعجزة هنا هى معجزة التسليم أو التواتر بين الأجيال أو التقليد الشفاهى، وهذا جعل هذه الألحان هى نفسها الألحان القديمة رغم عدم وجود مسجلات للصوت، ورغم عدم وجود علم التدوين الموسيقى والذى يرجع فقط إلى القرن التاسع الميلادى فى أوربا فيما يشبه رموز الإختزال كالنقطة والشرطة المنحنية يميناً أو يساراً والفاصلة التى كانت توضع فوق ألفاظ الشعر لتذكير المغنى بإتجاه النغمات من جهة صعودها وهبوطها للحن الذى يعرفه من قبل..

ولكن الكنيسة القبطية لديها إصرار قديم للحفاظ على كل ما تسلمته منذ الأيام القديمة، ويرى جورج كيرلس عاشق الألحان القبطية: إن العرفان جمع عريف أو المرتلين جمع مرتل هم الذين تمكنوا من تخزين كل هذه اللحان فى الذاكرة رغم إختلاف طرائقها وتعدد مناسباتها، ورغم تباعد المناسبات زمنياً حتى أن بعض هذه اللحان يقال مرة واحدة فى السنة، وصارت توجد فى كل جيل من يستطيع أن يتسلم ومن يستطيع أن يُسلم هذه الألحان، ولأنها ألحان روحية فإن روح الله هو الذى ساعد على بقاء هذه الألحان..

ومنذ قدماء المصريين كان تفضيل الكفيف لكى يكون مغنياً وكانوا وكانوا يضعون أيديهم على وجناتهم أثناء الآداء الموسيقى مثلما يصنع هذا الآن مرتل القرآن الكريم، ولقد إستعانت الكنيسة القبطية بالمكفوفين فى تسليم وتسلم هذه الألحان جيلا بعد جيل، وذلك لتمتعهم بذاكرة قوية وقدرة شديدة على التركيز، وإمكانية فائقة فى تخيل النغمات والأشكال الإيقاعية التى أطلق عليها الهزات، ونحن ما زلنا حتى الآن نغمض أعيننا من أجل التذكر أو التركيز..

وكان العرفان يسلمون الألحان وكانوا يقومون بمهمـة تعلـيم الـصغار فـى الكتاتيب، ولا تخل مذكرات مؤرخ أو أديب من الحديث عن المعلم، والكتـاب مثـل حديث يوسف ميخائيل عن الكتاب وعن العقاب فيه، وكيف كان الردع قاسياً.. وكان يتم إختيار العريف بعناية شديدة، فليس كل كفيف يصلح عريفاً، إنما كانـت تختبـر قدرته على الآداء الصوتى السليم للنغمات والأشكال الإيقاعية..

وصار لكل كنيسة مرتل خاص بها، من مهامـه تحفـيظ الألحـان لمجموعـة الشمامسة والترتيل فى القداسات والتسبحة والصلوات المختلفـة، حيـث يـصطف الشمامسة فى إثنين من الخوارس بحرى وقبلى ويقوم بدور المايـسترو، والـذى بإشارات دقيقة بيده يحدد السرعة المناسـبة للحـن، وكـذلك مواضـع البـدايات والنهايات للألحان، ويحمل الناقوس أو الدف، ويحمـل شـماس المثلـث والـدف، والمثلث آلات موسيقية ترجع إلى أيام الفراعنة..

١٢٧. عمر الخيام ورباعياته

عمر الخيام: عاش عمر الخيام ما يقرب من قرن كامل حيث ولد فى عام ١٠٢٥م فى نيسابور ببلاد الفرس، ورحل إلى العالم الآخر فى عام ١١٢٣م وهـو شـاعر إيرانى عاش فى إيران، وهو مؤلف ومفكر حر، وقد يكون إسمه مأخوذ من صـنعة أبيه الذى كان صانع خيام، ولقد كان لصناعة الخيام فى شعره مكاناً ومكانة، حتـى إن البعض إعتقدوا إنه سُمى الخيّام لأنه قال :

وقـع الخيّـام الـذى كـان يخيـط خيـم الحكمة
فـــى كـــور الغـم وإحتــرق فجــأة
وقـــد قطـع مقـراض الأجـل أطنـاب عمـره
وباعـــه دلال الأمـــل رخيصـــاً

ولكن لماذا لا يكون فعلا إبن خيام وصانع خيام ؟ وقد كانت هذه مهنة مهمة فى كل البلدان، وقد كان بولس الرسول صانع خيام وعندما ذهب إلى مدينة كورنثـوس تعرف على أكيلا وبريسكلا وهما زميلان فى المهنة، ولقد عرفا بولس الصانع رجل الأعمال الذى يأكل من تعب يديه ويقول: حاجاتى وحاجات الـذين معـى خـدمتهما هاتان اليدان، ويقول جون فوستر: أى نوع من الناس كان بولس هذا صانع الخيام

؟، مرات أشعر بأنى لو كنت معاصراً له، وفى حاجة إلى خيمة متينة، ومصنوعة على أجمل ما تكون عليه الصناعة لحاولت أن أجد واحدة صنعها هذا الرجل بولس، ولكن لماذا أقول هذا ؟ إنى أقوله متأثراً بعبارة قالها : فإن كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئاً فلإفعلوا كل شيء لمجد الله، وإن كان هذا هو شعار الرجل فلابد أن يكون ما يصنعه مجيداً وهو ما أرغب فى شرائه..

كانت أكبر عظة لبولس نفسه، ولقد كان هو الوحيد الذى شبّه الحياة كلها بخيمة كدليل على عدم الإستقرار، وشبّه الأبدية ببيت نجد فيه مستقراً عندما قال: لأننا نعلم إنه إن نقض بيت خيمتنا الأرضى فلنا فى السموات بناء من الله بيت غير مصنوع بيد أبدى، فإننا فى هذه أيضا نئن مشتاقين إلى أن نلبس فوقها مسكننا الذى من السماء وإن كنا لابسين لا نوجد عراة، فإننا نحن الذين فى الخيمة نئن مثقلين إذ لسنا نريد أن نخلعها بل أن نلبس فوقها لكى يبتلع المائت من الحياة.. وقد كان بولس من أسرة غنية ثرية، ولكنه تعلم صناعة الخيام بإعتبارها صناعة فى اليد وضمان للمستقبل، وقد إستفاد بهذه الصناعة والتى كان يصرف منها على إحتياجاته وإحتياجات تلاميذه فى خدمة مبادىء السيد المسيح السامية..

رباعيات الخيّام: ولعمر الخيّام خمسمائة قصيدة هى أربعة أبيات لكل قافية، وكأنها دوباى على الطريقة السودانية، وقد أدخلت الرباعيات لأول مرة فى الشعر الفارسى بمبادرة الشيخ أبو سعيد بن أبى الخير للتعبير عن المعانى الدقيقة للتصوف، ولكن رباعيات الخيّام تقدم فكراً تحررياً يحتج بأعلى صوت على ضيق الأفق والأنانية، وقد سخّر بذكاء من المذهب الباطنى اللاعقلانى ولكنه يمثل الصوفية الحكيمة، وقد وصفه البعض بأنه فولتير الشرق بسبب حكمته الصافية الصادقة، ولسانه الذرب وسخريته المدمرة من رجل الدين الجاهل وتعاطفه الإجتماعى مع المعذبين فى الأرض..

وقد ترجمت رباعيات الخيّام إلى لغات عديدة، ولقد رفض الخيّام أن يكون موظفاً فى البلاط الملكى، وهو فى الأصل عالم فى الجبر والرياضيات، حتى إن السلطان مالك شاة إستدعاه عام ١٠٧٤م لكى ينشىء المراض الفلكية على نطاق واسع، وساعده وسانده فى جهوده لمراجعة وإصلاح التقويم التاريخى، ولعمر الخيّام رباعيات عن " القدر الغادر" وعن " إن الإنسان مخلوق من تراب" ويقول عن الدهر إنه لعاب شطرنج :

دهرنا لعاب شطرنج الدمار
لوحة لونان ليل ونهار
وأخاف اللوح شيباً وصغار

ثـــم أرداهـــا وأوعاهـــا الرجـــام

أما عن الحياة والموت فإن عمر الخيّام يرى: إن كل حى سوف يتــرك الــدنيا مرغماً كما أتى إليها بدون إرادته، ويذكر الإنسان بأنه مصنوع من طــين حتــى لا يتكبر ولا يختال ماشياً على رفات العباد، وتخاطب طينة الخــزف الإنــسان عنــدما يلطمها أثناء صناعتها وتقول له : أنت مثلى لا تكن فظاً غليظاً :

هاتهــا صرفــاً سلافــاً مثلمـــا
نحتســى صــاب الـــردى والعلقمـــا
كــل حـــى ســوف يثـــوى مرغمـــا
حيـــث لا كـــاس ولا طـــاس ولا
عـــازف للشـــرب مثقـــوب اليـــراع

ثم يتحدث عن الخزاف والخزف وحديث طينة الخزف إليه :

طفـــت يومـــاً حـــول خـــزّاف لبـــق
يصنـــع الأثـــواب مـــن طيـــن لثـــق
لطمـــتُ كفـــاه فـــى عنـــف نـــزق
طينـــة فإسترحمتـــه وجـــلا :
أنـــت مثلـــى لا تكـــن فـــظ الطبـــاع..

وعمر الخيّام صاحب فلسفة تدعو إلى هجر الغرور وإعتزال الدنيا التى تــدور وكأنه يقول: باطل الأباطيل الكل باطل وقبض الريح :

فأمــض بـــى ولنعتـــزل عيـــش الغـــرور
ودع الدنيـــا بأهليهـــا تـــــدور
والـــه عـــن صاحـــب تـــاج وسريـــر
فاليقيـــن الراســـخ مـــا عـــداه إنتحـــال
كـــل ورد فـــى الحديقـــة سيمـــوت

وكأنه يقول ما قاله أيوب : الإنسان مولود المرأة قليل الأيــام وشــبعان تعــب، يخرج كالزهر ثم ينحسم وتبرح كالظل ولا يقــف (أيــوب ١٤:١).. أو كمــا فــى

المزمور : ترجع الإنسان إلى الغبار وتقول: أرجعوا يابنى آدم جرفتهم كسنة يكونون بالغداة كعشب يزول، أما أشعياء فيرى : إن كل جسد كعشب وكل جماله كزهر الحقل، ييبس العشب وذبل الزهر لأن نفحة الرب هبت عليه (أشعياء ٤٠:٦)..

كم بذرنا حكمة الفكر البصر
وسقيناها حيا العقل الغزير
ما جذينا غير بهتان وزور
ما علمنا غير أنا فى الملا
شعل البرق خبث بعد التماع

أما لب الرباعيات فتأتى فى إعتراف الخيّام إنه لم يستطع حل مشاكل الحياة وعلى الأخص ما بعد الحياة :

من ضمير الأرض عقلى نجما
وإرتقى حتى تذرى الأنجما
كم وكم من مشكل حلّ وما
حلّ من عيش وموت مشكلا
دون ذاك العيب مسدول الجناح..

١٢٨. من السجن إلى عرش السلام

أورهان باموق: تحت عنوان " من السجن إلى جائزة نوبل" كان حديث مجلة العربى يناير ٢٠٠٧م.. وباموق هو أديب تركى شق طريقه إلى الكتابة ونجح نجاحاً باهراً ووصل إلى شهرة كبيرة.. وكانت روايته " ثلج" والتى تصور إحدى المدن التركية التى بحسب تصوره الأدبى إنعزلت عن تركيا بسبب الثلج، ثم حدث فيها إنقلاب عسكرى ، والقصة هى قصة حب، وقصة إثارة سياسية، وتصور شاعراً يزور مدينة بعيدة فى شرق تركيا بذريعة إنه فى مهمة صحفية ويعكس فيها ظروفه السياسية، فلقد قبض على باموق وتعرض لعذابات وآلامات، رواية" ثلج" كانت سبباً فى المشاكل وكانت رسماً لآلامه..

وكان لباموق رأى فى الحرب ضد الأكراد وإعتقدت الحكومة إنه مخرج ومنتج للإنقلاب العسكرى وأودع فى السجن، ولكن أعلنت الأكاديمية السويدية فى الثانى عشر من شهر أكتوبر ٢٠٠٦م فوز هذا الكاتب التركى بجائزة نوبل فى الآداب لذلك العام، وبهذا يكون قد خرج من السجن إلى عرش السلام.. فى عام ١٩٩٤م وفى مختلف أنحاء إسطنبول خرجت لوحات تحمل هذه الكلمات " قرأت ذات يوم كتاباً فتغيرت حياتى كلها " وكانت هذه دعاية لكتاب باموق " الحياة الجديدة" وأذكر إن أحد الوثنيين منع جواداً عنده من أكل ورق من أوراق الكتاب المقدس خشية أن يتحول الجواد إلى كائن وديع ولا يقدر أن يقوم بمهمته..

وكانت كل روايات باموق تتسم بالحيوية، وقد إزدادت مبيعات هذه الروايات ورغم إن بعض النقاد لكى يطفئوا الفرحة بزيادة التوزيع قالوا: ربما كتب باموق تباع أكثر مما تقرأ، وهذا نقد حسود مؤلم، ربما ساعد على شهرته أكثر، وقد كان قد رسم له أن يصير مهندساً ولكنه أعلن: إنه لن يذهب إلى مدرسة الهندسة بل سوف يكتب روايات.. وباموق من مواليد إسطنبول ١٩٥٢م وقد ولد وفى فمه ملعقة من ذهب فى وسط غنى وله مكانته..

وكونه يكتب فى تركيا فإن هذا نجاح باهر لأنه يقول: إن تنشر فى إنجلترا وأمريكا بخمس وثلاثين لغة لهو أمر سهل مقارنة بالمرة الأولى للنشر فى تركيا.. وكان واعياً بتركيته، وعندما كتب ضد الحرب سُمى مرتداً، ورغم هذا أهدته الحكومة غصن زيتون مع وسام الدولة للفنون، ولكنه رفض قائلا: إن قبلت غصن الزيتون من الدولة فلن يمكننى أن أنظر فى وجوه البشر الذين يعنينى أمرهم.. ويرى أدباء آخرون : إن باموق فى رواية " الحياة الجديدة" لديه ذكاء هادىء وزخرفة مليئة بالحيوية، ولأديبنا التركى سبع روايات ترجمت إلى اللغة العربية هى: جودت بيه وأبناؤه، المنزل الهادىء، القلعة البيضاء، الكتاب الأسود، الحياة الجديدة، ثلج، وله كتاب فى الذكريات بعنوان " إسطنبول" وإسمى أحمر، وقد كان هو نفسه قارئاً إستثنائياً للروايات الكلاسيكية الفرنسية، والإنجليزية، والروسية منذ طفولته..

من السجن إلى العرش: وذكرتنى قصة باموق بما حدث للقديس الشاب يوسف الصديق الذى إنتقل فى طرفة من السجن إلى العرش، لقد وبخه أبوه بسبب أحلامه ولكن فرعون وفى الوقت المناسب أكرمه وجعله ثانياً له وقلده منصب رئيس الوزراء لتنفيذ سياسته وإستراتيجية فى معالجة الأزمة الإقتصادية التى كان من الممكن أن تتحول إلى مجاعة لمدة سبع سنوات، يوسف إحتقره إخوته ولكنه أفسح له المجال لكى يصاهر أعظم كهنة العالم، وحاول كثيرون كسب وده عندما صار

أقوى سلطة فى البلاد، واليدان اللتان كانتا تشقيان فى الخدمة كعبد إزدانتا بالخـــاتم الملكى ، والقدمان لم تعودا تعذبان بالقيود، وعلقت حول عنقـــه سلـــسلة ذهبيـــة ، والقميص الملّون الذى نزع عنه بقسوة ولطخ بالدماء، والثوب الذى تركه فى يدى الزانية ، إستبدلا بأفخر الثياب الملكية..

إن يوسف يوماً ما ولأجل الله قاوم تجربة واحدة ورفض نداء الشهوة ، ولو كان قد تجاوب لما كان قد تكلل بالمجد والكرامة، ولما كانت له فرصة لكى تكون حياتـــه نافعة ومثمرة.. وما كان رأى وجوه الأب والإخوة العزيزين، وما كـــان قـــد ظفـــر ببركاتهم الغزيرة.. إنه كان ثابتاً أمام التجربة طالباً ملكوت الله وبره، حارماً ذاتـــه من اللذات الوقتية من أجل محصول القناعة البعيـــد المـــدى، مكرمـــاً لله بإطاعـــة وصاياه، ولهذا رفعه الله ليرث الأرض كقول المزمور: إنتظر الرب وإحفظ طريقـــه فيرفعك لترث الأرض (مزمور ٣٧).. وهذا هو الرب الذى يعطى نعمـــة لمحبيـــه فيتجاوب معهم.. الرب يميت ويحيى، يهبط إلى الهاوية ويصعد، الرب يفقر ويغنى، يضع ويرفع، يقيم المسكين من التراب، يرفع الفقير مـــن المزبلـــة للجلـــوس مـــع الشرفاء ويملكهم كرسى المجد، (صموئيل الأول ٢)..

كان يوسف يوماً فى ثياب مهلهلة فى السجن، ولكنه اليوم يسير أمامـــه مناديـــاً ينادى لكى يسجد أمامه كل من يمر بمركبته لأنه لا يوجد أرفـــع منـــه مـــستوى إلا الملك.. وهو يستحق هذا الإكرام.. لقد حمل يوسف إسماً جديـــداً فرعونيـــاً هـــو " صفنات فعنيخ" ولقد فسّر شامبليون معنى الإسم بأنه " الله يتكلم".. أو من يتكلم إليه الله، ويرى البعض إن معنى الإسم " واهب الغذاء للعالم أو كاشف الأسرار ".. كـــان الله له مكانة فى حياة يوسف، وعندما قال لموظف الدولة السجين معـــه: أذكرنـــى حينما يصير لك خير لم يرض كثيرون عن هذا حتى إن الأدب الإسلامى يقـــول : إن يوسف حول الله سجنه إلى جنة فيحاء تتوسطها نافورة وعلى بابها شجرة وارفـــة الظلال، تثمر ثماراً شهية، ولكنه عندما طلب من رئيس السقاة أن يـــذكره وكأنـــه إعتمد على معونة إنسان ضعيف فإن النافورة تحطمت والشجرة ذبلت..

لقد وصل يوسف لأنه كان مع الله إلى ذروة المجد، وهذا لم يكن فجائياً إنما كان بسبب مواصلة السعى نهاراً وليلاً، ونحن عندما نستمر فى جهادنـــا نـــرى طريـــق المجد، وعندما نتكاسل يضيع منا الطريق ونكون آداة فى يد عدو الخير، ننتقد نجاح الآخرين ونقف فى محطة الفشل، ولكن الله يضع أمامنا طريق النجاح..

١٢٩. نعـــم... ولكـــن

لقاء الأدباء: يحكى إنه عندما ذهب الأديبان العظيمان ماكسيم جوركى، وتشيخوف لمقابلة الأديب تولستوى، إتفق الإثنان على الموضوعات التـــى يناقــشانه فيهــا.. ولقياه ساعات وخرجا، وأمام القصر الــذى يقطنـــه تولــستوى وقــف الــرجلان يتساءلان: هل صحيح ما قاله ؟ فأجاب جوركى: إنه أكبر ممــا تــصورت.. وقــال تشيخوف: وأكثر إنسانية، وأضاف ولكنه.. وهنا إستعجل جوركى قائلا: لا تحــاول أن تفسد هذه المعانى الجميلة التى إستقرت فى نفسى ، دعنى سعيداً حتـــى الغــد.. وفعلا تركه رفيقه سعيداً حتى الغد.. ولا يهمنا ماذا حدث فى غدهما، ولكـــن الـــذى يهمنا هنا هو إن كلمة " لكن" كانت هى التى سوف تفسد المعانى الجميلة، وهذا هو أسلوبنا..

يتحدث أحدنا عن شخص ما وإن له إمتيازات كثيرة تحوز الإعجاب، ويـــاتى رد الآخر : نعم إنه هكذا.. ولكن.. وبعد ولكن يأتى كلام لا لزوم لأنه تشريح للآخـــر.. فهو مثلا لبق وممتاز ولكنه بخيل، وهو كما يقولون: طيب طيب ولكن.. إنها فتـــاة جميلة ومؤدبة ومهذبة ولكن.. عندها كبرياء غريب، أعتقد إننا نحتاج إلى مراجعة كلماتنا وإلى إستعمال كلمة ولكن بطريقة أخرى.. لا تنقص من مكانة الاخر، إنمـــا تزيده مكانة أرفع فى قلوبنا، وهنا أذكر موقف يوحنا المعمدان من السيد المسيح.. معروف أن السيد المسيح هو المسيا المنتظر والذى فيـــه تجمعـــت كـــل الـــرؤى الروحية، والذى إليه تطلعت كل الأجيال..

وكان يوحنا المعمدان رسالته محددة وهى أن يمهد الطريق أمام السيد المسيح، يخفض الآكمة العالية، ويرفع المواقع المنخفضة ويسوى الطريق أمام يسوع، كان المعمدان يعرف رسالته ويعرف قدر نفسه، ولذلك عندما قالوا له فى وشاية ناعمة الملمس خبيثة الكلمات وبعد مؤتمر لمناقشة التطهير وبقلوب غير طاهرة قالوا له: يامعلم هوذا الذى كان معك فى عبر الأردن الذى أنت قد شهدت لـــه ، هـــو يعّمـــد والجميع يأتون إليه.. وكأنهم يريدون أن يقولوا له : هوذا الذى علمته الرماية، لما إشتد ساعده رماك، ولكن المعمدان كان قوياً، لم تهزه الكلمات فهو لـــيس عـــصافة تهزها رياح الشر..

وكانت إجابته: ينبغى أن ذلك يزيد ولكن أنا أنقص، طلب الزيادة للمعلم والنقص له، ولم يسقط فى الحفرة التى حفروها له، وقال: إنه صديق العريس.. وإن المسيح هو العريس، وإن فرحه قد كمُل لأن العريس إلتقى بالعروس، والعروس رمز إلـــى

النفس البشرية التواقة إلى الحياة مع المسيح.. ورمز إلى الكنيسة التى مات المسيح لأجلها، ولأجل أن تحيا مرفوعة الراية والكرامة..

نعم ولكن : هناك إستعمال جيد لكلمة " ولكن".. إستعمال يرتفع بمستوى الكلام إلى قمة الإنتصار، وهذه بعض تعبيرات جديدة عن " ولكن" الجديدة التى أرجو أن نستعملها:

١. يحكى فى الأدب الإسلامى إن السيد المسيح مرّ ومعه تلاميذه فى موكب مهيب، وفى وسط الشارع رأى الجميل كلباً قد مات، وبعد هذا بدأت التعليقات، هذا يقول: لقد قتلته العربة، وآخر يقول: إن رائحته ظهرت.. وثالث يقول: يبدو إن هذا إنتقاماً منه فهو كلب مشاغب.. وهكذا أما السيد المسيح فقال: ولكن أسنانه بيضاء..

٢. قال السيد المسيح قبل رحيله إلى السماء لتلاميذه الحواريون: فى العالم سيكون لكم ضيق، ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم..

٣. ويستعمل بولس الرسول كلمة " ولكن" عدة مرات فى محاولة روحية لإستعمال الكلمة إستعمالا جيداً فهو يقول: ولكن لنا هذا الكنز فى آوان خزفية ليكون فضل القوة لله ليس منا.. مكتئبين فى كل شىء لكن غير متضايقين، متحيرين لكن غير يائسين.. مضطهدين لكن غير متروكين، مطروحين لكن غير هالكين (٢ كورنثوس ٤)..

وبعد أحبائى.. هل تقبلون هذه الفكرة الروحية وتستعملون كلمة " ولكن" إستعمالا روحياً وتتحرروا من ما بعد " ولكن" من تعليقات غير مقبولة، وترتفعوا مع ولكن نحو آفاق روحية تسمو بكلماتنا ؟..

١٣٠. وهبة إبراهيم سجين ثورة ١٩٢٤م

عزيز أندراوس: كنت أعلم أن أقباط السودان كان لهم دوراً كبيراً فى ثورة ١٩٢٤م.. وكنت ما زلت أريد أن اتعرف على أسماء هؤلاء المشاركين فى ثورة الوطن، قالوا لى: إن أسماءهم مكتوبة فى حجرة مدير سجن كوبر وعلى الحائط، وكثيراً ما زرت هذا السجن ولكننى لم أجد ما قالوا.. وأخيراً وقعت تحت يدى مذكرات عزيز أندراوس الشاعر الذى كتب عدة دواوين يتألق بينها " الشاطىء المهجور" " وليالى الشاطىء المهجور"..

وعندما قرأت مذكراته والتى قدمتها لى إبنته مارلين عزيز كما كتب هو إسمها فى مذكراته شعرت بإعتزاز عزيز بثورة ١٩٢٤م، وتحت عنوان " شريفة بنت بلال" كتب بخط يده، وله خط جميل واضح : فى عام ١٩٢٤م وهو العام الذى إندلعت فيه الثورة الرابعة منذ ثورة محمد أحمد المهدى، وثورة ود حبوبة، وثورة السلطان على دينار، لم أكن فى ذلك الحين قد تجاوزت غير بضعة أعوام- وهو طبعاً وبحسب وثيقة مدارس كمبونى من مواليد ١٦ أكتوبر ١٩١٤..

ومن الطبيعى أن لا أكون قد أدركتُ كثيراً مما حملت تلك الثورة من معانى كبيرة سوى شىء واحد أحسست به بغريزتى على الفور- ذلك الشىء هو حقيقة سيطرة الإنجليز بقوة الغزو على مقدرات بلادنا والتحكم فى رقاب مواطنينا بما لا تدع مجالا للشك فى إنهم لكى يحولوا بيننا وبين الحرية لا يستنكفون من أن يقيموا المشانق فى الساحات العامة لكل من تحدثه نفسه أو يدفعه حماسه لوطنه أو غيرته عليه لإسترداد هذه الحرية السلبية التى قال فيها " جان بول سارتر" : ليس هناك من بلاغة بالغة سوى واحدة هى الدفاع عن الحرية..

وكما قال جورج صاند يوماً : الحرية هى صناعتى، وكما أبدع رومان رولان أيض بقوله مخاطباً إياها: أيتها الحرية كم من الجرائم تُرتكب بإسمك.. ومن تلك الجرائم ذلك الحكم الجائر الذى صُدر من السلطة العسكرية البريطانية فى نوفمبر ١٩٢٤م لإبعاد شيخ من شيوخ الخرطوم وأعيانها، وهو أحد المسئولين فى ذلك الحين عن ورشة الترام إلى مصر فوراً، بل وفى خلال سبعة أيام من تاريخ ذلك الحكم المشئوم، فى الوقت الذى لم يكن فيه طرفاً فى هذه القضية بحكم سنه إلا بقدر ما كان للخلصاء من المواطنين الذين كانوا يشغفون على مصير أبنائهم وأرضهم التى تدوسها نعال الإنجليز فى صلف وكبرياء وتغتصبها بقوة السلاح والرماح وهم لا حول لهم ولا قوة لهم إلا بالله..

ولم يكن هناك ثمة مناص من مغادرته البلاد التى ولد فيها كما ولد أبوه وجده.. ونشأ وترعرع بين ظهرانيها، فوق أديمها وتحت سمائها.. ولكن تدخل القدر فى اللحظات الأخيرة وأوقف الأمر بعد أن توصلوا إلى أن ما أشيع عنه كان دسيسة..

وهبة إبراهيم : ويستمر عزيز أندراوس فى ذكرياته عن رؤيته مصادفة شريفة بنت بلال.. ويقول : وأن أنسى لا أنسى تلك الأمسية المتألقة بالنجوم التى خرج فيها " وهبة إبراهيم خليل " من سجن كوبر بعد أن أقام فيه سنتين عجفاويتين طويلتين أمضاها خالى هناك مع رهط من زملائه الثوار الذين أدانتهم السلطة العسكرية الإنجليزية.. وكنت قد رأيته مرة واحدة أثناء محاكمتهم بمبنى مديرية الخرطوم قادمين جميعاً على ظهر شاحنة هائلة بملابس السجن العتيقة، ولم ينفض

سامرنا حتى الصباح، وفى الصباح الباكر واصل الأهل أفراحهم بالسجين الشريف الذى أفرج عنه فى الليلة الماضية..

وكان حفلا كريماً تألقت فيه شريفة بنت بلال وكان لها القدح المعلّى فقد أعادت إلى الأذهان من خلال إنشادها الحماسى ورقصها الأسطورى مفاخر الماضى التليد بكل شجاعته ونبله وتحديه وإستماتته فى الزود عن مكتسباته ! ولم يكن ذلك غريباً فى تلك الظروف فإن جواً كانت تظهر فيه بنت بلال كان جواً عاطفياً معطراً بالأمانى طافحاً بالبشر والسعادة.. وكانت شريفة عندما تحوس بعينيها الناقدتين خلال الجميع وتتفرس فى وجوه الصبية كنت أحس آنئذ بأنها تبحث عمن يمسك بنور الأمل ويجرى به بعيداً بعيداً فى سراديب الزمان فينشره على رؤوس الأشهاد حقيقة رائعة مبشرة بعودة الحق..

ويستمر عزيز أندراوس شارحاً فرحة الناس بعودة وهبة إبراهيم خليل من السجن وإعتزاهم بمشاركة شريفة بنت بلال ويقول: وأما البشر والسعادة فقد كنت ألاحظهما جليين واضحين لا لبس فيهما ولا غموض على وجوه كل النساء والرجال والأطفال بلا تمييز، أما أنا فقد إمتلأ قلبى بما كانت تمنحه شريفة فى أناشيدها الوطنية من سعادة غامرة وفرح عظيم.. وكانت المناسبة تستحق كل هذا الجو من الغبطة التى وضعها أهل الإحتفال تاجاً على رأس المواطن السودانى "وهبة إبراهيم " الذى دخل سجيناً مع رفاقه من أبناء ثورة ١٩٢٤م..

الإنتاج الأدبي والثقافي للمؤلف

كتب صدرت:-

صدر منها:-

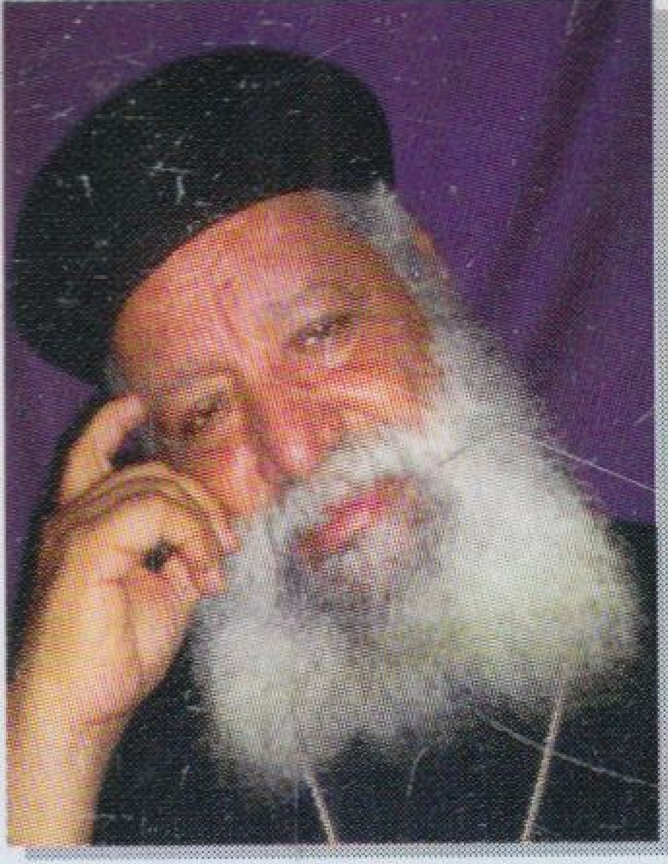
١ - المسيحية فى عيون المسلمين.
٢ - حديث الأيقونات .
٣ - دراسات قبطية.
٤ - سبعون مقالا عن الملائكة.
٥ - خواطر قلم.
٦ - مساحات الود والاحترام بين المسيحية والاسلام.
٧ - شمس الأمل.
٨ - المؤمنون يتنافسون.
٩ - القادرون يحبون.
١٠ - حصاد السنين.
١١ - روحانية الروح والجسد.
١٢ - النوبة ملوكا وشعبا.
١٣ - أطروحات سودانية.
١٤ - النوبة وطن الذهب.
١٥ - الطبيب الروحاني الراحل إلى السماء
١٦ - الواقفون على خط النار.

تحت الطبع:-

١ - النعمة امرأة .
٢ - النيل أبونا والجنس سوداني.
٣ - السودان زمان والآن.
٤ - النيل والسودان الاصيل.
٥ - أنا سوداني أنا .
٦ - سر الابتسامة.
٧ - الاحوال الشخصية لغير المسلمين.
٨ - الهادئون في الارض.
٩ - جامعة الحياة.

١٠- وكان السودان للحضارة بستاناً.
١١- المبتسمون مطمئنون.
١٢- السودان أبو الدنيا.
١٣- السودان عبر التاريخ.

رقم الإيداع (٧٨١ - ٢٠٠٦)



القمص فيلوثاوس فرج

علي خط النار

منذ أن صرخ الطفل سمير فرج واصف صرختـه الأولي و رحبت الأسرة بـه عضواً فيها و شب الطفل قليلاً عن الطوق تنبأ كل من حوله أنه سوف يكون من الواقفين علي خط الناس سيرة و مسيرة.

عندما صار الطفل شاباً كان يطمح أن يكون صحفياً و يحب أن يكتب دون توقف و كان أول مقال له عنوانه سوف أكتب و لماذا لا أكتب؟ و قد شجع نفسه بنفسه علي الكتابة من واقع فهمه الخاص لقضايا المجتمع و هموم الناس.

بعدها ذهب إلى قداسة البابا كيرلس السادس لينال بركته كقديس معاصر و لكن البابا صمم علي أن يذهب الشاب الغض إلى الكلية الاكليريكية و كان هذا وقوف علي أعتاب خط النار و كتغيير للاتجاه و كان علي الشاب ان يطيع و دخل إلـي كلـية اللاهـوت و شاءت إرادة الله أن يتفوق علي أقرانه.

ثم حاول أن يحقق رغبته القديمة فالتحق بكلية الآداب قسم الاجتماع و كان أول دفعته و تغير أتجاهه ليكون معيداً ثم استاذاً جامعياً و كان يعشق هذا الخط الأكاديمي.

و لكن مطران الخرطوم الأنبا دانيال صمم علي إن يعيده إلي خط النار قساً يقترب إلي عرش النعمة و يصلي لأجل الآخر ثم رَّقاه إلي قمُّص في وقت وجيز.

و الآن هو معكم دوماً علي خط النار يحاول أن تكون النار رهبة و قداسة تطهيراً و ليس تدميراً و يشعر دوماً بموازرة الكل له مسلمين و مسيحيين فصلوا لأجله و هو يحيا لأجل ثقافة السلام،،،